







الكتاب الثالث أكتوبر - ديسمبر









هاروكي موراكامي

1Q84

الكتاب الثالث أكتوبر - ديسمبر

هاروكي موراكامي

1Q84

الكتاب الثالث أكتوبر - ديسمبر

رواية

ترجمة: أنور الشامي



العنوان الأصلي للرواية:
Haruki Murakami
1Q84 (Book 3)

الكتاب

1Q84

الكتاب الثالث

تأليف

هاروكي موراكامي

ترجمة

أنور الشامي

الطبعة

الأولى، 2018

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-885-5

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 750507 01 ـ 352826 01
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

الكتاب الثالث

أكتوبر ـ ديسمبر

الفصل الأول

يوشيكاوا
ثمة شيء يطرق أقاصي وعيه

قال الرجل الأقصَر قامة: «هل يمكنك إذا سمحت ألّا تدخن يا سيد يوشيكاوا؟».

حَملَق يوشيكاوا بشدّة في وجه الرجل الجالس قُبالته أمام المكتب، قبل أن يخفض بصره نحو سيجارة «سفن ستارز» كانت بين أصابعه، لم يكن قد أشعلها بعد.

وأضاف الرجل بأدب: «سأكون ممتناً لك بشدّة».

بدا يوشيكاوا مرتبكاً، وكأنما يستغرب كيف أمكن لهذا الشيء أن يجد طريقه إلى يده.

وقال: «المعذرة. لم أكُن أنوي إشعالها. أخرجتُها هكذا من دون تفكير».

كانت ذقن الرجل تتحرك صعوداً وهبوطاً، ربما بمقدار نصف بوصة، ولكن دون أن يَحيد بصرُه عنه. بقيَتْ عيناه مسلطتين على يوشيكاوا حتى أعاد السيجارة مرة أخرى إلى علبتها.

أمّا صاحب القامة الأطول بين الرجلين، ذاك الذي يصفِّف شعره على هيئة ذيل حصان، فكان يقف في المدخل، متكئاً على إطار الباب

اتكاءة خفيفة يتعذّر معها الجزم بأنه يلامسه فعلاً. وكان يحدِّق إلى يوشيكاوا كما لو كان لطخةً على حائط. قال يوشيكاوا في نفسه، **يا لهما من ثنائي بغيض**. كانت هذه هي المرة الثالثة التي يلتقي فيها يوشيكاوا الرجلين، وفي كلّ مرّة كانا يُشعرانه بعدم الارتياح.

لم تكن غرفة مكتب يوشيكاوا الضيقة تضم سوى منضدة عملٍ وحيدة، وكان يجلس قبالته أقصرهما قامة، صاحب الرأس الحليق. فهو مَن يتولى مهمة الكلام. أمّا ذيل الحصان فلم يكُن ينبس بكلمة، بل يقف ساكناً تماماً كأنه أحد كلاب الحراسة الحجرية الرابضة عند مدخل ضريح شنتو، فلا يتحرك قَيد أنملة، مكتفياً بمراقبة يوشيكاوا.

قال حليق الرأس: «لقد مضت ثلاثة أسابيع».

تناول يوشيكاوا التقويم الموضوع على مكتبه، ونظر فيه ثم أومأ برأسه: «صحيح. مضت ثلاثة أسابيع بالضبط منذ التقينا آخر مرة».

«وخلال هذه المدة لم تقدِّم لنا أيّ تقارير. وكما قلتُ من قبل يا سيد يوشيكاوا، إنّ كلّ لحظة تمرّ لها ثمن. وليس لدينا وقت نضيعه».

ردّ يوشيكاوا وقد بدأ يعبث بقداحته الذهبية بدلاً من السيجارة: «أفهم ذلك تماماً. لا وقت نضيعه. أدرك ذلك جيداً».

انتظر حليق الرأس حتى يتابع يوشيكاوا كلامه.

قال يوشيكاوا: «في الواقع، أنا لا أحبِّذ تقديم معلومات مجزّأة. قليل من هنا وقليل من هناك. ولكني أحبّ أن أنتظر حتى أرى الصورة الكاملة وتتكشّف الأشياء وأرى ما يكمن وراءها. فالأفكار غير الناضجة لا تجلب سوى المزيد من المتاعب. أعرف أنّ ذلك قد يبدو أنانية من جانبي، ولكن هذه هي طريقتي في العمل».

حدّق حليق الرأس في يوشيكاوا بنظرة استخفاف. كان يوشيكاوا

يُدرك أنّ الرجل لا يحمل له أيّ تقدير، لكن ذلك لم يكن يشغله كثيراً. وعلى حدّ علمه، فإن أحداً قط لم يحمل نحوه انطباعاً حسناً. وقد اعتاد ذلك. فوالداه وأشقاؤه لم يحبّوه يوماً، وكذلك كان معلّموه وزملاؤه في الدراسة. وهو الحال نفسه مع زوجته وابنتيه. وإذا حدث وأحبّه أحدٌ ما، فحينئذٍ فقط يساوره القلق. أمّا أن يجد نقيض ذلك فلم يكُن يثير لديه قلقاً أو دهشة.

«نحن نودّ أن نحترم طريقتك في العمل يا سيد يوشيكاوا. وأظنّ أننا قد فعلنا ذلك. حتى الآن. ولكن الوضع مختلف هذه المرة. يؤسفني أننا لا نملك ترف الانتظار حتى نعرف جميع الحقائق».

قال يوشيكاوا: «أفهم ذلك ولكني لا أظن أنك اكتفيت بالجلوس طوال هذه المدة انتظاراً لاتصالي بكم. كنت أحسبُك تُجري تحقيقاتك الخاصة».

لم يردّ حليق الرأس. ظلّت شفتاه مزمومتين تماماً وتصنعان معاً خطاً مستقيماً، كما لم تكشف تعبيرات وجهه عن شيء. ولكن يوشيكاوا كان بوسعه أن يجزم بأنه لم يعُد بعيداً عن الحقيقة. كان التنظيم قد عاش حالة من التأهّب على مدى الأسابيع الثلاثة الماضية، ورغم أن القائمين عليه قد استعانوا على الأرجح بأساليب مغايرة لتلك التي يستخدمها يوشيكاوا، فقد كانوا يبحثون عن المرأة. ولكن لا بد أنهم لم يعثروا لها على أثر، وهذا هو ما جعلهم يلجأون إلى يوشيكاوا.

قال يوشيكاوا وهو يبسط كفيه، كما لو كان يفشي سراً مذهلاً:

«لا يمسك باللصّ إلّا لصٌ مثله. حتى أكون صريحاً، هذا اللصّ يمكنه أن يتشمّم الأشياء. أعرف أني لست شخصاً بهيّ الطّلعة، ولكنني بارع في اكتشاف الأشياء. أستطيع أن أتتبّع أضعف أثر حتى نهايته. لأنني

أنا نفسي لصّ. يجب أن أؤدي عملي بطريقتي، وبإيقاعي الخاص. أتفهّم تماماً أنّ الوقت ضيق، ولكنني أودّ منكم المزيد من الانتظار. عليكم بالصبر، وإلّا فقد ينهار كلّ شيء».

كان يوشيكاوا يعبث بقداحته بين أصابعه، فيما تابع حليق الرأس بعينيه حركة أصابعه في هدوء، قبل أن ينظر إلى أعلى.

«سأكون ممتناً إذا أطلعتني على ما وجدت، حتى إن كان منقوصاً. صحيح أنّ لديك طريقتك الخاصة في العمل، ولكني إذا لم أرجع لرؤسائي بشيء ملموس، فسوف نكون في وضعٍ حرج. وأظنكَ أنت أيضاً يا سيد يوشيكاوا ستكون في وضع خطِر».

قال يوشيكاوا في نفسه، **هذان الرجلان في مأزق**. كان كلاهما خبيراً في الفنون القتالية، ولهذا السبب وقع الاختيار عليهما كي يكونا حارسين شخصيين للزعيم. رغم ذلك، فقد اغتيل الزعيم تحت أعينهما، لكن ذلك لا يعني أنّ هناك أدلة وُجدت تشير إلى أنّ وفاته نجمت عن عملية قتل - فقد فحص الجثة أطباءُ عديدون في المُجمع ولم يجدوا أيّ أثر فيها لإصابات خارجية. ولكن الأجهزة الطبية المتوافرة داخل المجمع أيضاً كانت بدائية في أفضلِ الأحوال. وقد أصبح الوقت عنصراً مهماً جداً. ولو كانت الجثة قد أُخضعت لتشريح دقيق وشرعي على أيدي اختصاصيين، لربما كانوا قد عثروا على دليل يدعم فكرة أنه قد قُتل غيلة، ولكن فات أوان ذلك الآن. فقد تمّ التخلص من الجثة سراً داخل أسوار مجمع ساكي جاكه.

على أية حال، فقد أخفق هذان الحارسان في مهمّتهما لحماية الزعيم، وبات موقفهما ضعيفاً داخل المجمّع. وأصبح الدور المنوط بهما الآن هو العثور على هذه المرأة، بعد أن تلاشت على ما يبدو وسط ذرات الهواء. صدرت لهما الأوامر: لا تَدَعا حجراً على حجرٍ

حتى تعثُرا عليها. ولكنهما حتى الآن كانا يعودان بأيادٍ خالية. كانا حارسين مدرَّبين، ولكنهما يفتقران إلى المهارات التي يتطلّبها العثور على مفقودين.

أجاب يوشيكاوا: «أتفهّم موقفكما. وسوف أُطلِعكما على بعض ما توصّلت إليه. ليست كلّ الحكاية، ولكن يمكنني الكشف عن جانب منها».

بقي حليق الرأس جالساً، وقد ضيَّق حدقتيه. ثم أومأ: «سيكون ذلك جيداً. لقد توصلنا بأنفسنا إلى بعض التفاصيل، ربما أنت تعلمها بالفعل وربما لا تعلمها. يجب أن نتشارك أي معلومات لدينا».

وضع يوشيكاوا القداحة من يده وثنى أصابعه على سطح المكتب.

واستهلّ كلامه: «طُلب من الشابة أَوْمَامِه القدوم إلى أحد أجنحة فندق أوكورا، وساعدت الزعيم في إرخاء عضلات جسمه ببعض التمارين. كان ذلك في أول سبتمبر، في الليلة التي هبَّت فيها العاصفة الرعدية الرهيبة. عالجته أَوْمَامِه على مدى ساعة في غرفة منفصلة، ثم تركته نائماً. وطلبت منكما أن تتركاه نائماً ولا تزعجاه لساعتين، وقد أطعتما تعليماتها. ولكن الزعيم لم يكُن نائماً. كان قد مات بالفعل. لم تظهر عليه أيّ إصابات خارجية، وكان يبدو أنه تعرّض لنوبة قلبية. وسرعان ما تلاشى أيّ أثر للمرأة. كانت قد أخلَت شقتها مسبقاً. وجدتُ الشقة فارغة. وفي اليوم التالي، وصل خطابُ استقالتها إلى النادي الرياضي. يبدو أنّ كل شيء كان يمضي بحسب خطة موضوعة. الاستنتاج الحتمي هو أنّ هذه الآنسة أَوْمَامِه هي قاتلة الزعيم».

أومأ حليق الرأس. بدا له أنّ كلّ ذلك صحيح.

أضاف يوشيكاوا: «إنّ هدفك هو أن تعرف حقيقة ما جرى. وتريد الإمساك بهذه المرأة، مهما كلّف الأمر».

«إذا كانت أَوْمَامِه هذه هي حقاً قاتلة الزعيم، فيجب أن نعرف لماذا ومَن يقف وراءها».

أطرق يوشيكاوا برأسه نحو أصابعه الموضوعة على سطح المكتب، كما لو كانت جسماً غريباً لم يره من قبل. رفع رأسه ونظر إلى الرجل الجالس قُبالته.

«لقد تحريتَ بالفعل عن أسرة أَوْمَامِه، أليس كذلك؟ وجميع أفراد أسرتها أعضاء مخلصون في جماعة الشهود. ولا يزال أبواها في قمّة حماسهما التبشيري ويمارسان نشاطهما بالطواف على البيوت من بابٍ إلى باب. أمّا شقيقها الأكبر، وهو في 34 من عمره، فيعمل في المقر الرئيس للديانة في أوداوارا. متزوِّج ولديه طفلان. وزوجته هي الأخرى عضو مخلص في جماعة الشهود. أَوْمَامِه هي الوحيدة في الأسرة التي تخلَّت عن هذا الدين -وأصبحت مرتدة، هكذا يدعونها- وتمّ التبرؤ منها. لم أجد دليلاً على أنّ أسرتها تواصلت معها بأيّ شكلٍ خلال العشرين سنة الماضية تقريباً. ولذلك من المستبعَد تماماً أن تقوم أسرتها بإخفائها. وحينما بلغت الحادية عشرة، قطعت كلّ صلة لها بأسرتها، ومنذ ذلك الحين وهي تعيش غالباً وحدها. عاشت مع عمّها فترة، ولكنها استقلّت بحياتها فعلياً منذ التحاقها بالمدرسة الثانوية. كانت خطوة جريئة منها. وهي تمتلك إرادة صلبة للغاية».

لم يعلِّق حليق الرأس بكلمة. ربما لأنه كان يعلم بالفعل جميع هذه المعلومات.

تابع يوشيكاوا: «من المستحيل أن تكون جماعة الشهود متورِّطة.

فهم معروفون بأنهم مسالمون، ويؤمنون بمبدأ اللاعنف. لا يمكن أن تكون منظّمتهم قد استهدفت الزعيم. وأظن أننا متفقون على ذلك».

أومأ حليق الرأس: «جماعة الشهود ليست متورّطة في ذلك. وهذا ما أعرفه جيداً. ومع ذلك، وحتى نتأكّد فقد تحدَّثنا إلى شقيقها. قمنا معه بجميع الإجراءات الممكنة. ولكنه لا يعرف أيّ شيء».

«تقصد بجميع الإجراءات الممكنة أنك لم تنزع أظافره، أليس كذلك؟».

تجاهَل حليق الرأس السؤال.

قال يوشيكاوا: «لا تغضب. هذه مجرّد مزحة. أنا واثق من أنّ شقيقها لا يعلم شيئاً عن تصرّفاتها أو عن مكان اختبائها. أنا نفسي مسالمٌ بالفطرة، ولا أفعل أيّ شيء ينطوي على قسوة شديدة، ولكن يمكنني تفهّم ذلك القدر. ليس لأَوْمَامِه صلة بأيٍّ من أفراد أسرتها أو جماعة الشهود. ومع ذلك، لا يمكنها وحدها أن تنجح في هذه المهمة المعقّدة. لقد رُتِّب لها كل شيء بعناية، ولم يكن عليها سوى اتّباع الخطة. وكذلك عملية التخفي السريعة التي نفّذتها. لا بد أنها تلقت دعماً وتمويلاً كبيرين. لا بد أنّ هناك شخصاً أو جهة ما تدعمها، شخص يريد قتل الزعيم. وهؤلاء هم مَن خطَّطوا كل هذا. هل توافقني؟».

أومأ حليق الرأس: «إجمالاً، نعم».

قال يوشيكاوا: «ولكن لا يوجد أي دليل يكشف نوعية هذا التنظيم الذي نتحدث عنه. أظن أنك تحريت عن أصدقائها ومعارفها؟».

أومأ حليق الرأس في صمت.

قال يوشيكاوا: «واسمح لي أن أخمِّن أنك لم تجد لديها

صداقات. لا صديقات، ولا أصحاب. لديها قليل من المعارف في العمل، ولكنها خارج نطاق العمل لا تتسكّع مع أيّ أحد. على الأقل لم أجد دليلاً على أنّ لديها علاقة وثيقة تربطها بأيّ أحد. ما الذي يجعلها كذلك؟ إنها شابة حسنة المظهر وموفورة الصحة».

رمق يوشيكاوا ذيل الحصان، وكان واقفاً بجانب الباب، وقد تجمّد به الزمن على ما يبدو. كان وجهه في الأصل خالياً من أيّ تعابير، فماذا لديه كي يغيّره؟ استغرب يوشيكاوا، **هل يمكن أن يكون لهذا الرجل اسم؟ لن أندهش إذا تبيَّن أنه بلا اسم.**

قال يوشيكاوا: «أنتما الوحيدان اللذان رأيا فعلاً الآنسة أَوْمَامِه. كيف كانت؟ هل لاحظتما عليها أيّ شيء غير عادي؟».

هزّ حليق الرأس رأسه قليلاً: «كما قلتَ، إنها شابة وتتمتّع ببعض الجاذبية. لكنها ليست بذلك الجمال الذي يدير الرؤوس. تبدو هادئة وتميل إلى الصمت. ويبدو أنها واثقة جداً بقدراتها كمعالج طبيعي. أما ما عدا ذلك، فلا شيء لفت انتباهنا. وفي الواقع، من الغريب أنّ مظهرها الخارجي لا يترك سوى أثر طفيف في الذاكرة. فأنا لا أستطيع حتى أن أتذكر كثيراً من ملامحها».

رمق يوشيكاوا ذيل الحصان الواقف بجانب الباب مرة أخرى. لعلّ لديه ما يضيفه؟ ولكن لا يبدو أنه كان يوشك أن يفتح فمه.

عاد يوشيكاوا مرة أخرى ببصره نحو حليق الرأس: «أنا متأكد أنك دققت سجل هاتف الآنسة أَوْمَامِه خلال الأشهر القليلة الماضية؟».

هزّ حليق الرأس رأسه: «لم نفعل ذلك بعد».

ابتسم يوشيكاوا: «يجب أن تفعل. إنه بالتأكيد يستحقّ التدقيق. الناس يتصلون هاتفياً بجميع الأماكن ويتلقون جميع أنواع المكالمات.

ابحث في سجل هاتف شخص ما، وسوف تخرج بفكرة جيدة عن نوعية الحياة التي يعيشها. والآنسة أَوْمَامِه ليست استثناء. ليس من السهل الحصول على سجل هاتف شخصي، ولكنه أمر ممكن. لا يمسك باللص إلّا لص، أليس كذلك؟».

بقي حليق الرأس صامتاً، وانتظر من يوشيكاوا أن يتابع.

«عند النظر في سجل هاتف الآنسة أَوْمَامِه، تكشَّفت العديد من الحقائق. وهي أنها على خلاف النساء، لا يستهويها التحدّث عبر الهاتف. لم تكن تُجري مكالمات كثيرة، وفي مكالماتها التي تجريها، لا تطيل الحديث. قد توجد لديها أحياناً بعض المكالمات الطويلة، ولكنها قليلة. معظم مكالماتها موجَّهة إلى مكان عملها، ولكن لأنها تعمل بنظام نصف دوام وبشكلٍ حرّ، فقد وجدت لديها أيضاً بعض المكالمات حول مواعيد عمل خاصة، وبعبارة أخرى، مواعيد ترتّبها مباشرة مع الزبائن من دون المرور عبر إدارة النادي الرياضي. كانت مكالمات قليلة. ولكن أيّاً منها، على حدّ علمي، لا يُثير الشبهات».

توقف يوشيكاوا عن الكلام، وبينما كان يتفحّص بقع النيكوتين الموجودة على أصابعه من عدّة زوايا، خطرت بباله السجائر. توهَّم أنه يشعل سيجارة، وراح يستنشق دخانها الموهوم ويخرجه.

«ومع ذلك يوجد استثناءان. مكالمتان لقسم شرطة. ليستا لرقم النجدة 911، ولكن لمكتب المرور في قسم شرطة شينجوكو. وقد تلقت عدة مكالمات من القسم نفسه. لم تكن تقود سيارة، ورجال الشرطة لا يستطيعون تحمّل تكلفة حصص خصوصية في قاعة تمارين رياضية باهظة الثمن. ولذلك لا بد أنّ لديها صديق يعمل في هذا القسم. مَن هو، لا أدري. شيء آخر يزعجني وهو أنّ لديها عدة مكالمات طويلة مع رقم مجهول. كان الطرف الآخر هو مَن يبدأ

الاتصال دائماً. أما هي فلم تتصل به مطلقاً. فعلتُ كل شيء ولكني لم أستطع تعقب هذا الرقم. من الواضح أن هناك أرقاماً يمكن التلاعب بها حتى يظلّ اسم الطرف الآخر مجهولاً. ولكن حتى هذه، مع بعض الجهد، يمكن تعقّبها. حاولت جهدي، ولكني لم أتمكن من معرفة أي شيء. الرقم مؤمَّن بشدة. شيء غير عادي بالمرة، فعلاً».

«هذا الطرف الآخر، إذاً، يمكنه القيام بأشياء غير عادية».

«بالضبط. حتماً هناك محترفون ضالعون».

قال حليق الرأس: «لصّ آخر».

مسح يوشيكاوا بكفّه فوق رأسه الأصلع المنبعج، وابتسم ابتسامة عريضة: «هذا صحيح. لص آخر، وهو لصّ مدهش».

علَّق حليق الرأس: «إذاً نحن على الأقل نفهم أن هناك أشخاصاً محترفين يساندونها».

«صحيح. الآنسة أَوْمَامِه على صلة بتنظيم ما. وهو ليس تنظيماً يديره هواة في أوقات فراغهم».

خفض حليق الرأس جفنيه بمقدار النصف، وراح يتفحّص يوشيكاوا. ثم استدار نحو الباب. التقت عيناه بعيني ذيل الحصان، فما كان من الأخير إلّا أن أومأ إيماءة خفيفة للإشارة إلى أنه يتابع حديثهما. عاد حليق الرأس ببصره نحو يوشيكاوا.

سأل حليق الرأس: «وإذاً؟».

قال يوشيكاوا: «إذاً، . . . حان دوري كي أطرح عليك الأسئلة. هل لديك أي فكرة عن أي جماعة أو تنظيم قد يرغب في قتل الزعيم؟».

أصبح حاجبا حليق الرأس الطويلين وكأنهما حاجباً واحداً عندما قطَّب وجهه. وعلت أنفه تجاعيد ثلاثة.

«اسمعني، يا سيد يوشيكاوا. فكِّر في الأمر. نحن تنظيم ديني. وكلّ ما ننشده هو قلوب مطمئنة وحياة روحانية. وأن نعيش في وئام مع الطبيعة، ونُمضي حياتنا في أعمال الزراعة والتربية الدينية. مَن يمكن أن يعتبرنا عدواً؟ ما هو المكسب الذي يمكن أن يحققه؟».

ارتسمت ابتسامة غامضة حول زاويتَي فم يوشيكاوا.

«هناك متعصّبون في كلّ مناحي الحياة. مَن يدري أيّ أفكار قد يختلقها المتعصبون؟».

ردّ حليق الرأس، بوجه جامد الملامح متجاهلاً سخرية يوشيكاوا: «لا ندري من يمكن أن يكون وراء هذا العمل».

«ماذا عن أكيبونو؟ لا يزال بعض أعضاء تلك الجماعة طلقاء، أليس كذلك؟».

هزّ حليق الرأس رأسه مرة أخرى، وهذه المرة بشكلٍ قاطع، قاصداً أنّ هذا محال. لا بدّ أنّ كلّ مَن كان له صلة بأكيبونو قد سُحق نهائياً ولم يعُد هناك خوف منهم. ولذلك لم يعد يوجد أيّ أثر لأكيبونو.

«حسناً. إذاً أنت لا تدري من يمكن أن يكون وراء ذلك. لكن الحقيقة تبقى أنّ جهة ما قد استهدفت زعيمكم وسلبته حياته. ببراعة شديدة وكفاءة عالية. وبعد ذلك، تلاشى القاتل ولم يترك وراءه أي أثر. وكأنه دخان».

«ويجب علينا أن نعرف مَن يقف وراء ذلك».

«دون أن نقحم الشرطة».

أومأ حليق الرأس: «إنها مشكلتنا، وليست مشكلة قانونية».

قال يوشيكاوا: «حسناً. فهمت. لقد أوضحت لي هذه النقطة. ولكن لدي سؤال آخر أودّ أن أسأله».

قال حليق الرأس: «تفضل».

«كم شخصاً من أتباع ديانتكم يعلم بموت الزعيم؟».

قال حليق الرأس: «نحن الاثنان، وشخصان آخران ساعدا في نقل الجثمان. وهما يعملان تحت إشرافي. وخمسة فقط من المجلس يعلمون ذلك. أيّ تسعة أشخاص. لم نخبر عذراوات الضريح الثلاثة بعد، ولكنهن عمّا قريب سوف يكتشفن ذلك. لأنهن يخدمنه شخصياً، ولذلك لا يمكننا إخفاء الخبر عنهن طويلاً. ثم هناك أنت يا سيد يوشيكاوا. بالطبع أنت أيضاً تعلم ذلك».

«إذاً إجمالي العدد، ثلاثة عشر شخصاً».

لم يردّ حليق الرأس.

أطلق يوشيكاوا تنهيدة عميقة: «هل لي أن أتكلّم بصراحة؟».

قال حليق الرأس: «من فضلك».

قال يوشيكاوا: «أدرك أنه لن يفيد كثيراً أن أقول ما أقوله الآن. ولكن كان ينبغي لكما عندما وجدتما الزعيم ميتاً أن تُبلغا الشرطة في الحال. كان ينبغي لخبر وفاته أن يخرج للعلن. هذه النوعية من الأحداث الكبيرة لا يمكن إخفاؤها إلى الأبد. وأيّ سرّ يعرفه أكثر من عشرة أشخاص لا يمكن أن يبقى سراً. قد تجدوا أنفسكم قريباً في وضع حرج».

لم تتغيّر تعبيرات حليق الرأس: «لست مخولاً باتّخاذ القرارات. أنا مجرد منفّذ للأوامر».

«إذاً مَن المسؤول عن اتخاذ القرارات؟».

لم يردّ.

«هل هو الشخص الذي حلّ محلّ الزعيم؟».

بقي حليق الرأس صامتاً.

قال يوشيكاوا: «حسناً. هناك شخص يعلوكَ في الرتبة طلبَ منك أن تتخلّص من جثة الزعيم في الخفاء. وفي تنظيمكم، الأوامر التي تأتي من فوق لا يمكن أن تكون محلّ نقاش. ولكن من وجهة نظر قانونية فإنّ هذا ينطوي بشكلٍ واضحٍ على إتلافٍ متعمّد لجثة ميت والتخلّص منه، وهذا في حدّ ذاته جريمة كبيرة. وأنت تعلم ذلك، أنا واثق».

أومأ حليق الرأس.

تنهد يوشيكاوا تنهيدة عميقة مرة أخرى: «لقد ذكرت هذا من قبل، ولكن إذا حدث وتدخّلت الشرطة، فأرجو منك أن توضح أنني لم أعرف مطلقاً بموت الزعيم. التُّهم الجنائية هي آخر شيء أحتاجه».

قال حليق الرأس: «نحن لم نُخبرك مطلقاً بموت الزعيم. فقد استعنّا بك كمحقّق خارجي لمعرفة مكان امرأة تُدعى أَوْمَامِه، هذا هو كلّ ما في الأمر. وأنت لم تقُم بأي شيء مخالف للقانون».

قال يوشيكاوا: «هذا حسن».

«هل تعلم أننا لم نكن نرغب في السماح لطرف خارجي مثلك أن يعرف بموت الزعيم. ولكنك أنت مَن أجرى التحريات الأولية عن أَوْمَامِه، وأنتَ مَن أجازها. ولذلك فأنت مطّلعٌ على الأمر بالفعل. ونحن بحاجة إلى مساعدتك في العثور عليها. ونريد منك أن تُبقي الأمر برمّته طيّ الكتمان».

«كتمان الأسرار هو أساسُ عملي. لا داعي للقلق. أؤكّد لك أنّ أحداً آخر لن يسمع بهذا الخبر مني».

«إذا تسرّب الخبر، وتبيّن لنا أنك كنتَ المصدر، فقد يُصيبك ما لا يَسرّ».

أطرق يوشيكاوا مرة أخرى إلى أسفل حيث سطح مكتبه، وراح

ينظر إلى أصابعه العشرة المكتنزة التي يضعها على المكتب. بدا وكأنه مندهشٌ لاكتشافه أنّ هذه الأصابع هي أصابعه.

أعادَ عبارة حليق الرأس: «ما لا يَسر»، ثم نظرَ إلى أعلى.

ضيَّق حليق الرأس عينيه قليلاً: «وفوق ذلك فنحن نريد أن نُبقي موت الزعيم سراً. ولا يهمّنا أيّ وسائل قد نلجأ إليها لتحقيق ذلك».

قال يوشيكاوا: «سوف أكتم سرَّكم. اطمئنّ. لقد عملنا معاً بشكلٍ مثاليّ حتى الآن. وقد أدّيت لكم عدة أشياء في الخفاء كان يصعب عليكم القيام بها في العلن. لم يكن العمل دائماً سهلاً، ولكن الأجر كان كافياً وزيادة. إذاً أوافق - سوف أقفل فمي بالضبّة والمفتاح. ليست عندي أيّ معتقدات دينية، ولكن الزعيم ساعدني شخصياً، ولذلك سوف أبذل جهدي للعثور على الآنسة أَوْمَامِه. سوف أبذل جهدي حتى أكتشف مَن يقف وراء ذلك. وقد بدأتُ أحرز بعض التقدّم. ولذلك أرجو منك بعض الصبر. سآتيك بنبأ سارّ عمّا قريب».

تحرّك حليق الرأس قليلاً في كرسيه. وتحرّك ذيل الحصان الواقف بجانب الباب بالتزامن، ناقلاً ثِقله على ساقه الأخرى.

سأله حليق الرأس: «أهذه هي كلّ المعلومات التي يمكنك أن تُطلعنا عليها؟».

تفكّر في ذلك وقال: «كما قلت، الآنسة أَوْمَامِه اتّصلت بقسم المرور في شينجوكو مرتين، والطرف الآخر اتّصل بها عدّة مرات. لم أتوصّل إلى اسم الطرف الآخر بعد. إنها الشرطة. لا يمكنني أن أسألهم هكذا. ولكن خطرت لعقلي عديم الكفاءة فكرة. هناك شيء تذكّرته عن قسم المرور في إقليم شينجوكو. فكَّرت فيه كثيراً، وتساءلت ما الذي جعله يعلق في أطراف ذاكرتي البائسة. لقد استغرق وقتاً حتى تذكرته. ليس ممتعاً أن يتقدّم المرء في العمر. الأدراج التي

تخزّن فيها الذكريات يصعُب فتحها مع الوقت. اعتدتُ فَتحها من دون أيّ صعوبة، ولكني استغرقت أسبوعاً هذه المرة قبل أن يخطر لي ذلك».

توقف يوشيكاوا عن الكلام، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مُصطنعة. حملق في حليق الرأس، الذي كان ينتظر منه بفارغ الصبر أن يتابع كلامه.

«في أغسطس من العام الجاري، تمّ العثور على ضابطة شرطة شابة ماتت خنقاً في أحد فنادق الحبّ في حي ماروياما في شيبويا. كانت تعمل في مكتب مرور شينجوكو. وُجدت عارية تماماً، وقد كُبّلت يداها بأصفادها التي تسلّمَتها من جهة عملها. بالطبع أحدث ذلك فضيحة. المكالمات الهاتفية بين الآنسة أَوْمَامِه ومرور شينجوكو جرت قبل عدة شهور من وقوع هذه الحادثة. لم يتمّ إجراء أيّ مكالمات بعد عملية القتل. ما قولك؟ هل يمكن أن نعتبر كلّ ذلك مجرّد صدفة؟».

بقي حليق الرأس صامتاً مدّة، ثم تحدث أخيراً. «إذاً هل تودّ القول إنّ الشخص الذي كانت أَوْمَامِه تتصل به هي ضابطة الشرطة التي قُتلت؟».

«ضابطة الشرطة اسمها أيومي ناكانو. عمرها 26 سنة. شابة شديدة الجاذبية. تنتمي لعائلة شُرَطية. والدها وشقيقها الأكبر كانا في الخدمة. كان أداؤها فوق المتوسط. بالطبع، حاولت الشرطة بكلّ السُّبل العثور على القاتل، ولكن لم يحالفهم الحظ حتى الآن. أعتذر عن جرأتي الزائدة في هذا السؤال، ولكن هل يمكن أن تكون لديكم أي معرفة بهذه الحادثة؟».

بدت عينا حليق الرأس، وهما تحدّقان في يوشيكاوا، جامدتين،

وكأنما قد استخرجتا قبل دقائق من نهر جليدي. وقال: «لا أدري ماذا تقصد. هل تظن أننا متورطون بطريقة ما في هذه الحادثة؟ وأن أحدنا قد اصطحب هذه الضابطة إلى فندق سيئ السمعة، وكبَّل يديها، ثم خنقها حتى الموت؟».

ضمّ يوشيكاوا شفتيه وهزّ رأسه: «لا تكُن سخيفاً! هذه الفكرة لم تخطر ببالي مطلقاً. ما أسأل عنه هو هل لديك أيّ أفكار عن هذه القضية. أي شيء. أي خيط مهما كان ضعيفاً سوف يكون موضع ترحيبي. ولا يهم أنني اعتصرتُ دماغي هذا، ومع ذلك لم أجد أيّ صلة بين جريمتَي القتل».

حملق حليق الرأس في يوشيكاوا مدة، كما لو كان يقيس شيئاً. ثم أطلق زفرة بطيئة وقال: «أفهم. سوف أبلغ رؤسائي بذلك». أخرج مدوّنة صغيرة ودوّن بها بعض الملاحظات. «أيومي ناكانو، 26، مكتب المرور، إقليم شينجوكو، قد تكون على صلة بأَوْمَامِه».

«بالضبط».

«هل من شيء آخر؟».

«يوجد شيء آخر. لا بدّ أنّ أحد أتباع ديانتكم هو من رشّح اسم الآنسة أَوْمَامِه. شخص كان يعرف مدرّبة لياقة بدنية في طوكيو تجيد تمارين تمديد العضلات. كما أوضحت، فقد تمّ استقدامي كي أتحرّى عن المرأة. لست أحاول أن أجد الأعذار لنفسي، ولكني بذلتُ كلّ جهدي. ومع ذلك لم أجد أي شيء غير عادي، لا شيء على الإطلاق يثير الشكوك. سجلّها نظيف تماماً. وأنتم جميعاً طلبتم منها القدوم إلى الجناح في فندق أوكورا. إذاً مَن الذي رشحها لكم في أول الأمر؟».

«لا أدري».

تعجّب يوشيكاوا: «لا تدري؟» بدا وكأنه طفل سمع لتوه كلمة لا يفهمها. «أتقصد أن شخصاً ما من أتباع ديانتكم هو مَن طرح اسم الآنسة أَوْمَامِه أول مرة، ومع ذلك فإنّ أحداً لا يتذكّر مَن هو؟ هل هذا هو ما تودّ قوله؟».

أجاب حليق الرأس دون أن تتغير تعبيرات وجهه: «هذا صحيح».

قال يوشيكاوا بنبرة تعكس مدى الغرابة التي وجدها في ذلك: «يا للغرابة».

لم يعلّق حليق الرأس بكلمة.

«إذاً نحن لا ندري متى طُرح اسمها، أو مَن الذي طرحه، ومضت الأمور هكذا من تلقاء نفسها. أهذا ما تودّ قوله؟».

قال حليق الرأس، وهو ينتقي كلماته بعناية: «حتى أكون صريحاً معك، فإنّ الزعيم نفسه هو أكثر شخص تحمّس للفكرة وأيّدها».

«داخل قيادة التنظيم، كان البعض يرى أنّ هناك خطراً في السماح لغريب بأن يعتني بالزعيم. وقد شعرنا بالشيء نفسه باعتبارنا حارسيه الشخصيين. ولكن الزعيم لم يكن قلقاً، بل إنه هو مَن أصرَّ على المُضي قُدُماً في ذلك».

التقط يوشيكاوا قداحته مرة أخرى، وفتح فوهتها، وأشعلها، كما لو كان يجرّبها. ثم سرعان ما أقفل الفوهة.

قال: «كنت أسمع دائماً أن الزعيم شخص شديد الحذر».

قال حليق الرأس: «كان كذلك. شديد الحرص، وشديد الحذر». خيَّم الصمت لمدّة.

قال يوشيكاوا: «يوجد شيء وحيد آخر أودّ أن أسألك عنه. إنه تنغو كاوانا. كان يقابل امرأة متزوجة تكبُره سناً وتُدعى كيوكو ياسودا.

كانت تزوره في شقته مرة في الأسبوع، ويقضيان معاً أوقاتاً جميلة. إنه شاب، وهذا أمر متوقع. ولكن ذات يوم اتصل به زوجها فجأة، وأخبره أنها لن تزوره مرة أخرى أبداً. ومنذ ذلك الحين، لم يأته أيّ اتصال منها».

قطّب حليق الرأس جبينه: «لا أفهم لماذا تُخبرني بذلك. هل تودّ القول إنّ تنغو كاوانا متورط في كل هذا؟».

«لا أذهب إلى هذا الحدّ. إنه مجرد شيء كان يُزعجني. مهما كانت الظروف، فإنّ الرجل يتوقع من المرأة أن تتصل به على الأقل. ولكنها لم تتصل. تلاشت وحسب، ولم يبقَ لها أيّ أثر. النهايات المفتوحة تزعجني، ولذلك فقد طرحتُ السؤال، فقط من باب الحيطة. هل لديك أي معرفة بذلك؟».

قال حليق الرأس بنبرة رتيبة: «أنا شخصياً، ليس لديّ أي معلومات عن هذه المرأة. كيوكو ياسودا التي كانت على علاقة بتنغو كاوانا».

«إنها متزوجة، وتكبره بعشر سنوات».

دوَّن حليق الرأس اسمها في مدونة صغيرة. «سوف أخبر رؤسائي».

قال يوشيكاوا: «حسناً. بالمناسبة، هل توصّلت إلى مكان إريكو فوكادا؟».

رفع حليق الرأس رأسه وحدّق في يوشيكاوا كما لو كان يتفحّص إطار صورة مُعْوَجّ: «ولماذا ينبغي أن نعرف مكان إريكو فوكادا؟».

«ألا يهمك أن تعرف مكانها؟».

هزّ حليق الرأس رأسه: «لا تهمنا في شيء. فلتذهب حيثما تشاء».

«ألا يهمك أيضاً تنغو كاوانا؟».

«لا شيء يربطنا به».

قال يوشيكاوا: «كان يبدو لي في السابق أنك مهتم بهما للغاية».

ضيَّق حليق الرأس عينيه لبرهة، ثم فتح فمه: «في اللحظة الراهنة اهتمامنا منصبّ على أَوْمَامِه فقط».

«هل يتغيّر اهتمامكم من يوم إلى يوم؟».

انفرجت شفتا حليق الرأس قليلاً، لكنه لم يردّ.

«يا سيد أوندا، هل قرأت الرواية التي كتبتها إريكو فوكادا، **الشرنقة الهوائية**؟».

«لا، لم أفعل. ديانتنا تُحرِّم علينا قراءة أيّ شيء خارج كتب العقيدة الخاصة بساكي جاكه، بل ليس مسموحاً لنا حتى أن نلمسها».

«هل سبق أن سمعت عبارة: **الناس الصغار**؟».

قال حليق الرأس دون أن يتردّد لحظة: «لا».

أجاب يوشيكاوا: «حسناً».

انتهى حديثهما. نهض حليق الرأس ببطء من مقعده وضبط ياقة سترته. أمّا ذيل الحصان فقد خطا خطوة إلى الأمام بعيداً عن الحائط.

«كما قلت سابقاً يا سيد يوشيكاوا، عامل الوقت مهم جداً».

وقف حليق الرأس ونظر إلى أسفل نحو يوشيكاوا، الذي ظلّ جالساً. «يجب علينا أن نعثر على أَوْمَامِه في أقرب وقت. إننا نبذل قصارى جهدنا، وعليك أن تقوم بالشيء نفسه. إذا لم نعثر على أَوْمَامِه، فقد يكون ذلك سيئاً لكلينا. وأنت، على أيّ حال، واحد من قلة تعرف سراً مهماً».

«كلّما اتّسعت المعرفة، عظمت المسؤولية».

ردّ حليق الرأس بنبرة لا أثر للعاطفة فيها: «بالضبط». استدارَ حليق الرأس وغادر الغرفة مسرعاً. تبعه ذيل الحصان إلى الخارج، وأغلق الباب من دون صوت.

بعد أن غادرا، فتح يوشيكاوا دُرجاً في مكتبه كي يغلق جهاز التسجيل الذي بداخله. فتح باب المُسجل وأخرج شريط الكاسيت، ودوَّن عليه التاريخ والوقت بقلمٍ جاف. كان خطّه اليدوي أنيقاً وجميلاً على النقيض من ملامحه الغريبة. التقطَ علبة سجائر «سفن ستارز» الموضوعة بجانبه، واستلّ منها واحدة، ثم أشعَلَها بقداحته. سحب نفساً طويلاً، ونفخ زفيراً قوياً في اتجاه السقف، ثم أغمض عينيه برهة. حينما فتح عينيه نظر إلى حيث توجد ساعة الحائط. كانت تشير إلى 2:30 ظهراً. **يا لهما من ثنائيّ بغيض**، ردّد يوشيكاوا في نفسه مرة أخرى.

كان حليق الرأس قد قال، **إذا لم نعثر على أَوْمَامِه، فقد يكون ذلك سيئاً لكلينا.**

كان يوشيكاوا قد زارَ مقرّ مجمع ساكي جاكه مرتين، في قلب الجبال في إقليم ياماناشي، رأى المحرقة الضخمة الموجودة في الغابة خلف المجمع. كانت قد أُنشئت لحرق القمامة والنفايات، ولكن لكونها تعمل عند درجة حرارة هائلة، فإنّك إذا ألقيت بها جثة إنسان فلن تُبقي منها عظمة واحدة. كان يعرف أنّ العديد من الجثث قد تمّ التخلّص منها بهذه الطريقة. والأرجح أنّ جثة الزعيم كانت إحداها. وبطبيعة الحال، لم يكن يوشيكاوا يرغب في مواجهة المصير نفسه. يوماً ما سوف يموت، ولكن إذا أمكن فإنه يفضّل طريقة أهدأ قليلاً.

ولكن كانت هناك بعض الحقائق التي لم يكشفها يوشيكاوا. كان

يوشيكاوا يفضّل ألّا يكشف جميع أوراقه دفعة واحدة. لم يجد ضيراً في أن يُظهر لهم بعضاً من أوراق اللعب غير المهمّة، أمّا الأوراق ذات الوجوه فآثرَ أن يخفيها. يحتاج المرء إلى بعض الضمانات - مثل المحادثة التي قام لتوّه بتسجيلها سراً. وفي لعبة من هذا النوع فإنّ يوشيكاوا لاعبٌ بارع. ولم تكن خبرة هذين الحارسين الشابين تضاهي في شيء الخبرة التي يمتلكها يوشيكاوا.

كان يوشيكاوا قد حصل على قائمة الزبائن الخاصّين لدى أَوْمَامِه. وما دمت لا يعنيك الوقت والجهد، وما دمت تدرك ماذا تفعل، فإنك تستطيع الحصول على جميع أنواع المعلومات تقريباً. أجرى يوشيكاوا تحريات كافية عن هؤلاء الزبائن الاثنى عشر. ثمان نساء وأربعة رجال، وجميعهم أثرياء ومن ذوي الوجاهة الاجتماعية. لا أحد في هذه القائمة من النمط الذي يمكن أن يساعد قاتلة. ولكن واحدة منهم، وهي امرأة موسرة في السبعينيات من عمرها، كانت تخصّص دار إيواء للنساء اللائي يهربن من عنف أزواجهن. وسمحت للنساء المعنَّفات بالعيش في مبنى سكني من طابقين وأقيم على قطعة أرض واسعة تمتلكها، وبجوار منزلها.

كان ذلك في حدّ ذاته، عملاً عظيماً، ولا يثير الريبة. ولكن ثمة شيء كان يؤرِّق يوشيكاوا، ويطرق أقاصي حدود وعيه. وبينما كانت هذه الفكرة المبهَمَة تقعقع في ذهنه، كان يوشيكاوا يحاول أن يعرف ما هي. كان يمتلك حاسة شمّ تكاد تعادل تلك التي لدى الحيوانات، وكان يثق في حدسه أكثر ممّا يثق في أيّ شيء آخر. وقد أنقذته حاسة الشم مرات ومرات. ربما كان العنف هو كلمة السرّ هنا. كان لدى هذه العجوز وعيٌ خاص بالعنف، ولذلك قرّرت أن تخوض الصّعاب وتوفر الحماية لضحاياه من النساء.

كان يوشيكاوا قد ذهب بالفعل ورأى هذه الدار. كان المبنى الذي شُيّد من الخشب يقع على ربوة في حيّ أزابو الراقي. كان المبنى قديماً نوعاً ما، ولكن له طابع يميّزه. رأى عبر بابه الشبكي الخارجي حوض أزهار جميلة عند المدخل وحديقة واسعة. ورأى شجرة بلوط ضخمة تُلقي بظلالها على الأرض. وكان هناك لوح زجاجي رُكِّب في البوابة الخارجية. كان المبنى من تلك النوعية الآخذة في الاندثار سريعاً في طوكيو.

رغم كلّ الهدوء الذي يخيّم عليه، كان المبنى مؤمَّناً بشدّة. تحيطه أسوارٌ عالية وتعلوها أسلاك شائكة. أمّا البوابة المعدنية القوية فكانت مقفلة بإحكام، فيما كانت كلبة «جرمن شبرد» تجوب المكان ويعلو نباحها كلّما اقترب أحد من المبنى. كانت توجد عدّة كاميرات لمراقبة المكان. ولأنّ الطريق أمام المبنى يكاد يخلو من المارة، لم يكن سهلاً على أحد أن يحوم كثيراً حول المبنى. إنه يقع في منطقة سكنية هادئة، وتوجد على مقربة منه العديد من سفارات الدول الأجنبية. إذا رأى أحدٌ شخصاً مثل يوشيكاوا بملامحه الغريبة يحوم في المكان، فلا بدّ أنه سوف يتساءل حول سبب وجوده.

كانت الإجراءات الأمنية مشدَّدة أكثر قليلاً ممّا ينبغي. وفي مكان خُصّص لإيواء النساء المعنفات، فإنّ الأمر هنا ينطوي على بعض المبالغة. شعرَ يوشيكاوا أنّ عليه أن يكتشف كلّ ما يمكن اكتشافه عن دار الإيواء. ومهما كانت الحراسة مشدّدة، فعليه أن يخترقها بطريقة أو بأخرى. وكي يفعل ذلك، سيكون عليه أن يقدح زناد عقله حتى يضع خطّة.

تذكّر يوشيكاوا ذلك الجزء من حديثه مع حليق الرأس بشأن الناس الصغار.

«هل سبق أن سمعت بعبارة: الناس الصغار؟».

«لا».

لقد جاء جوابه أسرع ممّا ينبغي قليلاً. لو أنك لم تسمع قط بذلك الاسم، فإنّ الطبيعي أن تتوقف برهة قبل أن تُجيب. الناس الصغار؟ سوف تترك الصوت يرنّ في ذهنك برهة كي ترى إنْ كان له صدى. وبعدئذٍ يمكنك أن تجيب. هذا ما سوف يفعله معظم الناس.

كان حليق الرأس قد سمع بعبارة **الناس الصغار** من قبل، لكن يوشيكاوا لم يكن يعرف إن كان حليق الرأس يعرف معناها أو يعرف ما هي، ولكنها لم تكن حتماً المرة الأولى التي يسمع فيها بالاسم.

أطفأ يوشيكاوا الآن سيجارته التي كانت قد احترقت حتى عُقبها. استغرق في التفكير بعض الوقت، ثم سحب سيجارة أخرى وأشعلها. كان قد قرّر منذ سنوات ألا يشغَل باله باحتمالية أن يُصاب بسرطان الرئة بسبب التدخين. إذا كان عليه أن يُمعن التفكير، فلا بد أن يمدّ أجهزة جسمه ببعض النيكوتين. ومَن يدري أيّ مصير ينتظره، ولو بعد يومين أو ثلاثة؟ أي جدوى إذاً من القلق بشأن الحالة التي ستكون عليها صحته بعد خمس عشرة سنة من الآن؟

وبينما كان يدخّن سيجارته الثالثة، لاحت له فكرة. قال في نفسه، آه! ربما تنجح هذه فعلاً.

الفصل الثاني

أَوْمَامِه
وحدي، ولستُ وحيدة

عندما يأتي المساء كانت أَوْمَامِه تجلس في الشرفة كي ترصد الملعب الموجود بالجهة المقابلة من الشارع. كانت هذه هي الفقرة الأهم ضمن جدولها اليومي، بل ونقطة الارتكاز في حياتها. وسواء كانت الأجواء مشمسة أو غائمة أو حتى ممطرة، كانت ترقب المكان، دون أن تُفوِّت يوماً واحداً. ومع قدوم شهر أكتوبر، أصبح الهواء أكثر برودة. وصارت ترتدي ملابس ثقيلة في الليالي الباردة وتضع غطاء على ساقيها وتشرب الكاكاو الساخن. كانت تواصل مراقبتها للزلاقة حتى الساعة العاشرة، ثم تتحمَّم على مهلٍ كي تُدفئ جسمَها وتأوي إلى فراشها.

بالطبع، تظلّ احتمالية أن يظهر تنغو في ساعات النهار قائمة. ولكن الأرجح أنه لن يفعل ذلك. إذا كان له أن يأتي إلى الحديقة، فسيكون ذلك بعد إضاءة مصباح بخار الزئبق وظهور القمر في السماء. تناولت أَوْمَامِه عشاءً سريعاً، وارتدت ملابسها حتى يمكنها ممارسة رياضة الجري في الخارج، ثم مشّطت شعرها، وجلست على الكرسي وثبتت نظرها على الزلاقة. اعتادت أن تحمل معها دائماً المسدس

والمنظار الصغير. وباتت تكتفي بمشروب واحدٍ من الكاكاو الساخن ولا تشرب شيئاً بعده خشية أن يظهر تنغو حينما تدخل لقضاء حاجتها.

كانت أَوْمَامِه تداوم على هذه المراقبة ولا تُفوِّت يوماً. وفي أثناء ذلك، لم تكن تقرأ أو تستمع إلى الموسيقى، ولكن تكتفي بالنظر نحو الحديقة، وهي ترهف سمعها حتى تلتقط أيّ أصوات بالخارج. وكان يندر حتى أن تُغيّر جلستها على الكرسي. ومن حين إلى آخر ترفع رأسها، إذا كانت السماء صافية، وتنظر إلى السماء كي تتأكّد أن القمرين لا يزالان موجودين. ثم سرعان ما تعود فتنظر نحو الحديقة. وبينما كانت أَوْمَامِه تراقب الحديقة مراقبة دقيقة، كان القمران أيضاً يراقبانها مراقبة دقيقة.

ولكن تنغو لم يأتِ.

لم يكن الملعب يرتاده كثيرون ليلاً. ولكن كان يقصده أحياناً عشاقٌ مراهقون، حيث يجلس كلّ اثنين منهم على مقعد، ويمسكان بأيدي بعضهما بعضاً، ثم وكأنهما طائران صغيران، يتبادلان قبلات خاطفة يشُوبها القلق. ولأنّ الحديقة الملحَقة بالملعب كانت صغيرة المساحة والإضاءة بها ساطعة، كانوا سرعان ما يشعرون بالقلق ويغادرون المكان. وقد يأتي شخصٌ ما كي يقضي حاجته في المرحاض العمومي، فيجد الباب مقفلاً، وينصرف محبطاً أو ربما غاضباً. وقد تجد موظفاً في طريق عودته من العمل إلى منزله يجلس أحياناً وحده على مقعد وهو مطأطأ الرأس، راجياً أن يستفيق من أثر الكحول. أو لعلّه لم يكن راغباً في العودة مباشرة إلى بيته. وقد يظهر عجوزٌ يصطحب كلبه ويتمشى به في وقت متأخر من الليل. كان الكلب وصاحبه قليلَيّ الكلام، وكأنما قد فقدا كلّ رجاء وأمل في هذا العالم.

لكن الملعب، رغم ذلك، كان يظلّ خالياً معظم ساعات الليل. ولم تكُن تجتازه ولو قطة. لم يكن هناك سوى ضوء مصباح بخار الزئبق الذي يغمر الأراجيح والزلاقة والحوض الرملي والمرحاض المقفل. وحينما كانت أَوْمَامِه تُطيل النظر في هذا المشهد، كان يداخلها شعورٌ بأنها قد تُركَت وحدها على كوكب مهجور. كما جرى في ذلك الفيلم الذي صوَّر العالم في أعقاب حرب نووية شاملة. ماذا كان اسمه؟

'أون ذا بيتش'.

رغم ذلك، بقيت أَوْمَامِه جالسة هناك، وواصلت مراقبتها لملعب الأطفال وهي في أوج تركيزها. كانت تبدو وكأنها بحّار تسلق صارية عالية كي يستطلع محيطاً شاسعاً بحثاً عن تجمعات الأسماك أو عن منظار غواصة ينذر بالشرور. وكانت عيناها اليقظتان تترقبان شيئاً واحداً فقط، هو تنغو كاوانا.

ربما كان تنغو يعيش في مدينة أخرى، وتصادَف مروره بهذا المكان تلك الليلة وحسب. وفي هذه الحالة، تصبح إمكانية زيارته الحديقة مرة أخرى شبه معدومة. لكن أَوْمَامِه لم تكن تعتقد ذلك. حينما جلس على الزلاقة في تلك الليلة، ثمة شيء في طريقته وثيابه، جعلها تشعر بأنه كان يتمشى في الحي في ساعة متأخرة من الليل، ولذلك توقف في الحديقة وصعد الزلاقة. ربما كي يلقي نظرة أفضل على القمرين. ما يعني أنّ المسافة الفاصلة بينهما يمكن قطعها سيراً على الأقدام.

لم يكن سهلاً أن تجد في حي كوينجي مكاناً يمكن رؤية القمر من خلاله. فالمنطقة في معظمها مسطّحة، وتكاد تخلو من أيّ بنايات عالية يمكن النظر منها إلى السماء. وهذا ما جعلَ الزلاقة في الملعب

مكاناً مواتياً لذلك. وهو مكان هادئ ولن يزعجه فيه أحد. إذا أراد النظر إلى القمر مرة أخرى، فسوف يأتي - كانت أَوْمَامِه موقنة بذلك.

ولكن في اللحظة التالية، لاح لها خاطر: **ربما لا تمضي الأمور على هذا النحو. وقد يجد فعلاً مكاناً أفضل لرؤية القمر.**

هزّت أَوْمَامِه رأسها هزّة سريعة وحاسمة. لا ينبغي لها أن تفكر كثيراً في هذه الأشياء. **لا خيار لي إلّا أن أؤمن أن تنغو سوف يعود، وأن أنتظره حتى يعود. لا يمكنني أن أغادر هذا المكان - هذه هي همزة الوصل الوحيدة بينه وبيني.**

أَوْمَامِه لم تسحب الزناد.

كان شهر سبتمبر في بدايته. وكانت أَوْمَامِه تقف عند أحد مخارج الطريق السريع رقم 3، وسط زحام مروري، تغمرها شمس الصباح وهي تضع فوهة المسدس الأسود في فمها. كانت ترتدي سترة من ماركة «جونكو شيمادا» وتنتعل حذاءً عالي الكعبين من ماركة «تشارلز جوردان».

راح الناس يرقبونها وهم في سياراتهم، كما لو أنّ خطباً ما يوشك أن يقع ولكنهم لا يدرون ما هو. وكانت هناك امرأة في منتصف عمرها تقود سيارة مرسيدس كوبيه. كان هناك رجالٌ لفحت وجوههم الشمس ينظرون إليها من الكبائن العالية لشاحناتهم. كانت أَوْمَامِه تنوي أن تفجّر دماغها أمام أعينهم بطلقة من عيار 9 مم. أصبح إنهاء حياتها هو السبيل الوحيد أمامها كي تتلاشى من عالم 1Q84. هكذا سيكون بوسعها أن تُبقي على حياة تنغو. وهذا هو ما وعدَها به الزعيم. قد وعدها بذلك، راجياً الموت لنفسه.

لم تكن أَوْمَامِه تجد في موتها المحتوم مدعاة لخيبة أملٍ كبيرة.

كانت تؤمن بأنّ كلّ شيء قد قُدِّر سلفاً، منذ أن استُدرجت أول مرة إلى عالم 1Q84. **لا حيلة لي إلّا أن أتبع الخطة الموضوعة. وأن أواصل العيش وحدي، في هذا العالم غير المعقول، الذي تضمّ سماؤه قمرين، أحدهما كبير، والآخر صغير، والذي يحيا فيه ما يُسمى بالناس الصغار الذين يتحكّمون في مصائر الآخرين - فأيّ معنى لذلك؟**

لكنها في النهاية لم تسحَب الزناد. في اللحظة الأخيرة، أرخت سبابتها اليمنى وأخرجت ماسورة المسدس من فمها. وكما يفعل شخص خرج إلى سطح مياه عميقة، أخذت نفساً عميقاً وأخرجت زفرة طويلة، وكأنها تستبدل كلّ ذرة هواء داخلها.

توقّفت عن مضيّها نحو الموت لأنها سمعت صوتاً آتياً من بعيد. في تلك اللحظة، كانت في فضاء صامت. منذ اللحظة التي بدأت تضغط على الزناد، تلاشى كلّ ضجيج حولها. لفَّها الصمت، وشعرت كما لو أنها في قاع بركة ماء. وفي هذا القاع، لم يكن الموت مظلماً أو مخيفاً. ولكنه كان شيئاً طبيعياً وكاشفاً، كما السائل الذي يحيط بالجنين. **ليس شديد السوء**، قالت أَوْمَامِه في نفسها، فيما كادت ترتسم على وجهها ابتسامة. حينما سمعت الصوت.

كان الصوت يبدو بعيداً للغاية، وكأنه آتٍ من زمن سحيق. لم تتعرّف عليه. لم يصِلَها إلّا بعد أن مرّ بمنعرجات ومنعطفات عديدة، وأثناء ذلك فقدَ نبرته الأصلية وطابعه الخاص. ما بقي كان صدىً أجوف ومجرداً من المعنى. مع ذلك، كان بوسع أَوْمَامِه أن تلمس فيه دفئاً لم تستشعره منذ سنين. بدا أنّ الصوت يناديها باسمها.

أرخت إصبعها الموضوع على الزناد، وضيَّقت عينيها، وأرهفت سمعها، كي تسمع الكلمات التي يحملها هذا الصوت. ولكن كلّ ما

كان بوسعها أن تفهمه، أو تظن أنها تفهمه، هو اسمها. أمّا البقية فكانت صفير رياح في فضاء أجوف. وفي النهاية أصبح الصوت بعيداً وفَقَدَ أيّ معنى على الإطلاق، وابتلعه سكون مُطبِق. تلاشى الخواء الذي كان يُغلِّفها، وكما لو أن غطاءً ما قد أزيح عنها، بدأت تسمع الضجيج والصخب من حولها. ولم تعُد راغبة في الموت.

وقالت في نفسها، **ربما أستطيع أن أرى تنغو مرة ثانية في ذلك الملعب الصغير. لا بأس بالموت بعد ذلك. هذا ما سوف أراهن عليه. حياتي، وليس موتي، هي ما تعني إمكانية رؤية تنغو مرة أخرى. أريد أن أعيش.** كان شعوراً غريباً. **هل جرّبت هذا الشعور في حياتها من قبل؟**

حرَّرت مطرقة المسدس الآلي، وضبطت الأمان، وأعادته إلى حقيبة كتفها. اعتدلت في وقفتها، ولبست نظارتها الشمسية، ومشت في الاتجاه المعاكس لحركة السيارات عائدة إلى سيارة الأجرة التي نزلت منها. كان الناس يرقبونها في صمت، وهي ترتدي حذاءها عالي الكعبين، وتمشي بخطى واسعة عبر الطريق السريع. لم يكن عليها السير طويلاً. فرغم الزحام المروري، كانت السيارة التي أقلّتها قد زحفت ببطء إلى الأمام حتى وصلت إلى حيث تقف الآن.

نقرَت أَوْمَامِه على النافذة فأنزلها السائق.

«هل يمكنني الركوب ثانية؟».

اعترى السائق بعض التردّد وقال: «ذلك الشيء الذي كنت تضعينه في فمك كان يبدو أنه مسدس».

«هو كذلك».

«مسدس حقيقي؟».

أجابت أَوْمَامِه وقد لوت شفتيها: «لا».

فتح السائق الباب، فدخلت إلى السيارة. أزاحت الحقيبة عن كتفها ووضعتها على المقعد ومسحت فمها بمنديل. كانت لا تزال تشعر بطعم معدن وأثر زيت المسدس.

سألها السائق: «إذاً، هل وجدتِ دَرَج طوارئ؟».

هزّت أَوْمَامِه رأسها.

قال السائق: «لست مندهشاً. لم أسمع مطلقاً عن درج للطوارئ في أيّ مكان هنا. ألا تزالين ترغبين في النزول عند مخرج إيكيجيري؟».

أجابت أَوْمَامِه: «أجل، سيكون ذلك جيداً».

أنزل السائق زجاج نافذته، وأخرج يده منها، ثم انعطف ناحية المسار الأيمن أمام شاحنة كبيرة. لم يكن عدّاد سيارة الأجرة قد تغيَّر عمّا كان عليه عندما نزلت.

اضطجعت أَوْمَامِه إلى الوراء في مقعدها، وبينما كانت أنفاسها تخرج بطيئة، راحت تحدّق في لوحة إعلان إسو التي تألفها. كان النمر الضخم ينظر نحوها مبتسماً، فيما يحمل الخرطوم بين مخالبه. كان الإعلان يقول: **ضع نمراً في خزان وقودك.**

همست قائلة: «ضع نمراً في خزان وقودك».

قال السائق وهو ينظر إليها عبر المرآة الخلفية: «عفواً؟».

«لا شيء. كنت أحدِّث نفسي وحسب».

أظن أنني سأبقى في هذا العالم مدّة أطول قليلاً، حتى أرى بعينيّ ما سيحدث. لا ضير أن أموت بعد ذلك - لن يتأخر ذلك كثيراً. أغلب الظنّ.

بعد يوم من تراجعها عن الانتحار، هاتَفَها تامارو. أخبرته أَوْمَامِه أنّ الخطة قد تغيَّرت، وأنها سوف تمكث حيث هي، ولن تُغيِّر اسمها أو تخضع لجراحة.

على الطرف الآخر بقي تامارو صامتاً. فقد اصطفّت داخل ذهنه عدة افتراضات من دون ضجيج.

«بعبارة أخرى، أنتِ تقولين أنك لا تريدين الانتقال إلى مكان آخر؟».

أجابت أَوْمَامِه: «أجل. أريد أن أمكث هنا خلال هذه الفترة».

«هذا المكان ليس مناسباً للاختباء مدة طويلة».

«إذا مكثتُ في الداخل ولم أخرج، فلن يمكنهم أن يجدوني».

قال تامارو: «لا تستهيني بقدراتهم. سوف يفعلون كلّ شيء حتى يعرفوا مَن أنتِ ويمسكوا بك. ولن يتوقف الخطر عندكِ وحدك. قد يمتدّ إلى المحيطين بك. وإذا حدث ذلك، فقد أجد نفسي في وضعٍ حرج».

«أنا آسفة جداً. ولكني بحاجة إلى البقاء هنا مدة أطول قليلاً».

قال تامارو: «**مدة أطول قليلاً**؟ هذا طلب غامض نوعاً ما».

«هذه هي الصيغة الوحيدة التي يمكنني التعبير بها عن ذلك».

صمت تامارو، فيما استغرق في التفكير. وبدا أنه أحسَّ بقوة تصميمها.

وقال: «حسناً. كنت أودّ فقط التأكّد من أنه لا يوجد لدي سوء فهم. وبما أنك مصمِّمة على البقاء، فلا بد أن لديك أسبابك الخاصة».

قالت أَوْمَامِه: «لديّ أسبابي».

نظّف تامارو حنجرته بشكل سريع: «كما أخبرتكِ من قبل، نحن ملتزمون بأخذك إلى مكان آمن وبعيد، كي نمحو أيّ أثر ونغير وجهك

واسمك. ربما لن يصل ذلك إلى تغيير شامل، ولكنه سيكون أقرب ما يكون إلى ذلك. كنت أظنّ أننا متفقون على ذلك».

«أنا لا أقول إنّ الخطة نفسها لا تعجبني. كلّ ما هنالك أن شيئاً لم أتوقّعه قد حدث، ولذلك فأنا بحاجة إلى البقاء هنا مدة أطول».

قال تامارو، وقد صنع صوتاً خافتاً من آخر حلقه: «ليس لي أن أوافق على ذلك أو أرفضه. ربما يستغرق الأمر بعض الوقت حتى آتيك بالجواب».

قالتِ أَوْمَامِه: «سأكون في انتظارك».

قال تامارو: «يُسعدني سماع ذلك»، ثم وضَعَ السماعة.

رنّ الهاتف صباح اليوم التالي، قبل التاسعة بقليل. ثلاث رنات، ثم توقف، ثم رنّ مرة أخرى. لا بد أنه كان تامارو.

دخل تامارو مباشرة في الموضوع من دون أي تحية: «السيدة أيضاً قلقة بشأن بقائك هناك مدة طويلة. إنه مجرد مكان آمن، وليس مؤمَّناً بشكل كامل. نحن الاثنين نرى أنّ من الأفضل نقلك إلى مكان أبعد وأكثر تأميناً. هل تسمعين؟».

«نعم».

«ولكنك هادئة الطباع وحذرة. ولا ترتكبين أخطاء حمقاء، وأنا أعرف أنّك ملتزمة. إننا نثق بك ثقة مطلقة».

«أقدِّر ذلك».

«ما دمتِ مصمِّمة على البقاء في ذلك المكان مدة أطول قليلاً، فلا بد أنّ لديك أسبابك. نحن لا نعرف ما هي أسبابك، ولكني متأكّد أنها ليست مجرد نزوة. ولذلك فهي تريد أن تنفّذ لك رغبتك قدر استطاعتها».

لم تعلّق أَوْمَامِه بشيء.

تابع تامارو: «يمكنكِ البقاء هناك حتى نهاية السنة. ولكن ذلك هو الحدّ المسموح».

«ومع بداية السنة، إذاً، سوف يتعين عليّ الانتقال إلى مكان آخر».

«أرجو أن تفهمي أننا نبذل جهدنا كي نحترم رغباتك».

قالت أَوْمَامِه: «أفهم ذلك. سوف أبقى هنا حتى نهاية السنة، وبعدئذٍ سوف أنتقل إلى مكان آخر».

ولكن هذه لم تكن نيتها الحقيقية. لم تكن تنوي أن تخطو خطوة واحدة خارج هذه الشقة حتى ترى تنغو مرة أخرى. لكنها إذا ذكرت ذلك الآن، فسوف تتعقّد الأمور. يمكنها أن تؤجل هذه الأمور ثلاثة أشهر، حينما تحلّ نهاية السنة. بعد ذلك سوف تنظر فيما يجب عليها فعله.

قال تامارو: «حسناً. سوف نزوّدك بالطعام والضروريات الأخرى مرة في الأسبوع. في الساعة الواحدة ظهراً من كلّ ثلاثاء سوف يأتيك متعهدو الاحتياجات. سيكون لديهم مفتاح، ولذلك يمكنهم الدخول إلى الشقة بأنفسهم. سوف يدخلون إلى المطبخ فقط، وليس إلى غيره. أثناء وجودهم في الشقة، أريدك أن تدخلي إلى غرفة النوم الخلفية وأن تغلقي الباب. لا تُظهري لهم وجهك، ولا تتحدّثي إليهم. عندما يغادرون سوف يدقّون جرس الباب مرة واحدة. وعندئذٍ يمكنك الخروج من غرفة النوم. إذا احتجت شيئاً محدداً، فأخبريني الآن وسوف أجعلهم يأتونك به في المرة التالية».

قالت أَوْمَامِه: «سيكون طيباً أن أحصل على بعض الأجهزة

الرياضية كي أؤدي بعض التمارين. ليس هناك الكثير من التمارين التي يمكن تأديتها من دون أجهزة رياضية».

«يصعب أن نوفّر لك جميع أجهزة القاعات الرياضية، ولكن نستطيع أن نوفر بعض الأجهزة التي تُستخدم في المنزل، ومن النوع الذي لا يشغل مساحة كبيرة».

قالت أَوْمَامِه: «يكفيني ما يلبي الاحتياجات الأساسية».

«دراجة ثابتة وبعض الأجهزة المساعِدة لتمارين التحمّل. هل يكفي ذلك؟».

«سيكون رائعاً. وإن أمكن، أريد أيضاً الحصول على مضربٍ معدني لكرة السوفتبول».

صمت تامارو بضع ثوان.

أوضحت أَوْمَامِه: «للمضرب استخدامات كثيرة. مجرد وجوده معي يُشعرني بالطمأنينة. يبدو وكأنني كبرت وأنا أمسك بمضرب في يدي».

قال تامارو: «سوف أدبِّر لك واحداً. إذا خطر لك أي شيء آخر تحتاجينه، اكتبيه على قصاصة ورق واتركيه على طاولة المطبخ. سوف أحرص على توفيره لك في المرة التالية».

«أشكرك. ولكني أعتقد أن لديّ كلّ ما أحتاج».

«وماذا عن الكتب والأفلام وما شابه؟».

«لا يحضرني شيء محدَّد الآن».

سألها تامارو: «وما رأيك في رواية البحث عن الزمن المفقود لبروست؟».

«إذا كنت لم تقرئيها فهذه فرصة مناسبة كي تقرئيها كاملة».

«هل قرأتها؟».

«لا، لم أدخل السجن قطّ، ولم أضطرّ للاختباء مدة طويلة. أحدهم قال ذات مرة أنه ما لم تُتح للمرء هذه النوعية من الفرص، فلن يستطيع أن يتم قراءة رواية بروست».

«هل تعرف أحداً أتمّ قراءتها؟».

«أعرف أشخاصاً أمضوا سنوات طويلة في السجن، ولكن أحداً منهم لم يكن من هؤلاء الذين يهمهم بروست».

قالت أَوْمَامِه: «أودّ أن أجرب ذلك، إذا استطعت توفير هذا الكتاب، فأرسله لي في المرة التالية».

قال تاماروا: «في الواقع، لقد أحضرته لكِ بالفعل».

حضر متعهّدو الاحتياجات في ظهيرة الثلاثاء في الساعة الواحدة ظهراً بالضبط. حسبما طلب منها، دخلت أَوْمَامِه إلى غرفة النوم الخلفية، وأغلقتها من الداخل، وحاولت جهدها ألّا تُصدر أيّ صوت. سمعت صوت الباب الخارجي وهو يُفتح ثم يدخل منه هؤلاء الأشخاص. لم تكن أَوْمَامِه تدري مَن يكونون هؤلاء. بناء على الأصوات التي يصنعونها، أحسَّت أنهما شخصان، بيد أنها لم تسمع لهما أيّ أحاديث. كانوا يحملون صناديق كثيرة وفي صمتٍ يضعون كلّ شيء في موضعه. سمعتهم عند حوض المطبخ يغسلون الأغذية التي اشتروها ثم يحفظونها في الثلاجة. لا بد أنهم قرروا سلفاً مَن سيفعل ماذا. أزالوا التغليف عن بعض العلب، وكانت تسمعهم يطوون ورق التغليف والحاويات. بدا لها أنهم يقومون أيضاً بتغليف قمامة المطبخ. لم يكن بوسع أَوْمَامِه أن تحمل القمامة إلى أسفل وتضعها في حاوية جمع القمامة، ولذلك كان لا بدّ أن يتولى ذلك أحدٌ آخر عنها.

بدا أنّ هؤلاء الأشخاص يؤدّون عملهم بكفاءة، وأنّ جهدهم لا

يذهب هباء. كانوا حريصين على ألّا تصدر عنهم أي ضوضاء ليست ضرورية، وكان وقع أقدامهم أيضاً هادئاً. انتهوا من عملهم خلال عشرين دقيقة تقريباً. ثم فتحوا الباب الخارجي وغادروا. سمعتهم وهم يقفلون الباب من الخارج، وعندئذٍ رنّ الجرس مرة واحدة على سبيل الإشارة. وزيادة في الأمان، انتظرت أَوْمَامِه خمس عشرة دقيقة. وبعدئذٍ غادرت غرفة النوم، وتأكّدت من أنه لا أحد سواها في الشقة، ثم أقفلت القفل الداخلي للباب الخارجي.

وجدت الثلاجة الكبيرة وقد امتلأت عن آخرها بطعامٍ يكفيها أسبوعاً. في هذه المرة لم يكن الطعام من النوعية التي توضع في فرن الميكروويف، ولكن كان في معظمه طعاماً طازجاً: مجموعة منوّعة من الفاكهة والخضراوات واللحوم والأسماك والتوفو والواكامي والناتو. حليب وجبن وعصير برتقال. دزينة بيض. وحتى لا تتراكم أي قمامة إضافية، أخرجوا كلّ شيء من حاويته الأصلية ثم وضعوه بشكلٍ أنيق في أغلفة بلاستيكية. كان لديهم فهم جيد لنوعية الطعام التي اعتادت أَوْمَامِه أن تتناوله. تساءلت، **كيف لهم أن يعرفوا ذلك؟** وجدت دراجة تمارين ثابتة بجوار النافذة، من طراز صغير الحجم ولكنه حديث. كانت مزوّدة بشاشة رقمية تُظهر السرعة والمسافة وعدد السعرات الحرارية التي يتمّ حرقها. يمكن للمرء أيضاً أن يعرف عدد اللفات في الدقيقة وكذلك معدل دقات القلب. كان هناك أيضاً مقعد لإجراء تمارين الضغط بالاستلقاء على الظهر لتقوية عضلات البطن والكتفين والذراعين، جهازان من النوع الذي يسهُل تجميعه وتفكيكه. كانت أَوْمَامِه تألفهما تماماً. إنهما من أحدث الطرازات، ويتميّزان بتصميمهما البسيط وفعاليتهما الكبيرة. مستعينة بهذين الجهازين لن تجد صعوبة في الحفاظ على لياقتها البدنية.

وجدت أيضاً مضرباً معدنياً في كيس ناعم. أخرجته أَوْمَامِه من الكيس ولوَّحت ببعض الضربات في الهواء. كان المضرب الفضي الجديد يلمع بشدة في الهواء. طمأنها ثقله القديم الذي تألفه. وأثار ملمسه في يدها ذكريات سنوات المراهقة، والأوقات التي أمضتها مع تاماكي أوتسوكا.

ووجدت الأجزاء السبعة لرواية **البحث عن الزمن المفقود** مرصوصة فوق طاولة الطعام. لم تكن نسخاً جديدة، ولكن بدا أن أحداً لم يقرأها. تصفّحت أَوْمَامِه إحداها. وجدت أيضاً العديد من المجلات، أسبوعية وشهرية، وخمسة شرائط لأفلام سينمائية جديدة، ما زالت في أغلفتها البلاستيكية. لم تكن تدري مَن الذي اختارها، ولكنها كانت جميعها أفلاماً جديدة لم تشاهدها من قبل. لم يكن من عادتها ارتياد دور السينما، ولذلك كان يفوتها الكثير من الأفلام الجديدة.

وجدت ثلاث سترات جديدة في كيس يحمل العلامة التجارية لمركز تسوق كبير، وكانت ذات سُمك مختلف. وكذلك وجدت ثلاثة قمصان من الصوف، وأربعة قمصان تي شيرت طويلة الأكمام. جميعها ذات تصاميم بسيطة. ومقاساتها ملائمة تماماً. وكان هناك أيضاً بعض الجوارب السميكة والسراويل الضيقة. إذا كانت ستمكث هنا حتى ديسمبر، فسوف تحتاجها. هؤلاء الذين يدبّرون لها احتياجاتها يعرفون ماذا يفعلون.

حملت الملابس إلى غرفة النوم كي تحفظها في الأدراج أو تُعلقها على الشماعات في خزانة الملابس. عادت إلى المطبخ وفيما كانت تحتسي القهوة رنّ الهاتف. رن ثلاث مرات، وتوقف، وبعدئذٍ رن ثانية.

سألها تامارو: «هل وصل إليك كلّ شيء؟».

«نعم، أشكرك. أعتقد أن لديّ كلّ ما أحتاجه. الأجهزة الرياضية تكفي وزيادة. وما عليّ الآن إلّا أن أفتح رواية بروست».

«إذا كان هناك شيء فاتنا، فلا تتردّدي في إبلاغي».

قالت أَوْمَامِه: «لن أتردّد. وإن كنت أعتقد أنه لن يكون سهلاً أن أجد شيئاً قد فاتك».

تنحنح تامارو لتنظيف حنجرته: «ربما ليس هذا من شأني، ولكن هل تسمحين أن أحذرك؟».

«تفضل».

«ما لم تكوني قد خضت هذه التجربة من قبل، فإنّ البقاء بمفردك في مكان صغير، حيث لا يمكنك الحديث أو الكلام مع أيّ أحد، ليس أمراً هيناً في هذا العالم. ومهما تكن قوة شخصيتك، فسوف تنهارين. وخصوصاً حينما يكون هناك مَن يتعقّبك».

«لم أعِش حتى الآن في مكان فسيح».

قال تامارو: «ربما يكون ذلك ميزة. ولكن خذي حذرك. إذا بقي شخصٌ ما متوتراً مدة طويلة، فقد لا يلحظ هو نفسه ذلك، ولكن أعصابه سوف تصبح وكأنها قطعة من المطاط المشدود. وسوف يصعب عليه العودة إلى الوضع الأصلي».

قالت أَوْمَامِه: «سأكون حذرة».

«كما قلت من قبل، أنتِ شديدة الحذر. لديك شخصية عملية وصبورة، ولا توجد لديك الثقة الزائدة. ولكن مهما التزم الشخص الحذر، فحتماً سوف تقعين في خطأ أو خطأين. سوف تصبح الوحدة حمضاً ينخر فيك من الداخل».

قالت أَوْمَامِه: «لا أعتقد أني وحيدة». كانت تقول ذلك إلى تامارو، وكذلك إلى نفسها. «أنا وحدي، ولست وحيدة».

سادَ صمت في الطرف الآخر من الهاتف، كما لو أنّ تامارو كان يفكر في الفرق بين أن تكون وحدها وأن تكون وحيدة.

قالت أَوْمَامِه: «على أيّ حال سوف أكون حذرة أكثر. أشكرك على النصيحة».

قال تامارو: «هناك شيء واحد أريدك أن تفهميه. سوف نبذل كلّ ما في وسعنا كي نوفّر لك الحماية. ولكن إذا طرأ طارئ، ماذا قد يكون، لا أدري، فقد يكون عليك أن تتصرفي بنفسك. ربما أهرع إليك بأسرع ما أستطيع، ومع ذلك قد لا أصل إليك في الوقت المناسب. وربما لا أستطيع الوصول إليك على الإطلاق. إذا حدث مثلاً، ولم نعُد نرغب في الإبقاء على أي صلة بك».

«أفهم ذلك تماماً. سوف أحمي نفسي. بالمضرب، وبذلك الشيء الذي قدّمته لي من قبل».

«نحن في عالم قاسٍ».

قالت أَوْمَامِه: «ما دام هناك أمل، فلا بد أن تستمر المحاولات».

مرة أخرى، صمت تامارو برهة، ثم قال: «هل سمعتِ عن الاختبارات النهائية التي كان يخضع لها كلّ مرشح يريد أن يشغل وظيفة محقِّق في الشرطة السرية لدى ستالين؟».

«لا، لم أسمع».

«كان المرشح يودَع داخل غرفة مربعة. لا تضمّ سوى كرسي خشبي صغير من النوع العادي. ويأمره مدير الشرطة قائلاً، 'اجعل هذا الكرسي يعترف واكتب تقريراً بذلك. لن تغادر هذه الغرفة قبل أن تفعل ذلك'».

«هذه حكاية تبدو خيالية للغاية».

«لا، ليست كذلك. ليست خيالية على الإطلاق. إنها حكاية حقيقية. ستالين خلق بالفعل هذا النوع من البارانويا، ومات في عهده حوالي عشرة ملايين شخص، معظمهم من مواطني بلاده. ونحن نعيش بالفعل في هذا النوع من العالم. لا تنسي ذلك أبداً».

«لديك الكثير من الحكايات المؤنسة، أليس كذلك؟».

«ليس بالضبط. لا أحتفظ سوى بالقليل منها، لهذه الغاية. لم أتلقَّ أي تعليم رسمي. كنت أتعلم ما أراه مفيداً فقط، عندما أجرِّبه. حيثما يوجد أمل يجب أن تستمر المحاولات. أنت محقّة. تماماً. لكن الأمل شيء محدود، وغير ملموس، أما المحاولات فلا حصر لها، وهي شيء ملموس على الأغلب. وهذا أيضاً كان شيئاً عليّ أن أتعلمه بنفسي».

«إذاً أي نوع من الاعتراف كان المرشَّحون يستخلصونه من الكراسي؟».

قال تامارو: «هذا سؤال يستحقّ التفكير فيه بكل تأكيد».

«شيء من قبيل حكايات فلسفة الزن».

«زن ستاليني».

بعد صمت قصير، وضع تامارو السماعة.

في تلك الظهيرة تمرّنت على الدراجة الثابتة وجهاز تمارين الضغط بالاستلقاء على الظهر. استمتعت أَوْمَامِه بالتمرين الخفيف الذي كان أوّل تمرين لها منذ مدة. بعد ذلك، تحمّمت ثم أعدّت العشاء وهي تستمع إلى إحدى محطات الـ 'أف أم' عبر المذياع. في المساء شاهدت نشرة الأخبار عبر التلفزيون (ولم يلفت انتباهها أيّ

خبر). بعد غروب الشمس خرجت إلى الشرفة كي ترصد الملعب، فيما كانت كالمعتاد تتدثّر بغطاء ومعها المنظار والمسدس. وكذلك مضربها الجديد اللامع.

قالت في نفسها، إذا لم يظهر تنغو، فأظنّ أنني سوف أقضي هذه السنة 1Q84 المليئة بالألغاز وأنا قابعة في هذه الناحية من كوينجي. سوف أطهو الطعام وأتمرن وأتابع الأخبار وأتابع قراءتي في رواية بروست - وأنتظر ظهور تنغو. مهمّتي الأساسية في الحياة هي انتظاره. وهذا الخيط الدقيق هو ما يجعلني أتمسّك بالحياة. إنه يشبه ذلك العنكبوت الذي رأيته حينما كنت أهبط دَرَج الطوارئ في الطريق السريع رقم 3. ذلك العنكبوت الأسود الصغير الذي نسج شبكة بائسة وصغيرة في إحدى زوايا الهيكل المعدني الكئيب ثم كَمَن في الانتظار. هبّت الرياح من أسفل الجسر فعصفت بشبكة العنكبوت، فأصبحت تتدلى وسط الرياح وتمزّقت وامتلأت بالغبار. حينما رأيتها للمرة الأولى، كانت في حالة مزرية. والآن أراني في الحال نفسها.

يجب أن أحصل على أسطوانة 'سينفونييتا ياناتشيك'. أنا بحاجة إلى الاستماع إليها في أثناء التمرين. إنها تمنحني شعوراً بالاتصال. وكأنّ هذه الموسيقى تأخذني إلى شيء ما. لكن إلى ماذا، لا أدري. قررت في نفسها أن تضيفها إلى قائمة الاحتياجات.

جاء شهر أكتوبر الآن. وبقي من مهلتها أقل من ثلاثة أشهر. كانت عقارب الساعة تمضي بلا هوادة. غاصت أَوْمَامِه في مقعدها الكبير وهي ترصد الزلاقة عبر فجوة في الستارة. بدا ملعب الأطفال شاحباً تحت ضوء مصباح بخار الزئبق. استدعى هذا المشهد لدى

أَوْمَامِه ممرّات خالية في حوضٍ للأسماك ليلاً. كان السمك غير المرئي والخيالي يسبح في الماء دون أن يُحدث صوتاً عبر الأعشاب، ودون أن تتوقف حركته الصامتة. وفي السماء كان يوجد قمران، ينتظران أن تقرّ أَوْمَامِه بوجودهما.

همست: «تنغو، أين أنت؟».

الفصل الثالث

تنغو
كانت الحيوانات جميعها ترتدي ثياباً

كان تنغو يزور والده في المستشفى بعد الظهيرة، ويجلس بجانب سريره، ويفتح الكتاب الذي جلبه معه، ثم يقرأ له بصوت عالٍ. بعد أن يقرأ خمس صفحات كان يأخذ استراحة قصيرة، ثم يعود فيقرأ خمساً أخرى وهكذا. اعتاد أن يقرأ له أيّ كتاب يتصادف أنه هو نفسه يقرأه في هذا الوقت. قد يتصادف أنها رواية، أو سيرة ذاتية، أو كتاب في العلوم الطبيعية. الشيء الأهم في ذلك هو فعل القراءة بصوت عالٍ، وليس مضمون القراءة.

لم يكن تنغو يعرف إن كان والده يسمع صوته فعلاً. فوجهه لم يكن يُظهر أيّ استجابات أو تعابير. وكان هذا الرجل النحيف الذي يبدو رث الهيئة مغمضاً عينيه ونائماً. لم يكن يحرِّك ساكناً، ولم تكن تُسمع أنفاسه. كان يتنفس، ولكن ما لم تقترب بأذنك منه، أو تضع مرآة أمام أنفه كي ترى إن كان سوف يظهر عليها أثر البخار، لا يمكنك أن تجزم بذلك. كان السائل الموجود في الحقنة الوريدية يُضخ في جسمه، فيما يخرج نذرٌ يسير من البول عبر القسطرة. العلامة الوحيدة التي كانت تكشف أنه حي هي هذه الحركة الصامتة والبطيئة

دخولاً وخروجاً. أحياناً كانت إحدى الممرضات تحلق له لحيته بماكينةٍ كهربية وتستعين بمقصّ صغير لقص الشعر الأبيض الذي يبرز من أذنيه وأنفه. وقد اعتادت أيضاً أن تهذّب له حاجبيه. ورغم أنه كان غائباً عن الوعي تماماً، فقد ظلّ هذا الشعر ينمو. وبينما كان تنغو يرقب والده، بدأ يشكّ في أنّ هناك فرق بين أن يكون المرء حياً وأن يكون ميتاً.

قال في نفسه، ربما لا يوجد في الأصل فرق كبير. وربما أصررنا على وجود هذا الفرق، فقط تيسيراً على إدراكنا.

في الساعة الثالثة يأتي الطبيب ويقدّم لتنغو نبذة محدّثة عن حالة والده. شرح مقتضب دائماً، وهو نفسه تقريباً من يوم إلى يوم. لا يطرأ عليه أي تغيير. كان الرجل العجوز نائماً، ولكن حياته كانت تضمحل. بعبارة أخرى، كان الموت يقترب، ببطء ولكن بثبات، ومن الناحية الطبية، لم يكن هناك ما يمكن عمله. دعه يرقد هنا وينام في هدوء. كانت تلك هي فحوى ما يقوله الطبيب.

وفي المساء كان يأتي ممرضان ويأخذان والده إلى غرفة الفحص. يختلف الممرضان يوماً عن يوم، ولكنهما يلتزمان الصمت. ربما كان للكمامة التي يضعها كلّ منهما صلة بذلك، ولكنهما لا يتلفّظان بكلمة واحدة. أحدهما كان يبدو أجنبياً. وهو قصير القامة وصاحب بشرة داكنة، ودائماً ما يبتسم إلى تنغو عبر كمامته. وكان تنغو يدرك أنه يبتسم من رؤيته لعينيه. فكان يردّ له الابتسامة بابتسامة ويومئ برأسه.

وبعد مدّة تتراوح ما بين نصف الساعة والساعة، كان والده يُعاد إلى غرفته. لم يكن تنغو يدري أيّ فحوصات تلك التي يجرونها له. وحالما كان والده يغيب عن الغرفة، كان تنغو يقصد الكافتيريا، حيث

يتناول بعض الشاي الأخضر الساخن ويمكث خمس عشرة دقيقة قبل أن يعود إلى غرفة والده في المستشفى. وفي أثناء ذلك كله كان يتشبّث بالأمل في أنه لدى عودته سوف يجد شرنقة هوائية قد تشكّلت مرة أخرى وترقد بداخلها أَوْمَامِه وهي فتاة صغيرة. ولكن غرفة المستشفى القابضة للنفس لم تكن تستقبله سوى برائحة المريض الذي يسكنها وبأجواء الاكتئاب التي خلَّفها وراءه في السرير الخاوي.

كان تنغو يقف إلى جانب النافذة وينظر إلى المشهد في الخارج. كان يظهر وراء الحديقة ذلك الصف الداكن من أشجار الصنوبر التي هي بمثابة مصدٍّ للرياح، والتي كان يسمع من خلالها صوت الموج. الموج الشديد الآتي من المحيط الهادئ. كان صوتاً كثيفاً وينذر بالشرور وكأن أرواحاً كثيرة قد احتشدت معاً، وراحت كلّ منها تهمس بحكاياتها. كان يبدو أنها تبحث عن مزيد من الأرواح كي تنضمّ إليها، وعن مزيد من الحكايات كي ترويها.

قبل ذلك، كان تنغو قد قصد المصحَّة الواقعة في تشيكورا مرتين خلال أيام عطلاته في شهر أكتوبر. كان يستقلّ القطار السريع في الصباح الباكر. وبمجرّد وصوله إلى هناك، يجلس بجانب سرير والده، ويتحدّث إليه أحياناً. لم يكن يسمع حتى ما يشبه الإجابة. كان والده يرقد هناك وحسب، وجهه إلى أعلى ويغطّ في نوم عميق، فيما يمضي تنغو معظم وقته وهو ينظر من النافذة. ومع اقتراب المساء كان ينتظر حدوث شيء ما، ولكن شيئاً لم يحدث. كانت الشمس تغرب في صمت، فتغرق الغرفة في الظلام المحتشد. وفي نهاية المطاف، يغادر تنغو، مستسلماً، حيث يستقلّ آخر قطارٍ سريع إلى طوكيو.

ربما يجب أن أكون أكثر صبراً، وأمكث مدّة أطول. ربما لا

يكفي أن أزوره خلال النهار ثم أتركه. ربما يجب أن أظهر التزاماً أكبر نحوه. هكذا قال تنغو في نفسه ذات مرة. لم يكن لديه أيّ دليل ملموس على صحّة ذلك. كان مجرّد شعور وحسب.

بعد منتصف نوفمبر حصل على أيام الإجازة التي كان قد راكمَها، وأخبر إدارة المدرسة أنّ والده يمرّ بحالة صحية حرجة وأنه يجب أن يكون بجواره. لم يكن ذلك كذباً في حدّ ذاته. فقد طلب من أحد زملائه في المدرسة أن ينوب عنه في محاضراته. كان أحد الأشخاص القلائل الذين بقي تنغو على تواصل معهم، حتى وإن كان ذلك لا يحدث سوى مرة أو مرتين في السنة. وحتى في قسم الرياضيات، الذي كان يضمّ عدداً وافراً من الأشخاص غريبي الأطوار، فإنّ هذا الشخص كان شديد الغرابة، ولم يكن هناك مَن يضاهيه في ذكائه. لكنه بعد تخرّجه، لم يحصل على وظيفة أو يلتحق بالدراسات العليا. وبدلاً من ذلك، قرر أن يُدرِّس الرياضيات في مدرسة تأهيلية. أمّا عدا ذلك، فكان يقرأ ويصطاد السمك ويفعل كلّ ما يحلو له. وقد عرف تنغو أنه معلِّم متمكّن. وفوق ذلك، كان ينتمي إلى أسرة ثرية وليس مضطراً للعمل. كان قد حلّ محلّ تنغو في مرة سابقة وأحبّه الطلاب. اتصل به تنغو وشرح له موقفه، فما كان منه إلّا أن وافق على الفور على أن ينوب عنه في محاضراته.

كان عليه أيضاً أن يواجه مسألة وجود فوكا-إري في شقته. لم يستطع تنغو أن يقرِّر ما إذا كان تركه هذه الفتاة الساذجة في شقته مدّة طويلة قراراً صائباً. كانت تحاول أن تختبئ، وأن تبقى بعيدة عن الأنظار. ولذلك سألها مباشرة: «هل يمكنكِ البقاء هنا وحدك مدة؟ أم ترغبين في الذهاب إلى مكان آخر، مؤقتاً؟».

سألته فوكا-إري وفي عينيها نظرة جادة: «إلى أين أنت ذاهب؟».

أجابها تنغو: «إلى بلدة القطط. والدي لن يستعيد الوعي. إنه في نوم عميق منذ مدة. الطبيب يقول إنه قد لن يستمر هكذا طويلاً».

لم يتلفّظ بكلمة عن الشرنقة الهوائية التي ظهرت ذات مساء فوق سرير غرفة المستشفى. أو كيف أنّ أَوْمَامِه ظهرت بداخلها وهي فتاة صغيرة نائمة. أو كيف أن الشرنقة الهوائية كانت تشبه تماماً تلك الشرنقة التي وصفتها فوكا-إري في روايتها، وبأدقّ التفاصيل. أو كيف أنه كان يأمل في دخيلته أن تظهر له مرة أخرى.

ضيَّقت فوكا-إري عينيها، وضمّت شفتيها، وحملقت في وجه تنغو، كما لو كانت تحاول قراءة رسالة كُتبت بأحرف صغيرة. وعلى نحو لاشعوري تقريباً تحسَّس تنغو وجهه، ولكن لم يبدُ له أن هناك شيئاً مكتوباً عليه.

قالت فوكا-إري بعد صمت وقد هزّت رأسها عدة مرات: «لا بأس. لا تقلق بشأني. سوف أبقى في المنزل». وبعد التفكير للحظة أضافت: «لا يوجد خطر في الوقت الحالي».

ردَّد تنغو كلماتها: «لا يوجد خطر في الوقت الحالي».

قالت مرة أخرى: «لا تقلق بشأني».

«سوف أتصل بك يومياً».

«كن حذراً حينما تذهب إلى بلدة القطط كي لا تضيع».

قال تنغو: «سأكون حذراً».

ذهب تنغو إلى متجر واشترى كميات كافية من الطعام حتى لا تضطر فوكا-إري للخروج كي تتسوّق احتياجاتها، وكانت جميع الأطعمة التي جلبها من تلك التي يسهل إعدادها. كان تنغو يدرك أنها لا تملك القدرة ولا الرغبة في القيام بالكثير من أعمال الطهي. ولم

يكن يريد أن يعود بعد أسبوعين ليجد الثلاجة ملأى بطعام فاسد ومتعطن.

ملأ حقيبة من الفينيل بالملابس وأدوات النظافة الشخصية وبعض الكتب والأقلام والورق. وكعادته، استقلّ القطار السريع من محطة طوكيو، ثم غيَّر إلى قطار محلي في تاتياما، ونزل في تشيكورا. ذهب إلى مكتب الاستعلامات السياحية الكائن أمام المحطة كي يبحث عن فندق رخيص الكلفة. لم يكن ذلك هو أوان الموسم السياحي، ولذلك لم يجد صعوبة في العثور على غرفة في نُزل ياباني بسيط يستقبل في الأساس هؤلاء الأشخاص الذين يأتون إلى البلدة من أجل الصيد. كانت الغرفة ضيقة ولكنها نظيفة وتفوح منها تلك الرائحة المميّزة للأرضيات المصنوعة من حصائر القش الياباني. كان بالإمكان رؤية مرفأ الصيد من نافذة الطابق الثاني. ووجد سعر الغرفة، الذي شمل وجبة إفطار، أرخص ممّا توقع.

قال تنغو: «لا أدري حتى الآن كم يوماً سأمكث هنا، ولكني سأدفع ثمن ثلاثة أيام». لم تعترض صاحبة النُزل. وأوضحت له بطريقة غير مباشرة أن الأبواب تُغلَق في الحادية عشرة، وأن إحضار امرأة إلى غرفته سوف يسبِّب له المشكلات. لم يجد بأساً في ذلك. حالما ارتاح بغرفته، اتّصل بالمصحة. وأخبر الممرضة (وهي نفسها الممرضة متوسطة العمر التي التقاها من ذي قبل) أنه يودّ زيارة أبيه في الساعة 3 عصراً، وسأل إن كان ذلك سيكون مناسباً. أجابته الممرضة، سيكون مناسباً. وأضافت: «السيد كاوانا نائم طوال الوقت».

وهكذا بدأت أيام تنغو في بلدة القطط بجوار البحر. كان يستيقظ باكراً، ويتمشى بمحاذاة الشاطئ، ويشاهد قوارب الصيد وهي تدخل

إلى المرفأ وتغادره، ثم يعود إلى النُزل لتناول إفطاره. كان الإفطار يتكون من الأصناف نفسها كلّ يوم - سمك ماكريل الحصان المجفّف وبيض مقلي وطماطم وأعشاب بحرية مجفّفة وحساء ميسو مع محار شجيمي وأرز - ولكن لسبب ما كان مذاقه رائعاً في كلّ صباح. بعد الإفطار كان يجلس إلى منضدة صغيرة ويكتب. لم يكن قد كتب منذ حين وأحسَّ بمتعة في الكتابة بقلمه الجاف. فالعمل في مكانٍ غير مألوف، بعيداً عن روتينك اليومي، أمرٌ منعش. كانت محرّكات قوارب الصيد تُصدر أزيزاً رتيباً أثناء دخولها إلى المرفأ. وهو صوت أحبَّه تنغو.

كانت القصة التي يكتبها تبدأ بعالم تضمّ سماؤه قمرين. عالم الناس الصغار والشرانق الهوائية. استوحى هذا العالم من رواية فوكا-إري **الشرنقة الهوائية**، ولكنه أصبح الآن عالمه الخالص. وكان حينما يكتب، يعيش بعقله في ذلك العالم. وحتى حينما يضع قلمه وينهض بعيداً عن منضدته، كان عقله يبقى هناك. أصبح يداخله إحساس خاصّ بأنّ جسمه وعقله قد بدآ ينفصلان، ولم يعُد يستطيع أن يميِّز عالم الواقع من عالم الخيال. ربما كان بطل القصة الذي دخل بلدة القطط يشعر بالإحساس نفسه. ودون أن يدري، تبدَّل مركز الجاذبية في العالم. وهو ما جعل البطل، على الأغلب، عاجزاً عن الصعود إلى متن القطار لمغادرة البلدة.

في الحادية عشرة صباحاً كان على تنغو أن يغادر غرفته حتى يتسنى تنظيفها. حينما يحين ذلك الوقت كان يتوقف عن الكتابة، ويخرج، حيث يسير باتجاه المحطة، ويحتسي القهوة في مقهى قريب. كان أحياناً يتناول ساندويشاً خفيفاً، لكنه في العادة لم يكن يأكل أيّ شيء. وبعدئذٍ كان يشتري إحدى صحف الصباح ويتصفّحها بعناية كي

يرى إن كانت بها أيّ أخبار تهمه. لم يجد أي أخبار من هذا القبيل. كانت **الشرنقة الهوائية** قد اختفت من لائحة الكتب الأفضل مبيعاً منذ مدة. وكان الكتاب الذي يتصدّر اللائحة الآن يدور حول نظام الحمية الغذائية وعنوانه **كُلْ ما تشاء من الطعام الذي تحبّه وافقد الوزن رغم ذلك**. يا له من عنوان رائع. حتى لو كان الكتاب فارغاً من داخله، فسوف يحقق رواجاً.

بعد انتهائه من قهوته ومطالعة الصحيفة، كان تنغو يركب الحافلة التي تقله إلى المصحة. كان عادة ما يصل إلى هناك ما بين الساعة الواحدة والنصف والثانية. كان يدردش قليلاً مع الممرضة الموجودة دائماً في مكتب الاستقبال. حينما بدأ تنغو يقيم في البلدة ويزور والده يومياً، أصبحت الممرضات أكثر تلطفاً معه، وبدأن يعاملنه معاملة مفعمة بالود - بالقدر نفسه من الدفء الذي استقبلت به أسرة الابن الضال ابنها لدى عودته إلى المنزل.

كانت إحدى الممرضات تُظهر دائماً ابتسامة خَجلى كلما رأت تنغو. يبدو أنها أُولعت به. كانت ذات جسم ضئيل، وتصفّف شعرها على هيئة ذيل حصان، ولها عينان واسعتان ووجنتان حمراوتان. وكانت على الأرجح في مطلع العشرينيات من عمرها. ولكن أَوْمَامِه باتت تستأثر بكلّ تفكير تنغو منذ أن تجلّت له الشرنقة الهوائية وبداخلها الفتاة الصغيرة. وأصبحت بقية النساء الأخريات مقارنة بها ظلالاً باهتة. كانت صورة أَوْمَامِه تظهر دائماً على أطراف ذهنه. ولم يكن يفارقه الشعور بأنّ أَوْمَامِه تعيش في مكان ما من هذا العالم. كان يدرك أنها حتماً تبحث عنه، وهذا هو ما جعلها في ذلك المساء تقرِّر أن تجده. فهي الأخرى لم تَنسه.

لم يكن ما رأيته إذاً خداعاً.

كان أحياناً يتذكر صديقته التي تكبره سناً، ويتساءل أين هي. **لقد ضاعت إلى غير رجعة**، هكذا قال زوجها عبر الهاتف. **لن تزورك في بيتك مرة أخرى. ضاعت إلى غير رجعة**. كانت هذه الكلمات حتى الآن تثير لدى تنغو شعوراً بالضيق والقلق. كانت تحمل حتماً نبرة تُنذر بالسوء.

ومع ذلك، كان حضورها يتضاءل شيئاً فشيئاً في ذهنه مع مرور الوقت. لم يكن بوسعه أن يستحضر أوقات الظهيرة التي أمضياها معاً إلّا كأحداثٍ جرت في الماضي، وقد تعاهدا أن يحقّقا أهدافاً بعينها. كان تنغو يشعر بالذنب حيال ذلك. ولكن فجأة، تبدَّل مركز الجاذبية. تبدَّل، ولن يعود إلى موضعه الأصلي.

حينما كان تنغو يصل إلى غرفة والده، كان يجلس في الكرسي المجاور لسريره ويحييه بكلماتٍ مقتضبة. وبعدئذٍ يشرح له، وفقاً للتسلسل الزمني، الأعمال التي قام بها منذ الليلة الفائتة. لم يكن يؤدي أعمالاً كثيرة. فقد عاد إلى البلدة بالحافلة، وتناول عشاءه في أحد المطاعم، واحتسى بعض البيرة، ثم عاد إلى النُزل حيث أمضى بعض الوقت في القراءة. وفي العاشرة أوى إلى فراشه. وفي الصباح، كان يتمشى بعض الوقت، ثم يتناول إفطاره، ويستأنف العمل في روايته لساعتين تقريباً.

كان تنغو يؤدي كلّ يوم الأشياء ذاتها، ومع ذلك، كان يقدِّم للرجل الغائب عن الوعي تقريراً مفصلاً حول كلّ أنشطته. لم تكن تأتيه أي استجابة من مستمعه. كان كمن يتحدّث إلى حائط. وأصبح الأمر أشبه بإجراء رسمي لا مناص من القيام به. ومع ذلك، للتكرار البسيط أحياناً فائدة.

وبعدئذٍ كان تنغو يقرأ من الكتاب الذي أحضره معه. لم يكن يتقيَّد بكتاب واحد. كان يقرأ بصوت عالٍ من الكتاب الذي يصدف أنه يقرأه لنفسه في ذلك الوقت. فإذا كان يقرأ حالياً في دليل إرشادي لمُقلِّم كهربي لأعشاب الحدائق، فإن ذلك هو ما سيقرأه لوالده. اعتاد تنغو أن يقرأ بصوت واضح وعلى مهلٍ حتى يسهُل فهمه. وكان يحرص كلّ الحرص على ذلك.

كان البرق في الخارج يزداد قوة فيما يسطع ضوء أخضر فيضيء الطريق للحظات، ولكن لم يكن يُسمع أيّ دويّ للرعد. ربما كان هناك رعد، ولكنه كان يشعر بالتشوش. كان يبدو وكأنه لا يستطيع سماعه. وكانت مياه الأمطار تتدفق في جداول صغيرة عبر الطريق. وبعد خوضهم في المياه، كان الزبائن يدخلون إلى المتجر، واحداً تلو آخر.

استدار صديقه وحدَّق فيه. التزم بصمتٍ تام. ثارَ ضجيج مفاجئ عندما اندفع الزبائن نحوهما، ما جعل التنفس صعباً. ثمة شخص نظّف حنجرته، ربما لأنّ لقمة طعام قد علقت في حلقه، كان صوتا غريباً، أقرب إلى صوت الخنين، كما لو كان كلباً.

وفجأة ظهر وميض برق هائل أضاء كلّ جنبات المكان، وغمر الناس الموجودين على الأرضية الوحلة. وعندئذٍ فقط سمع دوي الرعد، كادَ أن يشقّ السقف. ومن ذهوله، نهض واقفاً، واستدار جموع الناس الواقفين في المدخل نحوه وكأنّ لهم وجهاً واحداً، وعندئذٍ رأى وجوههم وكأنها وجوه حيوانات -كلاب أو ثعالب، لم يكن متأكداً- وكانت

الحيوانات جميعها ترتدي ثياباً، ولبعضها ألسنة طوال مدلّاة، تلعق بها زوايا أفواهها.

وصل تنغو في قراءته إلى هذه النقطة، ثم نظر في وجه والده، وقال: «النهاية». انتهت القصة.

لم يأتهِ جواب.

«ما رأيك؟».

كما هو متوقع، لم تصدر عن والده أيّ استجابة.

كان في بعض الأحيان يقرأ ما كتبه هو نفسه ذلك الصباح. وبعد أن ينتهي من قراءته، كان يُعيد كتابة الأجزاء التي لم يرضَ عنها بالقلم الجاف، ثم يُعيد قراءة الأجزاء التي حرَّرها. وإذا بقي على عدم رضاه، فإنه يُعيد كتابتها مرة أخرى، ثم يقرأ النسخة الجديدة.

قال لوالده: «هذه النسخة التي قمت بإعادة كتابتها هي الأفضل»، كما لو كان يرجو منه أن يوافقه الرأي. لم يكن والده، كما هو متوقع، يقدِّم أيّ رأي. لم يكن يقول إنها أفضل، أو أن النسخة السابقة كانت أفضل، أو أنه لا يوجد حقاً فرق كبير بين هذه وتلك. كان الجفنان اللذان يغطيان عينيه الغائرتين مغلقين بإحكام، وكأنهما منزل يكسوه الحزن وقد أُنزل مصراعاه الثقيلان.

كان تنغو أحياناً ينهض من كرسيه ويتمطأ ثم يمضي نحو النافذة ويلقي نظرة على المنظر الخارجي. بعد عدة أيام غائمة، أمطرت السماء. بات شجر الصنوبر داكناً وثقيلاً بفعل الأمطار. لم يعُد يُسمع صوت الأمواج على الإطلاق. وسكنت الرياح، ولم تعُد هناك سوى الأمطار التي تهطل من السماء. حلَّق وسط المطر سربٌ من طيورٍ سوداء. كانت قلوب هذه الطيور داكنة ورطبة أيضاً. وكذلك كانت

الغرفة رطبة من داخلها. كلّ شيء فيها، من وسائد وكتب ومنضدة كان رطباً. ولكن والده كان ذاهلاً عن كلّ هذه الأشياء، من الطقس والرطوبة والرياح وصوت الأمواج، ويواصل غيبوبته المستمرة. كان الشلل يحيط بجسده وكأنه عباءة الرحمة. بعد استراحة قصيرة، عاد تنغو إلى القراءة بصوت عالٍ. كان ذلك هو كلّ ما يستطيعه في هذه الغرفة الرطبة والضيقة.

عندما كان تنغو يسأم القراءة بصوتٍ عالٍ، كان يظلّ في مكانه ويحدِّق في هيئة والده النائم محاولاً أن يخمن ما الذي يدور في ذهنه. في الداخل، داخل الأجزاء الداخلية لتلك الجمجمة العنيدة، التي تشبه سنداناً قديماً، ما نوع الوعي الذي يقبع مختبئاً فيها؟ أم تراها لم يعُد بها أي شيء على الإطلاق؟ هل يشبه منزلاً مهجوراً تمّ تجريده من كلّ الأمتعة والأجهزة حتى لم يعُد هناك أيّ أثر لهؤلاء الذين كانوا يسكنونه؟ حتى لو كان ذلك، ينبغي أن توجد ذكرى عابرة أو مشهد محفور في الجدران والأسقف. الأشياء التي يتمّ غرسها خلال هذه المدة الطويلة لا تتلاشى في العدم هكذا وحسب. ورغم أنّ والده كان يرقد على هذا السرير البسيط في المصحّة الواقعة بالقرب من الشاطئ، ربما كان أيضاً محاطاً في الوقت نفسه بمشاهد وذكريات لا يراها آخرون، وسط عتمة السكون في غرفة خلفية من منزله الخاوي.

كانت الممرضة الشابة ذات الوجنتين الحمراوين تأتي وهي تبتسم إلى تنغو، وتقيس درجة حرارة والده، وتقدّر كم بقي في الحقنة الوريدية، وتقيس مقدار البول الذي أخرجه. كانت تدوّن كلّ البيانات على اللوح المعلّق بالسرير. كانت تؤدي كلّ ذلك بطريقة تلقائية وسريعة، كما لو كانت مدوَّنة في كتيب تدريبي. كان تنغو يشاهد هذه

السلسلة من الحركات ويتساءل كيف تبدو لها حياتها في المصحّة بجوار البحر، وهي ترعى أشخاصاً تقدَّم بهم العمر وأصابهم الخرف ولا تبعث تشخيصاتهم على أيّ تفاؤل! كانت تبدو صغيرة وتتمتع بصحة جيدة. وتحت زيها المُنشّى، كان يبدو خصرها ونهداها صغيرين ولكنهما عامرين. أما رقبتها الناعمة فكانت تلمع بالذهب. وكانت بطاقة الاسم البلاستيكية الموضوعة على صدرها تُقرأ «أداتشي».

تُرى ما الذي ربما جاء بها إلى هذا المكان النائي، حيث يخيم النسيان والموت والقلق على كل شيء؟ كان بإمكان تنغو أن يجزم بأنها ممرضة ماهرة ومجتهدة. فهي لا تزال صغيرة وتُتقن عملها. تستطيع بسهولة أن تعمل في مجالٍ آخر في الرعاية الصحية، يكون أكثر حيوية وجاذبية، فلماذا إذاً اختارت هذا المكان الكئيب كي تعمل فيه؟ تساءل تنغو. كان يريد أن يكتشف الدوافع والظروف. كان يعرف أنه إن سألها، فسوف تَصدقه القول. استشعر ذلك منها. ولكن الأفضل ألّا يُقحم نفسه، هكذا قرّر تنغو، ومهما يكن فهذه هي بلدة القطط. وذات يوم سوف يركب القطار ويعود أدراجه إلى العالم الذي جاء منه.

أتمّت الممرضة مهامها، وأعادت اللوح إلى مكانه، وأظهرت لتنغو ابتسامة مصطنعة ومتوترة.

«لا يوجد أي تغيّر يُذكر في حالته. كما هي دائماً».

قال تنغو بصوتٍ حرص أن تأتي نبرته مبتهجة قدر المستطاع: «إذاً حالته مستقرة. إذا أردنا التعبير بعين الرضا».

افترت شفتاها عن ابتسامة معتذرة وأومات برأسها إيماءة خفيفة.

لمحت الكتاب الموضوع على حجره: «هل تقرأ له ذلك الكتاب؟».

أومأ تنغو: «لكني أشكّ أنه يسمعني».

قالت الممرضة: «ومع ذلك، فإنّ ما تفعله أمرٌ طيب».

«ربما يكون كذلك، وربما لا يكون، ولكني لا أجد شيئاً آخر يمكنني عمله».

«ولكن ليس كلّ أحد غيرك سوف يفعل ذلك».

قال تنغو: «معظم الناس أكثر انشغالاً مني».

بدا أنّ الممرضة توشك أن تقول شيئاً، ولكنها متردِّدة. وفي النهاية، لم تقل شيئاً. نظرت إلى والده النائم، ثم حوّلت عينيها إلى تنغو. وقالت: «اعتنِ بنفسك».

ردّ تنغو: «أشكرك».

بعد أن غادرت الممرضة أداتشي، انتظر تنغو بعض الوقت، ثم عاد يقرأ بصوت مرتفع مرة أخرى.

في المساء، عندما تمّ حمل والده إلى غرفة إجراء الفحوصات، ذهب تنغو إلى الكافتيريا، حيث احتسى بعض الشاي، ثم اتصل بفوكا-إري من هاتف عمومي.

سألها تنغو: «هل كل شيء على ما يرام؟».

«نعم، كل شيء على ما يرام. كما هو دائماً».

«كل شيء على ما يرام معي أنا أيضاً. أؤدي الأشياء نفسها كل يوم».

«ولكن الزمن يمضي إلى الأمام».

قال تنغو: «هذا صحيح. الزمن يمضي إلى الأمام بمقدار يوم كلّ يوم».

وما يمضي إلى الأمام لا يمكن أن يعود إلى نقطة البداية.

قالت فوكا-إري: «الغراب عاد مرة أخرى منذ مدة قصيرة. غراب كبير الحجم».

«هذا الغراب يأتي دائماً إلى النافذة في المساء».

«يفعل الشيء نفسه كل يوم».

«هذا صحيح. مثلنا تماماً».

«ولكنه لا يفكر في الزمن».

«الغربان لا يمكنها التفكير في الزمن. وحدهم البشر على الأغلب لديهم مفهوم للزمن».

سألته: «لماذا؟».

«لأنّ البشر يرون الزمن كخطّ مستقيم. وهو يشبه علامات منقوشة على عصا مستقيمة وطويلة. فهذه العلامة للمستقبل، وتلك للماضي، وهذه للحاضر. هل تفهمين؟».

«أظن ذلك».

«ولكن الزمن ليس خطاً مستقيماً في واقع الأمر. فهو ليس له هيئة ولا شكل، بكلّ ما يعنيه ذلك. ولكن لأننا لا نستطيع أن نتصور شيئاً في أذهاننا دون أن يكون له شكل، فإننا وتيسيراً على إدراكنا، نتصوّره خطاً مستقيماً. وفي هذه النقطة، فإنّ البشر وحدهم هم الذين يمكنهم القيام بهذا النوع من استبدال المفاهيم».

«ولكن ربما نحن الطرف المخطئ».

فكّر تنغو في ذلك: «أتعنين أننا قد نكون مخطئين في تصوّر الزمن كخط مستقيم؟».

لم يأتِه جواب.

«هذا احتمال وارد. ربما نكون على خطأ والغراب على صواب. قد لا يشبه الزمن الخط المستقيم في شيء. وقد يشبه في شكله كعكة مفتولة. ولكن على مدى عشرات الآلاف من السنين، كان الناس على الأغلب يرون الزمن كخط مستقيم يتواصل إلى الأبد. وهذا هو

المفهوم الذي اعتمدوا عليه في شؤونهم. وإلى الآن لم يجدوا في ذلك أي شيء معاكس أو متناقض. ولذلك وحسب المنهج التجريبي، فهذا على الأغلب صحيح».

أعادت فوكا-إري: «المنهج التجريبي».

«بعد أخذ الكثير من العينات، تبدئين في النظر إلى إحدى الفرضيات باعتبارها صحيحة بالفعل».

بقيت فوكا-إري صامتة لمدة. لم يعرف تنغو إن كانت قد فهمته أو لا.

قال تنغو كي يتأكد أنها لا تزال على الخط: «مرحباً؟».

سألته فوكا-إري وقد أغفلت نبرة الاستفهام: «كم ستمكُث هناك».

«تقصدين كم المدة التي سأمكثها في تشيكورا؟».

«نعم».

أجاب تنغو صادقاً: «لا أدري. كلّ ما أستطيع قوله الآن هو أنني سوف أبقى هنا حتى تتّضح لي عدة أمور. هناك أمور لا أفهمها. وأودّ أن أبقى حتى أرى ما سيكون من شأنها».

عادت فوكا-إري للصمت مرة أخرى. حينما تصمت تصبح وكأنها لم تعُد موجودة على الإطلاق.

قال تنغو مرة أخرى: «مرحباً؟».

قالت فوكا- إري: «احرص على ألّا يفوتك القطار».

أجاب تنغو: «سوف أحرص على ألّا أتأخر عن القطار. هل كلّ شيء على ما يرام لديك؟».

«ثمة شخص قد جاء إلى هنا منذ مدة قصيرة».

«شخص من أيّ نوع؟».

«شخص من ’إن إتش كيه‘».

«تقصدين محصِّل اشتراكات ’إن إتش كيه‘؟».

سألته مرة أخرى مغفلة نبرة استفهام: «محصِّل اشتراكات».

سألها تنغو: «هل تحدَّثتِ إليه؟».

«لم أفهم ما كان يقوله».

كانت على ما يبدو لا تدري ما هي ’إن إتش كيه‘. كانت فوكا-إري تفتقر إلى بعض المعلومات الأساسية.

قال تنغو: «هذا أمر يطول شرحه عبر الهاتف، ولكنها في الأساس مؤسسة كبيرة. ولديها عدد كبير من الموظفين. يطوفون على جميع المنازل في اليابان كي يجمعوا قيمة الاشتراكات كلّ شهر. أنتِ وأنا ليس علينا أن ندفع، لأننا لا نحصل على أيّ خدمة منهم. أرجو أنك لم تفتحي الباب».

«لا، لم أفتحه. كما طلبتَ مني».

«أنا سعيد بذلك».

«ولكنه قال إنك لصّ».

قال تنغو: «لا عليكِ من ذلك».

«نحن لم نسرق أيّ شيء».

«بالطبع، لم نفعل. أنا وأنتِ لم نرتكب أيّ خطأ».

عادت فوكا-إري إلى صمتها مرة أخرى.

قال تنغو: «مرحباً؟».

لم تردّ فوكا-إري. لا بد أنها وضعت السماعة بالفعل. رغم أنه لم يسمع أيّ صوت ينبئ عن ذلك.

أعاد تنغو: «مرحباً؟»، ولكن بصوت أعلى هذه المرة.

سعلت فوكا-إري سعالاً خفيفاً، ثم قالت: «هذا الشخص يعرف عنك الكثير».

«محصِّل الاشتراكات؟».

«نعم. وقال إنّك لص».

«لا. إنه لا يقصدني. يقصدني أنا؟».

لم تُجب فوكا-إري.

قال تنغو: «على أية حال، ليس لدي جهاز تلفزيون. لذلك فأنا لا أسرق أيّ شيء من 'إن إتش كيه'».

«ولكنه كان غاضباً بشدّة لأنني لم أفتح الباب».

«لا يهم. دعيه يغضب كما يشاء. ولكن مهما حدث، ومهما كان الذي أخبركِ به أيّ أحد، لا تفتحي الباب مطلقاً».

«لن أفتحه».

بعد قولها ذلك، وضعت فوكا-إري السماعة. أو لعلّ ذلك لم يكن له وقع المفاجأة التامة. ربما كان وضع السماعة بالنسبة لها في هذه اللحظة عملاً طبيعياً تماماً، بل ومنطقياً. ومع ذلك، فقد بدا الأمر مفاجئاً في أذن تنغو. ولكنه كان يعرف أنه مهما حاول أن يخمّن ما الذي كانت فوكا-إري تفكر فيه وكيف كانت تشعر، فإنّ ذلك لن يفيد. كنموذج تجريبي.

وضع تنغو السماعة وعاد إلى غرفة والده.

لم يكن والده قد أعيد بعد إلى غرفته. كان أثر جسم والده لا يزال ظاهراً بالسرير. ولم يجد الشرنقة الهوائية. كان الشيء الوحيد في الغرفة، التي أظلمت مع حلول عتمة الغسق البارد، هو ذلك الأثر الخفيف للشخص الذي كان يشغلها قبل لحظات.

تنهّد تنغو وجلس على الكرسي. أراح يديه على حجره وحدَّق مدة طويلة في التجويف الظاهر على الشراشف. ثم نهض واقفاً، وذهب إلى النافذة وألقى نظرة على الخارج. كان المطر قد توقّف، وتجمعت غيوم الخريف فوق شجر الصنوبر. سيكون مشهداً جميلاً لغروب الشمس، الأول منذ مدة.

لم يكُن تنغو يدري كيف يعرف محصّل اشتراكات عنه الكثير. لقد مضت سنة منذ آخر مرة جاءه محصل اشتراكات من 'إن إتش كيه'. وفي تلك المرة وقف أمام الباب وأوضح له بأدب أنه ليس لديه في شقته جهاز تلفزيون. وتابع قائلاً، إنه لم يشاهد التلفزيون في حياته. لم يقتنع محصّل الاشتراكات بكلامه، ومع ذلك انصرف دون أن يقول المزيد، وراح يتمتم هامساً ببعض كلمات الاستهجان.

أيكون هو نفسه المحصل الذي جاء اليوم؟ لقد أحسَّ يومها أنّ الرجل قد تفوه بكلمات من قبيل أنه لص. سيكون غريباً نوعاً ما أن يأتي المحصل نفسه بعد سنة ويقول إنه يعرف الكثير عن تنغو. لقد كانوا يقفون عند الباب ويثرثرون لخمس دقائق أو نحو ذلك، وهذا كل ما في الأمر.

لا يهم. ما يهم هو أنّ فوكا-إري لم تفتح الباب. لن يقوم المحصّل بزيارة أخرى قريباً. لديه حصة مستهدَفة يجب أن يحقّقها ولا بد أنه تعب من وقوفه أمام الأبواب ومشاداته مع هؤلاء الذين يرفضون السداد. وحتى لا يضيع وقته، لا بد أنه سوف يتجاهل بيوت العملاء المزعجين ويتوجه إلى أولئك الذين يدفعون من دون عناء.

نظر تنغو مرة أخرى إلى التجويف الذي تركه والده في سريره، وتذكّر جميع أحذية والده التي اهترأت من أثر التجوال. بينما كان والده يجوب شوارع طوكيو لتحصيل قيمة الاشتراكات، كان يترك

أحذية لا تُحصى تذهب طي النسيان. جميع الأحذية كانت تبدو متماثلة - أحذية جلدية رخيصة وذات لون أسود ونعال سميكة. كان يظلّ ينتعلها حتى تتفسّخ وتهترئ تماماً وتلتوي كعوبها. وكان وهو صبي يؤلمه أن يرى هذه الأحذية شديدة الاهتراء. لم يكن يشعر بالأسى لوالده، وإنما للأحذية. كانت تذكّره بحيوان بائس في العمل، يُساق بأشدّ درجات القسوة ويوشك على الموت.

ولكن إذا أمعن التفكير، ألا يشبه والده الآن وهو يوشك على الموت حيواناً من حيوانات العمل المثيرة للشفقة؟ وهل يختلف في شيء عن زوج مهترئ من حذاء جلدي؟

حدّق تنغو إلى خارج النافذة مرة أخرى فيما كانت ألوان الغروب تزداد كثافة في السماء. تذكّر أنّ الشرنقة الهوائية كان ينبعث منها ضوء خافت وشاحب، وأن أَوْمَامِه، الفتاة الصغيرة، كانت ترقد بداخلها.

هل يمكن أن تظهر هذه الشرنقة الهوائية هنا مرة أخرى؟

هل الزمن فعلاً يشبه خطاً مستقيماً؟

غمغم بكلمات إلى الحائط: «يبدو أنني قد وصلت إلى طريق مسدود. يوجد العديد من المتغيرات. وحتى بالنسبة إلى مَن كان ذات يوم طفلاً معجزة، من المستحيل العثور على إجابة».

لم يقدم له الحائط جواباً. ولم يقدّم رأياً. كان الحائط يعكس في صمت لون الشمس الغاربة وحسب.

الفصل الرابع

يوشيكاوا

نصل أوكام

وجد يوشيكاوا صعوبة في استيعاب فكرة أنّ الأرملة الثرية التي تسكن ذلك المنزل الكبير في حي أزابو قد تكون ضالعة على نحوٍ ما في اغتيال زعيم ساكي جاكه. كان قد جمع بعض المعلومات الأساسية عنها. لم يتطلّب الأمر جهداً كبيراً، وذلك لكونها سيدة مجتمع معروفة. كان زوجها رجل أعمال معروف في حقبة ما بعد الحرب، وصاحب نفوذ في الحياة السياسية. تركّزت أعماله في الاستثمارات والعقارات، وامتلك أيضاً حصصاً في متاجر تجزئة كبيرة ومشروعات في قطاع النقل والمواصلات. استحوذت على شركة زوجها بعد وفاته في منتصف خمسينيات القرن العشرين. كانت تمتلك موهبة في إدارة الأعمال، ولديها أيضاً قدرة على استشعار الأخطار المحدقة. ففي أواخر الستينيات شعرت أن الشركة قد توسعت أكثر ممّا ينبغي، ولذلك قامت ببيع أسهمها بأناة وبأسعارٍ مرتفعة في العديد من القطاعات، وقلّصت أيضاً حجم الأعمال بشكلٍ منظّم. ثم كرّست كلّ طاقتها البدنية والذهنية للقطاعات المتبقية. وبفضل ذلك، تمكّنت من تجاوز صدمة أسعار النفط التي أعقبت ذلك مباشرة، فلم تترك لديها

سوى أضرارٍ طفيفة واستطاعت أن تُحافظ على قدرٍ كبيرٍ من الأصول السائلة. لقد كانت تعرف كيف تحوّل أزمات الآخرين إلى فرصٍ ذهبية لنفسها.

كانت متقاعدة الآن وفي منتصف السبعينيات من عمرها. وتمتلك أموالاً طائلة، تسمح لها بالعيش الرغيد في منزلها الكبير، دون أن تكون مَدينة لأحد. ولكن ما الذي يدفع امرأة في مكانتها إلى أن تدبّر لقتل شخص ما؟

رغم ذلك، قرَّر يوشيكاوا أن ينقّب أعمق قليلاً. والسبب الأول وراء ذلك هو أنه لم يستطعْ العثور على أيّ دليل يمكن أن يقوده إلى أيّ شيء. أمّا السبب الثاني هو أن شيئاً ما في دار الإيواء قد أثار شكوكه. لا غرابة في أن توفّر هذه السيدة ملاذاً مجانياً للنساء المعنَّفات. فهذه خدمة في مكانها الصحيح وتعود بالنفع على المجتمع. والأرملة الثرية لديها الموارد المالية، ولا بد أنّ النساء يشعرنَ نحوها بامتنان كبير لتعطّفها عليهن. لكن المشكلة هي أنّ الإجراءات الأمنية في ذلك المبنى السكني مثل البوابة الكبيرة المقفلة وكلبة الحراسة الجرمن شبرد، وكاميرات المراقبة، كانت مشدَّدة بدرجة لا تتناسَب مع مبنى من هذا النوع، ممّا أضفى عليها بعض المبالغة.

كان أوّل ما فعله يوشيكاوا هو التحرّي عن عقد الأرض والمنزل الذي تسكُنه الأرملة الثرية. كانت هذه الأشياء من المعلومات العامة، ويمكن التحقّق منها بسهولة وبمجرّد زيارة إلى مجلس المدينة. وجد عقد الأرض والمنزل مسجّلاً باسمها وحدها. لا رهون عليه. وكلّ شيء فيه واضح تمام الوضوح. ولكون الأرض والمنزل من الأصول الخاصة، فقد كانت تسدد مبلغاً كبيراً كضريبة عقارية، ولكنها على

الأرجح لم تكُن تعبأ بمثل هذا المبلغ. وسوف تكون ضريبة الميراث المستقبلية ضخمة أيضاً، ولكن يبدو أنّ ذلك، وعلى غير عادة الأثرياء، لم يكن يزعجها. وبحسب تجربة يوشيكاوا، فإنّ أحداً لا يكره دفع الضرائب قدر ما يكرهه الأثرياء.

بعد وفاة زوجها، عاشت وحدها في هذا المنزل الكبير. كانت لديها بعض الخدم بطبيعة الحال، ولذلك لم تكن تعيش وحدها تماماً. أنجبت طفلين، واستحوذَ ابنها على شركتها. أنجب الابن ثلاثة أطفال. أمّا ابنتها فقد تزوجت وماتت بسبب المرض منذ خمس عشرة سنة. ولم تترك أطفالاً.

كان من السهل اكتشاف كلّ ذلك. ولكنه عندما حاول أن ينقِّب أعمق في خلفية المرأة، برز له فجأة حائطٌ صلب سدّ عليه طريقه. وبعد ذلك، وجدَ المسارات مغلَقَة. كان الحائط مرتفعاً، والباب مقفلاً بالعديد من الأقفال. أدرك يوشيكاوا أنّ هذه المرأة تريد أن تحجب تماماً كلّ خصوصياتها عن الأنظار. وقد بذلت جهداً كبيراً وأنفقت مالاً كثيراً لتنفيذ هذه السياسة. لم تُجِب مطلقاً عن أي أسئلة، ولم تقدِّم قط أيّ بيانات عامة. ورغم كثرة المواد التي فتَّش فيها، لم يعثر لها على صورة واحدة.

كان اسم المرأة مسجّلاً في دليل الهاتف الخاص بحي ميناتو. كان يوشيكاوا ينتهج طريقة التصرّف الفوري في تعاطيه مع الأمور، ولذلك اتّصل برقم الهاتف. وقبل أن يرنّ الهاتف مرتين، رفع السماعة رجلٌ ما.

قدم يوشيكاوا اسماً زائفاً له واسماً لشركة استثمارية وقال: «لدي سؤال لسيدة المنزل، إنه حول صناديقها الاستثمارية».

أجاب الرجل: «السيدة لا يمكنها الوصول إلى الهاتف الآن.

ولكن بإمكانك أن تُخبرني بما ينبغي لها أن تعرفه». بدت نبرة كلامه العملية آلية ومصطنعة.

قال يوشيكاوا: «إنّ سياسة الشركة هي ألّا تكشف عن تلك الأشياء إلّا للعميل وحده. ولذلك إذا لم أستطع التحدّث إليها مباشرة الآن، فسوف أرسل لها المستندات عبر البريد. سوف تستلمها في غضون بضعة أيام».

قال الرجل قبل أن يضع السماعة: «سيكون ذلك رائعاً».

لم يشعر يوشيكاوا بالإحباط لكونه لم يتمكّن من الحديث إلى الأرملة الثرية. لم يكن يتوقّع ذلك في الأصل. ما كان يريده حقاً هو أن يتحقَّق من مدى حرصها على حماية خصوصياتها. ويبدو أنها حريصة كلّ الحرص على ذلك. بدا أنّ لديها في المنزل أشخاصاً كثراً يوفّرون لها حماية لصيقة. وهذا ما أظهرته نبرة صوت هذا الرجل - وهو غالباً سكرتيرها، الذي ردّ على الهاتف. كان اسمها مُدرجاً في دليل الهاتف، ولكن لا يمكن إلّا لدائرة محدودة أن تتحدّث إليها بالفعل. أمّا الآخرون فيتمّ إبعادهم عن طريقها، وكأنهم نمل قد تسلَّل إلى وعاء السكر.

تظاهر بأنه يبحث عن شقة للإيجار، وقام بجولة على مكاتب العقارات في المنطقة كي يتحرّى بطريقة غير مباشرة عن المبنى السكني المستخدَم كدارٍ للإيواء. كان معظم وسطاء العقارات لا يعلمون بوجود مبنى سكني في ذلك العنوان. وكانت المنطقة من أرقى المناطق السكنية في طوكيو. ولم يكن هؤلاء الوسطاء يتعاملون إلّا في العقارات الفاخرة، ومن ثم ما كانوا ليلتفتوا إلى مبنى سكني من الخشب يتألف من طابقين. لكن نظرةً واحدة إلى وجه يوشيكاوا

وثيابه، أيضاً، كانت كفيلة بجعلهم يتحاشونه وينظرون إليه بازدراء. ولو أن كلباً أعرج بثلاثة أرجل قد دخل عليهم مبللاً بالماء ومقطوع الذيل ومصاباً بالجرب، لكانوا ألطفَ معه ممّا كانوا مع يوشيكاوا.

وبينما كان يوشك على الاستسلام، لفتَ انتباهه مكتب عقارات صغير بدا وكأنه موجود منذ سنين. قال له رجل عجوز شاحب الوجه كان موجوداً في الاستقبال: «آه، ذلك المبنى»، ثم تطوّع بتقديم المعلومات. بدا الوجه الشاحب للرجل العجوز متغضّناً، وكأنه وجه مومياءٍ رديئة، ولكنه كان يعرف جميع خبايا المنطقة ولا يُفوت فرصة للثرثرة حتى يَضجَر منه مستمعوه.

«ذلك المبنى مملوك لزوجة السيد أوجاتا، وكانت تؤجّره فيما مضى كشققٍ سكنية. لكن كيف تملّكت هذا المبنى، لا أدري. حقاً. لم تكن ظروفها تستدعي منها فعلاً أن تدير مبنى سكنياً. أتصور أنها كانت تستخدمه في الأساس مسكَناً لموظفيها. لا أعرف عنه الكثير الآن، ولكن يبدو أنه مخصَّص للنساء المعنّفات، وأصبح مثل معابد الإيواء القديمة التي كانت تُستخدم كملاجئ للزوجات اللائي يهربن من عنف أزواجهن. على أية حال، لن يكون فيه ربح كبير لأيّ سمسار عقارات».

ضحك الرجل العجوز وفمه مغلق، حتى بدا وكأنه نقّار الخشب.

قال يوشيكاوا: «معابد إيواء؟» قدَّم له سيجارة سفن ستارز. أخذها الرجل العجوز، وسمح ليوشيكاوا أن يُشعلها له بقداحته، وسحب نفساً عميقاً وهو يشعر بالامتنان نحوه. فكَّر يوشيكاوا، هذا هو بالضبط ما تتطلّبه سيجارة سفن ستارز حتى يمكن الاستمتاع بها عن آخرها.

«النساء اللائي يضربهن أزواجهن ويهربن بوجوههن متورمة، يجدن مأوى هناك. وليس عليهن أن يدفعن أيّ إيجار».

قال يوشيكاوا: «نوع من الخدمة العامة».

«نعم، شيء من هذا القبيل. كان لديها هذا المبنى السكني الإضافي ولذلك استخدمته في مساعدة النساء اللائي يتعرّضن للضرب من أزواجهن. إنها فاحشة الثراء، ويمكنها أن تفعل ما تشاء، دون أن تشغل نفسها بالمال. ليست مثلنا».

«ولكن لماذا فعلت السيدة أوجاتا ذلك في الأصل؟ هل هناك ما دفعها لذلك؟».

«لا أدري. لديها ثروة طائلة وربما تكون هواية لديها؟».

قال يوشيكاوا وقد ابتسم ابتسامة مبتهجة: «حسناً، حتى إذا كانت هواية، فإنه شيء رائع، أن تساعد النساء اللائي يضربهن أزواجهن. فليس كلّ مَن لديهم أموال طائلة يبادرون إلى مساعدة الآخرين».

وافقه الرجل العجوز: «بالطبع، إنه عمل طيب. قبل سنوات كنت معتاداً على ضرب زوجتي، ولذلك فلستُ أهلاً للتحدّث عن ذلك». فتحَ فمه، وأظهر أسنانه المفقودة وقهقه، كما لو أنّ ضربه زوجته من حين إلى آخر كان إحدى مُتع الحياة لديه.

قال يوشيكاوا: «إذاً يمكنني أن أفهم أنّ العديد من الأشخاص يعيشون هناك الآن».

«إنني أمرّ كلّ صباح بهذا المبنى وأنا أتمشى، ولكن لا يمكنكَ أن ترى أيّ شيء من الخارج. يبدو أن أشخاصاً قليلين يعيشون بداخله في واقع الأمر. أظنّ أن هذا العالم سيظلّ فيه دائماً رجال يضربون زوجاتهم».

«ودائماً سيكون هناك أشخاص كثيرون ضرَرهم أكبر من نفعهم».

قهقه الرجل العجوز مرة ثانية بصوتٍ عالٍ، وفغر فاه: «معك

حق. هؤلاء الذين يزيدون الأمور سوءاً هم أكثر دائماً من أولئك الذين يساعدون الآخرين».

بدا أنّ الرجل العجوز قد أحبّ يوشيكاوا، ممّا جعل يوشيكاوا يشعر بعدم الارتياح.

سأله يوشيكاوا، وهو يحاول أن يبدو غير مكترث: «بالمناسبة، أيّ نوع من الأشخاص هي السيدة أوجاتا؟».

أجاب الرجل العجوز وقد عقدَ حاجبيه وكأنّه شبح شجرة قديمة وذابلة: «لا أعرف عنها الكثير حقاً. إنها تعيش حياة شديدة الهدوء والتحفّظ. أعمل هنا منذ سنوات عديدة، ومع ذلك لا ألمَحها على الأغلب سوى من بعيد. ودائماً ما يرافقها سائقها حينما تخرج، وخادماتها يتسوّقن لها كلّ شيء. لديها رجل هو بمثابة السكرتير الشخصي الذي يؤدّي كلّ شيء عنها تقريباً. أعني أنها امرأة كريمة الأصل وثرية، ولا يمكنك أن تنتظر منها التحدّث مع عامة الناس». قطّب الرجل العجوز وجهه، ومن قلب هذه التجاعيد خرجت غمزة، كانت موجهة إلى يوشيكاوا.

بإشارته إلى عامة الناس، كان يبدو أنّ الرجل العجوز صاحب الوجه الشاحب يتحدث عن مجموعة تضمّ بالأساس شخصين اثنين: هو ويوشيكاوا.

سأله يوشيكاوا سؤالاً آخر: «منذ متى قرّرت السيدة أوجاتا أن تخصِّص هذا المنزل لضحايا العنف المنزلي؟».

«في الحقيقة، لا أدري. كلّ ما هنالك هو أنني سمعتُ أنّ المكان يُشبه الملجأ. ولكن منذ أربع سنوات تقريباً، بدأ الناس يدخلون هذا المبنى ويخرجون منه. أربع أو خمس سنوات، على التقريب». رفعَ الرجل العجوز الكوب إلى شفتيه وشرب شايه البارد.

«وحينئذٍ تقريباً قاموا ببناء بوابة جديدة وشُدِّدت الحراسة عليه. إنه دار للإيواء، على أية حال، وإذا كان لأيّ أحد أن يتسكّع هناك، فلن يشعر هؤلاء الذين يعيشون فيه بالارتياح».

بدا أنّ الرجل العجوز قد عاد إلى وعيه، فحدَج يوشيكاوا بنظرة ارتياب. «قلت لي إذاً، إنك تبحث عن منزل للإيجار بسعر معقول؟».

«هذا صحيح».

«الأفضل لك أن تبحث في منطقة أخرى. هذه المنطقة تمتلئ بمنازل أسعارها باهظة، وحتى إذا وجدت شيئاً للإيجار، فسوف تكون جميعها عقارات فاخرة لا تناسب سوى الأجانب العاملين في السفارات. منذ مدة كان يسكن المنطقة أناس عاديون، أناس ليسوا فاحشي الثراء. وفي الواقع، كان العثور على سكن لهم هو بداية عملنا هنا. ولكن لم تعُد توجد الآن أي منازل بأسعار معقولة، ولذلك أفكِّر في إغلاق هذا المكتب. أسعار الأراضي في طوكيو ارتفعت بشدة ولم يعُد يحتملها مكتب صغير مثل مكتبي. ما لم يكن لديك حقائب مكدّسة بالأموال، فالأجدر بك أن تبحث في مكان آخر».

قال يوشيكاوا: «سوف أجرب مكاناً آخر. فأنا في واقع الأمر أمرّ بضائقة مالية».

نفث الرجل العجوز دخان سيجارته وأطلق تنهيدة: «ولكن بمجرد وفاة السيدة أوجاتا، يمكنك الرهان أنّ المنزل سوف يختفي. ابنها طموحٌ للغاية، ولا يمكن أن يترك هذا العقار المميّز هكذا في هذه المنطقة الراقية. سوف يهدمه على الفور ويشيد مكانه مجمعاً سكنياً. وهو على الأغلب يضع التصاميم الآن في أثناء حديثنا هذا».

«إذا حدث ذلك فلن تظلّ المنطقة على ما هي عليه الآن من هدوء».

«نعم، لن يمكنك التعرّف عليها».

«ذكرتَ ابنها. ما هو مجال عمله؟».

«إنه يعمل أساساً في القطاع العقاري. مثلي تماماً. ولكن الفارق بيننا كالفارق بين الطباشير والجبن. والفرق بين سيارة رولز رويس ودراجة قديمة. إنه يقتطع مبلغاً كبيراً من رأس المال ثم يستثمره بنفسه، مرة تلو مرة. يلعق كلّ العسل بنفسه، ولا يترك وراءه قطرة واحدة. لا يفيض أي شيء في ناحيتي، هذا ما يمكنني أن أؤكِّده لك. إنه عالم مقزِّز، ولا شك».

«كنت أتمشى منذ فترة وطفت بأطراف هذا المبنى. أدهشني. يا له من موقع».

«صحيح، إنه بلا شك أفضل مسكن في المنطقة. أشعر بالألم حينما أتخيل أشجار الصفصاف الجميل هذه يتمّ قطعها». هزّ الرجل العجوز رأسه كما لو كان يتألم حقاً. «ليس بوسعي إلّا أن أتمنى للسيدة أوجاتا عمراً مديداً».

وافقه يوشيكاوا: «أوافقك في ذلك».

وجد يوشيكاوا رقماً لمركز ضحايا العنف المنزلي في دليل الهاتف وقرّر الاتصال به. إنها مؤسسة غير ربحية يديرها متطوّعون ويرأسها العديد من المحامين. حصل يوشيكاوا على موعدٍ باسم منظمته الوهمية، مؤسّسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون. جعلهم يظنّون أنه قد يكون متبرّعاً محتملاً، فحدّدوا له موعداً.

أظهرَ يوشيكاوا لهم بطاقته التعريفية (هي نفسها التي كان قد قدّمها إلى تنغو) وأوضح لهم أنّ أحد أهداف مؤسّسته هو اختيار

مؤسسة غير ربحية تؤدّي للمجتمع خدمات جليلة، كي تقدّم لها منحة مالية. ورغم أنه لم يستطِعْ أن يكشف هوية الراعي، فإنّ متلقي المنحة يحقّ له أن يستخدمها كيفما يشاء. المَطلب الوحيد هو أن يقدّم تقريراً بسيطاً مع نهاية السنة.

لم يكُن مظهر يوشيكاوا يوحي بأيّ نوايا طيبة أو يبعث على ثقة، ولذلك رمقه المحامي الشاب الذي تحدّث إليه بحذر في أول الأمر، لكن المركز كان يواجه نقصاً مزمناً في التمويل، وكان القائمون عليه مضطرين للقبول بأيّ دعم، بغضّ النظر عن مصدره.

قال يوشيكاوا: «سوف يكون عليّ معرفة المزيد عن أنشطتكم». شرح له المحامي كيف أنشأوا المؤسسة. وجد يوشيكاوا القصة مملّة، ومع ذلك ظلّ يُصغي بحماس، وحافظ على تعابير وجه توحي باهتمام شديد. كان يصطنع كلّ الأصوات الملائمة، ويومئ في كلّ المواضِع السليمة، ويحافظ على تعبيرات تنمّ عن الإذعان والتفتّح. ولذلك، أُعجِبَ به المحامي. كان يوشيكاوا مستمعاً على درجة عالية من التدريب، ويتّخذ هيئة توحي بالصدق والرغبة في الاستماع، ما يجعله ينجح غالباً في بثّ الطمأنينة لدى الطرف الآخر.

وجد الفرصة كي يحوّل دفّة الحوار بشكلٍ طبيعي باتجاه دار الإيواء. سأله، بالنسبة إلى النسوة تعيسات الحظ اللائي يهربن من عنف أزواجهن، إذا لم يجدن مكاناً ملائماً يلجأن إليه، فأين ينتهي بهنّ المطاف؟ رسم على وجهه تعبيراً يوحي بتعاطف شديد مع هؤلاء النسوة مشبّهاً مصيرهن بمصير أوراق الشجر التي تذروها رياح هوجاء.

أجاب المحامي الشاب: «في مثل هذه الحالات، لدينا العديد من دور الإيواء التي يمكنهن الذهاب إليها».

«دور إيواء؟».

«ملاجئ مؤقتة. ليس لدينا منها الكثير، ولكن هناك أماكن قدّمها لنا أشخاص خيِّرون، بل إن شخصاً ما قد وضع تحت تصرّفنا مبنى سكنياً كاملاً كي نستخدمه».

قال يوشيكاوا وقد بدت عليه علامات الدهشة: «مبنى كاملاً. أظنّ أن هناك أشخاصاً شديدي السخاء».

«هذا صحيح. حينما تغطي الصحف والمجلات أنشطتنا، نتلقى حتماً اتصالات من أشخاص يرغبون في المساعدة. ولولا الدعم الذي يقدّمه هؤلاء، لما استطعنا الإبقاء على هذه المؤسّسة، لأننا نعتمد غالباً على المساعدات».

قال يوشيكاوا: «أنتم تؤدّون عملاً بالغ الأهمية».

أظهر له المحامي ابتسامة واهنة. قال يوشيكاوا في نفسه، لا أحد يسهُل خداعه مثل الشخص المقتنع بأنه على صواب.

«كم عدد النساء اللائي يعشنَ الآن في ذلك المبنى بحسب تقديرك؟».

قال المحامي: «حسب الأحوال، ولكن أظنّ أنّ العدد يتراوح في العادة ما بين أربعة أو خمسة».

قال يوشيكاوا: «وبخصوص ذلك الشخص الخيّر الذي قدّم لكم المبنى، كيف أمكن لهذا الشخص أن يشارككم اهتمامكم؟ لا بدّ أن حدثاً ما قد أثار لديه هذا الاهتمام».

مالَ المحامي برأسه: «لا أدري حقاً. ولكن يبدو أن هذا الشخص كان يشارك فيما مضى في أنشطة مشابهة، بشكلٍ فرديّ. ونحن ممتنّون لكرم هذا الشخص، ولا نسأل عن الأسباب».

أومأ يوشيكاوا: «بالطبع. أظنّ أنكم تحافظون على سرّية دور الإيواء التي لديكم؟».

«هذا صحيح. يجب أن نضمَن سلامة الضحايا، كما أنّ كثيرين من داعمينا يفضّلون عدم الكشف عن هويتهم. وفي نهاية المطاف نحن نتعامل مع عمليات عنف».

استمرّ حديثهم وقتاً أطول، ومع ذلك لم يستطعْ يوشيكاوا أن يستخلص أيّ معلومات مفيدة. أصبح يوشيكاوا على علمٍ بالحقائق التالية: مركز ضحايا العنف المنزلي قد بدأ العمل بجديّة منذ أربع سنوات. ولم يمضِ وقت طويل على ذلك، حتى اتصل بهم «متبرعٌ» وعرض عليهم أن يستخدموا مبنى خالياً كدار للإيواء. وأن المتبرّع قد قرأ عن أنشطتهم في الصحيفة. وضع المتبرع شرطاً واحداً، ألا وهو عدم الكشف عن هويته مطلقاً. رغم ذلك كان بوسع يوشيكاوا أن يستنتج، ممّا قيل، أنّ «المتبرع» من دون شك هو الأرملة الثرية التي تعيش في حي أزابو، وأنها هي مالكة المبنى القديم.

قال يوشيكاوا بحماس وهو يخاطب المحامي الشاب النبيل: «أشكرك كثيراً على وقتك ومنحي هذه الفرصة للكلام معك. لا شك أنّ مؤسستكم تؤدّي مهمة جليلة. سوف أنقل هذه المعلومات التي عرفتها هنا إلى مجلس الإدارة لدينا. ولا بد أننا سنتواصل معكم في القريب العاجل. وحتى ذلك الحين، أتمنى لكم من كلّ قلبي دوام النجاح».

بدأ يوشيكاوا بعد ذلك في التحرّي حول وفاة ابنة الأرملة الثرية. كانت ابنتها قد تزوّجت موظفاً حكومياً كبيراً في وزارة النقل، وحينما ماتت لم تكن قد تجاوزت السادسة والثلاثين من عمرها. لم يكن يوشيكاوا قد علم بعد بسبب الوفاة. وبعد وفاتها بمدّة ليست طويلة، ترك زوجها وزارة النقل. كانت هذه فقط هي الحقائق التي استطاع

يوشيكاوا اكتشافها. لم يعرف السبب الذي دفع الزوج إلى ترك وزارة النقل، وكذلك لم يعرف نوعية الحياة التي عاشها عقب ذلك. لم تكن وزارة النقل من تلك الجهات الحكومية التي يمكن أن تكشف طواعية عن معلومات تخصّ شؤوناً داخلية فيها إلى مواطنين عاديين. ولكن يوشيكاوا كان يمتلك حاسة شمّ حادّة، واشتم رائحة شيء يُثير الشكوك. لم يستطِعْ أن يصدّق أنّ فقدان الرجل زوجته كان يمكن أن يغمره بالحزن الذي يجعله يتخلى عن منصبه ويتوارى عن الأنظار.

كان يوشيكاوا يُدرك أنه لا يوجد العديد من النساء اللائي يبلغن السادسة والثلاثين من أعمارهن ويمُتن بسبب المرض. ليس معنى ذلك أنّ هذا لا يحدث مع بعضهن. وبغضّ النظر عن عمر المرء، أو جودة الحياة التي يعيشها، فقد يمرض فجأة ويموت، بالسرطان، أو بورم في الدماغ أو التهاب الصفاق أو التهاب رئوي حادّ. الجسم البشري كيان هشّ. ولكن أن تصبح امرأة موسرة في عداد الموتى وهي في السادسة والثلاثين، فهذه لم تكن وفاة طبيعية بحسب جميع الاحتمالات، وإنما وفاة ناجمة عن حادث أو انتحار.

قال يوشيكاوا في نفسه، **دعني أخمّن. باتباع المبدأ الشهير «نصل أوكام»، سوف أحاول أن أجد أبسط تفسير ممكن. أستبعد جميع العناصر غير الضرورية، وأختصرها في تفسير منطقي واحد، ثم أنظر في الموقف.**

لنفترض أنّ وفاة ابنة الأرملة الثرية لم تكن نتيجة مرض ولكنها انتحار. كان يوشيكاوا يفرك يديه معاً وهو يفكّر في ذلك. ليس من **الصعب الادّعاء بأنّ الانتحار كان وفاة بسبب المرض، وخصوصاً عند شخص لديه المال والنفوذ. لنمضي خطوة إضافية في هذا الاتجاه ونفترض أنّ هذه الفتاة كانت ضحية عنف منزلي، ثم تملّكها**

اليأس وقتلت نفسها. هذا ليس مستحيلاً بالتأكيد. فمن المعروف أنّ بعض مَن يسمّون بالنخبة لديهم نزعات شريرة وانحرافية وشخصيات مقزّزة، كما لو كانوا قد تلقّوا حصّة من الشرّ تتجاوز ما هو مخصَّص لهم.

لو كان الأمر كذلك، فماذا كانت الأرملة الثرية سوف تفعل؟ هل كانت سوف تَعتبر ذلك قدَراً، وتقول إن ما جرى قد جرى، وتسلِّم بالأمر الواقع؟ لا أعتقد. كانت سوف توجّه انتقامها الملائِم إلى أيّ قوة دفعت ابنتها إلى موتها المبكر. شعر يوشيكاوا بأنه قد أصبح لديه فهمٌ أفضَل للأرملة. كانت امرأة شجاعة وذكية، وتمتلك رؤية واضحة وإرادة قوية. ولم تكن لتدّخر مالاً أو نفوذاً في سبيل الانتقام لموت شخصٍ عزيز عليها.

لم يجد يوشيكاوا سبيلاً لمعرفة نوعية الانتقام الذي وجّهته إلى زوج ابنتها، لأنه لم يبقَ له أيّ أثر. لم يذهب إلى حدّ التفكير في أنّ الأرملة قد سلَبَته حياته. ولكنه لم يكن لديه ذرّة شكّ في أنها قد اتخذت إجراء حاسماً ضده. وكان من الصعب الظنّ بأنها قد خلَّفت وراءها أيّ أثر.

كانت تخمينات يوشيكاوا حتى هذه النقطة منطقية، رغم أنه لم يكن لديه دليل. لكن نظريته مع ذلك تفسِّر الكثير من الأسئلة. لعق يوشيكاوا شفتيه وراح يفرك يديه معاً بهمّة وحيوية. لكن الأمور بدأت بعد هذه النقطة تصبح أكثر ضبابية.

كانت الأرملة قد أنشأت دار الإيواء كي تسمو برغبتها في الانتقام، مُحوِّلة إياها إلى شيء أكثر نفعاً وإيجابية. وبعدئذٍ ومن خلال النادي الرياضي الذي كانت تتردّد عليه، تعرَّفت على المدرِّبة الشابة أَوْمَامِه، ثم وعلى نحوٍ ما -لم يكن يدري كيف- توصَّلتا إلى تفاهم

سرّي. وبعد تحضيرات دقيقة، استطاعت أَوْمَامِه الوصول إلى جناح فندق أوكورا حيث قتلت الزعيم. لم تتّضح له الطريقة التي استخدمتها. ربما كانت أَوْمَامِه تتمتع بكفاءة فائقة في القتل بأساليب خاصة. ونتيجة ذلك، ورغم أنّ الزعيم كان محاطاً بحراسة لصيقة من حارسين مخلصين ومتمرّسين للغاية، فقد انتهى به مصيره إلى القتل.

حتى هذه النقطة، كانت الخيوط التي تربط بين تخمينات يوشيكاوا خيوطاً شبه متماسكة، ولكنه كان يجد نفسه في حيرة تامة حينما يحاول الربط بين زعيم ساكي جاكه ومركز النساء المعنّفات. ففي هذه النقطة اصطدم تفكيره بعائق سدَّ عليه طريقه ووجد أنّ شفرة حادة للغاية قد قطعت بحرص شديد جميع الخيوط.

كان القائمون على ساكي جاكه يريدون من يوشيكاوا في هذه المرحلة أن يُجيبهم عن سؤالين: مَن الذي خطَّط لاغتيال الزعيم؟ وأين توجد أَوْمَامِه؟

كان يوشيكاوا هو مَن أجرى التحريات الأصلية عن أَوْمَامِه، ولم يجد بشأنها شيئاً يُثير الشبهات على الإطلاق. ولكن موت الزعيم جاء بعد أن تركته. كما أنّ أَوْمَامِه نفسها قد اختفت عقبَ ذلك مباشرة. وكأنها نفخة دخان في الهواء. لا بد أن القائمين على ساكي جاكه كانوا غاضبين أشدّ الغضب من يوشيكاوا، واستقرّ رأيهم على أنّ تحرياته لم تكُن دقيقة كما ينبغي.

ولكن تحرياته، في واقع الأمر، وكما هي دائماً، لم تُغفل شيئاً يُذكر. وكما أخبر حليق الرأس، فإنّ يوشيكاوا كان يستميت حتى يضمن أنّ جميع الاحتمالات قد تمّ أخذها بعين الاعتبار. ربما يُؤخَذ عليه عدم فحصه سجلّ مكالماتها الهاتفية مسبقاً، ولكنه لم يكن يفعل

ذلك عادةً إلّا إذا وجد ما يُثير شكوكه بشدّة. وبناء على تحرّياته التي أجراها، كان يمكنه أن يجزم بأنّ أَوْمَامِه لا تشوبها شائبة.

لم يكُن يوشيكاوا يريدهم أن يبقوا غاضبين منه إلى الأبد. إنهم يُجذلون له العطاء، ولكنهم جماعة لا أمان لهم. ويوشيكاوا واحد من القلّة التي تعرف أنهم قد تخلّصوا من جثمان الزعيم، ممّا يجعله عرضة للمُساءلة والاتّهام. وكان يدرك أنّ عليه أن يعود إليهم بشيء ملموس حتى يعرفوا أنه مصدرٌ له وزنه، وأنه شخص يستحقّ أن يبقى على قيد الحياة.

لم يكن لديه دليل على ضلوع الأرملة الثرية التي تقطن حي أزابو في قتل الزعيم. حتى هذه النقطة كان كل ما لديه محض تكهّنات. لكنه كان يدرك أنّ ثمّة سرّ دفين وراء هذا المنزل بصَفصافِه رائع الجمال. حاسّة الشم لدى يوشيكاوا أخبرته بذلك، ومهمته هي استجلاء الحقيقة. لن يكون ذلك سهلاً. فالمكان تحت حراسة مشدّدة، والقائمون عليه محترفون.

هل هناك صلة لعصابات الياكوزا بمقتله؟

ربما الأمر كذلك. إنّ رجال الأعمال الذين يزاولون نشاطاً في القطاع العقاري غالباً ما يتورطون في اتصالات سرية مع الياكوزا. وحينما تتأزّم الأمور، يلجأون إلى الياكوزا. ربما استعانت الأرملة العجوز بنفوذهم. ولكن يوشيكاوا لم يكن متأكداً تماماً من ذلك - فالأرملة العجوز امرأة على درجة عالية من التهذيب لا تسمح لها بالتعامل مع هؤلاء الأشخاص. ويصعب أيضاً تصديق أنها قد تستعين بالياكوزا في حماية نساء تعرَّضن لعنف منزلي. الأرجح أنّ لديها نظامها الأمني الخاص، نظام تُنفق عليه من مالها الخاص. ونظامها الشخصي الذي اختارته بنفسها. صحيح أنه سوف يكلّفها الكثير،

ولكنها، إنْ صحّ ذلك، لا يَنقصها المال. وهذا النظام ربما يلجأ للعنف إذا استدعت الضرورة.

إذا صحَّت فرضية يوشيكاوا، فلا بدّ أنّ أَوْمَامِه قد اختبأت بمساعدة الأرملة العجوز في مكانٍ بعيد. ولا بد أنهم سوف يمحُون بعناية أيّ أثر وراءهم، ويمنحونها هويةً واسماً جديدين، بل وربما وجهاً جديداً. إذا كانت هذه هي الحال، فسيكون محالاً على تحريات يوشيكاوا البسيطة والمثابِرَة أن تقتفي أثرها.

في هذه المرحلة كان الشيء الوحيد الذي عليه عمله هو جمع المزيد من المعلومات عن الأرملة. وكان يرجو أن يمسك بخيط يقوده إلى مكان اختباء أَوْمَامِه. قد يُفلح في ذلك، وقد لا يفلح. ولكن يوشيكاوا كان يمتلك بعض مَواطن القوة: حاسّة شمّ قوية ومثابرة في البحث. وحالما يُمسك بشيء، فإنه لا يُفلته أبداً من قبضته. وسأل نفسه، بالإضافة إلى هذه القدرات، ما هي قدراتي الأخرى التي تستحقّ الذكر؟ هل لديّ أي مواهب أخرى يمكنني الاعتزاز بها؟

ردَّ يوشيكاوا على نفسه، وهو مقتنعٌ بصوابه، ليس لديّ أيّ مواهب أخرى.

الفصل الخامس

أَوْمَامِه
مهما طال سكوتك

لم تجد أَوْمَامِه صعوبة في البقاء وحدها، وفي أن تعيش حياةً رتيبة ومنعزلة. كانت تصحو كلّ يوم في السادسة والنصف وتتناول فطوراً خفيفاً. وبعدئذٍ تُمضي ساعة أو أكثر في غسيل الملابس أو كيّها أو في تنظيف أرضية الشقة. وفي الصباح كانت تستعين بالجهاز الذي أرسله لها تامارو في القيام ببعض التمارين الشاقة لساعة أو نصف الساعة. ولأنها كانت مدرِّبة لياقة بدنية فقد كانت تعرف جيداً ما هو مقدار التحفيز الذي تحتاجه كلّ عضلة يومياً - وما هو القدر المناسب من التمارين وما هو القدر الزائد.

وكان طعام الغداء لديها يتألّف عادة من سلاطة خضراء وفاكهة. أمّا فترة ما بعد الظهيرة فكانت تمضيها في القراءة وهي جالسة على الأريكة أو في إغفاءة قصيرة. وفي المساء كانت تقضي ساعة في إعداد طعام العشاء، الذي تنتهي منه قبل السادسة. وما إن تغرب الشمس، حتى تخرج إلى الشرفة وتجلس على كرسيها كي ترصد الملعب. وفي العاشرة والنصف تأوي إلى فراشها. كان كلّ يوم يشبه الذي يليه، ومع ذلك لم تشعر قطّ بالسأم.

لم تكن أَوْمَامِه في الأصل ذات طبيعة اجتماعية، ولم تكن تجد ضيراً في قضاء فترات طويلة من دون رؤية أشخاص آخرين أو الحديث إليهم. وحتى حينما كانت في المدرسة الابتدائية، كانت نادراً ما تتحدث مع زملائها في الصفّ. وإذا شئنا الدقّة، ما لم يكن الأمر ضرورة ملزمة، فإن أحداً من زملائها لم يكن يتحدّث معها.

وبالمقارنة بأيام طفولتها القاسية، فإنّ بقاءها حبيسة شقة صغيرة وأنيقة دون أن تكلِّم أحداً، كان أمراً هيناً. وبالمقارنة بالتزامها الصمت فيما يثرثر هؤلاء المحيطون بها، فقد كان سهلاً عليها، أو أكثر انسجاماً مع طبيعتها، أن تصمُت في مكانٍ تعيش فيه وحدها. وفوق ذلك، كان لديها كتاب عليها أن تقرأه. كانت قد شرعت في قراءة رواية بروست التي تركها لها تامارو. لم تكن تقرأ أكثر من عشرين صفحة في اليوم. وكانت تقرأ كلّ كلمة بعناية، حتى تنتهي من قراءة الصفحات المقرَّرة لها كلّ يوم. وكانت بمجرد انتهائها من هذه الصفحات، تنتقل إلى قراءة شيء آخر. أما قبل النوم مباشرة فكانت تحرص على قراءة بضع صفحات من **الشرنقة الهوائية**. فهذه هي كتابة تنغو، وقد أصبحت لها بمثابة الدليل الإرشادي الذي تتبعه للعيش في عالم 1Q84.

كانت تستمع أيضاً إلى الموسيقى. فقد أرسلت لها الأرملة الثرية صندوقاً لشرائط كاسيت لموسيقى كلاسيكية: سيمفونيات مالر، وموسيقى الحجرة لهايدن، ومقطوعات لوحة المفاتيح لباخ - وجميع أنواع الموسيقى الكلاسيكية وأشكالها. وجدت أيضاً شريطاً يحتوي على مقطوعة **سينفونييتا** ياناتشيك، والذي طلبته بالاسم. كانت تستمع إلى هذه المعزوفة مرة كلّ يوم وهي تؤدي تمارينها المعتادة في هدوء.

كان فصل الخريف يزحف بهدوء. وكانت تشعر بأنّ جسدها يزداد

شفافية شيئاً فشيئاً. حاولت أَوْمَامِه جهدها كي تُبقي ذهنها خالياً من أيّ أفكار، ولكن كان محالاً عليها ألّا تفكر في أيّ شيء. فالطبيعة تمقُت الفراغ. وعلى الأقل، رغم ذلك، أصبحت ترى أنه لا يوجد شيء عليها أن تكرهه. لم تعُد بحاجة إلى كراهية زملائها ومعلّميها. لم تعُد أَوْمَامِه تلك الطفلة العاجزة، ولم يعُد أحد يُرغمها على ممارسة الطقوس الدينية الآن. وأمّا الغضب الذي كان يمور بداخلها من قبل، ويشبه مداً عالياً يرتفع بداخلها -والانفعالات الجياشة التي كانت تجعلها ترغب أحياناً في أن تضرب قبضتيها في أقرب حائط- فقد تلاشى فجأة. لم تكن تدري لماذا، ولكن هذه المشاعر قد زالت تماماً. شعرت بالرضا بإزاء ذلك. وبقدر استطاعتها، لم تعُد تريد أن تُلحِق الأذى بأيّ أحد مطلقاً. تماماً كما لم تعُد تريد أن تُلحق الأذى بنفسها.

وفي تلك الليالي التي يستعصي عليها النوم، كان تفكيرها ينصرف نحو تاماكي أوتسوكا وأيومي ناكانو. حينما تغمض عينيها، كانت تعود إليها مندفعة تلك الذكريات التي كانت تعانق فيها جسديهما. كانت كلتاهما لديها بشرة ناعمة ورائعة وجسدين دافئين. جسدان رقيقان ورائعان تجري خلالهما دماء نقية، وقلبان ينبضان بانتظام، نبضات مباركة. كان بوسعها أن تسمعهما تتنهدان بهدوء وتقهقان. أصابع نحيلة وحلمات مشدودة وفخذان ناعمان... ولكن هاتين المرأتين لم يعُد لهما وجود في العالم.

غمر الحزن قلب أَوْمَامِه، في صمتٍ ومن دون سابق إنذار، وكأنه مياه راكدة وداكنة. كان أفضل ترياق لها في مثل هذا الوقت هو أن توقف هذا التيار من الذكريات وأن تحصر تفكيرها في تنغو وحسب.

راحت تستعيد ذكرى مُلامَستها يد صبي في العاشرة حينما أمسكت بيده في لحظة عابرة. وبعدئذٍ، وبينما استدعت من الذاكرة تنغو البالغ من العمر ثلاثين سنة والجالس أعلى الزلاقة، تخيّلت كيف سيكون شعورها حينما يطوِّقها هذان الذراعان الكبيران والقويان.

كنت على وشك الوصول إليه.

ربما إذا مددتُ إليه يدي في المرة القادمة، فسوف أستطيع الوصول إليه فعلاً. وسط العتمة، أغمضت عينيها واستغرقت في إمكانية حدوث ذلك، واستسلمت لأشواقها.

قالت في نفسها، وقلبها يرتجف، **ولكن ماذا لو لم أرَه مرة أخرى؟** لقد كان الأمر أبسط كثيراً حينما لم يكن يجمعهما أيّ تواصل فعلي. كان لقاؤها تنغو مجرّد حلم وافتراض نظري. ولكن أمّا وقد رأت الآن تنغو الحقيقي بعينيها، فقد أصبح حضوره أكثر واقعية وأشدّ تأثيراً ممّا كان من قبل. كان لا بد لها أن تراه، وأن تجعله يعانقها ويتحسَّس كلّ شيء فيها. كان مجرّد تفكيرها في أنّ ذلك قد لا يحدث يجعلها تشعر وكأنّ قلبها وجسدها ينشطران.

ربما وأنا أمام لوحة إعلان نمر إسو، كان يجب أن أطلق الرصاصة في رأسي. لم أكن سأضطر عندئذٍ لعيش هذه الحياة، والشعور بهذا الحزن والألم. ولكنها لم تستطع أن تسحب الزناد. حينما تناهى إلى سمعها ذلك الصوت. كان هناك من ينادي عليها باسمها من بعيد. فكرَّت، **ربما يمكنني رؤية تنغو مرة أخرى.** وما إن لاحَ لها هذا الخاطر، حتى أحسَّت بأنّ عليها مواصلة هذه الحياة. وحتى إذا صحّ ما قاله الزعيم، من أنّ بقاءها على قيد الحياة سوف يعرِّض تنغو للخطر، فلم يكن لديها بديل آخر. لقد شعرت بتدفّق هائل لا يُقاوم في إرادة الحياة لديها، بما يتجاوز حدود المنطق. وكانت

النتيجة أنها أصبحت تتحرّق شوقاً للقائه. كان شوقاً لا يخبو، وخوفاً من المجهول.

لاحت لها خاطرة. **هذا ما تعنيه مواصلة الحياة. حينما يُمنَح المرء أملاً، فإنه يستخدمه كوقود لحياته وكعلامة على الطريق. من المستحيل أن يستمر العيش بلا أمل.** تعلّق قلب أَوْمَامِه بهذه الخاطرة، كما لو أنّ كلّ مفصل في جسدها راح فجأة يصرخ ويصرّ صريراً.

جلست إلى مائدة العشاء وأمسكت المسدس. شدَّت الأجزاء، فأرسلت رصاصة إلى حجرة الإطلاق، ثم سحبت المطرقة إلى الخلف، وأدخلت فوهة المسدس في فمها. ما هي إلّا ضغطة بالسبابة ويزول كلّ حزن لديها. **مجرّد لمسة أخرى. واحد سنتيمتر آخر. لا، إذا شددتُ إصبعي نحوي بمقدار خمس مليمترات فقط، فسوف أنتقل إلى عالم يخيّم عليه الصمت ويخلو من القلق. لن يدوم الألم سوى لحظةٍ واحدة. وبعدئذٍ سأنتقل إلى عدمٍ رحيم.** أغمَضَت عينيها. وابتسم إليها نمر إسو الموجود في لوحة الإعلان وهو يمسك خرطوم الوقود. **ضع نمراً في خزان وقودك.**

أخرجت الماسورة الصلبة من فمها وهزّت رأسها ببطء.

لا يمكنني أن أموت. الحديقة أمام الشرفة. والزلاقة موجودة بها، وما دام لديّ أمل في مجيء تنغو مرة أخرى، فلن أستطيع الضغط على هذا الزناد. ردَّها هذا الاحتمال عن الحافة. أُغلق بابٌ في قلبها وفُتح آخر، بهدوء، ومن دون صوت. شدَّت أَوْمَامِه الأجزاء مرة أخرى، وأخرجت الرصاصة، وأعادت تفعيل الأمان، ووضعت المسدس مرة أخرى على الطاولة. حينما أغمضت عينيها أحسَّت بشيء ما في الظلام، ضوء خافت، كان يتلاشى في هذا الوقت. ماذا عساه أن يكون، لم تكن تدري.

جلست على الأريكة وركّزت انتباهها على صفحات الجزء الأول من رواية بروست **جانب منازل سوان**. تخيّلت المشاهد التي صورتها القصة، وهي تحاول جاهدة ألّا تسمح لأيّ أفكار أخرى بأن تشتّتها. في الخارج بدأت أمطار باردة تتساقط. وأشار تقرير الأرصاد الجوية عبر المذياع إلى أنّ مطراً خفيفاً سوف يتواصل حتى صباح اليوم التالي. كانت توجد جبهة هوائية ثابتة في المحيط الهادئ - وكأنها شخص وحيد، مستغرق في أفكاره، وذاهل عن الوقت.

فكرتْ، **تنغو لن يأتي**. كانت السماء ملبّدة بغيوم كثيفة تغطيها من أدناها إلى أقصاها وتحجب القمر. ومع ذلك كانت تخرج إلى الشرفة، وفي يدها كوب الكاكاو الساخن، كي ترصد ملعب الأطفال. كانت تُبقي المنظار والمسدس بقربها، وترتدي ثياباً تسمح لها بسرعة الخروج إن اقتضى الأمر، وتنظر نحو الزلاقة في أثناء هطول المطر. كان هذا هو العمل الهادف الوحيد الذي تستطيعه.

في الثالثة عصراً، رنّ جرسها شخصٌ ما يقف أمام مدخل المبنى. تجاهَلته أَوْمَامِه. لم يكن وارداً أن يزورها أحدٌ. كانت تغلي الماء كي تعدّ كوباً من الشاي، ولكنها إيثاراً للسلامة، أطفأت موقد الغاز وأصغت إلى صوت الجرس. رنّ الجرس ثلاث مرات أو أربع، ثم توقف.

وبعد حوالي خمس دقائق رنّ الجرس مرة أخرى. في هذه المرة كان جرس باب شقتها. هناك الآن شخص موجود داخل المبنى، ويقف أمام عتبة بابها مباشرة. لعلّه قد دخل في إثر أحد سكان المبنى، أو ربما رنّ جرس باب شخص آخر وأقنعه بضرورة دخوله. بقيت أَوْمَامِه ساكنة تماماً. **إذا دقّ أحدٌ الجرس، فلا تُجيبي**، هكذا

طلب منها تامارو. ضعي المزلاج الداخلي، ولا تُصدري أيّ صوت.

لا بدّ أنّ جرس الباب قد رنّ عشر مرات. إلحاح لا يصدر عن بائع جوّال - فهُم غالباً ما يتوقفون عند الرنة الثالثة. وبينما كانت تحبس أنفاسها، بدأ ذلك الشخص يطرق الباب بقبضته. لم يكن الصوت عالياً، ولكن كان بوسعها أن تلمس غضباً كامناً وراءه. «يا آنسة تاكاي»، هكذا قال صوت منخفض لرجل يبدو في منتصف عمره. كان صوتاً أجشاً: «آنسة تاكاي، هل يمكنك أن تفتحي الباب من فضلك؟».

كان اسم تاكاي هو الاسم الوهمي الذي يحمله صندوق البريد.

«آنسة تاكاي، أعرف أنّ الوقت ليس مناسباً، ولكني أريد رؤيتك. من فضلك».

توقف الرجل برهة، منتظراً جواباً. حينما لم يأته جواب، عادَ يطرق الباب من جديد، ولكن جاء صوت طرقاته أعلى قليلاً هذه المرة.

«آنسة تاكاي، أعرف أنك بالداخل، لذلك دعينا نختصر الوقت وافتحي الباب. أعرف أنك بالداخل وأنك تسمعيني».

التقطت أَوْمَامِه المسدس من فوق المائدة وحرَّرت زرّ الأمان. لفَّت المسدس بفوطة وأمسكت بمقبضه.

لم يكن لديها فكرة عمّن قد يكون هذا الشخص، ولا ماذا يريد. بدا أنّ غضبه موجّه نحوها -لماذا، هذا ما لا تدري عنه شيئاً- وكان يبدو أنه مُصمِّم على جعلها تفتح الباب. لا شكّ أن هذا هو آخر ما تريده وهي في موقفها الحالي.

وأخيراً توقف الطرق على الباب وعاد صوت الرجل يتردَّد صداه في الممرّ.

«آنسة تاكاي، أنا هنا لكي أحصّل قيمة رسوم 'إن إتش كيه'. نعم، 'إن إتش كيه' الرائعة. أعرف أنك في البيت. يمكنني معرفة ذلك مهما طال سكوتك. أنا في هذه الوظيفة منذ سنوات عديدة، وأعرف متى يكون الشخص خارج بيته فعلاً، ومتى يتظاهر بأنه كذلك. حتى حينما يحاول أحدهم أن يبقى ساكناً تماماً، تظلّ هناك علامات تدلّ على وجوده. فالناس يتنفّسون، وقلوبهم تدق، ومَعداتهم تواصل هضم الطعام. آنسة تاكاي، أعرف أنك بالداخل، وأنك تتوقعين أن أيأس وأغادر. أنت لا تنوين فتح الباب أو الردّ عليّ. لأنك لا تريدين أن تدفعي رسوم الخدمة».

كانت نبرة صوت الرجل أعلى ممّا ينبغي، وكان صداه يتردَّد داخل ردهة المبنى. كان يقوم بذلك عامداً - ينادي اسم الشخص بصوت عالٍ للغاية حتى يُشعره بالحرج والإهانة. وحتى يكون ذلك إنذاراً لسائر الجيران. بقيت أَوْمَامِه على صمتها التام. لم تكن في وارد الردّ. أعادت وضع المسدس على الطاولة. ومع ذلك، وكي يطمئنّ قلبها، تركت الأمان مُفعَّلاً. ربما يتظاهر هذا الرجل بأنه محصّل اشتراكات شبكة 'إن إتش كيه'. وبينما بقيت جالسة إلى طاولة العشاء، راحت تحدِّق نحو باب الشقة.

كانت تريد أن تمشي على أطراف أصابعها خلسة نحو الباب، وتنظر عبر العين السحرية، كي تتحقق من هوية هذا الشخص. ولكنها تسمّرت بالكرسي. الأحرى بها ألّا تفعل أي شيء لا تقتضيه الضرورة - وبعد فترة سوف يكفّ عن ذلك ويغادر.

لكن الرجل بدا أنه مستعدّ لإلقاء محاضرة كاملة: «آنسة تاكاي، دعينا نتوقف عن لعب المزيد من الغميضة، اتفقنا؟ أنا لا أفعل ما أفعل لأني أحبّ ذلك. لدي جدول عمل مزدحم. آنسة تاكاي، أعرف

أنك تشاهدين التلفزيون. وكل مَن يشاهد التلفزيون، بلا استثناء، عليه أن يدفع الاشتراك. ربما لا يعجبكِ ذلك، ولكن هذا ما ينصّ عليه القانون. التخلّف عن السداد سرقة، يا آنسة تاكاي، وأنت لا تريدين أن تُعامَلين باعتبارك سارقة بسبب شيء تافه كهذا، أليس كذلك؟ إنك تعيشين في مبنى فاخر، ولا أظنّك ستجدين أيّ عناء في سداد قيمة الاشتراك. أليس كذلك؟ ولا أظنكِ تجدين متعة في الاستماع إليّ وأنا أعلن ذلك أمام العالم».

لم تكن أَوْمَامِه لتعبأ في المعتاد بمحصل اشتراكات في شبكة 'إن إتش كيه' يصنع مثل هذه الجلبة. ولكنها الآن مختبئة، وتحاول أن تظلّ بعيدة عن الأنظار. لم تكن تريد لأيّ شيء أن يلفت انتباه سكان المبنى إليها. ولكن ليس بوسعها الآن عمل أيّ شيء. كان عليها أن تبقى صامتة وتنتظر حتى يغادر.

«أعرف أنني أكرِّر نفسي يا آنسة تاكاي، ولكني متأكد أنك بالداخل، وتستمعين إليّ. وتتسائلين: لماذا، من بين جميع الشقق، اخترت شقتي كي تقف أمامها؟ وأنا أيضاً أتساءل، يا آنسة تاكاي. ربما لأنني لا أحب الذين يتظاهرون بأنهم ليسوا في بيوتهم. التظاهر بعدم الوجود في البيت هو مجرّد حلّ مؤقت، أليس كذلك؟ أريدك أن تفتحي الباب وتقولي لي في وجهي أنك لا تنوين السداد. سيكون ذلك أفضل لكِ ولي. سوف يتيح لنا ذلك مجالاً للنقاش. أمّا تظاهرك بأنك خارج الشقة فليس الطريق الأمثل. إنك تشبهين فأراً صغيراً وبائساً يختبئ في الظلام. يا لها من طريقة بائسة تعيشين بها حياتك».

فكرت أَوْمَامِه، هذا الرجل يكذب. ليس معقولاً أنه يستطيع الإحساس بوجود الشخص حينما يكون داخل بيته. لم يَصدر عني أي صوت. إنّ غايته الحقيقية هي أن يقف أمام أيّ شقة فقط،

ويصنع هذه الجلبة، ويُرهب السكان الآخرين، ويجعلهم يفضِّلون أن يسددوا الرسوم على أن يتركوه واقفاً خارج الباب هكذا. لا بد أن هذا الرجل قد جرّب هذا الأسلوب في مكان آخر وحقق النتائج المنشودة.

«آنسة تاكاي، أعرف أنكِ تعتبرينني شخصاً بغيضاً. يمكنني أن أتفهّم ذلك تماماً. ومعك حق - أنا شخص بغيض. أدرك ذلك. ولكن عليك أن تفهمي، يا آنسة تاكاي، أن الأشخاص اللطفاء لا يصبحون محصِّلين جيدين. هناك أناس كثيرون في هذا العالم قرَّروا ألّا يدفعوا رسوم الخدمة التي تقدِّمها 'إن إتش كيه'، وإذا كان عليك أن تقومي بتحصيل الرسوم من مثل هؤلاء، فلن يكون بوسعك التصرّف دائماً بلطفٍ معهم. لنفترض أنّني فضلت أن أغادر بلا مشاكل، هل أكون مُصيباً في ذلك؟ ألا تريدين أن تدفعي الرسوم؟ أتفهّم ذلك. وآسف على إزعاجك. ولكنني لا أستطيع. وظيفتي هي تحصيل الرسوم، وفوق ذلك، فأنا شخصياً لا أحبّ هؤلاء الذين يتظاهرون بأنهم ليسوا موجودين داخل بيوتهم».

توقّف الرجل وسكتَ عن الكلام. ثم عاد يطرق الباب عشرات المرات دفعة واحدة.

«آنسة تاكاي، لا بدّ أنك تجدين ذلك مزعجاً. ألا تشعرين الآن أنك سارقة حقيقية؟ فكري في الأمر. نحن هنا لا نتحدث عن مبلغ كبير من المال. إنه يكفي لشراء وجبة عشاء خفيفة من أحد المطاعم الشهيرة في هذه المنطقة. ادفعي المبلغ وحسب، ولن تعامَلين باعتبارك سارقة. لن تجدي أيّ أحدٍ يصيح بغضب في الخارج أو يطرق بابك بعد ذلك. آنسة تاكاي، أعرف أنك تختبئين بالداخل. تظنين أنه يمكنك الاختباء والتهرّب مني إلى الأبد. حسناً - استمري في

المحاولة. بإمكانك البقاء صامتة كما تشائين، ولكن في يوم من الأيام سوف يجدك شخصٌ ما. لا يمكنك الاستمرار في الخداع إلى الأبد. فكري في ذلك: يوجد كثيرون أفقر منكِ في جميع أنحاء اليابان ويواظبون على سداد اشتراكاتهم الشهرية. هل ذلك من العدل؟».

أتبع ذلك بخمس عشرة طرقة على الباب. أَحصَتها أَوْمَامِه.

«قد فهمتك، يا آنسة تاكاي. أنت أيضاً شديدة العناد. حسناً. سوف أذهب الآن. لا يمكنني الوقوف هنا إلى الأبد. ولكن اطمئني، سوف أعود. عندما أقرِّر أمراً، فإني لا أيأس سريعاً. وأنا لا أحب هؤلاء الذين يتظاهرون بأنهم خارج بيوتهم. سوف أعود، وسوف أطرق بابك. سوف أظلّ أطرق بابك حتى يسمع العالم كلّه طرقاتي. أعدكِ بذلك، وعد بيني وبينك فقط. اتفقنا؟ حسناً، سوف أراكِ قريباً».

لم تسمع أي وقع لخطاه. ربما كان نعل حذائه من المطاط. بقيت أَوْمَامِه ساكنة في مكانها لخمس دقائق أخرى، وهي تحدق في الباب. عادت الردهة في الخارج لهدوئها مرة أخرى، ولم تعُد تسمع أي صوت. مشت ببطء حتى بلغت باب الشقة، ثم استجمعت شجاعتها، ونظرت عبر العين السحرية. لم تجد أحداً أمام الباب.

أعادت تفعيل الأمان مرة أخرى في المسدس وأخذت بضعة أنفاس عميقة حتى تهدِّئ من تسارع ضربات قلبها. أشعَلت الموقد وأعدّت شاياً أخضر، وشربته. قالت في نفسها، إنه مجرّد محصّل للرسوم في شركة 'إن إتش كيه'. ولكن صوته يحمل شيئاً من النقمة والتقزّز. هل كان كلامه موجهاً إليها شخصياً أو إلى الآنسة تاكاي الوهمية، هذا ما لا يمكنها أن تجزم به. ومع ذلك، بقي ذلك الصوت الأجش والطَّرَقات اللحوحة تزعجها، وكأنها شيء لزج وقد علق بجلدك العاري.

خلعت أَوْمَامِه ملابسها وتحمّمت. نظّفت نفسها بعناية في الماء الساخن. بعد انتهائها وارتدائها ثياباً نظيفة، شعرت ببعض التحسّن. زال عنها ذلك الإحساس باللزوجة. جلست على الأريكة وشربت بقية الشاي. حاولت العودة لقراءة كتابها فلم تستطع التركيز في الكلمات. ظلّ صدى صوت الرجل يتردَّد في أذنيها.

«تظنين أنك تستطيعين الاختباء والتهرب مني إلى الأبد. حسناً - استمري في المحاولة. بإمكانك البقاء صامتة كما تشائين، ولكن في يوم من الأيام سوف يجدك شخص ما».

هزّت رأسها. هذا الرجل ينطق بأيّ هُراء يردُ على خاطره، ويصيح بأعلى صوته حتى يزعج الناس. **إنه لا يعرف أيّ شيء عني، ولا يعرف ماذا فعلت، أو لماذا أنا هنا**. ومع ذلك لم يتوقف قلبها عن دقاته المتسارعة.

بإمكانك البقاء صامتة كما تشائين، ولكن في يوم من الأيام سوف يجدك شخص ما.

كانت كلمات محصِّل الرسوم تبدو وكأنها ذات دلالات أعمق. **قالت في نفسها، ربما تكون مجرد صدفة، ولكن هذا الرجل يعرف بالضبط ماذا يجب أن يقول كي يزعجني**. توقفت أَوْمَامِه عن القراءة وأغمضت عينيها وهي مستلقية على الأريكة.

تساءلت، **أين أنت، يا تنغو؟** ثم ردَّدت ذلك بصوتٍ عال. «أين أنت، يا تنغو؟» **جِدْني الآن. قبل أن يفعل ذلك أحدٌ سواك.**

الفصل السادس

تنغو
أشعر بوخز في إصبعيّ إبهامي

عاش تنغو حياة منظّمة للغاية في تلك البلدة الصغيرة المطلّة على البحر. وبمجرد أن أخذت أيامه نمطاً معيناً، راح يبذل قصارى جهده حفاظاً على هذا النمط. لم يكن يدري لماذا، ولكنه كان يعتبر ذلك مهماً. في الصباح كان يتمشى ويعكف على روايته، ثم يمضي إلى المصحة كي يزور والده ويقرأ له بعضاً ممّا يتصادف أنه يقرأه لنفسه. وبعدئذٍ يعود إلى غرفته وينام. توالت الأيام يوماً وراء يوم، وكأنها ذلك الإيقاع الرتيب لأناشيد العمل التي يُنشدها الفلاحون في أثناء زراعتهم حقول الأرز.

كانت تمرّ عليه ليالٍ دافئة، ثم تليها أخرى شديدة البرودة. كان الخريف يتقدّم خطوة ثم يتراجع، ولكن آثاره كانت تترسخ. ومع ذلك، لم يؤدِّ تغير الفصول إلى أدنى تغيّر في حياة تنغو، - كان يعيش كلّ يوم على غرار اليوم الذي سبقه. ويبذل قصارى جهده كي يصبح راصداً غير مرئي، يلتزم الصمت، ويُبقي تأثير وجوده عند حدّه الأدنى، وهو ينتظر في صمتٍ مجيء **ذلك الوقت**. ومع مرور الأيام، أخذَ الفرق يضعف بين يومٍ وآخر. مضى أسبوع، ثم مضت عشرة

أيام. ومع ذلك لم تتكوّن الشرنقة الهوائية مطلقاً. وفي فترة ما بعد الظهيرة حينما يُحمَل والده إلى غرفة الفحص، لم يكن يرى على سريره سوى ذلك التجويف الصغير والمثير للشفقة الذي يأخذ هيئة إنسان.

فكّر تنغو وهو يعضّ على شفته ويجلس في الغرفة الصغيرة وسط الغسق المحتشد، **هل كان ذلك حدثاً لا يقع سوى مرة واحدة؟ هل كانت وحياً خاصاً لن يظهر مرة أخرى أبداً؟ أو أنّ ما رأيته كان مجرد خداع؟** لم يُجبه أحد. كان الصوت الوحيد الذي يصله هو هدير البحر الآتي من بعيد، وتلك الرياح التي تهبّ وتجتاز مصدّات الرياح التي يصنعها شجر الصنوبر.

لم يكن تنغو متأكداً أنّ ما يفعله هو الصواب. ربما كان الوقت الذي يقضيه هنا، في هذه الغرفة داخل المصحّة في بلدة بعيدة عن طوكيو، وقتاً يضيع سُدى. لكن حتى وإن كان كذلك، فهو لا يظنّ أنه يستطيع المغادرة. فقد رأى في هذه الغرفة الشرنقة الهوائية، وفي داخلها رأى تلك الهيئة لأَوْمَامِه الصغيرة وهي نائمة وسط ضوء خافت. لقد كادَ أن يلمسها. وحتى لو كان حدثاً لا يقع سوى مرة واحدة، وحتى لو كان خداعاً عابراً، فإنه يرغب في البقاء قدر ما يستطيع، حتى يتتبّع بعين خياله المشهد كما رآه.

حينما اكتشفت الممرضات أنّ تنغو لن يعود إلى طوكيو، أخذن يتودَّدن له بشكل أكبر. كن يأخذن استراحة قصيرة بين كلّ مهمة وأخرى ويتوقّفن كي يدردشنَ معه. وإذا ما أُتيح لهن وقت فراغ، فإنهن يقصدن غرفة والده كي يتجاذبن أطراف الحديث معه ويحُضِرن له شاياً وكعكاً. كانت هناك ممرضتان تتناوبان على رعاية والد تنغو - الممرضة أومورا، وكانت في منتصف الثلاثينيات (وقد اعتادت أن

ترفع شعرها لأعلى وتضع في عكيصتها قلماً جافاً)، والممرضة أداتشي وكانت ذات وجنتين ورديتين وتصفّف شعرها على هيئة ذيل حصان. أمّا الممرضة تمورا، وكانت في منتصف عمرها وترتدي نظارة ذات إطار معدني، فقد اعتادت أن تجلس في مكتب الاستقبال، ولكنها هي الأخرى تهبّ للمساعدة وتقدّم الرعاية لوالده إذا ما واجهت المصحّة نقصاً في الممرضات. كان يبدو أنّ ثلاثتهن يبدين اهتماماً شخصياً بتنغو.

وفيما عدا ساعته الخاصة وقت الغسق، كان تنغو لديه وقت فراغ كبير ويتحدّث إليهن في كل شيء. كانت أحاديثه معهن أشبه بجلسات للأسئلة والأجوبة، حيث تسأل الممرضات تنغو حول حياته فما يكون منه إلّا أن يُجيبهن بأقصى قدر من الصدق والصراحة.

كانت الممرضات يتحدثن أيضاً عن حياتهن. ثلاثتهن وُلدن في هذه المنطقة، والتحقن بمدرسة التمريض بعد المدرسة الثانوية وتخرّجن فيها ممرضات. جميعهن كن يجدن العمل في المصحة رتيباً ومملاً، وساعات العمل طويلة وغير منتظمة، ولكنهن كنّ سعيدات لكونهن يعملن في مسقط رأسهن. وكانت ضغوط العمل أقلّ كثيراً ممّا هي عليه في المستشفيات العامة، حيث كان سيتعيّن عليهن أن يواجهن بصفة يومية مواقف شديدة الخطورة. فكبار السن في المصحة كانوا يفقدون ذاكرتهم تدريجياً ثم يموتون، دون أن يفهموا حقاً حالتهم الصحية. لم تكن المصحّة تشهد عمليات جراحية كثيرة، وكان طاقم الأطباء والتمريض يخفّفون أيّ ألم. ولم يكن هناك أحد يُنقل إليها بسيارة الإسعاف في منتصف الليل، ولم تكن هناك عائلات مكلومة تنتحب وعليهن التعامُل معها. وفوق ذلك، كانت تكاليف المعيشة في المنطقة منخفضة، ولذلك كنّ يستطعن أن يعشنَ حياة مريحة رغم أنهن

لا يتقاضين مرتبات مجزية. كانت الممرضة تمورا، صاحبة النظارة، قد فقدت زوجها في حادث مروري قبل خمس سنوات، وتعيش في بلدة قريبة رفقة والدتها. أمّا الممرضة أومورا التي تضع قلماً جافاً في شعرها، فكان لديها ولدان صغيران وزوج يعمل سائقاً لسيارة أجرة. وأما الآنسة الشابة أداتشي فكانت تعيش في شقة في ضواحي البلدة رفقة شقيقتها، التي تكبرها بثلاث سنوات وتعمل مصفِّفة شعر.

قالت له الممرضة أومورا وهي تغيِّر كيس الحقنة الوريدية: «كم أنتَ عطوف. لا أعرف أحداً غيرك يأتي إلى هنا كلّ يوم كي يقرأ بصوتٍ عالٍ لمريض غائب عن الوعي».

تسبب الثناء في بعض الخجل لدى تنغو. وقال: «كلّ ما هنالك هو أني حصلتُ على بضعة أيام من إجازتي. لكني لن أمكث هنا طويلاً».

قالت: «مهما كان وقت الفراغ الذي قد يُتاح للمرء، فإنه لا يأتي إلى مثل هذا المكان وهو يرغب في ذلك. ربما لا ينبغي لي أن أقول ذلك، ولكن هؤلاء مرضى لن يتعافوا أبداً. وهم يزدادون اكتئاباً مع مرور الوقت».

«والدي طلب مني أن أقرأ له. قال لي إنه لا يهمّه ماذا أقرأ. كان ذلك منذ مدة طويلة، حينما كان لا يزال في وعيه. ليس لدي شيء آخر أفعله أثناء وجودي هنا، ولذلك لا مانع لدي من عمل ذلك».

«ماذا تقرأ له؟».

«كل شيء. أمسك بالكتاب الذي أقوم بقراءته لنفسي، ثم أقرأه له بصوتٍ عالٍ من حيث انتهيت».

«ماذا تقرأ الآن؟».

«رواية راحلة من أفريقيا، لإيزاك داينسن».

هزّت الممرضة رأسها: «لم أسمع بها من قبل».

«لقد صدرت في عام 1937. داينسن مؤلفة من الدنمارك. تزوّجت نبيلاً سويدياً، وانتقلت إلى أفريقيا قبيل الحرب العالمية الأولى، وأدارا معاً مزرعة هناك. وبعد طلاقها له، ظلّت تدير المزرعة بنفسها. وهي في هذا الكتاب تروي تجربتها في ذلك الوقت».

قامت الممرضة بقياس درجة حرارة والده، وسجّلتها على اللوح، ثم أعادت القلم الجاف إلى شعرها وأزاحت خصلات شعرها إلى الوراء. وقالت: «هل تمانع أن أستمع إليك قليلاً وأنت تقرأ؟».

قال تنغو: «لا أدري إنْ كان ذلك سوف يعجبكِ».

جلست على كرسي ووضعت ساقاً على ساق. بدت ساقاها متينتين وممتلئتين، ولكنهما جذابتان. «تفضَّل بالقراءة، إذا سمحت».

بدأ تنغو يقرأ على مهل من حيث كان قد انتهى هو نفسه. كانت الفقرة من النوعية التي تَحسُن قراءتها ببطء، وكأنها زمن يتدفّق عبر المناظر الطبيعية في أفريقيا.

في أفريقيا، يبدأ موسم الأمطار الغزيرة في الهطول في مارس، وذلك بعد أربعة أشهر يسُودها طقس حار وجاف، فيغمر العبير الفواح والطزاجة والنمو كل مكان.

ولكن الفلاح يكبت مشاعره بالفرحة ولا يجرؤ على منح ثقته لسخاء الطبيعة: إنه يُنصت، وهو وجِلٌ من أن يسمع انحساراً في هدير المطر المنهمر. إن الماء الذي تشربه الأرض الآن يجب أن يكفي المزرعة، بكلّ المحاصيل والحيوانات والبشر الذين عليها، خلال الأشهر الأربعة الجافة التالية.

كم هو مشهد جميل حينما تتحوّل طرقات المزرعة جميعها إلى جداول من المياه الجارية فيما يخوض الفلاح في الوحل بقلب منتشٍ، حتى يصل إلى حقول البن المزهرة والمخضَّلة بالماء. ولكن يحدث في منتصف موسم الأمطار أن تظهر النجوم عبر السُّحب الخفيفة، وعندئذٍ يقف الفلاح خارج منزله ويحدِّق إلى أعلى، وكأنما يتشبّث بالسماء كي يحتلب المزيد من المطر، وينادي السماء: «أعطيني ما يكفي وزيادة. قلبي مكشوف لكِ الآن، ولن أدعكِ تمضين دون أن تمنحنيني نعمتك. أغرقيني إن شئتِ، ولكن لا تقتليني بتقلّبات الطبيعة. أمَا آن لنا أن نتوقف عن العزل في الجماع، أيتها السماء!».

سألت الممرضة بملامح متجهّمة: «نتوقف عن العزل في الجماع؟».

«إنها لا تلطِّف كلماتها».

«ومع ذلك يبدو فجاً أن تُستخدم هذه العبارات وهي تخاطب الرب».

«أوافقك الرأي»، قال تنغو.

وأحياناً، يأتي يوم بارد وشاحب في الأشهر التي تلي موسم الأمطار، ويثير لدينا ذكريات 'ماركا مبايا'، وهي السنة العجفاء التي حلّ فيها الجفاف. في تلك الأيام اعتاد الكيوكو أن يرعوا أبقارهم حول منزلي، وكان من بينهم صبي يحمل ناياً ويعزف عليه لحناً قصيراً ما بين حين وآخر. حينما

استمعت إلى هذا اللحن ثانية، استدعى في لحظة واحدة كلّ عذابات ويأس الماضي. كان له ذلك الطعم المالح الذي يكون للدموع. ولكني في الوقت ذاته، وبشكلٍ مدهش لم أتوقعه، وجدت في اللحن حلاوة غريبة وحيوية واضحة، وجدت أغنية. هل كانت تلك الأيام العصيبة تحمل حقاً كلّ ذلك؟ كنا لا نزال ننعم بالشباب، ويحدونا الأمل الجامح. وخلال تلك الأيام الطوال أصبحنا جميعاً يداً واحدة، ولذلك سوف يعرف بعضنا بعضاً حينما نُصبح على كوكب آخر، حيث تنادي الأشياء بعضها بعضاً، ساعة الوقواق وكتبي يناديان على تلك الأبقار العجاف التي ترعى في العشب وعجائز الكيوكو المحزونين: «أنتم أيضاً كنتم هناك. لقد كنتم جزءاً من مزرعة نجونج». ذلك الزمن الرديء قد أنعم علينا وولّى.

قالت الممرضة: «يا لها من فقرة بديعة. يمكنني فعلاً أن أتخيّل المشهد. قلت لي إنها رواية: **راحلة من أفريقيا** لإيزاك دينسن؟».

«أجل إنها هي».

«لديك أيضاً صوتٌ جميل. صوتك عميق ومفعم بالعاطفة. ويبدو عذباً جداً حينما تقرأ بصوت عالٍ».

«أشكركِ».

جلست الممرضة على الكرسي، وأغمضت عينيها برهة، وراحت تتنفس بهدوء، كما لو كانت لا تزال تستعذب الأثر الذي تركته هذه الفقرة لديها. كان بوسع تنغو أن يلحظ صدرها الممتلئ عبر ثيابها يعلو ويهبط مع أنفاسها. حالما رأى تنغو ذلك، تذكر صديقته التي تكبره

سناً. تذكّر أيام الجمعة وأوقات ما بعد الظهيرة، والتجرد من الملابس، وملامسة حلمتيها الصلبتين. تنهّداتها العميقة ومهبلها الرطب. خلف الستائر المسدلة، تتساقط أمطار هادئة في الخارج. كانت تتحسّس ثقل خصيتيه بيدها. ولكن هذه الذكريات لم تُثِر لديه أدنى رغبة. كان المشهد والمشاعر المُصاحِبَة له غامضة ونائية، كما لو كان ينظر إليه عبر غشاء رقيق.

فتحت الممرضة عينيها بعد هنيهة، وراحت تنظر إلى تنغو. بدا أن عينيها تقرأ أفكاره. ولكنها لم تكُن تتهمه. ارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة عندما وقفت وراحت تنظر إليه من أعلى.

«يجب أن أذهب». تحسّست شعرها كي تتأكد من أن القلم الجاف في مكانه، ثم استدارت، وغادرت الغرفة.

كان تنغو يهاتف فوكا-إري كلّ مساء. فتُخبره: لا شيء يُذكر حدث اليوم. رن الهاتف بضع مرات، ولكنها لم تردّ التزاماً بالتعليمات. فيرد عليها تنغو: «يسعدني ذلك. دعيه يرن كيفما يشاء».

كان تنغو عندما يهاتفها يدع الهاتف يرن ثلاثاً، ويضع السماعة، ثم يُعيد الاتصال بعد ذلك مباشرة، ولكنها لم تكن تتبع هذا الترتيب دائماً. وكانت غالباً ما ترفع السماعة بعد الرنة الأولى أو الثانية.

كان تنغو يحذّرها في كلّ مرة يحدث ذلك: «يجب علينا التزام خطتنا».

فتقول له فوكا-إري: «أستطيع أن أعرف مَن المتصل. لا داعي للقلق».

«تعرفين أنني أنا مَن يتصل؟».

«ولا أردّ على المكالمات الأخرى».

قال تنغو في نفسه، أظنّ ذلك ممكناً. إنه هو نفسه يمكنه أن يتبيَّن ذلك عندما تأتيه مكالمة من كوماتسو. فالطريقة التي يرن بها الهاتف يعتريها شيء من التوتر والتململ، وكأنها لشخصٍ يضرب بأصابعه فوق سطح مكتب بإلحاح. ولكن ذلك على أية حالٍ كان مجرّد شعور. لم يكن ذلك يعني أنه يعرف مَن على الهاتف.

كانت أيام فوكا-إري تمضي رتيبة مثلها مثل أيام تنغو. فهي لم تخطو بقدميها خارج الشقة. ولم يكن بالشقة جهاز تلفزيون، ولم تكُن تطالع أيّ كتب. ولأنها لم تكن تأكل إلّا القليل، فإنها لم تكُن بحاجة في هذه المرحلة للخروج كي تتسوق احتياجاتها.

وكانت فوكا-إري تقول: «لأنني لا أتحرك كثيراً، فلستُ بحاجة كبيرة إلى الطعام».

«وماذا تفعلين كلّ يوم؟».

«أفكّر».

«تفكرين في ماذا؟».

لم تُجِب عن سؤاله، وقالت: «وهناك غراب يأتي أيضاً».

«الغراب يأتي مرة كلّ يوم».

قالت: «إنه يأتي مرات عديدة، وليست مرة واحدة فقط».

«هل هو الغراب نفسه؟».

«نعم».

«هل يأتي أحدٌ آخر؟».

«محصّل الرسوم في 'إن إتش كيه' جاء مرة ثانية».

«هل هو المحصّل نفسه الذي جاء من قبل؟».

«إنه يقول بصوتٍ عالٍ، يا سيد كاوانا، أنتَ لصّ».

«هل تقصدين أنه يقف أمام الباب مباشرة ويصيح؟».

«لذلك يمكن أن يسمعه الآخرون جميعاً».

تفكَّر تنغو قليلاً: «لا داعي للقلق بشأن ذلك. لا شأن لكِ به، ولن يسبِّب لك أيّ ضرر».

«قال إنه يعرف أنكَ تختبئ هنا».

قال تنغو: «لا تنزعجي. لا يمكنه ذلك. إنه لا يدري ماذا يقول. وهو يقول ذلك كي يرهبني وحسب. موظفو شبكة 'إن إتش كيه' يفعلون ذلك أحياناً».

كان تنغو قد شهدَ والده يفعل الشيء نفسه مرات لا حصرَ لها. في ظهيرة يوم الأحد، كان صوت والده المشحون بالنقمة، يدوي في ممرّ مشروع الإسكان الحكومي. حيث يهدِّد الساكن ويستهزئ به. كان تنغو يضغط بأصابعه بشكلٍ خفيف على صدغيه. فقد جلبت الذكرى معها حملاً ثقيلاً من المواقف الأخرى.

سألته فوكا-إري، كما لو أنها أحسَّت شيئاً في صمته: «هل أنت بخير؟».

«أنا بخير. لكن عليك أن تتجاهلي محصِّل الرسوم هذا وحسب. اتفقنا؟».

«الغراب قال الشيء نفسه».

قال تنغو: «يُسعدني سماع ذلك».

منذ أن رأى قمرين في السماء، وشرنقة هوائية تتشكَّل على سرير والده في المصحة، لم يعُد أي شيء يُثير لديه دهشة كبيرة. كان تبادل الآراء بين فوكا-إري والغراب بالقرب من مصراع النافذة لا يضرّ أحداً.

«أعتقد أنني سوف أمكث هنا مدة أطول. لا يمكنني العودة إلى طوكيو الآن. هل لديكِ اعتراض على ذلك؟».

«يجب أن تمكث هناك قدر ما تشاء».

ثم وضعت السماعة. تلاشت المكالمة في لحظة، كما لو أنّ أحداً ما قد أخذ فأساً حادّة وقصد إلى سلك الهاتف وشطره نصفين.

بعد ذلك اتّصل تنغو بشركة النشر التي يعمل بها كوماتسو. لم يكن موجوداً. كان قد حضر لفترة وجيزة في الواحدة ظهراً تقريباً، ولكنه ما لبث أن غادر، ولم يكن الشخص الذي أجاب على الهاتف يدري أين مكانه أو هل سيعود مرة أخرى أو لا. لم يكن ذلك أمراً مستغرباً من كوماتسو. ترك تنغو رقم هاتف المصحّة، قائلاً إنه سيكون موجوداً بها خلال ساعات النهار، وطلب أن يتصل به كوماتسو. لو أنه ترك رقم هاتف النُّزل، واتصل به كوماتسو في منتصف الليل كعادته، لأوقَعَه في الحرج.

كان قد تلقّى آخر اتصال من كوماتسو في أواخر سبتمبر، وكانت مكالمة هاتفية قصيرة. منذ ذلك الحين، لم يتصل كوماتسو، وكذلك لم يفعَل تنغو. وخلال فترة امتدت ثلاثة أسابيع بداية من نهاية أغسطس، اختفى كوماتسو. اتصل بشركة النشر متذرّعاً بحجة غامضة، وادّعى أنه مريض وبحاجة إلى بعض الراحة، ثم لم يتّصل بعد ذلك، كما لو كان مفقوداً. شعر تنغو ببعض الانشغال عليه، وإنْ لم يصل إلى حدّ القلق الشديد. كان كوماتسو يتصرف دائماً حسبما تُمليه عليه مصلحته. ولذلك كان تنغو واثقاً من أنه سوف يظهر عمّا قريب ويعود إلى الشركة يمشي متبختراً.

كان مثل هذا التصرف الأناني مرفوضاً في بيئة العمل داخل المؤسسة. ولكن في حالة كوماتسو، كان أحد زملائه دائماً ما يلطّف له الأمور حتى لا يواجه مشكلات في العمل. لم يكن كوماتسو ذلك

الشخص المحبوب في عمله، ولكن كان يبدو دائماً أنّ هناك أحداً ما مستعدٌ لإزالة أي فوضى يُخلّفها وراءه. وكانت شركة النشر، بدورها، راغبة، إلى حدّ ما، في التغاضي عن ذلك. كان كوماتسو شخصاً أنانياً وغير متعاون ومتعجرف، ولكنه في عمله الذي يؤدّيه، يتمتع بالكفاءة والاقتدار. وكان قد تولى مسؤولية كتاب **الشرنقة الهوائية** الذي تصدّر لائحة الأفضل مبيعاً. ولذلك لم يكن وارداً أن تقوم دار النشر بفصله من العمل.

وكما توقع تنغو، رجع كوماتسو هكذا ذات يوم، دون أن يفسّر سبب غيابه أو يعتذر عن هذا الغياب، واستأنف عمله. سمع تنغو الخبر من محرِّر آخر كان يعمل معه وقد جاء على ذكر ذلك صدفة.

كان تنغو قد سأل المحرر: «وكيف حال السيد كوماتسو؟».

أجابه الرجل: «يبدو بخير. رغم أنه يبدو أقل ثرثرة ممّا كان عليه من قبل».

سأله تنغو وقد اندهش قليلاً: «أقل ثرثرة!».

«لا أدري كيف أعبِّر عن ذلك، أصبح أقل ميلاً للاختلاط عن ذي قبل».

«هل كان فعلاً مريضاً بشدة؟».

قال المحرِّر من دون اكتراث: «كيف لي أن أعرف؟ إنه يقول إنه بخير، وعليّ أن أصدقه. والآن وبعد عودته أصبح بوسعنا البدء في الأعمال المتراكمة. خلال فترة غيابه، تجمَّع لدينا العديد من المشكلات المرتبطة **بالشرنقة الهوائية** التي كانت مصدر إزعاج حقيقي، وكنت مكلفاً بها في غيابه».

«بخصوص **الشرنقة الهوائية**، هل حدثت أيّ تطورات جديدة في قضية اختفاء المؤلفة، فوكا-إري؟».

«لا، لا جديد. لا يوجد أي تقدّم على الإطلاق، ولا أحد يدري مكان وجودها. الجميع حائرون».

«لقد كنت أطالع الصحف ومع ذلك لم يأتِ أحد على ذكرها مؤخراً».

«لقد أصبحت وسائل الإعلام تتخوّف على الأغلب من الموضوع، أو ربما اختارت النأي بنفسها عنه. ولا يبدو أنّ الشرطة مهتمة بمتابعة القضية. السيد كوماتسو سوف يتمّ إطلاعه على التفاصيل، ولذلك فهو أنسَب شخص تسأله. ولكن كما قلت، لقد أصبح أقل ميلاً للكلام. وفي واقع الأمر، لم يعُد هو نفسه على الإطلاق. لقد عرفناه يفيض ثقة بنفسه، ولكنه خفّف من ذلك الآن، وأصبح أكثر انطوائية، وأظنّك سوف توافقني، بمجرد جلوسك معه. أصبح التعامل معه صعباً. أحياناً يبدو وكأنه قد نسي تماماً أنّ هناك آخرين حوله، وكأنه واقع وحده في حفرة».

قال تنغو: «أكثر انطوائية!».

«سوف تدرك ما أقول حينما تتحدّث إليه».

شكره تنغو ووضع السماعة.

بعد بضعة أيام، وفي المساء، اتّصل تنغو بكوماتسو. كان موجوداً في المكتب. تماماً مثلما أخبره المحرّر، لقد تغيّرت طريقة كوماتسو في الكلام. كانت الكلمات عادة ما تنساب من بين شفتيه بسهولة ومن دون توقف، ولكنه الآن أصبح يجدُ صعوبة في ذلك، كما لو كان مهموماً بشيء. فكّر تنغو، لا بد أن هناك ما يؤرقه. على أيّ حال، ليس هذا هو كوماتسو رابط الجأش الذي يعرفه.

سأله تنغو: «هل أنت بخير الآن؟».

«ماذا تعني؟».

«أعني أنك انقطعت عن العمل مدّة لوعكة صحية، أليس كذلك؟».

قال كوماتسو وكأنه قد تذكّر لتوه هذه الحقيقة: «هذا صحيح».

أعقب ذلك فترة صمت قصيرة: «أنا بخير الآن. سوف أخبرك بكلّ شيء ذات يوم، قريباً. لا يمكنني حقاً أن أشرح لك ذلك في الوقت الحالي».

تفكّر تنغو في الكلمات: «ذات يوم، قريباً». كان ثمة شيء غريب في نبرة صوت كوماتسو. لم يعُد لديه ذلك الإحساس بعدم الاكتراث، وأصبحت كلماته تخرج رتيبة وتفتقر إلى أيّ عمق.

وجد تنغو لحظة ملائمة في المحادثة كي يقول له إلى اللقاء، ويضع السماعة. قرَّر ألّا يتطرق إلى الشرنقة الهوائية أو فوكا-إري. ثمة شيء في نبرة صوت كوماتسو كان يشير إلى أنه يحاول تحاشي هذين الموضوعين. وهل كان كوماتسو يجد صعوبة تُذكر في مناقشة أي مسألة من قبل؟

كانت هذه المكالمة الهاتفية التي جرت مع نهاية سبتمبر، هي المرة الأخيرة التي يتحدث فيها إلى كوماتسو. فقد مضى على ذلك أكثر من شهرين. كان كوماتسو يهوى عادة إجراء مكالمات هاتفية مطوّلة. وكان تنغو، على ما يبدو، هو الحائط الذي يضرب فيه كرة التنس. خمّن تنغو، ربما كان يمرّ بفترة لا يريد التحدّث خلالها مع أحد. وأي إنسان معرَّض لمثل ذلك، حتى لو كان شخصاً مثل كوماتسو. لم يكن لدى تنغو أيّ شيء مُلحّ يريد مناقشته معه. فقد

توقفت مبيعات رواية الشرنقة الهوائية واختفت فعلياً عن الأنظار، كما أن تنغو كان يعرف مكان فوكا-إري المختفية. وإذا كان كوماتسو لديه ما يناقشه، فحتماً سوف يهاتفه. ما دام لم يتّصل به، فهذا يعني قطعاً أنه ليس لديه ما يودّ أن يقوله.

ولكن تنغو كان يرى أنّ الوقت قد حان تقريباً كي يتّصل هو به. سوف أخبرك بكلّ شيء ذات يوم، قريباً. علقت في ذهنه كلمات كوماتسو، على نحو غريب، ولم يستطع أن يصرفها عن ذهنه.

اتصل تنغو بصديقه الذي كان ينوب عنه في عمله في المدرسة، كي يعرف منه كيف تسير الأمور.

ردّ عليه صديقه: «كل شيء على ما يرام. كيف حال والدك؟».

أوضح له تنغو: «إنه في غيبوبة طوال الوقت. ولكنه يتنفس ودرجة حرارته وضغط الدم منخفضان ولكنهما مستقران. ولكنه غائب عن الوعي. لا أظنه يعاني أيّ ألم. يبدو وكأنه قد انتقل كلياً إلى عالم الأحلام».

قال صديقه، دون أن يُظهِر أيّ عاطفة واضحة: «هذه ليست طريقة سيئة للموت». كان ما يحاول قوله هو ربما يبدو في ذلك قسوة، ولكن بحسب الكيفية التي تنظر بها للأمر، فإن هذه ليست طريقة سيئة للموت. ولكنه تجاوز هذه الكلمات التمهيدية. إذا أتيح لك أن تُدرِّس في قسم الرياضيات بضع سنوات، فإنك تعتاد ذلك النوع من الحوارات المختصرة.

سأله تنغو فجأة: «هل نظرت إلى القمر مؤخراً؟» ربما كان هذا الصديق هو الشخص الوحيد الذي يعرف أنه لن يرتاب في شيء إذا سأله، فجأة، عن القمر.

فكّر صديقه في السؤال بعض الوقت: «إذا لم تخنّي ذاكرتي، فأنا لا أتذكر أني نظرتُ إلى القمر مؤخراً. لكن ماذا جرى للقمر؟».

«عندما تُتاح لك فرصة، هل يمكنك أن تنظُر إليه؟ وأن تُخبرني ما رأيك؟».

«ما رأيي؟ من أيّ زاوية؟».

«أيّ زاوية تشاء. أريد فقط أن أسمع منك رأيك بعد أن تنظر إلى القمر».

أعقب ذلك صمت قصير: «ربما يكون صعباً أن أجد الكلمات الملائمة للتعبير عن رأيي فيه».

«لا، لا تقلق بشأن التعبير. المهم هو أن تعبِّر عن سمات واضحة».

«تريدني أن أنظر إلى القمر وأخبرك بما أرى أنه أوضح سماته؟».

أجاب تنغو: «تماماً. إذا لم يلفت انتباهك شيء، فسيكون هذا رائعاً».

«الطقس غائم اليوم، ولا أظنك تستطيع أن ترى القمر، ولكن عندما يصبح صحواً، سوف ألقي نظرة. إذا تذكّرت».

شكره تنغو ووضع السماعة. إذا تذكّر. هذه هي إحدى مشكلات خريجي قسم الرياضيات. حينما يتعلق الأمر بموضوعات لا تشغل اهتمامهم، تصبح ذاكرتهم فجأة قصيرة المدى.

عندما كانت ساعات الزيارة تنتهي ويغادر تنغو المصحة كان يُودِّع الممرضة تمورا، الموجودة في مكتب الاستقبال، قائلاً: «أشكرك. طابت ليلتك».

سألته، وهي تضغط على جسر نظارتها الذي يعلو أنفها. «كم

يوماً آخر سوف تمكث هنا؟» كان يبدو أنها أكملت نوبة عملها، لأنها كانت قد بدَّلت زيّ العمل وارتدت تنورة أرجوانية داكنة ذات ثنايا، وبلوزة بيضاء وقميصاً رمادي اللون من ماركة كارديجان.

توقف تنغو وفكّر للحظة: «لا أدري. هذا يتوقف على الكيفية التي تسير بها الأمور».

«هل ما زلت تستطيع الحصول على إجازة من عملك؟».

«لقد طلبت من زميل أن ينوب عني في محاضراتي، ولذلك أستطيع البقاء هنا بعض الوقت».

سألته الممرضة: «أين تتناول طعامك عادةً؟».

أجاب: «في أحد مطاعم البلدة. إنهم في النُّزل لا يقدمون سوى وجبة الإفطار، ولذلك أذهب إلى مكان آخر بالقرب وأتناول ما يقدمونه من طعام، أو أطلب طبق أرز، أو ما شابه».

«هل هو طعام طيب؟».

«لا أظن. ولكني لا أدري فعلاً كيف يبدو مذاقه».

قالت الممرضة، وهي تبدو مستاءة: «هذا ليس معقولاً. يجب أن تتناول طعاماً أفضل. أعني - انظر، وجهك في هذه الأيام يذكّرني بحصان ينام واقفاً».

سألها تنغو مستغرباً: «حصان ينام واقفاً؟».

«الأحصنة تنام واقفة. ألم ترَ ذلك في حياتك؟».

هز تنغو رأسه. «لا، لم أرها قط».

قالت الممرضة متوسطة العمر: «وجوهها تبدو مثل وجهك. اذهب وانظر إلى وجهك في المرآة. للوهلة الأولى لا يمكنك أن تجزم بأنها نائمة، وإذا دقّقت النظر فسوف ترى أعينها مفتوحة، ولكنها لا ترى أيّ شيء من حولها».

«وهل تنام الأحصنة وعيونها مفتوحة؟».

أومأت الممرضة بشدة: «مثلك تماماً».

فكر تنغو للحظة في الذهاب إلى الحمَّام كي ينظر إلى نفسه في المرآة، ولكنه عدَل عن ذلك. «أدرك ذلك. سوف أحاول أن أتناول طعاماً أفضل من الآن فصاعداً».

«هل لديك رغبة في الخروج وتناول بعض اللحم المشوي؟».

«لحم مشوي؟» لم يكن تنغو يتناول اللحوم بكثرة. وفي العادة لم يكن يشتهيها. ولكن أمَّا وقد عرضت عليه ذلك، رأى أنه قد يكون حسناً أن يتناول بعض اللحم على سبيل التغيير. ربما يكون جسده فعلاً يصرخ طلباً لنمطٍ غذائي أفضل.

«جميعنا كنا نتحدث عن الخروج الآن لتناول بعض اللحم المشوي. يجب أن تنضم إلينا».

«جميعنا؟».

«هناك زميلتان أُخريان سوف تنهيان عملهما في السادسة والنصف وسوف نجلس معاً بعد ذلك. سوف نكون ثلاثة. هل ترغب في الانضمام إلينا؟».

كانت الممرضتان الأخريان هما الممرضة أومورا والممرضة أداتشي. كان يبدو أن ثلاثتهن يستمتعن بالوقت الذي يقضينه معاً، حتى بعد انتهاء ساعات العمل. فكَّر تنغو ملياً في مسألة الخروج معهن لتناول اللحم المشوي. لم يكن يودّ أن يخلّ بنمط حياته البسيط، ولكنه لم يجد عذراً معقولاً كي يرفض. كان واضحاً لهن أنه في مثل هذه البلدة سوف يكون لدى تنغو وقت فراغ كبير.

«إذا لم يكن وجودي سوف يسبِّب لكِ أيّ ضيق».

قالت الممرضة: «بالطبع، لن تسبب أيّ ضيق. وأنا لا أدعو

أحداً للخروج معي إذا ظننت أنه سوف يسبب لي ضيقاً. فلا تتردد في القدوم معنا. سوف يكون لطيفاً أن يصحبنا شاب قوي على سبيل التغيير».

قال تنغو بصوت تشوبه نبرة من عدم اليقين: «حسناً، أنا شاب قوي، بالتأكيد».

قالت الممرضة، وكأنها تعبِّر عن رأي اختصاصي: «هذا هو أهم شيء».

لم يكن من السهل أن تكون الممرضات الثلاث خارج العمل في آنٍ واحد، ولكنهن كن يفعلن ذلك مرّة في الشهر. كانت ثلاثتهن يقصدن البلدة، حيث يتناولن بعض الطعام الطيب، ويحتسين الشراب، ويدندِنَّ ببعض أغاني الكاريوكي، حيث يُروِّحن عن أنفسهن ويطلقن العنان لمشاعرهن. لقد كُنَّ قطعاً بحاجة إلى تغيير الأجواء التي يعشن فيها. كانت الحياة في هذه البلدة الريفية تبعث على الضجر، وفيما عدا الأطباء والممرضات الأخريات في العمل، فإنهن لا يرين سوى العجائز، هؤلاء الذين جرَّف الكِبَر ذاكرتهم وانعدمت لديهم علامات الحياة.

أكلت الممرضات الثلاث وتمادين في الشراب، ولم يستطع تنغو أن يُجاريهن في ذلك. وبينما أصبح ثلاثتهن أكثر حيوية ومرحاً، جلس تنغو بجوارهن يتناول في صمت بعض اللحم المشوي ويرتشف القليل من البيرة حتى لا يثمل. غادرت الممرضات المطعم وذهبن إلى إحدى الحانات حيث اشترين قنينة من الشراب وأخذن يدندنّ بأغاني الكاريوكي. كانت الممرضات الثلاث يتناوبن في أداء أغنياتهن المفضّلة ويقمن ببعض الحركات الراقصة. كان تنغو متأكداً من أنهن

تمرَّن على ذلك، حتى بلغن تلك الدرجة من الإجادة. لم يكن تنغو يجيد غناء الكاريوكي ومع ذلك استطاع أن يؤدي أغنية واحدة كان يتذكّر بعض كلماتها.

كانت الممرضة أداتشي تميل عادة إلى التحفّظ، ولكنها بعد قليل من الشراب، أصبحت أكثر جرأة وحيوية. وما أن ثملت قليلاً حتى تلوَّنت وجنتاها الحمراوان بسمرة تنبض بالحيوية. وراحت تلقي نكاتاً سخيفة واحدة تلو أخرى ثم تُلقي بظهرها إلى الوراء، بشكلٍ يبدو طبيعياً للغاية، كي تسند رأسها إلى كتف تنغو. أمّا الممرضة أومورا فقد ارتدت ثوباً خفيفاً أزرق اللون وأسدلت شعرها. بدت أصغر بمقدار ثلاث أو أربع سنوات وتغيرت نبرة صوتها. خففت من همّتها المعهودة وجدِّيتها التي تُعرف بها في العمل، وأصبحت بطيئة الحركة، كما لو أنها قد اتخذت شخصية أخرى. وأمَّا الممرضة تمورا، بنظارتها ذات الإطار المعدني، فهي الوحيدة التي ظلّت كما كانت دائماً في مظهرها وتصرفاتها.

قالت الممرضة أومورا: «تركتُ أطفالي الليلة مع جارة لي. وزوجي عنده نوبة عمل ليلية. يجب على المرء أن ينتهز أوقاتاً كهذه كي يخرج ويمرح. من المهم أن ينأى المرء بنفسه عن كلّ شيء من حين إلى آخر. ألا توافقني يا تنغو؟».

بدأت الممرضات الثلاث ينادينه باسمه الأول. كان معظم المحيطين به يفعلون ذلك بشكلٍ تلقائي. وحتى طلابه كانوا يدعونه «تنغو» في غيابه.

وافقها تنغو: «نعم، بالتأكيد».

قالت الممرضة تمورا، وهي ترتشف كوباً من الشراب: «يجب أن نخرج من وقت لآخر. فنحن على أية حال من دم ولحم».

قالت الآنسة آداتشي وهي تقهقه: «حينما نخلع زي العمل نصبح نساء طبيعيات».

قالت الممرضة أومورا: «أخبرني يا تنغو، هل تسمح لي أن أسألك هذا السؤال؟».

«أي سؤال؟».

«هل لديك صديقة تواعدها؟».

قالت الممرضة أداتشي وهي تمضغ بعض المكسرات بأسنانها البيضاء الكبيرة: «نعم، أخبرنا».

قال تنغو: «هذا ليس أمراً سهلاً يمكنني الحديث عنه».

قالت الممرضة تمورا: «لا يهم إن كان أمراً ليس من السهل الحديث عنه. لدينا وقت طويل، ونودّ أن تحدّثنا عن ذلك. أنا متشوقة للاستماع إلى هذه الحكاية التي يصعب الحديث عنها».

قالت الممرضة أداتشي وهي تصفق بخفة وتقهقه: «حدثنا، حدثنا!».

«إنها ليست حكاية مثيرة إلى هذا الحدّ، بل حكاية مبتذلة وبلا مغزى».

قالت الممرضة أومورا: «حسناً، ادخل في صلب الموضوع مباشرة. هل لديك صديقة أو لا؟».

استسلم تنغو: «حالياً، لا أواعد أيّ أحد».

قالت الممرضة تمورا: «مممم». راحت تقلب الثلج في كوبها بإصبعها ثم تلعقه. «هذا لا يجوز. هذا لا يجوز مطلقاً. رجل في شبابك وحيويتك من دون صديقة، يا للخسارة».

قالت الممرضة الضخمة أومورا: «وليس مفيداً لصحتك، أيضاً. إذا احتفظت به داخلك مدة طويلة، فسوف تُصاب بالجنون».

كانت الممرضة الصغيرة أداتشي لا تزال تقهقه وقالت وهي تضرب بيدها على جبهتها: «سوف تُصاب بالجنون».

قال تنغو بنبرة تبريرية: «كنت أتّخذ صديقة حتى وقت قريب».

قالت الممرضة تمورا، وهي تدفع جسر نظارتها لأعلى: «ولكنها تركتك؟».

أومأ تنغو.

«هل تقصد أنها هجرتك؟».

قال تنغو، وقد أمال رأسه: «لا أدري. ربما فعلت ذلك. أعتقد أنها ربما هجرتني».

سألته الممرضة تمورا، وقد ضيّقت عينيها: «هل كانت تكبرك سناً بكثير؟».

قال تنغو: «نعم، كانت كذلك». كيف تسنى لها أن تعرف.

قالت الممرضة تمورا وهي تنظر متباهية إلى الممرضتين الأخريين: «ألم أقُل لكما». فأومأتا برأسيهما.

قالت الممرضة تمورا: «أخبرتهما أنكَ كنت تواعد امرأة تكبرك سناً. النساء يمكنهن أن يتشمّمن هذه الأشياء».

قالت الممرضة أداتشي: «يتشمَّمن يتشممن».

قالت الممرضة أومورا بنبرة متكاسلة: «وفوق ذلك، ربما كانت متزوجة بالفعل. هل أنا على صواب؟».

تردَّد تنغو للحظة ثم أومأ. لا جدوى من الكذب.

قالت الممرضة أداتشي وقد وكزته في فخذه: «يا لك من شرير».

«بكم سنة كانت تكبرك؟».

قال تنغو: «بعشر سنوات».

صاحت الممرضة أومورا: «غير معقول يا إلهي!».

قالت الممرضة تمورا وهي نفسها أُم: «إذاً، كانت تحبك امرأة متزوجة وتكبرك سناً وذات خبرة. يجب أن أحسدها. ربما عليّ أن أقوم بذلك بنفسي. وأقدِّم بعض العزاء لتنغو الشاب الوحيد اللطيف. ربما لا أبدو مناسبة، ولكني لا أزال أحتفظ بجسد بالغ الجمال».

أمسكت بيد تنغو وهمّت أن تضغط بها على ثدييها. تمكّنت المرأتان الأخريان من إيقافها. حتى إذا أردتِ التحرّر من القيود، فإن هناك خطأً لا ينبغي تجاوزه بين الممرضة وقريب لأحد المرضى. بدا أنّ هذه هي الكيفية التي يفكّرن بها، أو لعلهن كنّ يخشين أن يَراهنّ أحدٌ. كانت البلدة صغيرة، وتنتشر فيها الشائعات سريعاً. وربما كان زوج الممرضة تمورا من النوع الغيور. وكان تنغو لديه ما يكفي من المشكلات ولم يكن يرغب في المزيد.

قالت الممرضة تمورا، وهي تحاول أن تغيّر الموضوع: «أنتَ شخص تستحق الإعجاب. قطعت كلّ هذا الطريق إلى هنا، وتجلس بجوار سرير والدك كلّ يوم بالساعات وتقرأ له بصوت عالٍ... لن تجد كثيرين يفعلون ذلك».

أمالَت الممرضة الشابة أداتشي رأسها قليلاً: «أتفق معك، إنه فعلاً يستحقّ الإعجاب. وأنا أحترمك فعلاً من أجل ذلك».

قالت الممرضة تمورا: «لعلّك تعرف، نحن دائماً نمتدحك».

احمرّ وجه تنغو خجلاً. إنه لم يأتِ إلى هذه البلدة كي يعتني بوالده، ولكنه يمكث هنا آملاً في رؤية الشرنقة الهوائية مرة أخرى، والضوء الخافت الذي انبعث منها، وأَوْمَامِه وهي في هيئتها النائمة بداخلها. هذا هو السبب الوحيد الذي أبقاه هنا. لم تكن رعاية والده الغائب عن الوعي سوى حجّة. ولكنه لم يستطِعْ أن يفصح عن هذه

الحقيقة. وإذا فعل ذلك، فسوف يتعيَّن عليه أن يشرح أولاً ما هي الشرنقة الهوائية.

«لأنني لم أقدِّم له أي شيء حتى الآن»، قال ذلك وهو يحرّك جسمه الضخم في كرسي خشبي ضيق، وقد بدا عليه عدم الارتياح. ولكن الممرضات رأين في ذلك تواضعاً كبيراً منه.

أراد تنغو أن يتعلَّل بأن النوم يغالبه حتى يمكنه النهوض والعودة إلى النُزل، لكنه لم يجد الفرصة المناسبة. لم يكن من ذلك النوع الذي يمكنه الإصرار على شيء.

قالت الممرضة أومورا: «نعم، ولكن..». ثم نظفت حنجرتها. «حتى نعود إلى ما كنا نتحدث فيه، أودّ أن أسألك لماذا انفصلتما أنت وتلك المرأة المتزوجة التي تكبرك بعشر سنوات. وهل كنتما منسجمين؟ وهل عرف زوجها شيئاً؟».

قال تنغو: «لا علم لي بالسبب. في لحظة ما توقفتْ عن الاتصال، ومنذ ذلك الحين لم أتلقَّ منها أي اتصال».

قالت الممرضة أداتشي: «لا أدري إن كانت قد سئمتك».

هزّت الممرضة أومورا رأسها. ورفعت سبابتها لأعلى، والتفتت إلى زميلتها الأصغر سناً: «ما زلت لا تعرفين شيئاً عن هذه الأمور. أنت لا تفهمين شيئاً. امرأة متزوجة وفي الأربعين من عمرها تنتزع شخصاً مفعماً بالحيوية واللطف وفي ريعان شبابه وتجد معه حظّها من المتعة كاملاً لا تأتي إليه وتقول: أشكرك. أمضيت معك وقتاً ممتعاً. وداعاً! هذا مستحيل. بالطبع، العكس هو ما قد يحدث».

قالت الممرضة أداتشي، وهي تُميل رأسها بدرجة صغيرة: «هل هذا صحيح؟ أظن أنني ساذجة بعض الشيء».

قالت الممرضة أومورا: «نعم، هذه هي الحقيقة». حملقت في تنغو مدة، وكأنها تتراجع مبتعدة عن نصب تذكاري من الحجر كي تتفحص ما نقش عليه من كلمات. ثم أومأت: «حينما تكبرين قليلاً سوف تفهمين».

قالت الممرضة تمورا: «آه، لقد انقضى زمن طويل،» ثم غاصت أكثر في كرسيها.

استغرقت الممرضات الثلاث لبعض الوقت في حديث حول المغامرات الجنسية لامرأة أخرى لم يكن تنغو يعرفها (ممرضة أخرى، حسبما خمَّن). وبينما كان تنغو ممسكاً بكوب من الشراب في يده، راح يتأمل هؤلاء الممرضات الثلاث، وقد استحضر الساحرات الثلاث في مسرحية ماكبث. هؤلاء اللائي كن يُصحنَ «قد بات الجميل قبيحاً، والقبيح جميلاً»، وهن يملأن رأس ماكبث بطموحات الشر والسلطة. ولكن تنغو لم يكن يرى في الممرضات الثلاث مخلوقات شريرة. فقد كن نساء لطيفات ومخلصات، ويجتهدن في عملهن ويقدمن لوالده أفضل رعاية. ولأنهن كن يرهقن أنفسهن في العمل ويعشنَ في هذه البلدة الصغيرة التي تبعث على الضجر، فلا بد أن يُروّحن عن أنفسهن، كما اعتدن، مرة كلّ شهر. ولكنه عندما رأى كيف تتلاقى مستويات الطاقة لدى هؤلاء النسوة الثلاث، رغم انتمائهن لأجيال مختلفة، لم يجد بُداً من أن يستحضر مستنقعات اسكتلندا - حيث تدلهمّ السماء وتتلبّد بالغيوم فيما تعصف الرياح الباردة والأمطار بالمروج.

كان قد قرأ مسرحية **ماكبث** أثناء دراسته في الكلية ضمن مقرَّر اللغة الإنجليزية، وعلى نحو ما علقت في ذاكرته بضعة أسطر.

أشعر بوخز في إصبعيّ إبهامي
وإنه لدليل على شيء قادم، ومعه شرّ وبيل
فافتحي يا أقفال،
لكلّ طارقٍ يطرق الأبواب.

لماذا لا يتذكر سوى هذه الأبيات؟ لم يستطِعْ حتى أن يتذكر مَن الذي تحدّث بها في المسرحية. ولكنها جعلت تنغو يستحضر محصِّل الاشتراكات اللحوح في 'إن إتش كيه'، وهو يطرق باب شقته في كوينجي. نظر تنغو في إصبعيّ إبهامه. لم يشعر بأيّ وخز فيهما. ومع ذلك، كان للقافية البارعة التي جاء بها شكسبير رنين مشؤوم.

وإنه لدليل على شيء قادم ومعه شرٌّ وَبِيل...

تمنى تنغو ألا تفتح فوكا-إري الباب لأيّ أحد.

الفصل السابع

يوشيكاوا

أنا في طريقي إليكِ

اضطرّ يوشيكاوا للتوقّف فترة عن جمع المزيد من المعلومات عن الأرملة العجوز التي تقطن حي أزابو. كانت تحيط نفسها بإجراءات أمنية بالغة الصرامة، وأدرك أنه سوف يرتطم بجدار عالٍ أينما ولّى وجهه. كان يريد معرفة المزيد عن دار الأمان، ولكنه وجد أنّ تسكّعه في المنطقة أكثر من ذلك سوف يكون عملاً محفوفاً بالمخاطر. كانت توجد كاميرات مراقبة، وبالنظر إلى ملامحه، فإن يوشيكاوا يسهل تمييزه جداً. عندما يتوخى الطرف الآخر الحذر، تصبح الأمور أصعب قليلاً، ولذلك قرَّر أن يبقى بعيداً عن بيت الصفصاف ويجرب نهجاً مغايراً.

لكن النهج المغاير والوحيد الذي يمكن أن يسلكه هو أن يتحرى عن أَوْمَامِه مرة أخرى. وقد سبق له أن طلب من شركة تحريات خاصة كان قد عمل معها أن تجمع له المزيد من المعلومات عنها، وساهم هو نفسه ببعض المجهود في ذلك، وطرح بعض الاستفسارات على أشخاصٍ يعرفونها. لم يظهر لديه أيّ شيء غامض أو يُثير الشكوك. قطب يوشيكاوا جبينه، وتنهّد تنهيدة عميقة. وقال في نفسه، **لا بدّ أن شيئاً ما قد فاتني. شيئاً مهماً.**

أخرج يوشيكاوا دفتر عناوين من درج في مكتبه واتصل برقم هاتف. كان كلما احتاج إلى معلومات لا يمكنه الحصول عليها إلّا بطريقة غير قانونية، فهذا هو الرقم الذي يلجأ إليه. كان الرجل الذي يحدِّثه على الطرف الآخر يعيش في عالم أشدّ عتمة من ذاك الذي يعيش فيه يوشيكاوا. وما دمت تدفع له، فإنّ بوسعه أن ينقِّب لك عن أيّ معلومات تحتاجها. وكلما كانت المعلومات أكثر تأميناً، زادت أتعابه.

كان يوشيكاوا يسعى للحصول على نوعين من المعلومات. النوع الأول عن شخصية والديّ أَوْمَامِه اللذين كانا لا يزالان عضوين ملتزمين في جماعة الشهود. وكان يوشيكاوا يدرك أنّ الشهود يحتفظون بقاعدة بيانات مركزية تتضمن معلومات عن جميع أعضائها. كان لديهم عدد كبير من الأتباع في شتى أنحاء اليابان، ولذلك كان يتم تداول قدر كبير من المعلومات بين مقر الجماعة وفروعها. ومن دون قاعدة بيانات مركزية، لا يمكن للنظام أن يعمل بسلاسة. كان المقرّ الرئيس للجماعة يقع في ضواحي أوداوارا حيث يمتلكون مبنى رائعاً على قطعة أرضٍ كبيرة، ولديهم مطبعتهم الخاصة لطباعة الكُتيبات، وقاعة للمحاضرات ومرافق لاستقبال الضيوف من جميع أنحاء البلاد. كانت جميع المعلومات الخاصة بهم يتمّ استخراجها من هذا المكان، ويمكنك أن تكون على يقين بأنه يخضع لرقابة صارمة.

أمّا النوع الثاني من المعلومات فهو الملفّ الوظيفي لأَوْمَامِه في النادي الرياضي. كان يوشيكاوا يريد معرفة تفاصيل وظيفتها هناك، وأسماء زبائنها الخاصين. فهذا النوع من المعلومات لن يكون مُؤَمَّناً بشدة. ليس معنى ذلك أنه يمكنك الوصول إليها بسهولة، كأن تقول: «هل يمكنك أن تعطني ملف أَوْمَامِه من فضلك؟»، فيسلّمونه لك بكلّ أريحية.

ترك يوشيكاوا اسمه ورقم هاتفه على الجهاز. وبعد ثلاثين دقيقة تلقى مكالمة منه.

قال صوت أجشّ: «السيد يوشيكاوا».

أطلَعَه يوشيكاوا على تفاصيل ما يبحث عنه. لم يكن قد التقى الرجل في الواقع قطّ. كانا دائماً ما يؤديان الأعمال عبر الهاتف، فيما يتمّ الحصول على المواد عبر التسليم الخاص. كان صوت الرجل مبحوحاً قليلاً، ومن حين إلى آخر ينظّف حنجرته. ربما كان يعاني مشكلة ما في حنجرته. كان هناك دائماً صمت تام في الطرف الآخر من الخط، كما لو كان يتحدث من غرفة عازلة للصوت. ولذلك لم يكن يوشيكاوا يسمع سوى صوت الرجل وصوت أنفاسه. أمّا عدا ذلك، فلا شيء. وكانت الأصوات التي يسمعها غالباً أصواتاً مكبّرة قليلاً. كان يوشيكاوا يقول في نفسه كل مرة، يا له من شخص بغيض. هذا العالم مليء بالأشخاص البغيضين، وهو يعي تماماً أنه من وجهة نظر موضوعية، فإنّ هذه الفئة سوف تشمله هو أيضاً. وكان يُسمي الرجل سراً باسم ’خُفاش‘.

قال ’خُفاش‘ بصوت مبحوح: «في كلتا الحالتين، أنت إذاً تبحث عن معلومات تخصّ الاسم أَوْمَامِه، أليس كذلك؟» ثم نظف حنجرته.

«هذا صحيح. إنه اسم غير عادي».

«هل تريد كل المعلومات التي يمكنني الوصول إليها؟».

«ما دامت تخصّ الاسم أَوْمَامِه، فأنا أريد كلّ شيء. وإذا أمكنكَ، فأنا أرغب أيضاً في صورة شخصية لها، لقطة تكشف وجهها».

«لا بدّ أنه من السهل الوصول إلى هذه المعلومات في النادي الرياضي. فهم لا يتوقعون أن يسرق أحد بياناتهم. لكن الوضع

يختلف تماماً مع جماعة الشهود. فهي منظمة ضخمة، ولديها مال كثير، وإجراءات أمنية مشددة. والمنظمات الدينية من أكثر المجموعات التي يصعُب اختراقها. فهم يحيطون شؤونهم بالسرية لحماية الأمن الشخصي للأعضاء، كما أنّ لديهم دائماً مشكلات ضريبية».

«هل تعتقد أنّ بإمكانك عمل ذلك؟».

«هناك طرقٌ لفتح الباب. ولكن الأصعب هو التأكّد من إغلاقه بعد ذلك. إذا لم تفعل، فسوف تجلب على نفسك صاروخاً موجّهاً يتعقبك».

«لقد جعلت الأمر يبدو وكأنه حرب».

قال الرجل بصوتٍ خشن: «إنه كذلك بالفعل. وقد تُباغِتنا بعض الأشياء المخيفة». كان باستطاعة يوشيكاوا أن يخمِّن من نبرة صوت الرجل أنه يجد متعة في هذه المعركة.

«إذاً سوف تتحمّل ذلك عني؟».

نظّف الرجل حنجرته بشكلٍ خفيف: «نعم. ولكن ذلك سوف يكلفك».

«كم المبلغ الذي نتحدث عنه، تقريباً؟».

أعطاه الرجل تقديراً للمبلغ. كان على يوشيكاوا أن يزدرد قبل أن يقبل بالمبلغ. لقد اقتطع من ماله الخاص كي يغطي تكلفة الحصول على هذه المعلومات، وإذا نجح الرجل في مهمته، فسيكون بوسعه لاحقاً أن يستردّ هذا المال.

«كم من الوقت سوف يستغرق ذلك؟».

«أظن أن هذه المهمة مستعجلة؟».

«هذا صحيح».

«من الصعب أن أحدِّد وقتاً دقيقاً، ولكني أتوقع لها ما بين أسبوع وعشرة أيام».

قال يوشيكاوا: «رائع». يجب أن يدع 'خُفاش' يحدِّد وتيرة عمله.

«عندما أنتهي من جمع المواد، سوف أتصل بك. بالتأكيد سوف أتصل بك قبل مرور عشرة أيام».

قال يوشيكاوا: «ما لم يدركك صاروخ».

قال 'خُفاش' بضجرٍ تام: «بالضبط».

بعد أن وضع يوشيكاوا السماعة، مال يوشيكاوا على مكتبه، وراح يقلب الأمور في ذهنه. لم يكن يدري كيف سيتحايل 'خُفاش' للحصول على المعلومات من أبواب خلفية. حتى لو وجّه أسئلة، فهو يعلم أنه لن يحصل على جواب. الشيء الوحيد المؤكّد هو أنه يسلك طُرقاً غير قانونية. سوف يبدأ بمحاولة رشوة شخص ما في الداخل. وإذا لزم الأمر فقد ينتهك المحظور. وإذا كانت المعلومات محفوظة على أجهزة حاسوب آلي، فسوف تتعقّد الأمور.

لم يكن يوجد سوى قليلٍ من الإدارات الحكومية والشركات التي تدير معلوماتها عبر أجهزة حاسوب آلي. فذلك يتكلّف مالاً كثيراً ويتطلب جهداً كبيراً. ولكن منظمة دينية واسعة الانتشار وتغطي جميع أنحاء البلاد، سوف يكون لديها الموارد اللازمة للتحوّل إلى استخدام الحاسوب. لم يكن يوشيكاوا نفسه يعرف أي شيء تقريباً عن أجهزة الحاسوب. لكنه كان يدرك أن هذه الأجهزة أصبحت وسيلة لا غنى عنها لجمع المعلومات. وقد تصبح الطرق السابقة للحصول على المعلومات، مثل الذهاب إلى المكتبة الوطنية، والجلوس وسط أكوام

من النسخ القديمة المجمّعة للصحف، أو الإصدارات السنوية، قد تصبح شيئاً من الماضي. وقد يتحوّل العالم إلى ميدان حرب، حيث تفوح رائحة الدم في كلّ مكان، وحيث يتقاتل بشراسة مديرو الحواسيب والقراصنة. ليست «رائحة الدم» بالتعبير الدقيق، هكذا رأى يوشيكاوا. إنها حرب، ولذلك من الضروري أن تكون هناك دماء تُسفك. ولكن لن توجد أيّ رائحة. يا له من عالم غريب. كان يوشيكاوا يفضّل عالماً لا تزال به الروائح والآلام، حتى لو كانت لا تُحتمل. ومع ذلك، فإنّ الأشخاص من أمثال يوشيكاوا قد يكتشفون أنهم يعيشون خارج نطاق الزمن.

ولكن يوشيكاوا لم يكن متشائماً. كانت لديه قدرة فطرية على الحدس، وكانت لديه حاسة شمّ فريدة تُتيح له أن يميز جميع أنواع الروائح. كان يمكنه أن يستشعر ببصيرته إلى أين تتجه الأمور. أما الحواسيب فلا يمكنها عمل ذلك. وهذه هي القدرة التي لا تخضع لقياس أو تنظيم. إنّ الوصول بمهارة إلى جهاز حاسوب شديد التأمين واستخلاص المعلومات منه هي مهمة القراصنة. ولكن تحديد ما هي المعلومات التي يجب استخلاصها، وكذلك غربلة كميات هائلة من المعلومات لاستخراج ما هو مفيد منها، هو شيء لا يستطيعه سوى شخص من لحم ودم.

فكر يوشيكاوا، ربما أكون دميماً وفي منتصف عمري وأعيش خارج نطاق الزمن. لا، ليس ربما. فأنا دميم بلا شك وقد بلغت منتصف العمر وأعيش خارج نطاق الزمن. ولكن لدي موهبتين لا أحد يُباريني فيهما. وما دمت أمتلك هاتين الموهبتين، ومهما كان نوع العالم الغريب الذي أجدني فيه، فسوف أبقى على قيد الحياة.

سوف أجدك يا آنسة أَوْمَامِه. لا شكّ أنك حادّة الذكاء. وبارعة

وحذرة. ولكني سوف أتعقّبك حتى أُمسكَ بك. انتظريني إذاً. أنا في طريقي إليكِ. هل تسمعين وقع خطواتي؟ لا أظنّ ذلك. فأنا أمشي كالسلحفاة، يكاد لا يصدر عني أيّ صوت. ولكني أدنو منك شيئاً فشيئاً.

لكن يوشيكاوا كان يشعر بشيء آخر يلاحقه. إنه الوقت. إنّ تعقّب أَوْمَامِه كان يعني أيضاً التحرّر من سطوة الوقت، الذي كان يطارده. كان عليه أن يقتفي أثرها سريعاً، ويتبيّن مَن الذي يدعمها، ويقدِّم كل شيء على طبق أنيق وجميل لمسؤولي ساكي جاكه. لقد منحوه مهلة زمنية محدودة. وسيكون أوان معرفة كلّ شيء قد فات، إن حدثَ ذلك بعد ثلاثة أشهر من الآن مثلاً. وحتى عهد قريب كان شخصاً له وزنه عندهم. وبالإضافة إلى كونه شخصاً متمكناً ومتعاوناً وضليعاً في المسائل القانونية، فقد كان كاتماً للأسرار. ويمكنه أن يعمل دون أن يقدِّموا له أيّ عون أو مساعدة. ولكنه في نهاية المطاف، لا يعدو أن يكون أجيراً حاذقاً يُتقن العديد من الصنائع التي يؤدّيها لهم. لم يكن واحداً منهم أو فرداً ينتمي إلى جماعتهم. كان شخصاً ليس لديه ذرّة من دين. وإذا أصبح خطراً على ديانتهم، فسوف يستأصلونه من دون تردّد.

وبينما كان ينتظر رداً من 'خُفاش'، قصد يوشيكاوا المكتبة لمطالعة تاريخ جمعية الشهود وأنشطتها. سجّل بعض الملاحظات وصوّر نسخاً من بعض الوثائق ذات الصلة. كان شغوفاً بالبحث في المكتبات. ويروقه الشعور بتراكم المعرفة في ذهنه. وهو شيء كان يجد فيه متعته منذ طفولته.

وبمجرد الانتهاء من مهمته في المكتبة، مضى إلى شقة أَوْمَامِه في

جيوجاوكا، كي يتأكّد مرة أخرى من أنه لا أحد يشغَلها. كان صندوق البريد لا يزال يحمل اسمها، ولكن لا يبدو أن أحداً يعيش فيها. مرّ بمكتب الوكيل العقاري المسؤول عن تأجيرها.

قال يوشيكاوا: «سمعتُ أنّ هناك شقة خالية في المبنى، وأودّ أن أعرف إن كان بإمكاني استئجارها».

قال الوكيل: «إنها خالية، نعم، ولكن لا أحد يمكنه أن يستأجرها قبل بداية فبراير. فعقدُ الإيجار مع الساكن الحالي لن ينتهي حتى آخر يناير المقبل. وسوف يدفعون الإيجار الشهري كما هو حتى ذلك الحين. لقد نقلوا كلّ شيء خارجها، وأوقفوا خِدمَتَي الكهرباء والماء. ولكن عقد الإيجار لا يزال سارياً».

«إذاً حتى آخر يناير، سوف يظلّون يدفعون إيجار شقة خالية؟».

قال الوكيل العقاري: «هذا صحيح. قالوا إنهم سيدفعون كامل المبلغ المستحقّ بموجب عقد الإيجار لأنهم يريدون بقاء الشقة كما هي. ما داموا يدفعون الإيجار، لا يمكننا الاعتراض».

«يا للغرابة - يضيعون المال في إيجار شقة خالية!».

«نعم، وقد أثار ذلك قلقي، فطلبتُ من المالك أن يصطحبني كي ألقي نظرة على المكان. لم أكُن أريد أن أجد في خزانة الملابس جسماً محنّطاً أو ما شابه. ولكني لم أجد شيئاً. وجدتُ المكان وقد نُظف بشكلٍ جيد. وكانت الشقة فارغة تماماً. لكن لا أدري شيئاً عن الظروف التي دفعتهم لذلك».

ليس ثمة شك أنّ أَوْمَامِه لم تعُد تسكن الشقة. ولكن لسببٍ ما أرادوا أن تظلّ مستأجرة لها اسمياً، وهذا هو ما جعلهم يدفعون القيمة الإيجارية لأربعة أشهر في شقة فارغة. بغضّ النظر عمّن يكونون، فهم أشخاص حذرون، ولا يأبهون بالمال.

بعد عشرة أيام بالضبط، وفي بداية فترة ما بعد الظهيرة، اتّصل 'خُفاش' بمكتب يوشيكاوا في كوجيماشي.

قال الصوت الأجش: «سيد يوشيكاوا؟» وفي الخلفية، كان هناك الفراغ المعتاد والانعدام التام لأيّ صوت.

«أنا هو».

«هل لديك من مانع إذا تحدثنا الآن؟».

قال يوشيكاوا «تفضل».

«واجهتني تدابير أمنية مشدّدة فيما يخصّ جماعة الشهود. ولكني كنت أتوقّعها. ولذلك استطعتُ الوصول إلى المعلومات التي تخصّ أَوْمَامِه».

«هل هناك صاروخ موجه يتعقبك؟».

«حتى الآن، لا».

«يسرّني سماع ذلك».

قال الرجل وقد نظّف حنجرته عدة مرات: «سيد يوشيكاوا. أنا آسف جداً، ولكن هل بإمكانك أن تطفئ السيجارة؟».

«السيجارة؟» سأله، وهو ينظر إلى سيجارة سفن ستارز التي بين أصابعه. كان عمود الدخان يتصاعد في هدوء نحو السقف. «أنت على حق، إنني أدخن، ولكن كيف عرفت ذلك؟».

«بالطبع لا يمكنني أن أشمّ رائحتها. ولكن مجرد سماعي لأنفاسك يجعلني أجد صعوبة في التنفس. لديّ حساسية شديدة من الدخان».

«لم أنتبه لذلك. تقبّل اعتذاري».

نظف الرجل حنجرته عدة مرات: «أنا لا ألومك، يا سيد يوشيكاوا. ولا أتوقع منك الانتباه لذلك».

سحق يوشيكاوا السيجارة في منفضة السجائر وسكبَ عليها بعض الشاي الذي كان يشربه. ثم نهض من مكانه وفتح النافذة على مصراعيها.

«أطفأتُ السيجارة، وفتحت النافذة، وسمحت بدخول بعض الهواء النقي. لكن هذا لا يعني أن الهواء بالخارج شديد النقاء».

«آسف على إزعاجك».

استمرّ الصمت لعشر ثوان. وساد هدوء تام.

سأله يوشيكاوا: «إذاً، فقد تمكّنت من الحصول على المعلومات التي تخصّ جماعة الشهود؟».

«نعم. معلومات كثيرة، في الواقع. أسرة أَوْمَامِه أسرة متديّنة، وهم أعضاء في الجماعة منذ زمن، ولذلك وجدتُ الكثير من المواد المتعلّقة بهم. ربما يكون من الأسهل أن أعطيكَ الملفّ كله، كي تقرِّر أنتَ بنفسك ما هو المهم وما هو دون ذلك».

وافق يوشيكاوا. كان ذلك هو ما يأمله.

«أما عن النادي الرياضي فلم يكُن عقبة كبيرة. المهم هناك أن تفتح الباب، وتدخل، ثم تؤدي مهمّتك، وتغلقه مرة أخرى، وهذا هو ما جرى. كان الوقت محدوداً نوعاً ما، ولذلك جمعت كلّ ما أستطيع. لديّ معلومات كثيرة عنه أيضاً. سوف أرسل مجلداً به مجموعتين من المواد. كالمعتاد، مقابل أتعاب».

دوّن يوشيكاوا الأتعاب التي ذكرها 'خُفاش'. كانت تزيد بنحو 20 في المائة عن تقديره السابق. لم يكن لديه خيار آخر.

«لا أريد استخدام البريد هذه المرة، لذلك سوف يحمله ساعٍ إلى مكتبك غداً. أرجو أن يكون المبلغ جاهزاً. وكالمعتاد، لا تنتظر إيصالاً بالاستلام».

أجاب يوشيكاوا: «لا بأس».

«لقد ذكرتُ هذا من قبل، ولكنني سوف أكرّره فقط للتأكيد. لقد تمكَّنت من الحصول على جميع المعلومات المتاحة حول الموضوع الذي طلبتَ مني النظر فيه. لذلك حتى إذا لم تنَل هذه المعلومات رضاك، فأنا لستُ مسؤولاً. فعلتُ كلّ ما هو ممكن من الناحية الفنية. والمال الذي تدفعه هو تعويض عمّا أنفقت من وقتي وجهدي، وليس النتائج. لذلك أرجو عدم مطالبتي بردّ المال إذا لم تجد المعلومات التي تبحث عنها. وأودّ منك أن تقرّ بهذه النقطة».

أجاب يوشيكاوا: «أُقرّ بها».

قال خُفاش: «يوجد شيء آخر وهو أني لم أتمكن من الحصول على صورة للآنسة أَوْمَامِه، رغم محاولاتي الكثيرة. تمَّت إزالة جميع صورها بعناية».

قال يوشيكاوا: «مفهوم. لا بأس بذلك».

علَّق خُفاش: «ربما يكون وجهها قد اختلف الآن».

قال يوشيكاوا «ربما ذلك».

نظف خُفاش حنجرته عدّة مرات وقال: «حسناً، هذا هو كلّ شيء»، ثم وضع السماعة.

وضع يوشيكاوا السماعة في مكانها، وتنهّد، ثم وضع سيجارة جديدة بين شفتيه. أشعلها بقداحته، وراح ينفث دخانها ببطء في اتجاه الهاتف.

في ظهيرة اليوم التالي، حضرت إلى مكتبه امرأة شابة. لم تكن على الأرجح قد بلغت العشرين من عمرها. كانت ترتدي فستاناً قصيراً أبيض اللون ويكشف تضاريس جسدها، ويتماشى مع حذائها الأبيض

عالي الكعبين وأقراط اللؤلؤ الأبيض. كانت شحمتا أذنيها كبيرتين مقارنة بوجهها الصغير. أما طولها فكانت بالكاد تبلغ خمسة أقدام. وكانت ذات شعر مسدل وطويل، وعينين واسعتين وبرّاقتين. كانت تبدو وكأنها إحدى الجنيّات. نظرت المرأة مباشرة إلى يوشيكاوا وابتسمت ابتسامة مفعَمَة بالبهجة والحميمية، كما لو كانت تشاهد شيئاً ثميناً لن تنساه أبدا. ظهرت أسنانها البيضاء المتناسقة من بين شفتيها الصغيرتين لتنبئ عن سرورها. ربما كانت مجرّد ابتسامة مصطنعة لمقتضيات العمل. قليلون للغاية هم مَن لم يجفلوا حينما يرون يوشيكاوا وجهاً لوجه للمرة الأولى.

قالت المرأة: «ها هي المواد التي طلبتها»، وأخرجَت ظرفين كبيرين وسميكين من حقيبة قماشية تتدلى من كتفيها. ثم وكأنها إحدى كاهنات الشامان تنقل حجراً قديماً عليه نقوش، أمسكت بالظرفين أمامها، قبل أن تضعهما بعناية على مكتب يوشيكاوا.

أخرج يوشيكاوا من دُرج مكتبه ظرفاً كان جاهزاً ثم مرَّره إليها. فتحت الظرف وأخرجت رزمة بها عشرة آلاف ين، وقامت بعدها وهي واقفة في مكانها. بدت بارعة للغاية في عدّ النقود، وكانت أصابعها الجميلة النحيلة تتحرك حركة سريعة. انتهت من العد، وأعادت رزمة النقود إلى الظرف، ثم وضعت الظرف في حقيبتها. أظهرت ابتسامة أعرض وأكثر دفئاً من ابتسامتها الأولى إلى يوشيكاوا، وكأنما لا شيء يسعدها مثلما يسعدها لقاؤه.

حاول يوشيكاوا أن يتخيّل أيّ صلة يمكن أن تجمع بين هذه المرأة وخُفاش. إنها تقوم بإيصال المواد، ثم تتقاضى الثمن. ربما كان هذا هو دورها الوحيد.

بعد أن غادرت المرأة ذات الجسم الضئيل، ظلّ يوشيكاوا يحدِّق

في الباب طويلاً. كانت قد أوصدت الباب خلفها، ومع ذلك تركت وراءها في المكتب أثراً قوياً لوجودها. وفي مقابل ذلك الأثر الذي خلفته وراءها، ربما انتزعت بعضاً من روح يوشيكاوا. أصبح يمكنه أن يشعر بهذا الفراغ الجديد داخل صدره. تساءل مستغرباً، **لماذا حدث ذلك؟ وماذا يعني؟**

بعد حوالي عشر دقائق، أخرج أخيراً المواد من الظرفين المختومين بشريطٍ لاصق. كانا محشوين بخليط من الأوراق المطبوعة والوثائق المصورة والمستندات الأصلية. لم يكن يوشيكاوا يعرف كيف أنجزَ خُفاش ذلك، ولكنه استطاع بالتأكيد الوصول إلى كثير من المواد في وقت وجيز. كدأبه، فقد أدّى الرجل عملاً يبعث على الإعجاب. ومع ذلك، انتاب يوشيكاوا شعور عميق بالعجز حينما وجد نفسه في مواجهة هذه الحزمة من الوثائق. مهما قلَّب النظر فيها، هل يمكنه أن يتوصل إلى أي شيء من خلالها؟ أم لعلّه أنفق مبلغاً كبيراً من المال لمجرّد الحصول على كومة من الأوراق المهمَلَة؟ كان شعوره بالعجز عميقاً على نحوٍ لا يمكنه معه أن يرى قاع البئر مهما حدّق النظر. أصبح الغسق المعتم يغلف كلّ ما تقع عليه عينا يوشيكاوا، وكأنها إرهاصة بالموت. فكّر، **قد يكون ذلك لشيء خلّفته المرأة وراءها. أو لعله لشيء أخذته معها.**

بالرغم من ذلك، وعلى نحوٍ ما، استطاع يوشيكاوا أن يستعيد قوّته. راح يتصفّح في أناة كومة الأوراق حتى حلول المساء، وينسخ المعلومات التي يراها مهمة في دفترٍ للملاحظات، ثم يرتّبها حسب فئات مختلفة. ومع استمراره في ذلك، استطاع أن يبدِّد حالة الفتور الغامض التي انتابته. ومع حلول الظلام وإضاءته مصباح مكتبه، بات يوشيكاوا يدرك أن المعلومات تستحقّ كلّ ين دُفع لأجلها.

بدأ بقراءة الأوراق الخاصة بالنادي الرياضي. كانت أَوْمَامِه مدرِّبة تتمتع بمهارات فائقة، وتحظى بشهرة بين الأعضاء. وبالإضافة إلى الحصص التدريبية المفتوحة، كانت تقدم أيضاً حصصاً خصوصية. وبنظرة عبر جدولها اليومي، استطاع أن يعرف متى وأين وكيف كانت تدرِّب هؤلاء الزبائن. كانت أحياناً تدرِّبهم بشكل فردي في النادي، وأحياناً أخرى تذهب إليهم في منازلهم. وكانت قائمة أسماء زبائنها تضمّ مطرباً معروفاً ومسؤولاً سياسياً. وكانت الأرملة صاحبة بيت الصفصاف، شيزو أوجاتا، هي أقدم زبائنها.

لم تبدأ العلاقة بين شيزو أوجاتا وأَوْمَامِه إلّا بعد فترة وجيزة من بداية عمل الأخيرة في النادي قبل أربع سنوات، واستمرت هذه العلاقة حتى قبل اختفائها مباشرة. وهذه هي بالضبط الفترة نفسها التي أصبح خلالها المبنى السكني الواقع في بيت الصفصاف والذي يتألف من طابقين مأوى لضحايا العنف المنزلي. ربما يكون ذلك من قبيل الصدفة، وربما لا يكون. وعلى أية حال، وبحسب السجلات، يبدو أنّ علاقتهما قد توثَّقت بمرور الوقت.

ربما نشأت علاقة شخصية بين أَوْمَامِه والأرملة. هذا هو ما استشعره يوشيكاوا بحدسه. في البداية بدأت كعلاقة بين مدرب في نادٍ رياضي وزبون، ولكن في لحظة ما، تغيرت طبيعة هذه العلاقة. وبينما كان يوشيكاوا ينظر في المهام الوظيفية بحسب ترتيبها الزمني، كان يحاول تحديد هذه اللحظة. هناك حدثٌ ما أدّى إلى تحوّلٍ في العلاقة لتتجاوز مجرّد كونها علاقة بين مدرب وزبون. نشأت بينهما علاقة شخصية وثيقة تجاوزت فرق السن والمكانة. وربما يكون ذلك قد أفضى إلى تفاهم وجداني سري بين الاثنتين، تفاهم سري وضع أَوْمَامِه في نهاية المطاف على المسار الذي انتهى بمقتل الزعيم في فندق

أوكورا. هذا هو ما أدركه يوشيكاوا عبر حاسة الشم لديه.

ولكن أيّ مسار هذا؟ وأي تفاهم سري ذلك الذي توصلتا إليه؟

كان هذا هو أقصى ما يمكن لاستنتاجات يوشيكاوا أن تأخذه إليه.

كان العنف المنزلي، على الأرجح، هو أحد الدوافع التي حرّكت ذلك. ومنذ الوهلة الأولى تبدو هذه المسألة بالغة الأهمية لدى الأرملة. وبحسب السجلات، فإنّ أول تواصل بين شيزو أوجاتا وأَوْمَامِه جرى في حصّة تدريبية في فنون الدفاع عن النفس. لم يكن مألوفاً أن تتلقى امرأة في السبعينيات من عمرها تدريباً في فنون الدفاع عن النفس. لا بد أن ثمة شيئاً مرتبطاً بالعنف هو ما جمع بين السيدة العجوز وأَوْمَامِه.

أو ربما كانت أَوْمَامِه هي نفسها ضحيّة عنف منزلي. لقد كان الزعيم نفسه يرتكب أفعالاً يمكن أن تندرج ضمن نطاق العنف المنزلي. ولعلّهما اكتشفتا ذلك وقرّرتا عقابه. ولكن هذه لا تعدو أن تكون مجرد افتراضات، وهي افتراضات لم تكُن تتّسق مع صورة الزعيم لدى يوشيكاوا. لا شكّ أنّ الناس، بغضّ النظر عمّن يكونون، يحملون في أعماقهم بعض الخبايا، ولا بد أنّ الزعيم أكثر عمقاً. فهو في نهاية المطاف، القوة الدافعة وراء منظمة دينية كبيرة. وبالإضافة إلى حكمته وبراعته، لا بد أنّ لديه خبايا لا يمكن لأحدٍ آخر الاطّلاع عليها. ولكن هل يمكن القول إنه اقترف حقاً جرائم عنف منزلي؟ وهل كان لهذه الجرائم ذلك التأثير الكبير على هاتين المرأتين حتى إنهما حينما علمتا بها، خططتا لعملية اغتيال دقيقة، جعلت إحداهما تتخلى عن هويتها، فيما جعلت الأخرى تجازف بمكانتها الاجتماعية؟

الشيء الوحيد الذي لا يرقى إليه شك هو أنّ قتل الزعيم لم يُنفَّذ

بناء على نزوة. إنّ وراءه إرادة لا تلين، ودافع واضح، وخطة متطوّرة - خطة تم وَضْعُها بدقة وأُنفق فيها قدر كبير من الوقت والمال.

كانت المشكلة هي أنه لا يوجد دليل ملموس يدعم تخميناته. إنّ ما أصبح بحيازة يوشيكاوا لم يكن سوى أدلّة ظرفية تستند إلى نظريات. وهي أشياء يمكن أن يقوضها بسهولة مبدأ البساطة المعروف بنصل أوكام. لا يمكنه في هذه المرحلة أن يخبر مسؤولي ساكي جاكه بأيّ شيء. ومع ذلك أدرك أنه في سبيله للوصول إلى شيء مهم. شيء له رائحة وملمس مميزين. أصبحت جميع العناصر تشير إلى اتجاه وحيد، وهو أن ثمة شيئاً مرتبطاً بالعنف المنزلي جعل الأرملة تطلب من أَوْمَامِه قتل الزعيم، ثم تساعدها في الاختباء بعيداً عن الأنظار. وبشكل غير مباشر كانت جميع المعلومات التي قدّمها خُفاش تدعم هذا الاستنتاج.

استغرق تنقيبه في الأوراق الخاصة بجماعة الشهود وقتاً طويلاً. كانت تضم عدداً هائلاً من الوثائق، ومعظمها عديم الفائدة بالنسبة إلى يوشيكاوا. وكانت غالبيتها تقارير عن إسهامات أسرة أَوْمَامِه في أنشطة الجمعية. وبحسب محتوى هذه الوثائق، كانت أسرة أَوْمَامِه من الأتباع الملتزمين والمتدينين. فقد أمضوا معظم حياتهم في التبشير بالرسالة. وكان والداها يقيمان حالياً في إتشيكاوا في محافظة تشيبا. وخلال خمسٍ وثلاثين سنة غيّرت الأسرة مكان سُكناها مرتين، والمرتان كانتا داخل إتشيكاوا. كان والدها، تاكايوكي أَوْمَامِه (58 عاماً) يعمل لدى شركة هندسية، بينما لم تكن والدتها ياسوكو (56 عاماً) تعمل. وكان ابنهما الأكبر كييشى أَوْمَامِه (34 عاماً) يعمل لدى شركة طباعة صغيرة في طوكيو بعد تخرّجه في مدرسة ثانوية فى إتشيكاوا، ولكنه استقال

من الشركة بعد ثلاث سنوات وبدأ يعمل داخل مقرّ الشهود في أوداوارا. وهناك عمل أيضاً في الطباعة، حيث بدأ يطبع الكتيبات الدينية، وأصبح مشرفاً. وقد تزوج قبل خمس سنوات امرأة كانت هي الأخرى عضواً في جماعة الشهود. وأنجبا طفلين وعاشا في شقة مستأجرة في أوداوارا.

أمّا ملف الابنة الكبرى، ماسامي أَوْمَامِه، فقد انتهى وهي في الحادية عشرة من عمرها. وكان ذلك عندما تخلّت عن دينها. وكان يبدو أنّ الشهود لا يبدون اهتماماً على الإطلاق بأيّ أحد يترك ديانتهم. وبالنسبة لهم، كان الأمر كما لو أنّ ماسامي أَوْمَامِه قد ماتت في سنّ الحادية عشرة. بعد ذلك، لم تعُد توجد أي تفاصيل تُذكر عن حياتها بعد ذلك، أو حتى هل هي على قيد الحياة أو لا.

فكر يوشيكاوا، في هذه الحالة، فإنّ المسار الوحيد أمامي هو أن أزور والديها أو شقيقها وأسألهم. قد يقدّمون لي بعض التلميحات. بناء على الأدلة الموثّقة التي جمعَها، أصبح لا يتصور أنهم سوف يجيبون عن أسئلته. كانت أسرة أَوْمَامِه -بحسب ما يراها يوشيكاوا- أسرة منغلقة في تفكيرها وفي طريقة حياتها. كانوا أناساً لا يشكُّون لحظة في أنهم كلما ازدادوا تزمتاً، ازدادوا قرباً من ملكوت السماء. وهم يرون أنّ أيّ أحد يتخلى عن إيمانه، حتى وإن كان من ذوي القربى، فهو يسير في طريقٍ مُهلِكٍ ومدنَّس. ومَن يدري، ربما حتى يتبرؤون منه بعد ذلك.

هل كانت أَوْمَامِه ضحية لعنف منزلي وهي طفلة؟

ربما نعم، وربما لا. وحتى إن كانت قد تعرضت لهذا العنف، فإن والديها على الأرجح ما كانا لينظرا إليه باعتباره اعتداءً. كان يوشيكاوا يعرف جيداً كيف يتعامل أعضاءُ الشهود المتزمّتون مع

أطفالهم. وفي كثيرٍ من الحالات، كان ذلك يصل إلى حدّ العقاب البدني.

ولكن هل يمكن لتجربة في سنوات الطفولة أن تُحدث جرحاً بهذا العمق يدفع الشخص، حينما يكبر، لارتكاب جريمة قتل؟ لم يكن ذلك مستبعداً، ولكن يوشيكاوا اعتقد أنه قد شطّ في تخميناته.

إنّ ارتكاب عملية قتل عمد ليست بالأمر الهين حينما يعتمد القاتل على نفسه فقط. فهي قبل كلّ شيء محفوفة بالمخاطر، ولها أثر نفسي هائل. وإذا أُمسكَ بك، فسوف تنال عقابا قاسياً. لا بد أن ثمة دافعاً أقوى هو ما حرَّكها نحو ذلك.

أمسك يوشيكاوا بحزمة الوثائق وأعاد قراءة التفاصيل الخاصة بالظروف الحياتية التي صاحبت ماسامي أَوْمَامِه، حتى بلوغها سن الحادية عشرة. حالما تمكَّنت من المشي، بدأت ترافق والدتها في جولاتها التبشيرية. كانت تنتقل رفقة والدتها من باب إلى باب وهي توزِّع كتيبات تبشيرية وتُحدِّث الناس حول يوم الدينونة ونهاية العالم وتدعوهم إلى الإيمان. وهذا الإيمان يعني أنّ بإمكانك النجاة من نهاية العالم. وعندئذٍ، سوف يظهر ملكوت السماء. كانت إحدى أعضاء الكنيسة قد طرقت باب يوشيكاوا مرات عديدة. وكانت في العادة امرأة في منتصف عمرها، وتعتمر قبّعة أو تحمل مظلة. وغالباً ما ترتدي نظارة وتحدِّق بثبات في وجهه بعينين تشبهان عينيّ سمكة ذكية. وفي كثيرٍ من الأحيان كانت تصطحب طفلة. تخيّل يوشيكاوا أَوْمَامِه الصغيرة وهي تهرول برفقة والدتها من بيتٍ إلى بيت.

لم تذهب أَوْمَامِه إلى روضة أطفال، ولكنها التحقت بمدرسة ابتدائية حكومية في إتشيكاوا. وعندما كانت في الصف الخامس تركت جماعة الشهود. لم يتّضح السبب وراء خروجها من الجماعة. ولم

تسجّل الجماعة أيّ سبب يجعل أحد الأعضاء يتخلى عن إيمانه. فكلّ مَن يسقط في قبضة الشيطان يمكنه أن يبقى فيها كيفما يشاء. فالحديث عن الجنة والصراط الذي يؤدّي إليها يصبح هو الشغل الشاغل للأعضاء. فالمؤمنون لديهم عملهم الذي يؤدونه، وكذلك الشيطان لديه عمله - وكأنه مبدأ تقسيم العمل ولكن على أساس روحي.

كان ثمة شخص يطرق حاجزاً خشبياً رخيصاً داخل ذهن يوشيكاوا وينادي عليه: «يا سيد يوشيكاوا! يا سيد يوشيكاوا!» أغمض يوشيكاوا عينيه وأرهف السمع. كان الصوت خافتاً، ولكنه مستمر. فكر، **لا بد أنني أغفلت شيئاً. لا بد أنّ هناك حقيقة مهمة مسجّلة، في مكان ما، ضمن هذه الوثائق. ولكني لا أستطيع رصدها. لا بد أن هذا الصوت الطارق يودّ أن يخبرني بذلك.**

تحوّل يوشيكاوا مرة أخرى إلى هذه الكومة الكبيرة من الوثائق، ولم يعُد يكتفي بمتابعة ما كتبه، وإنما يحاول أن يتخيّل مشاهد فعلية في ذهنه. أَوْمَامِه ذات الثلاث سنوات وهي تصحب والدتها وتبشّر بالإنجيل وتنتقل من باب إلى باب. كان الناس غالباً ما يصفعون الأبواب في وجهها هي ووالدتها. وبعد ذلك التحقت بالمدرسة الابتدائية حيث واصلت التبشير. كانت تخصّص عطلة نهاية الأسبوع كلها لنشر الدين. لا وقت لديها للّعب مع أصدقائها، بل ربما ليس لها أيّ أصدقاء. ولذلك كان معظم الأطفال التابعين للشهود يتعرّضون للتنمّر والنبذ في مدارسهم. وكان يوشيكاوا قد قرأ كتاباً عن الجماعة ويدرك ذلك جيداً. وفي الحادية عشرة من عمرها تخلّت عن دينها. لا بد أنّ ذلك قد اقتضى منها قدراً كبيراً من العزم. كانت أَوْمَامِه قد تربّت في حياض الإيمان، وتشرّبت الدين منذ نعومة أظفارها، حتى تشبّعت به كلّ ذرة في كيانها، لذلك لم يكن سهلاً عليها أن تخلعه مثلما تخلع

ثيابها. كان ذلك يعني أنها سوف تعيش معزولة داخل المنزل. فلم يكونوا ليقبلوا بسهولة ابنة تخلّت عن دينهم. وبالنسبة إلى أَوْمَامِه، كان تخلّيها عن دينها يعني تخلّيها عن أسرتها.

تُرى ماذا جرى لأَوْمَامِه وهي في الحادية عشرة؟ ما الذي جعلها تتخذ هذا القرار؟

مدرسة إتشيكاوا الابتدائية. حاول يوشيكاوا أن ينطق الاسم بصوت عالٍ. **شيء ما قد حدث هناك. شيء ما وقع هناك بالتأكيد... أخذ شهيقاً قوياً. وأدرك، لقد سمعت اسم هذه المدرسة من قبل.**

لكن أين؟ لم يرتبط يوشيكاوا يوماً بمحافظة تشيبا. فقد وُلد في أوراوا، وهي مدينة في سايتاما، ومنذ ذلك الحين كان يقصد طوكيو للذهاب إلى الكلية -وفيما عدا الفترة التي أمضاها في تشورينكان، في محافظة كاناجاوا- فقد أمضى حياته كلّها داخل أحياء طوكيو الثلاثة والعشرين. لم تطأ قدمه محافظة تشيبا إلّا نادراً. وحسبما يتذكّر، فإنه لم يفعل ذلك سوى مرة واحدة، حينما قصد الشاطئ في فوتسو. **فلماذا إذاً يبدو اسم مدرسة ابتدائية في إتشيكاوا مألوفاً لديه؟**

استغرق بعض الوقت كي يتذكّر. كان يفرك رأسه المنبعج وهو يُمعن التفكير. بدأ يتلمّس الزوايا المعتمة في ذاكرته، كما لو كان يغرس يده في وحل عميق. لم يمض زمن طويل على سماعه بهذا الاسم لأول مرة، بل في واقع الأمر كان ذلك منذ مدة قصيرة. محافظة تشيبا... بلدية إتشيكاوا مدرسة ابتدائية. وأخيراً أمسك بطرف خيط دقيق.

تنغو كاوانا. إنه هو. تنغو كاوانا مِن إتشيكاوا! وأظنه أيضاً كان يذهب إلى مدرسة ابتدائية حكومية في المدينة.

تناول يوشيكاوا ملفاً عن تنغو من رفّ للمستندات. كان الملف يتضمّن موادّ جَمَعَها قبل بضعة أشهر، بناء على طلب ساكي جاكه. راح يقلّب صفحاته كي يتأكّد من أنّ تنغو كان مسجلاً في هذه المدرسة. وضع إصبعه المكتنز على اسم تنغو. كان تفكيره صائباً تماماً: لقد كانت ماسامي أَوْمَامِه تذهب إلى المدرسة الابتدائية نفسها التي كان تنغو كاوانا مسجلاً بها. وبناء على تاريخ ميلادهما، فقد كانا على الأرجح في سنة دراسية واحدة في المدرسة. أما هل كانا في فصلٍ واحدٍ أو لا، فهذا أمر يتطلب مزيداً من الاستقصاء. ولكن ثمة احتمال كبير بأنهما يعرفان بعضهما بعضاً.

وضع يوشيكاوا سيجارة سفن ستارز في فمه وأشعلها بقداحته. انتابه شعور قوي بأنّ الأمور بدأت تتكشّف. لقد بدأ يقوم بإيصال المسافات بين النقاط، ورغم أنه لم يكن يدري ما هي الصورة التي ستظهر له، إلا أنه سيكون بوسعه رؤية إطارها الخارجي عمّا قريب.

آنسة أَوْمَامِه هل يمكنك أن تسمعي وقع أقدامي؟ ربما لا، فأنا أمشي ببطء شديد. ولكني أقترب منك خطوة خطوة. أنا سلحفاة بليدة وحمقاء، ولكني بالتأكيد أمضي إلى الأمام. وقريباً جداً سوف ألمح ظهر الأرنب. ترقّبي ذلك.

اضطجع يوشيكاوا إلى الوراء وهو جالس على مكتبه، ورفع بصره إلى السقف، وترك عمود دخانٍ يتصاعد من فمه ببطء.

الفصل الثامن

أَوْمَامِه
هذا الباب لا بأس به

فيما عدا هؤلاء الرجال الذين كانوا يجلبون لها احتياجاتها في صمت كلّ ثلاثاء بعد الظهر، فإن أحداً آخر لم يطأ بقدميه شقة أَوْمَامِه في الأسبوعين التاليين. كان الرجل الذي ادّعى أنه محصّل الاشتراكات لدى 'إن إتش كيه' قد أكّد أنه سيعود. كان مصمماً على العودة، أو على الأقل هكذا بدا لأَوْمَامِه. ولكنها منذ ذلك الحين لم تسمع أيّ طرق على الباب. ربما كان مشغولاً بمسار آخر لتحصيل الاشتراكات.

في ظاهرها كانت الأيام تمضي بهدوء وسلام. لم يحدث شيء، ولم يأتِ أحد، ولم يرن الهاتف. واحترازاً، لم يكن تامارو يهاتفها إلّا في أضيق الحدود. وكانت أَوْمَامِه تُبقي الستائر مسدلة دائماً، وتحافظ على أقصى درجة ممكنة من الهدوء حتى لا تلفت إليها الانتباه. وحينما يحلّ الظلام، لم تكن تشعل إلا أنواراً خافتة.

وحتى تحافظ على أكبر قدر ممكن من الهدوء، كانت تؤدي تمارين شاقة، وتقوم يومياً بمسح أرضية الشقة، وتقضي وقتاً طويلاً في إعداد وجبات الطعام. طلبت بعض أشرطة تعلّم اللغة الإسبانية وبدأت

تراجع دروسها بصوتٍ عالٍ. كان عدم ممارستها للكلام مدة طويلة يؤدي إلى ارتخاء عضلات منطقة ما حول الفم لديها. ولذلك وجدت أنّ عليها أن تهتم بتحريك فمها قدر المستطاع، وكان التدريب على تعلم لغة أجنبية مفيداً في ذلك. كانت أَوْمَامِه تستغرق طويلاً في تخيلاتها عن أميركا الجنوبية. وإذا قُدِّر لها أن تختار مكاناً للعيش فيه، فسوف تختار بلداً صغيراً وهادئاً في أميركا الجنوبية، مثل كوستاريكا. سوف تستأجر فيلا صغيرة على الساحل وتقضي أيامها في السباحة والقراءة. وبالمال الذي كانت تكدِّسه في حقيبتها، لا بد أنها ستكون قادرة على العيش هناك لعشر سنوات، إذا ما ضبطت نفقاتها. ولم تكن تتصور أنهم سوف يتعقبونها حتى كوستاريكا.

وبينما كانت أَوْمَامِه تتدرب على المحادثة باللغة الإسبانية، راحت تتخيّل حياة هادئة وآمنة على شواطئ كوستاريكا. هل يمكن أن يلتئم شملها مع تنغو هناك؟ أغمضت عينيها وتصورت أنها هي وهو يتشمسان على شاطئ الكاريبي. كانت ترتدي بكيني أسود اللون ونظارة شمسية وتمسك بيد تنغو. ولكن الصورة كانت تفتقر إلى الحسّ الواقعي الذي يمكن أن يحرّكها. لم تكن سوى صورةٍ في كتيب سياحي عادي.

عندما انتهت ممّا يمكنها أن تؤديه من أعمال، قامت بتنظيف المسدس. اتبعت الخطوات الموضحة في الدليل وهي تقوم بفكّ أجزائه، ثم نظّفت كلّ جزء بقطعة قماش وفرشاة، وقامت بتزييته، ثم أعادت تركيب الأجزاء. تأكّدت أنّ بإمكانها القيام بذلك بسلاسة. باتت الآن تتقن هذه العملية وأصبح المسدس وكأنه جزء من جسدها.

كانت تأوي إلى فراشها في العاشرة، حيث تقرأ بضع صفحات في كتابها، ثم تنام. لم تواجه أَوْمَامِه في حياتها صعوبة في النوم.

وفي أثناء القراءة، سوف تشعر بالنعاس، فتطفئ مصباح السرير، وتريح رأسها على الوسادة، ثم تغمض عينيها. وفيما عدا مرات قليلة، كانت حينما تفتح عينيها مرة أخرى، تجد الصبح وقد طلع.

لم تكن عادة تحلم كثيراً. وحتى إن فعلت، فإنها عادة ما تنسى معظم أحداث الحلم لدى استيقاظها. وفي بعض الأحيان، كانت تجد بقايا باهتة مبهمة من حلمها وقد علقت بجدار وعيها، ولكنها لا تستطيع أن تحوّل هذه الشذرات إلى أيّ حكاية متماسكة. لم يكن يتبقى منه سوى صور صغيرة وعشوائية. كانت تنام نوماً عميقاً، فيما تأتيها الأحلام من مكان سحيق. ومثل الأسماك التي تعيش في قاع المحيط، كانت معظم أحلامها لا تستطيع أن تطفو على السطح. وحتى لو فعلت، كان الفرق في ضغط المياه يُجبرها على تغيير مظهرها.

ولكن بعد اختبائها في هذا المكان، باتت تحلم كلّ ليلة. كانت أحلامها تأتي واضحة وواقعية. تحلم ولكنها تستيقظ في منتصف الحلم، فلا يمكنها أن تميِّز أهي في عالم الواقع أم في عالم الأحلام. لا تذكر أَوْمَامِه أنها مرَّت من قبل بمثل هذه التجربة. كانت تنظر إلى ساعة رقمية وُضعت بجوار سريرها. وكانت تشير إلى 1:15 و2:37، و4:07. وفي كلّ مرة تغمض عينيها ثم تحاول أن تغفو مرة أخرى، لكن ذلك لم يكن هيناً عليها. فالعالمان المختلفان كانا على خلاف صامت داخلها، ويتعاركان لكسب وعيها، مثل مصب نهر تتلاقى فيه المياه العذبة مع مياه البحر المالحة.

قالت في نفسها، ما باليد حيلة. فأنا لا أدري حتى إنْ كان هذا العالم الذي تضمّ سماؤه قمرين هو العالم الحقيقي أو لا. ولذلك لا ينبغي أن أستغرب كثيراً، أليس كذلك؟ هل في مثل هذا العالم، إذا

نمت وحلمت، أجد صعوبة في التمييز بين الحلم والواقع؟ يجب ألّا أنسى أنني قتلت بيدي بضعة رجال. والآن أنا مختبئة ويطاردني متعصبون لا يعرفون اليأس. فكيف لا أشعر بالخوف والتوتر؟ لا يزال في يدي الإحساس بأنني قتلت شخصاً ما. ربما لن أستطيع أن أهنأ بنوم بقية حياتي. وربما هذه هي المسؤولية التي يجب أن أتحمّلها، والثمن الذي يجب أن أدفعه.

كانت الأحلام التي تتراءى لها، وعلى الأقل تلك التي تتذكرها، تنقسم إلى فئات ثلاث.

الحلم الأول هو حلم يدور حول الرعد، حيث تجد نفسها في غرفة مظلمة فيما يتواصل هدير الرعد من حولها. ولكن دون أن يصاحبه برق، تماماً كما كان في ليلة مقتل الزعيم. يوجد شيء ما في الغرفة. ترقد أَوْمَامِه على سريرها عارية الجسد فيما يطوف حولها شيءٌ ما، ببطء وأناة. كان البساط المفروش على الأرض سميكاً والهواء ثقيلاً وراكداً. ترتجّ مصاريع النافذة من قوة الرعد. يتملّكها الخوف. لا تدري ما هو ذلك الشيء الموجود في الغرفة. ربما يكون شخصاً. أو قد يكون حيواناً ما. وربما ليس هذا ولا ذاك. وأخيراً، وبغضّ النظر عمّا قد يكون، تراه يغادر الغرفة. لا عبر الباب ولا النافذة. ولكنه ظَلّ يتلاشى حتى اختفى تماماً. وهي الآن وحدها في الغرفة.

تتحسَّس بيدها كي تعثر على مصباح السرير. تنهض من فراشها وهي لا تزال عارية، وتنظر حولها في أرجاء الغرفة. تجد فجوة في الجدار المقابل لسريرها، فجوة تكفي بالكاد لمرور شخص واحد. لا تظهر الفجوة في مكانٍ محدد. وإنما يتغيّر شكلها وتنتقل من مكان إلى آخر. تهتزّ، وتتحرك، وتكبر، وتتقلص كما لو كانت كائناً حياً. ثمة

شيء تُرك في هذه الفجوة. تحدّق فيها. يبدو أنها متّصلة بشيء آخر، لكنها مظلمة جداً وتتعذّر الرؤية داخلها، وظلامها دامس حتى ليُخيَّل إليك أنك تستطيع أن تقتطعه وتُمسكه بيدك. تشعر بالفضول، وفي الوقت نفسه يتملّكها الخوف. يدقّ قلبها دقات جامدة ونائية. وهنا ينتهي الحلم.

أمّا الحلم الثاني فجرت أحداثه على كتف الطريق السريع. وهي هنا أيضاً عارية الجسد تماماً. وبينما كان الناس عالقين في الزحام المروري، كانوا يرشقونها بعيون شبقة من سياراتهم، ومن دون خجل يرمقون جسدها العاري بنظرات شهوانية. معظمهم من الرجال، ولكن كانت هناك أيضاً نساء قليلات. كان الناس يحدّقون في نهديها غير الممتلئين، وشعر عانتها وهيئة نموه الغريبة، وقد انخرطوا جميعاً في تقييم جسدها. كان بعضهم يبدو متجهماً وبعضهم يبتسم ساخراً فيما يتثاءب بعضهم الآخر. وراح آخرون يحملقون فيها بعيون ذاهلة. أرادت أن تستر جسدها، أو على الأقل تغطي ثدييها وفخذيها، لو استطاعت. قطعة قماش سوف تفي بالغرض أو صفحة من جريدة. ولكن لا شيء حولها يمكنها التقاطه. ولسبب ما (لا تدري ما هو) لم تستطِعْ أن تحرِّك ذراعيها. ومن وقت إلى آخر كانت تهبّ الرياح، فتُثير حلمتيها، وتُحدث صوت حفيف بشعر عانتها.

وفوق كلّ ذلك، وممّا زاد الطين بلة، فقد أحسَّت بأن دورتها الشهرية توشك أن تعاودها. أحسّت بثقل وخدر في ظهرها، وبسخونة في بطنها. ماذا عساها أن تفعل إذا بدأ النزيف أمام كلّ هؤلاء الناس؟

بعد ذلك مباشرة فُتح باب سيارة كوبيه مرسيدس فضية اللون لتخرج منها امرأة بالغة الأناقة في منتصف عمرها. كانت ترتدي حذاء

لامعاً عالي الكعبين، ونظارة شمسية، وأقراطاً فضية. تبدو رشيقة القوام وفي طول أَوْمَامِه نفسه تقريباً. تشقّ طريقها عبر السيارات المتكدّسة، وحينما تصل إلى أَوْمَامِه تخلع معطفها وتُلبسها إياه. كان معطفاً ربيعياً ملوناً ولامعاً ويغطي حتى ركبتيها. وكان بسيطاً وفي خفّة ريشة. ولكنه كان باهظ الثمن بلا شك. جاء المعطف مناسباً لها تماماً، وكأنما قد صُمّم خصيصاً لها. وزرّرته المرأة لها حتى آخره.

قالت أَوْمَامِه: «لا أدري متى سأردّه إليك. أخشى أن يُلطّخه نزيفي».

دون أن تنبس بكلمة واحدة، هزّت المرأة رأسها، ثم شقّت طريقها مرة أخرى عبر السيارات عائدة إلى سيارتها المرسيدس. بدا أنها ترفع يدها وتلوح بها سريعاً إلى أَوْمَامِه، ولكن ربما كان ذلك خداعا بصرياً. حينما تدثّرت أَوْمَامِه بالمعطف الربيعي الخفيف الناعم، أدركت أنها أصبحت داخل الحِمَى. لم يعُد جسدها مكشوفاً لأعين الناس. وبعدئذٍ مباشرة، وكما لو كان لا يطيق انتظاراً، تقطّر خط من الدماء على فخذها. كان دماً حاراً وكثيفاً وثقيلاً. ولكنها حينما أمعنت النظر فيه أدركت أنه ليس دماً. إنه سائل عديم اللون.

أمّا الحلم الثالث فكان يستعصي على الوصف. كان حلماً طويلاً، لا اتّساق فيه، ولا يجري في أيّ مكان. كلّ ما هنالك هو شعور بالحركة. كانت أَوْمَامِه تتحرك من دون توقف عبر الزمان والمكان. لم يكن يهم متى وأين كان ذلك. كلّ ما يهم هو هذه الحركة. كلّ شيء كان سائلاً، وقد انبثق من تلك السيولة معنى محدد. ولكن عندما أسلَمَت نفسها لهذه الحركة، وجدت جسدها يزداد شفافية. كان بوسعها أن ترى من خلال يديها الجانب الآخر.

أصبحت عظامها وأعضاؤها مرئية لها وكذلك كان رحمها. بهذه الحال ربما يتلاشى وجودها. عندما لم تعُد أَوْمَامِه ترى نفسها، تساءلتْ عمّا قد يحدث بعد ذلك. فلم تجد جواباً.

في الساعة الثانية من بعد الظهر رنّ الهاتف؛ هبَّت أَوْمَامِه واقفة من فورها، وكانت في إغفاءة على الأريكة.

سألها تامارو: «هل أنتِ بخير؟».

أجابت أَوْمَامِه: «نعم، أنا بخير».

«ماذا عن محصِّل الاشتراكات؟».

«لم يعُد مرة ثانيةً. ربما كان يهدِّدني وحسب، حينما قال إنه سيعود».

قال تامارو: «ربما. لقد رتّبنا سداد رسوم الاشتراك في شبكة 'إن إتش كيه' ليتمّ تلقائياً من حساب مصرفي، وهناك ملصقٌ بذلك تمّ وضعه على الباب. ولا بد أن يراه أيّ محصل تابع للشركة. اتصلنا بالشركة وقالوا الشيء نفسه. لا بد أنّ هناك خطأً ما من موظفي الشركة».

«ربما يجب أن أتجاهله وحسب».

«ومع ذلك لا نزال بحاجة إلى تجنّب كلّ ما يمكن أن يلفت انتباه الجيران. وأنا لا أحبّ الأخطاء».

قالت: «لكن العالم يمتلئ بالأخطاء».

قال تامارو: «ليكن العالم كما يكون، ولكني لي طريقتي الخاصة في أداء عملي. إذا وجدتِ أيّ شيء يزعجك -أيّ شيء على الإطلاق- فلا تتردَّدي في الاتصال».

«هل هناك جديد بخصوص ساكي جاكه؟».

«كلّ شيء هادئ. أتصور أنّ شيئاً ما يجري في الخفاء، ولكن لا

يمكننا أن نعرف ما هو ونحن بالخارج».

«سمعتُ أن لديك مخبراً داخل التنظيم».

«لقد تلقينا بعض التقارير، ولكنها تركِّز على التفاصيل، ولا تقدِّم صورة كاملة. يبدو كما لو أنهم يشدِّدون قبضتهم على أعضاء التنظيم. فقد تمّ إغلاق الصنبور».

«ولكنهم حتماً لا يزالون يتعقّبونني».

«مع موت الزعيم، تبيَّن أن هناك فجوة كبيرة في التنظيم. لم يقرِّروا بعد مَن سيخلفه، أو أيّ نوع من السياسات يجب أن ينتهجها ساكي جاكه. ولكن رأيهم فيما يخصّ تعقبك، ثابت وبالإجماع. هذه هي الحقائق التي استطعنا استخلاصها».

«ليست حقائق مبهجة، أليس كذلك؟».

«حسناً، عندما يتعلق الأمر بالحقائق فإنّ المهم هو وزنها ودقّتها. أمّا البهجة فتأتي لاحقاً».

قالت أَوْمَامِه: «أيّاً كان الأمر، إذا أمسكوا بي وانكشفَ الأمر، فسوف يضعكَ أنتَ أيضاً في مشكلة».

«وهذا هو السبب في أننا نريد أن نأخذك بأسرع وقت إلى مكان لا تصل إليه أيديهم».

«أعرف. ولكني أريدك أن تنتظر قليلاً».

«لقد قالت إنّ علينا الانتظار حتى نهاية العام. وهذا هو ما سأفعله بالطبع».

«أُقدِّر لك ذلك».

«لستُ أنا مَن يجب أن تشكريه».

قالت أَوْمَامِه: «أيّاً كان. هناك شيء أودّ أن تضيفه إلى قائمة

احتياجاتي في المرة القادمة. لكن يصعب أن أقوله لرجل».

قال تامارو: «اعتبريني جداراً من الحجر. وفوق ذلك، وفيما يتعلق بميولي المثلية، فأنا موغلٌ فيها تماماً».

«أريد اختبار حملٍ منزلي».

ساد صمت. وأخيراً تحدّث تامارو: «تعتقدين أنّ هناك حاجة لهذا الاختبار».

لم يكن سؤالاً، ولذلك لم تردّ.

سألها تامارو: «هل تعتقدين أنك قد تكونين حاملاً؟».

«لا، ليس هذا هو السبب».

قلّب تامارو ذلك سريعاً في ذهنه. إذا كنت في سكون، فيمكنك أن تسمع فعلاً التروس وهي تدور داخل رأسه.

«لا تعتقدين أنك حامل. ولكنك بحاجة إلى اختبار حمل».

«نعم».

«يبدو كأنه لغز بالنسبة لي».

«كلّ ما يمكنني قوله لك هو أنني أريد إجراء هذا الاختبار. يكفيني هذا النوع المنزلي البسيط الذي يمكنكَ أن تجده في أيّ صيدلية. سأكون ممتنة أيضاً إذا أرسلتَ لي كتيباً حول جسم المرأة والحيض».

صمتَ تامارو مرة أخرى، وقد جاء صمته عميقاً ومركَّزاً.

قال: «أظنّ أنه سيكون من الأفضل أن أتّصل بك مرة أخرى. هل يناسبك ذلك؟».

«بالتأكيد».

أصدر صوتاً ضئيلاً من آخر حلقه، ثم وضع الهاتف.

رنّ الهاتف مرة أخرى بعد خمس عشرة دقيقة. لم تكن أَوْمَامِه قد سمعت صوت السيدة منذ مدّة. شعرت وكأنها قد عادت إلى الدفيئة. ذلك المكان الرطب والدافئ حيث ترفرف الفراشات النادرة، وحيث يمضي الوقت بطيئاً.

«هل أنتِ بخير هناك؟».

أجابت أَوْمَامِه: «أحاول الالتزام بنظام يومي». نظراً إلى أنّ الأرملة كانت تريد أن تعرف، فقد قدَّمت لها أَوْمَامِه ملخصاً لجدولها اليومي وتمارينها وطعامها.

قالت الأرملة: «لا بد أنه يصعب عليكِ البقاء حبيسة الشقة. ولكنكِ صاحبة إرادة قوية، ولذلك فأنا لستُ قلقة عليك. وواثقة من أنك سوف تجتازين ذلك. أودّ أن أجعلك تغادرين هذا المكان في أقرب وقت، وأن آخذك إلى مكان أكثر أمناً، ولكن ما دمتِ ترغبين في البقاء مدّة أطول، فسوف أبذل ما بوسعي كي أحقِّق لكِ رغبتك».

«أنا ممتنة لذلك».

«لا، أنا مَن يجب أن تكون ممتنة. لقد أديتِ لنا عملاً رائعاً».

أعقب ذلك صمت قصير، ثم تابعت الأرملة. «الآن، فهمتُ لماذا طلبتِ اختبار حمل».

«لقد تأخَّرت دورتي الشهرية ثلاثة أسابيع تقريباً».

«وهل هي منتظمة في العادة؟».

«منذ بدأت وأنا في العاشرة، كانت تأتيني كلّ تسعة وعشرين يوماً، تقريباً من دون إخلاف. مثل اكتمال القمر ومحاقه. لم تنقطع مرة واحدة».

«أنتِ تمرين الآن بوضع غير عادي. وسوف يختلّ توازنك

الانفعالي وأداء جسمك. ومن الممكن أن تتوقف دورتك أو يختلّ توقيتها».

«لم يحدُث معي ذلك من قبل، لكني أفهم ما تقولين».

«بحسب تامارو فإنكِ لا تظنين أنك قد تكونين حاملاً».

«كانت آخر مرة مارست فيها الجنس مع رجل في منتصف يونيو. بعد ذلك، لم أقرَبه على الإطلاق».

«ومع ذلك، تشتبهين في أنك قد تكونين حاملاً. هل هناك أيّ أعراض أخرى؟ بخلاف تأخر الدورة؟».

«مجرّد شعور بذلك».

«شعور؟».

«شعور داخلي».

«شعور بأنك حامل؟».

«هل تذكرين عندما تحدّثنا عن البويضات؟ في ذلك المساء الذي ذهبنا فيه لرؤية تسوباسا. وكيف أنّ النساء لديهن عدد محدود منها؟».

«أتذكر. المرأة العادية لديها حوالي 400 بويضة. وهي تطلق واحدة في كلّ شهر».

«حسناً، لدي إحساس واضح بأنّ إحدى تلك البويضات قد خُصّبت. ومع ذلك لا أدري إن كانت كلمة إحساس هي الكلمة الصحيحة هنا».

فكرت الأرملة في ذلك. «لقد أنجبتُ طفلين، وأظنني أعرف جيداً ماذا تعنين بإحساس. ولكنك تقولين أنك حملت دون ممارسة الجنس مع رجل. وهذا أمر يصعب قبوله نوعاً ما».

«أعرف. وهذا رأيي أنا أيضاً».

«أنا آسفه على هذا السؤال، ولكن هل من الممكن أن تكوني مارستِ الجنس مع أحد ما وأنت غير واعية؟».

«هذا غير ممكن. ذهني متيقّظ دائماً».

انتقت الأرملة كلماتها بعناية: «كنت أعتبركِ دائماً مثال الهدوء والاتزان».

«لقد كنت دائماً أحاول أن أكون كذلك».

«ورغم ذلك، تعتقدين أنك حملتِ من دون جنس».

أجابت أَوْمَامِه: «هذا احتمال وارد. حتى أكون أكثر دقّة. بالطبع، قد لا تكون هناك أي جدوى من مجرد التفكير في ذلك».

قالت الأرملة: «أتفهم ذلك. دعينا ننتظر ونرى ما سيحدث. غداً سوف يصلك اختبار الحمل. سوف يأتيك في الوقت نفسه وبالطريقة نفسها التي تأتيك بها بقية الاحتياجات. سوف نضع عدة أنواع من الاختبارات، فقط للتأكّد».

قالت أَوْمَامِه: «أنا ممتنة لك بشدة».

«إذا تبين أنك حامل، فمتى تعتقدين أنَّ الحمل وقع؟».

«أعتقد أنه وقع في تلك الليلة التي ذهبتُ فيها إلى فندق أوكورا. ليلة العاصفة».

تنهدت الأرملة تنهيدة قصيرة: «ويمكنك أن تحدِّدي ذلك بوضوح؟».

«لقد حسبت ذلك، وتصادف أنني في تلك الليلة كنت فيها أكثر خصوبة».

«وهذا يعني أنك حامل منذ شهرين».

«هذا صحيح».

«هل تشعرين بأيّ غثيان في الصباح؟ هذه عادة ما تكون أسوأ فترة في الحمل».

«لا، لا أشعر بغثيان على الإطلاق. ولا أدري لماذا».

انتظرت الأرملة بعض الوقت، وانتقت كلماتها التالية بعناية: «إذا أجريتِ الاختبار وتبيّن أنك حامل، فكيف سيكون تصرفك في ظنك؟».

«أظن أنني سأحاول معرفة مَن هو الأب البيولوجي للطفل. فهذا مهم جداً عندي».

«ولكنك لا تدرين».

«حتى الآن، لا».

قالت الأرملة بهدوء: «أفهم ذلك. على أيّ حال، مهما حدث، فسوف تجديني دائماً بجوارك. سأفعل كلّ ما بوسعي لحمايتك. أريدك أن تتذكري ذلك».

قالت أَوْمَامِه: «آسفة لأنني تسبَّبتُ لكِ في كلّ هذه المتاعب فى مثل هذا الوقت».

قالت الأرملة: «لا متاعب على الإطلاق. هذا هو أهم شيء للمرأة. دعينا ننتظر نتائج الاختبار، ثم نقرِّر. تماسكي».

ثم وضعت السماعة بهدوء.

طرق شخص ما الباب. كانت أَوْمَامِه في غرفة النوم تؤدّي بعض تمارين اليوغا، توقفت حتى تدقِّق السمع. كان الطَّرق قوياً ومستمراً. تذكَّرت ذلك الصوت.

أخرَجَت المسدس من الدرج وحرَّرت الأمان. سحبت الأجزاء وأرسلت رصاصة إلى حجرة الإطلاق. دسّت المسدس في الجزء

الخلفي من سروالها الرياضي وخرجت تمشي بهدوء نحو غرفة الطعام. أمسكت مضرب كرة السوفتبول بكلتا يديها وهي تحدّق في الباب.

«يا آنسة تاكاي»، سمعت صوتاً غليظاً وأجشاً: «هل أنت موجودة، يا آنسة تاكاي؟ 'إن إتش كيه' هنا، جئتُ لتحصيل قيمة الاشتراك».

كان مقبَض المضرب ملفوفاً بشريط من البلاستيك حتى لا ينزلق من يدها.

«آنسة تاكاي، سأكرِّر نفسي وأقول إني أعرف أنك بالداخل. لذلك أرجو أن تتوقفي عن لعبة الغميضة السخيفة هذه. أنت بالداخل، وتسمعين صوتي».

كان الرجل يردِّد بالضبط تقريباً ما قاله في المرة السابقة، وكأنه شريط مسجَّل يُعاد تشغيله.

«قلتُ لكِ إنني سأعود، ولكنك ربما كنت تعتقدين أنه مجرّد تهديد فارغ. يجب أن تعرفي أنني دائماً أُوفي بوعودي. وإذا وُجدَت اشتراكات حان تحصيلها، فسوف أُحصِّلها بالتأكيد. أنت بالداخل يا آنسة تاكاي، وتستمعين. وتقولين في نفسك: إذا التزمتُ الصمت، فسوف ييأس هذا الرجل وينصرف».

راح يقرع الباب مرة أخرى. عشرين أو ربما خمساً وعشرين مرة. تساءلت أَوْمَامِه: **أيّ نوع من اليدين لدى هذا الرجل؟ ولماذا لا يَستخدم جرس الباب؟**

قال المحصِّل وكأنه مطّلع على أفكارها: «أعرف أنك تقولين في نفسك أيضاً. إن هذا الرجل لا بدّ وأن لديه يدين قويتين. وأن يديه لا

بد أنهما تؤلمانه حينما يطرق الباب كلّ هذه المرات. وهناك شيء آخر تقولينه: لماذا بحق السماء يطرق الباب؟ للباب جرس، فلماذا لا يستخدمه».

تجهّمت أَوْمَامِه.

تابع المحصّل: «لا، لا أريد أن أرن الجرس. إذا فعلت، فكلّ ما تسمعينه هو رنّات الجرس، هذا كلّ شيء. وبصرف النظر عمّن يضغط الجرس، فإنه يصنع الصوت الضعيف غير المؤذي نفسه. أمّا الآن فهي دَقّة لها طابعها. عندما تستخدمين جسمك في الدق على شيء ما فإنّ وراء ذلك انفعال من دمٍ ولحم. بالطبع يداي تؤلماني. فأنا لستُ سوبر مان، على أيّ حال. ولكن لا مناص. فهذه مهنتي. وكل مهنة، مهما كانت رفيعة أو وضيعة، تستحق الاحترام. ألا توافقيني، يا آنسة تاكاي؟».

بدأت تسمع طرقاته على الباب مرة أخرى. سبعاً وعشرين إجمالاً، طرقات قوية يتخلّلها وقفة ثابتة بين كلّ طرقة وأخرى. تعرّقت يدا أَوْمَامِه من أثر قبضتها على المضرب.

«يا آنسة تاكاي، يجب على هؤلاء الذين يتلقّون إشارة تلفزيون 'إن إتش كيه' أن يسدِّدوا اشتراكاتهم، هذا هو القانون. ليس له تفسير آخر. قاعدة ويجب اتباعها. فلماذا إذاً لا تدفعين عن طيب خاطر؟ أنا لا أطرق بابك لأني أرغب في ذلك، وأعرف أنك لا تريدين لهذا الوضع المسيء أن يستمرّ للأبد. ربما تقولين في نفسك، ماذا يجبرني على ذلك؟ إذاً ادفعي عن طيب خاطر. وبإمكانك عندئذٍ العودة إلى حياتك الهادئة مرة أخرى».

كان صدى صوت الرجل يتردَّد عالياً في الردهة. قالت أَوْمَامِه في نفسها، هذا الرجل يجد لذة في سماع صوته. ويجد متعة في إهانة

الناس، والاستهزاء بهم وتوجيه السباب لهم. كان بوسعها أن تشعر باللذة التي يجدها في ذلك.

«إنك سيدة عنيدة للغاية، أليس كذلك، يا آنسة تاكاي. أنا معجبٌ بك. إنك تشبهين محاراً في أعماق المحيط، وأنت على هذا السكون. ولكني أعلم أنك بالداخل. أنت بالداخل، وتحدّقين في وجهي عبر الباب. سوف يتعرق ما تحت إبطيك من التوتر. هل أنا مصيب؟».

طرق الباب ثلاث عشرة مرة أخرى. ثم توقف. تنبّهت أَوْمَامِه إلى أنّ ما تحت إبطيها قد تعرّق بالفعل.

«حسناً. هذا يكفي اليوم. لكني سأعود قريباً. لقد بدأت أحبّ هذا الباب. توجد في العالم أبواب كثيرة، وهذا الباب لا بأس به. إنه بالتأكيد باب يستحق أن يُطرق. ولذلك لن أشعر بالراحة إلّا إذا جئتك هنا بانتظام وطرقته بقوة. إلى اللقاء يا آنسة تاكاي. سأعود».

ساد صمت. بدا أنّ المحصل قد غادر، ولكنها لم تسمَع وقعاً لأيّ أقدام. ربما كان يتظاهر بأنه غادر وينتظر خارج الباب. شدّت أَوْمَامِه قبضتها على المضرب وانتظرت بضع دقائق.

وفجأة قال المحصل: «أنا ما زلت هنا. ها! ظننتِ أني غادرت، أليس كذلك؟ ولكني ما زلت هنا. كنت أخدعك. أنا آسف، يا آنسة تاكاي. فهذه هي طبيعتي».

سمعَت له سعالاً. سعالاً خشناً ومتعمداً.

«أنا في هذه الوظيفة منذ زمن. وعلى مدى سنين أصبح بإمكاني أن أتخيّل الشخص الموجود على الجانب الآخر من الباب. هذه هي الحقيقة. قلة قليلة من الناس يختبئون وراء أبوابهم ويحاولون أن يفلتوا

من سداد الاشتراكات. وأنا أتعامل معهم منذ سنين طويلة. اسمعيني، يا آنسة تاكاي».

قَرَعَ الباب ثلاث مرات، وبصوت أعلى ممّا فعل في أيّ مرة سابقة.

«اسمعي، يا آنسة تاكاي. إنك تجيدين الاختباء تماماً كأنك سمكة مفلطحة مغطاة بالرمال في قاع البحر. يسمون ذلك تمويهاً. ولكنك في النهاية لن تستطيعي الهرب. سوف يأتي شخص ما ويفتح هذا الباب. يمكنك الوثوق بذلك. وبصفتي محصّل اشتراكات مخضرم في 'إن إتش كيه'، فإنني أضمن لك ذلك. تفنّني في الاختباء كما تشائين، ولكن التمويه في النهاية ما هو إلّا خداع، هكذا بكلّ بساطة. إنه لا يحلّ مشكلة. هذا صحيح، يا آنسة تاكاي. سأغادر الآن. لا تقلقي، سأغادر فعلاً هذه المرة. ولكني سأعود قريباً. وحينما تسمعين طرقة على الباب، سوف تعرفين أنها لي. والآن إلى اللقاء، يا آنسة تاكاي. إلى اللقاء!».

لم تسمَع أيّ وقع لأقدامه هذه المرة أيضاً. انتظرت خمس دقائق، ثم مشَت نحو الباب وأرهفت سمعها. حدَّقت عبر العين السحرية للباب، فلم ترَ أحداً بالخارج. يبدو أنه غادر فعلاً هذه المرة.

أسندت أَوْمَامِه المضرب المعدني إلى طاولة المطبخ. وأخرجت الرصاصة من حجرة الإطلاق في المسدس، وأعادت ضبط الأمان، ثم لفَّته مرة أخرى في الجورب السميك، وأعادته إلى الدُرج. ألقت بنفسها على الأريكة وأغمضت عينيها. لا يزال صوت الرجل يرنّ في أذنيها.

ولكن في النهاية لن تستطيعي الهرب. سوف يأتي شخص ما ويفتح هذا الباب.

هذا الرجل لا يمتّ بصلة إلى ساكي جاكه على الأقل. لو كان التنظيم يقف وراءه لكان تصرّفهم جاء أكثر هدوءاً وأقل مباشرة. ما كانوا ليدَعوه أبداً يصيح في ردهة شقة، وما كانوا ليتركوه يتحدّث بهذه الطريقة الإيحائية، ما يجعل هدفهم يتوخى الحذر. هذه ليست طريقتهم في العمل. خطر ببال أَوْمَامِه حليق الرأس وذيل الحصان. سوف يتسلّلان إليك خلسة دون أن تسمعي لهما صوتاً. وفجأة سوف تجدينهما خلفك. هزّت أَوْمَامِه رأسها، وتنفّست بهدوء.

ربما كان حقاً محصل اشتراكات في 'إن إتش كيه'. إذا كان كذلك، فكيف لم يلحظ الملصق الذي يقول إنّ ساكن هذه الشقة يدفع قيمة الاشتراك تلقائياً. تأكّدت أَوْمَامِه من أن الملصق موضوع على جانب الباب. ربما كان الرجل يعاني مرضاً عقلياً. ولكن الأشياء التي يقولها الرجل تحمل قدراً كبيراً من الحقيقة. **كان يبدو أنّ الرجل يشعر حتماً بوجودي على الجانب الآخر من الباب. وكأنما قد اكتشف سرّي، أو بعضاً منه.** ولكنه لم يكن يقدر على فتح الباب والدخول. فالباب لا يُفتح إلّا من الداخل. **وأنا لن أفتحه.**

فكرت، لا، من الصعب أن أجزم بذلك. ربما أفتح الباب ذات يوم. إذا ظهر تنغو في الملعب، فلن أتردَّد في فتح الباب وأسرع إلى الخارج. لن يهمني ما قد ينتظرني بالخارج.

غاصت أَوْمَامِه في الكرسي الموجود بالشرفة وراحت تنظر كالمعتاد عبر فجوة الستارة نحو الملعب. كان يوجد طالب وطالبة في سنّ المدرسة الثانوية يجلسان على مقعد تحت شجرة زيلكوفا، ويتجاذبان أطراف الكلام، وقد ارتسمت على وجهيهما ملامح الجدية. وكانت توجد والدتان شابتان تراقبان أطفالهما الصغار الذين

لم يبلغوا بعد سنّ مرحلة رياض الأطفال، وكانوا يلعبون في الحوض الرملي. كانتا مندمجتين في تجاذب أطراف الكلام معاً ولكن أعينهما كانت تتابع أطفالهما. إنه مشهد مألوف في فترة ما بعد الظهيرة في الحديقة. حدّقت أَوْمَامِه طويلاً في أعلى الزلاقة.

وضعت يدها على بطنها، وأغمضت عينيها، وأرهفت السمع، محاوِلَة التقاط الصوت. هناك شيء حيّ موجود بداخلها حتماً. شيء صغير وحيّ. عرفته.

همست، دوهتا.

فأجابها صوت، مازا.

الفصل التاسع

تنغو
قبل إغلاق المخرج

تناول أربعتهم لحماً مشوياً، ثم قصدوا مكاناً آخر حيث غنوا معاً أغاني الكاريوكي وشربوا زجاجة من الويسكي حتى آخرها. كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساء تقريباً عندما انفضّت حفلتهم الصغيرة التي سادتها أجواء دافئة رغم صخَبها. بعد أن غادروا الحانة، رافق تنغو الممرضة أداتشي إلى شقتها. أمّا المرأتان الأخريان فقد لحقتا بحافلة بالقرب من المحطة، وتركا الأمور تمضي كما تشاء. مشى تنغو والممرضة الشابة معاً عبر الشوارع الخالية لربع الساعة.

كانت الممرضة تدندن: «تنغو، تنغو، تنغو. يا له من اسم جميل. تنغو، يا له من اسم سهلٍ على اللسان».

كانت الممرضة أداتشي قد أفرطت في الشراب، ومع ذلك بقيت وجنتاها كعادتهما ورديتين، ولذلك كان يصعب القول بأنها مخمورة بمجرد النظر في وجهها. لم تكن تتلعثم في كلامها وكانت تمشي بخطوات ثابتة. ولم يكن يبدو أنها مخمورة. وإن كان لكلّ شخص طريقته التي يثمل بها.

قال تنغو: «كنت دائماً أعتبره اسماً غريباً».

«إنه ليس كذلك على الإطلاق، يا تنغو. له رنين جميل ويسهل تذكره. إنه اسم رائع».

«بالمناسبة، ما هو اسمكِ الأول. الجميع يدعونكِ كو».

«هذا هو اسم التدليل. اسمي الحقيقي هو كومي. اسم سخيف».

قال تنغو بصوت عالٍ: «كومي أداتشي». «اسم لا بأس به. خفيف ومميّز».

قالت كومي أداتشي: «أشكرك. ولكن تعبيرك عنه هكذا يُشعرني وكأنني سيارة هوندا سيفيك أو شيء من هذا القبيل».

«قلتُ ذلك على سبيل المجاملة».

قالت وقد أمسكت بيد تنغو: «أعرف. واقتصادية في استهلاك الوقود أيضاً. هل تمانع أن أُمسك يدك؟ هذا يضفي على المشي معاً متعة وراحة أكبر».

أجاب تنغو: «لا مانع». حينما أمسكت كومي أداتشي يده هكذا، تذكّر أَوْمَامِه والفصل الدراسي في المدرسة الابتدائية. كان شعوره الآن مغايراً، فقد أصبح هناك شيءٌ مشترك بينهما.

قالت كومي: «أعتقد أنني ثملة قليلاً».

«تعتقدين ذلك؟».

«نعم».

نظر تنغو في وجه الممرضة الشابة مرة أخرى: «ولكنكِ لا تبدين ثملة».

«لا يظهر ذلك عليّ من الخارج. هذه هي طريقتي. ولكنني مخمورة».

«فعلاً، كنت تتجرّعين أكوابك حتى آخرها».

«أعرف. لم أفرط هكذا في الشراب منذ مدة طويلة».

قال تنغو مقتبساً كلام السيدة تمورا: «يجب أن تخرجي من حين إلى آخر».

قالت كومي وهي تومئ بقوة: «بالطبع، يجب على الناس أن يخرجوا من حين إلى آخر، كي يتناولوا طعاماً طيباً، ويحتسوا الشراب، ويدندنوا بالأغاني، ويتحدثوا في كل ما يروقهم. ولكني أودّ أن أسألك هل قضيت أوقاتاً كهذه من قبل. تُشبع فيها كلّ رغباتك، وتصفّي ذهنك؟ أنت تبدو دائماً هادئاً ورابط الجأش يا تنغو».

فكَّر تنغو في ذلك. هل فعل مؤخراً أيّ شيء بغرض الاستجمام؟ لم تُسعفه الذاكرة. ما دام لم يتذكّر شيئاً، فهذا يعني أنه على الأرجح لم يفعل. وربما كان ينعدم لديه مفهوم **إشباع الرغبات**.

أقرّ تنغو: «حسبما أظنّ، لا أفعل ذلك كثيراً».

«كلّ شخص يختلف عن غيره».

«هناك طرق عديدة للتفكير والشعور».

قالت الممرضة بعد أن قهقهت: «تماماً كما أنّ لكلّ شخص طريقته التي يثمل بها. ولكنه شيء مهم يا تنغو».

قال: «ربما تكونين محقّة».

مشيا معاً في صمتٍ فترة، يداً في يد. شعر تنغو بعدم الارتياح لتغيّر طريقتها في الكلام. حينما كانت كومي ترتدي زيّ الممرضة، كانت تبدو دائماً مهذبة. ولكنها الآن وهي بثيابها العادية، أصبحت أكثر جرأة. لعلّ ذلك يعود في بعضه إلى تأثير الكحول. ذكرته هذه الطريقة غير الرسمية في الكلام بشخص ما كان يتحدّث بالطريقة نفسها. وكان قد التقاه مؤخراً.

«هل سبق أن دخَّنت الحشيش يا تنغو؟».

«حشيش؟».

«راتنج القُنب».

استنشق تنغو الهواء الليلي وأخرجه زفيراً: «لا، لم أجرِّبه في حياتي».

سألته كومي أداتشي: «ما رأيك أن تجربه؟ لنجربه معاً. لدي بعضه في المنزل».

«لديك حشيش؟».

«المظاهر يمكن أن تكون خداعة».

قال تنغو: «بالتأكيد يمكنها أن تكون كذلك». ولذلك توجد ممرضة شابة ومفعمة بالحيوية وتعيش في بلدة صغيرة تطلّ على البحر في شبه جزيرة بوسو ولديها حشيش في شقتها. وقد دعته لكي يشاركها بعضه.

سألها تنغو: «وكيف حصلتِ عليه؟».

«أعطتني إياه صديقة من المدرسة الثانوية على سبيل الهدية في عيد ميلادي الشهر الماضي. كانت مسافرة إلى الهند وأحضرته معها».

بدأت كومي تؤرجح يدها وهي في يد تنغو صانعة قوساً كبيراً.

«ولكنكِ سوف تنالين عقوبة شديدة إذا ألقي القبض عليكِ وأنت تهربين الحشيش إلى البلاد. والشرطة اليابانية تتعامل بصرامة فعلاً مع هذا الموضوع. ولديهم كلاب مدربة في المطارات».

قالت كومي: «إنها ليست من النوع الذي يشغل باله بالتفاصيل الصغيرة. وعلى أيّ حال، فقد مرّت بسلام من الجمارك. هل تودّ أن تجربه؟ إنه من نوعية عالية الجودة، وقوي جداً. لقد تحقّقت من الأمر، وتبيَّن لي أنه لا يسبِّب أي ضرر صحي على الإطلاق. لا أقصد أنّ تعاطيه لا يصبح عادة، ولكن أثره في ذلك أقل بكثير من التبغ أو الكحول أو الكوكايين. أما حديث الهيئات الرسمية بأنه يسبب

الإدمان، فهذا كلام سخيف. إذا كنت تصدِّق ذلك، فإن لعبة باتشينكو أخطر منه في ذلك بكثير. وأنت لا تُصاب بصداع الكحول، وأظن أنه يجدر بك أن تجربه كي تُروِّح عن نفسك».

«هل جربتِ ذلك؟».

«بالتأكيد. وكان ممتعاً».

ردَّد تنغو: «ممتعاً».

قالت كومي بعد أن قهقهت: «سوف تفهم إذا جرّبته. مثلاً، هل تعلم أنّ الملكة فيكتوريا كانت تدخّن الماريجوانا حينما تأتيها تقلّصات الحيض كي تخفّف أوجاعها. وطبيب قصرها هو مَن وصفَ لها ذلك».

«أنتِ تمزحين».

«هذه حقيقة. قرأتها في كتاب».

أي كتاب؟ كاد تنغو أن يسألها، لكنه رأى أن ذلك قد يكون محرجاً. كان آخر ما يريده هو أن يتصوّر الملكة فيكتوريا وهي تعاني تقلصات الحيض.

سألها تنغو كي يغيّر الموضوع: «كم أصبحَ عمرك في عيد ميلادك الشهر الماضي؟».

«ثلاثٌ وعشرون سنة. امرأة اكتمل نضجها».

قال تنغو: «بالطبع». كان قد بلغ الثلاثين بالفعل، ومع ذلك لم يكن يشعر بأنّ نضجه قد اكتمل. كان يبدو له وحسب أنه قد أمضى ثلاثين عاماً في العالم.

«شقيقتي الكبرى تقضي الليلة مع صديقها في شقته، ولذلك فأنا وحدي. تعالَ إذاً. لا تخجل. ليس لديّ عمل غداً ويمكنني أن أحصل على بعض الراحة وأسترخي قليلاً».

بحث تنغو عن ردّ. لقد أحبَّ هذه الممرضة الشابة. ويبدو أنها هي الأخرى قد أحبّته. ولكنها كانت تدعوه إلى شقتها. نظر إلى أعلى حيث السماء، فوجدها ملبدة بغيوم كثيفة رمادية اللون ولم يستطعْ رؤية القمرين.

قالت كومي: «في ذاك اليوم حينما دخَّنت أنا وصديقتي الحشيش، كانت المرة الأولى التي أجرِّبه، ولكنني شعرت وكأنّ جسدي يطفو في الهواء. ليس عالياً جداً، ولكن بمقدار بضع بوصات فقط. وكما تعلم فإنّ الطفو على هذا الارتفاع يخلق شعوراً طيباً فعلاً. إنه شعور لا يوصف».

«بالإضافة إلى أنكِ لن تؤذي نفسكِ إذا وقعت أرضاً».

«نعم، إنه ارتفاع مناسب، ويمكنك أن تشعر بالأمان. وكأنك محميّ. وكأنك ملفوف في شرنقة هوائية. **أنا الدوهتا**، المغلّفة تماماً في شرنقة هوائية، وفي الخارج يمكنني أن أصنع **مازا**».

سألها تنغو. وقد علَت نبرة صوته فجأة: «**دوهتا؟ مازا**».

كانت الممرضة الشابة تدندن بلحن، وتؤرجح يديهما المتشابكتين وهما يسيران عبر الشوارع الخالية. كانت أقصر كثيراً من تنغو، ولكن لم يبدُ أنّ ذلك يزعجها على الإطلاق. مرّت بهما سيارة عابرة.

سألته: «**مازا ودوهتا**. من كتاب **الشرنقة الهوائية**. هل تعرفه؟».

«نعم».

«هل قرأته؟».

أومأ تنغو في صمت.

«رائع. هذا يجعل الأمور أسهل. لقد أحببتُ هذا الكتاب. اشتريته في الصيف وقرأته ثلاث مرات. من النادر أن أقرأ كتاباً ثلاث مرات. وحينما كنت أدخن الحشيش للمرة الأولى في حياتي شعرت

بنفسي وكأنني أصبحت موجودة داخل شرنقة هوائية. كما لو كنت مغلفة في شيء وفي انتظار أن أولَد منه. وكانت مازا الخاصة بي تراقبني».

سألها تنغو: «وهل رأيتِ مازا الخاصة بك؟».

«نعم، رأيتها. من داخل الشرنقة الهوائية يمكنك أن ترى الخارج، إلى حدٍّ ما. رغم أنك لا تستطيع أن تراها من الخارج. هذه هي طريقتها. لم أستطعْ أن أتبيّن ملامحها. كانت شكلاً مبهماً. ولكني أدركت أنها مازا الخاصة بي. يمكنني أن أستشعر ذلك بوضوح كبير. بأن هذا الشخص هو مازا الخاصة بي».

«إذاً الشرنقة الهوائية في واقع الأمر هي بمثابة رحم من نوع ما».

قالت كومي أداتشي، بعد أن قهقهت مرة أخرى: «أظنّ أنه يمكنك أن تقول ذلك. لا أتذكر أيّ شيء عن الفترة التي أمضيتها في الرحم، لذلك لا أستطيع إجراء مقارنة دقيقة».

كان مبنىً سكنياً بسيطاً ويتألف من طابقين، وهو من تلك المباني التي تجدها غالباً في ضواحي مدن الأقاليم. كان يبدو جديداً نوعاً ما، ولكنه بدأ يتصدع بالفعل. فالدَرج الخارجي كان يصرّ صريراً كلّما وطأته الأقدام، والأبواب لم تكُن تُغلق بإحكام. وكلّما مرت به شاحنة كبيرة من الخارج، ارتجّت نوافذه. وكانت حوائط رقيقة في سُمكها، حتى إنه إذا عزف أحد على غيتار في إحدى شققه، فسوف يسمعه جميع سكان المبنى.

لم يكن تنغو يجد ميلاً كبيراً لديه نحو فكرة تعاطي الحشيش. كان صاحب عقل راجح، رغم أنه كان يعيش في عالم يوجد به قمران.

ولم يكن بحاجة إلى أن يشوّه العالم أكثر ممّا هو مشوه. ولم يكن أيضاً يشعُر بأي رغبة جنسية نحو كومي أداتشي. لا شكّ أنه كان يحمل مشاعر ودّ تجاه هذه الممرضة الشابة ذات الثلاثة والعشرين ربيعاً. ولكن الودّ والرغبة الجنسية أمران مختلفان، على الأقل لدى تنغو. ولولا أنها ذكرت **مازا ودوهتا**، لكان على الأرجح قد اختلق عذراً حتى لا يدخل معها. كان سوف يركب حافلة ويعود، أو، إذا لم يجد حافلة، كان سوف يطلب منها أن تتصل بسيارة أجرة، ومن ثم يعود إلى النزل. فهذه، على أية حال، بلدة القطط. والأجدر به أن يتجنَّب أيّ أماكن خطرة. ولكن حالما ذكرت كومي كلمتي **مازا ودوهتا**، لم يستطعْ تنغو أن يردّ دعوتها. ربما يمكنها أن تكشف له السبب الذي جعل أَوْمَامِه الصغيرة تظهر داخل شرنقة هوائية في غرفة المستشفى.

كانت الشقة مكاناً مثالياً لشقيقتين في العشرينيات من عمرهما وتعيشان معاً. وكانت تضمّ غرفتَي نومٍ صغيرتين، ومطبخاً مشتركاً وغرفة طعام متصلة بغرفة معيشة صغيرة. بدا أن الأثاث قد جُلب من أماكن شتى؛ إذ لا يجمعه نسق واحد. فوق مائدة الطعام المصقولة وُضع مصباح تيفاني مقلَّد، لا يليق به المكان نهائياً. إذا فتحتَ الستائر، بنقوش الزهور الصغيرة التي تحملها، تجد في الخارج حقلاً مزروعاً، وبعد ذلك، بستاناً يضمّ أشجاراً كثيفة. كانت إطلالة جميلة، ولا يوجد ما يحجب الرؤية، ولكنها رؤية لا تُبهج النفس بأيّ حال.

أشارت كومي لتنغو بالجلوس على أريكة تَسَع شخصين في غرفة المعيشة، وكانت أريكة رديئة حمراء اللون تمّ وضعها في مواجهة جهاز التلفزيون. أخرجت من الثلاجة علبة بيرة سابورو ووضعتها أمامه وبجانبها وضعت كوباً فارغاً.

«أنا ذاهبة كي أبدل ملابسي بشيء يجعلني أكثر ارتياحاً، انتظر هنا. سأعود سريعاً».

لكنها مكثت بالداخل مدة طويلة. كان يسمع من حين إلى آخر صوتاً من وراء الباب عبر الممر الضيق، صوت أدراج لا تنزلق جيداً، وصوت فتح وإغلاق، وصوت ارتطام الأشياء حينما تُلقى أرضاً. ومع كلّ ارتطام، لم يكن تنغو يستطيع أن يمنع نفسه من النظر في الاتجاه الذي يأتي منه الصوت. ربما كانت ثملة فعلاً أكثر ممّا بدا عليها. كان يتناهى إليه أيضاً صوت تلفزيون عبر الحوائط الرقيقة للشقّة. لم يستطعْ أن يتبين ماذا يُقال، ولكن بدا له أنه عرض كوميدي، تنبعث خلاله نوبة ضحك من الجمهور كل عشر أو خمس عشرة ثانية. ندم تنغو على كونه لم يرفض دعوتها. لكنه في الوقت نفسه، وفي إحدى زوايا عقله، كان يرى أنّ قدومه إلى هنا لا مفر منه.

كانت الأريكة التي يجلس عليها من النوع الرديء، ويثير نسيجها لديه حكّة كلما لامس جلده. أزعجه شكلُها أيضاً، ولم يشعر بأيّ راحة في جلسته عليها مهما غيّر من وضعية جلوسه. لم يؤدِّ ذلك إلّا إلى مضاعفة إحساسه بعدم الارتياح. أخذ تنغو رشفة من البيرة والتقط جهاز التحكّم عن بعد في التلفزيون من فوق المنضدة. حدّق فيه وقتاً، كما لو أنه جسم غريب، ثم ضغط على زر التشغيل. تنقّل بين بعض القنوات، قبل أن يستقر أخيراً على فيلم وثائقي تقدِّمه 'إن إتش كيه' حول السكك الحديد في أستراليا. اختار هذا الفيلم لا لشيء إلّا لكونه أكثر هدوءاً من الفقرات الأخرى. وبينما كان يوجد عزفٌ بالمزمار في الخلفية، كانت المعلِّقة تتحدث بهدوء عن عربات النوم الأنيقة في خط القطار الذي يجتاز جميع أنحاء أستراليا.

كان تنغو يجلس على الأريكة غير المريحة، ويشاهد بفتور الصور

التي تظهر على الشاشة، ولكن عقله كان منصرفاً إلى **الشرنقة الهوائية**.
لم تكُن كومي أداتشي تدري أنه هو الكاتب الحقيقي للرواية. ليس هذا هو المهم، ولكن المهم هو أنه حينما كتب هذا الوصف التفصيلي للشرنقة الهوائية، لم يكن يدري أيّ شيء عن هذا الموضوع. ما هي الشرنقة الهوائية؟ وماذا تعني **مازا ودوهتا**؟ لم يكن يدري ماذا يعنيان حينما كتب **الشرنقة الهوائية**، ولا يزال لا يدري. ومع ذلك، قرأت كومي الكتاب ثلاث مرات. كيف لذلك أن يحدث؟

عادت كومي فيما كان الفيلم الوثائقي يناقش قائمة الطعام التي تُقدَّم في عربات الطعام. ألقت بنفسها إلى جوار تنغو على الأريكة. كانت الأريكة ضيقة بما جعل أكتافهما تتلامس. كانت قد لبست قميصاً فضفاضاً بأكمام طويلة وسروالاً قطنياً باهت اللون. وكانت توجد على القميص صورة كبيرة لوجه باسم. كانت المرة الأخيرة التي رأى فيها تنغو وجهاً باسماً في مطلع السبعينيات، حينما كانت غراند فونك للسكك الحديد تزوّد جهاز الأغاني في القطار بأغانيها الصاخبة. ولكن القميص لم يبدُ قديماً إلى هذا الحدّ. ألا يزال الناس في مكانٍ ما يصنعون قمصاناً من ماركة سمايلي؟

أخرجت كومي قنينة من البيرة الطازجة من الثلاجة، وفتحتها مُحدِثة صوتاً عالياً، ثم صبّت منها في كوبها، وشربت ثلثه دفعة واحدة. ضيَّقت عينيها وكأنها قطٌّ قانع ثم أشارت إلى شاشة التلفزيون. كان القطار يشقّ طريقه بين جبال صخرية حمراء في خطٍّ مستقيم يمتدّ بلا نهاية.

«أين هذا؟».

قال تنغو: «في أستراليا».

قالت كومي أداتشي وكأنها تبحث في زوايا ذاكرتها: «أستراليا.

أستراليا الواقعة في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية؟».

«نعم. أستراليا المشهورة بالكنغارو».

قالت كومي وهي تحكّ زاوية عينها: «لديّ صديق سافر إلى أستراليا. كان ذلك خلال موسم تزاوج الكنغارو. ذهب إلى إحدى البلدات فوجد حيوانات الكنغارو تمارس ذلك في كلّ مكان. في الحدائق والشوارع. في كلّ مكان».

ظنّ تنغو أن عليه أنّ يعلّق على كلامها، ولكنه لم يجد ما يقوله. وبدلاً من ذلك أخذ جهاز التحكم وأطفأ التلفزيون. مع إطفاء التلفزيون، غرقت الغرفة فجأة في الصمت. وانقطع أيضاً صوت التلفزيون المجاور. لم يعُد يسمع سوى صوت سيارة تمرّ من حين إلى آخر عبر الطريق في الخارج، ولكن عدا ذلك كان الليل ساكناً. ومع ذلك، إذا أرهفت السمع، يتناهى إليك صوت مكتوم آتٍ من بعيد. كان صوتاً ثابتاً ومنغّماً، ولكن تنغو لم يدرك ماذا يمكن أن يكونه الصوت. كان يتوقف لفترة، ثم ينبعث مرة أخرى.

قالت الممرضة: «إنها بومة. تعيش في الغابة القريبة. وتطلق نعيبها في الليل».

ردَّد تنغو بشكل مبهم: «بومة».

أراحت كومي رأسها على كتفه وأمسكت بيده. كان شعرها يدغدغ رقبته. وكانت الأريكة لا تزال غير مريحة. واصلت البومة نعيبها في الغابة. بدا هذا الصوت مشجِّعاً لتنغو، ولكنه بدا أيضاً وكأنه تحذير. أو ربما تحذير ممزوج بنبرة تشجيع. كان صوتاً شديد الغموض.

سألته كومي أداتشي: «قل لي، هل تراني جريئة أكثر ممّا ينبغي؟».

لم يردّ تنغو وبدلاً من ذلك سألها: «أليس لديك صديق؟».

قالت: «هذا سؤال مربك»، وقد بدت فعلاً مرتبكة. «معظم الشباب الأذكياء يتّجهون إلى طوكيو فور تخرّجهم في المدرسة الثانوية. لا توجد كليات جيدة هنا، ولا ما يكفي من الوظائف اللائقة أيضاً. ليس لديهم خيار آخر».

«لكنك هنا».

«نعم. ولكن بالنظر إلى ضعف الراتب الذي نتقاضاه هنا، فإنّ العمل يُعتبر شاقاً للغاية. ولكني أحبّ العيش هنا نوعاً ما. والمشكلة هي العثور على صديق. أنا مستعدة لذلك إذا وجدت الشخص المناسب، ولكن لا توجد هنا الكثير من الفرص».

كانت عقارب ساعة الحائط تشير إلى ما قبل الحادية عشرة بقليل. إذا لم يعد إلى النُزل بحلول الحادية عشرة، فلن يتمكن من الدخول. لكن تنغو لم يستطعْ أن يرفع نفسه عن الأريكة الضيقة. لم يكن جسمه سوف يطاوعه. ربما كان ذلك بسبب شكل الأريكة، أو ربما كان ثملاً أكثر ممّا كان يظن. استمعَ بشكلٍ مبهَم إلى نعيب البومة، وأحسَّ بشعر كومي يدغدغ رقبته، وأخذ يحدِّق في مصباح تيفاني المقلد.

كانت كومي أداتشي تطلق صفيراً مبتهجاً من بين شفتيها وهي تجهِّز الحشيش. استخدمت شفرة حلاقة لتقطيع شرائح رقيقة من كرة سوداء من الحشيش، ثم قامت بحشو هذه الشرائح في بايب صغير ومسطح، وبعد ذلك، وبنظرة جادّة على وجهها، أشعلت عود ثقاب. وسرعان ما ملأت الغرفة رائحة دخان فريدة وحلوة. سحبت كومي أول نَفس. استنشقته بعمق، واحتبسته في رئتيها لفترة طويلة، ثم زفرت

ببطء. أشارت إلى تنغو كي يفعل الشيء نفسه. أخذ تنغو البايب وحذا حذوَها. حاول أن يحبس الدخان في رئتيه لأطول فترة ممكنة، ثم أخرجه ببطء شديد.

كانا يمرران البايب بينهما جيئة وذهابا، دون أن ينطقا بكلمة واحدة. شغّل جارهما جهاز التلفزيون لديه فأصبح بإمكانهم سماع العرض الكوميدي مرة أخرى. جاء الصوت أعلى قليلاً من ذي قبل. وكانت الضحكات المبتهجة التي تصدر من جمهور الاستوديو تتعالى، ولم تكن هذه الضحكات تتوقف إلّا في أثناء فقرة الإعلانات.

ظلا يتناوبان التدخين لخمس دقائق تقريباً، لكن شيئاً لم يحدث. لم يتغيّر العالم المحيط بتنغو، وبقيت الألوان والأشكال والروائح على ما كانت عليه. وواصلت البومة نعيبها في الغابة، وظلَّ شعر كومي أداتشي يدغدغ رقبته. وبقيت الأريكة غير مريحة لشخصين. وواصل عقرب الثواني دورانه بالسرعة نفسها وظلّت ضحكات الجمهور المنبعثة من التلفزيون تتعالى كلما تلفَّظ شخصٌ بشيء يُضحك. كانت ضحكات من ذلك النوع الذي يمكن أن تظلّ تضحكها إلى الأبد ولكنها لا تجعلك سعيداً. مكتبة الرمحي أحمد

قال تنغو: «لا أشعر بشيء. ربما ليس له تأثير عليّ».

ضربت كومي على ركبته بخفّة مرتين: «لا تقلق. إنه يحتاج إلى بعض الوقت».

وكانت على صواب. ها هو التأثير قد ظهر أخيراً. سمعَ نقرة، وكأنما قد تمّ الضغط على مفتاح سري، ومن ثم تدفَّق شيء كثيف داخل رأسه. شعر وكأنه قد سَكب وعاءً من عصيدة الأرز. قال تنغو في نفسه، **دماغي تهتز**. كانت تجربة جديدة بالنسبة إليه، أن يشعر بأنّ دماغه قد أصبح شيئاً منفصلاً عن بقية جسمه، وأن يشعر فعلياً

بلزوجته. وتناهى إلى سمعه نعيب البومة الغامض، فامتزج بالعصيدة داخل رأسه، وذاب فيها.

علّق تنغو: «البومة أصبحت بداخلي». أصبحت البومة جزءاً من وعيه، جزءاً حيوياً لا يمكن فصله.

قالت كومي: «البومة هي حارسة الغابة. إنها عليمة بكلّ شيء وتمنحنا حكمة الليل».

ولكن كيف وأين ينبغي أن تبحث عن هذه الحكمة؟ كانت البومة حاضرة وغائبة. قال تنغو: «لا يحضرني أيّ سؤال كي أوجّهه لها».

قبضت كومي أداتشي على يده: «لا حاجة إلى الأسئلة. كلّ ما عليك هو الدخول إلى الغابة بنفسك. هذه الطريقة أبسط بكثير».

كان يمكنه أن يسمع مرة أخرى الضحكات المتعالية التي تصدر عن العرض الكوميدي. وكذلك التصفيق. ربما كان مساعد المخرج، خارج نطاق الكاميرا، يرفع لافتات صغيرة أمام الجمهور وقد كُتب عليها، اضحكوا وصفّقوا. أغمض تنغو عينيه وانصرف تفكيره إلى الغابة، وتخيَّل نفسه وقد ذهب إلى هناك. كان عالم الناس الصغار هناك في قلب الغابة المظلمة. ولكن البومة كانت لا تزال هناك أيضاً. البومة العليمة بكلّ شيء والتي تمنحنا حكمة الليل.

وفجأة تلاشى كلّ صوت، كما لو أن أحداً ما قد برز من ورائه خلسة وأمسك بقطعتَي فلين ووضعهما في أذنيه. هناك شخص ما وضع غطاءً، فيما رفع شخصٌ آخر، في مكان ما، غطاءً آخر. تبدّل المَدخل والمَخرج.

ألفى تنغو نفسه في فصل دراسي بمدرسة ابتدائية.

كانت النافذة مفتوحة على مصراعيها وأصوات الأطفال تتسرّب إليه من فناء المدرسة. هبّت الرياح، وكأنها شيء حدث لاحقاً، فيما

كانت الستائر البيضاء ترفرف وسط هبَّات النسيم. وجد أَوْمَامِه بجانبه، تقبض على يده بشدة. إنه المشهد نفسه الذي اعتاد أن يراه دائماً، ولكن ثمة شيء به قد تغيّر. كان كلّ ما يمكنه أن يراه واضحاً وضوح الشمس، واضحاً وجديداً ومكثّفاً بشدّة حتى النخاع. كان بوسعه أن يتبيّن كلّ التفاصيل في الأشكال والأشياء التي من حوله. إذا مدّ يده، فإنّ بوسعه أن يلمسها فعلاً. لفتت انتباهه بقوة تلك الرائحة التي تميِّز ساعات ما بعد الظهيرة في مطلع الشتاء، وكأنّ ذلك الشيء الذي ظلّ يحجب تلك الروائح حتى ذلك الحين قد زال وابتعد. روائح حقيقية. رائحة الموسم: بداية من ممحاة السبورة، وممسحة الأرضية، وأوراق الشجر المتساقطة وهي تُحرق في المحرقة في إحدى زوايا فناء المدرسة، كانت كلّ هذه الروائح تختلط معاً بشكلٍ لا يمكن فصله. عندما اشتمّ هذه الروائح، شعر بها تنتشر في كلّ أرجاء عقله. شعرَ بأنّ هيكل جسمه يُعاد تركيبه. ولم تعُد دقات قلبه مجرّد دقات قلب.

للحظة، استطاعَ أن يدفع باب الزمن إلى الداخل. امتزج ضوء قديم بآخر جديد، فأصبحا ضوءاً واحداً. وامتزج هواء قديم بآخر جديد، فأصبحا هواءً واحداً. فكّر تنغو، **هذا هو الضوء نفسه، وهذا هو الهواء نفسه**. فهم كلّ شيء الآن. كلّ شيء تقريباً. **لماذا لم أتذكر هذه الرائحة من قبل؟ إنها مسألة في غاية البساطة. إنه عالمٌ واضح، ومع ذلك لم أفهمه.**

قال تنغو لأَوْمَامِه: «كنت أريد رؤيتكِ». جاء صوته بعيداً ومتلعثماً، لكنه كان حتماً صوته.

قالت الفتاة: «وأنا أيضاً كنت أريد رؤيتك». كان صوتها يشبه صوت كومي أداتشي. لم يستطعْ أن يتبيَّن الخط الفاصل بين الواقع

والخيال. لو حاول أن يحدِّد ذلك الخط، فسوف ينقلب الوعاء وينسكب داخل رأسه.

قال تنغو: «كان ينبغي أن أبحثَ عنكِ منذ مدّة طويلة. ولكني لم أتمكن من ذلك».

قالت الفتاة: «لم يفُت الأوان بعد. ما زال بإمكانكَ أن تجدني».

«ولكن كيف يمكنني ذلك؟».

لم ترد. لم تصغ الجواب في كلمات.

قال تنغو: «ولكني أدرك أني أستطيع أن أجدكِ».

قالت الفتاة: «لأنني أستطيع أن أجدكَ».

«وهل وجدتِني؟».

قالت الفتاة: «بإمكانكَ أن تجدني. لم يفُت الأوان بعد».

وكأنها روح مفارقة لم تغادر جسدها في الوقت المناسب، ظهرت هفهفات خفيفة على الستارة البيضاء، دون أن يصحَب ذلك أيّ صوت. كان هذا هو آخر ما رآه تنغو.

عندما استيقظ، وجدَ نفسه راقداً في سرير ضيق. وكانت أنوار الغرفة مطفأة، ولا يوجد بها سوى ضوء خافت يتسرَّب إليها من مصابيح الشوارع عبر فجوة في الستائر. وجد نفسه يرتدي قميص «تي شيرت» وسروالاً قصيراً. أما كومي فلم تكن ترتدي سوى قميصها الذي يحمل علامة «سمايلي» الوجه الباسم. وتحت هذا القميص الطويل، لم تكن ترتدي أيّ شيء. وجد ثدييها الطريين مستندين إلى ذراعه. وكان صدى نعيب البومة لا يزال يتردّد في رأس تنغو. بقيت الغابة بداخله، وكان لا يزال متشبّثاً بالغابة في ساعات الليل.

حتى وهو في الفراش مع الممرضة الشابة وبهذه الوضعية، لم يشعُر بأيّ رغبة نحوها. بدا أنّ كومي تشاطره الشعور نفسه. كانت تلف ذراعيها حول جسده وتضحك. ماذا كان يُضحكها إلى هذا الحدّ؟ لم يكن تنغو يدري. ربما يوجد أحد ما، في مكان ما، يحمل لافتة تقول: اضحكي.

كم الساعة؟ رفع رأسه باحثاً عن الساعة، فلم يجد شيئاً. توقّفت كومي فجأة عن الضحك ولفَّت ذراعيها حول رقبته.

قالت فيما كانت أنفاسها الدافئة تلامس أذنه: «لقد ولدتُ من جديد».

قال تنغو «لقد ولدتِ من جديد».

«لأنني متّ مرة من قبل».

أعاد تنغو كلامها: «متّ مرة من قبل».

قالت: «في ليلة هطلت خلالها أمطار باردة».

«لماذا متِّ؟».

«حتى أولد هكذا من جديد».

قال تنغو: «سوف تولدين من جديد».

همست بصوت خافت للغاية: «تقريباً. في جميع الأشكال».

تأمَّل تنغو هذه العبارة. ماذا يعني أن تولد من جديد، تقريباً، في جميع الأشكال؟ كان دماغه ثقيلاً، ويغصّ بجراثيم الحياة، وكأنه بحر بدائي. ليس معنى ذلك أنها قد أوصلته إلى أيّ مكان.

«من أين تأتي الشرانق الهوائية؟».

قالت كومي مبتسمة: «هذا هو السؤال الخطأ».

تلوَّت بجسدها فوق تنغو حتى أحسَّ بشعر عانتها على فخذيه.

كان شعراً كثيفاً. بدا كما لو أنّ شعر عانتها جزء من عملية التفكير لديها.

قال تنغو: «ماذا يلزم حتى تولدين من جديد؟».

قالت الممرضة الشابة، كما لو كانت تكشف سراً: «المشكلة الأكبر هي أنه لا أحد يولد من جديد لأجل نفسه. لا يمكنه ذلك إلّا حينما يكون لأجل أحد آخر».

«ماذا تقصدين بكلمات من قبيل: **تقريباً وفي جميع الأشكال**».

«عليكَ أن تغادر يا تنغو مع طلوع الصباح. قبل إغلاق المَخرج».

ردَّد تنغو كلمات الممرضة: «سوف أغادر مع طلوع الصباح».

راحت مرة أخرى تحكّ شعر عانتها الكثيف بفخذه، كما لو أنها تريد أن تُخلِّف وراءها **علامة** ما: «الشرانق الهوائية لا تأتي من مكان ما. لن تأتي مهما طال انتظارك».

«وتعرفين ذلك».

قالت: «لأنني متّ مرة من قبل. الموت مؤلم. أكثر إيلاماً ممّا تتخيل، يا تنغو. أنت وحيد تماماً. يا له من أمرٍ مدهش أن يعيش شخص ما وحيداً إلى هذا الحدّ. عليك أن تتذكّر ذلك. ولكنكَ ما لم تمت مرَّة من قبل، فلن تولد من جديد».

أكد تنغو كلامها: «ما لم تمُت مرة من قبل، فلن تولد من جديد».

«ولكن الناس يواجهون الموت وهم لا يزالون على قيد الحياة».

ردَّد تنغو دون أن يدري ماذا يعني ذلك: «الناس يواجهون الموت وهم لا يزالون على قيد الحياة».

ظلّت الستارة البيضاء ترفرف وسط النسيم. كانت رائحة الهواء في الفصل الدراسي مزيجاً من الرائحة المنبعثة من ممحاة السبورة والماسح الآلي. وكانت تفوح فيه رائحة حرق أوراق الشجر. وثمة شخص يعزف على الناي. وكانت الفتاة تقبض بشدَّة على يده. شعر بألمٍ لذيذ في نصفه السفلي، ومع ذلك لم يجد انتصاباً. سوف يتحقَّق ذلكَ في وقت لاحق. كانت عبارة **في وقت لاحق** وعداً بالخلود. كان الخلود عموداً واحداً وطويلاً يمتدّ بلا نهاية. مال الوعاء قليلاً مرة أخرى، ومرة أخرى انسكب تفكيره عند أحد الجانبين.

حينما استيقظ تنغو، استغرق وقتاً حتى يدرك أين هو، وحتى يستعيد أحداث الليلة السابقة. كان ضوء الشمس الساطعة يتسرَّب عبر فراغات الستائر المنقوشة، فيما تصدح الطيور بأصوات عالية في الخارج. كان قد نام محشوراً في وضعية غير مريحة في السرير الضيق. لم يكن يصدِّق أنه نام الليلة كلها في هذه الوضعية. وجد كومي راقدة بجانبه، حيث تدفن وجهها بالوسادة، وتغطّ في نوم عميق. كان شعرها يغطي خديها، وكأنه عشب صيفي كثيف بلَّله ندى الصباح. قال تنغو في نفسه، **كومي أداتشي**. الممرضة الشابة التي بلغت لتوّها الثالثة والعشرين. كانت ساعة يدهِ قد سقطت على الأرض، فيما تشير عقاربها إلى 7:20 صباحاً.

انسلَّ تنغو بهدوء من الفراش، محاذراً أن يوقظ كومي، ونظر خارج النافذة عبر فتحة في الستائر. رأى حقلاً مزروعاً بالكرنب. كانت صفوف الكرنب رابضة في ثباتٍ على الأرض. وفيما وراء الحقل كانت توجد الغابة. تذكَّر تنغو نعيب البومة. لقد كانت تنعب حتماً في الليلة الماضية. حكمة الليل. كان تنغو والممرضة يسمعانها

وهما يدخّنان الحشيش. وكان لا يزال يشعر بأثر شعر عانتها الخشن في فخذه.

مضى تنغو إلى المطبخ، واغترف الماء من الصنبور بيديه، وشرب. كان عطشاً للغاية وراح يشرب ويعبّ بلهفة، ومع ذلك لم ينطفئ عطشه. أمّا عدا ذلك، فلم يتغيّر أي شيء. لم تؤلمه رأسه، ولم يجد جسده متبلداً. ووجد ذهنه صافياً. ولكن بطريقة ما، في داخله، بدا أنّ الأشياء تتدفّق بشكل أفضل وكأنّ الأنابيب قد تمّ تنظيفها بعناية وإتقان. مشى بخطى متثاقلة وهو يرتدي قميص «تي شيرت» وسروالاً قصيراً إلى الحمام حيث أخرج قدراً كبيراً من البول. في المرآة التي لا يألفها، بدا له وكأن وجهه ليس وجهه. ووجد بعض خصلات شعر رأسه وقد برزت هنا وهناك، وأنه بحاجة إلى حلاقة ذقنه.

عاد إلى غرفة النوم والتقط ملابسه. وجد ملابسه التي خلعها وقد اختلطت بملابس كومي، وتناثرت على الأرض. لم يتذكّر متى أو كيف، خلعها. وجد جوربه مربوطاً في بنطال الجينز، وقميصه مزرّراً حتى آخره. وبينما كان يفعل ذلك، وطأ بقدمه خاتماً كبيراً. التقطه ووضعه على منضدة بجانب السرير. ارتدى سترته وأخذ معطفه. تأكّد من أنّ حافظة نقوده ومفاتيحه في جيبه. كانت الممرضة الشابة لا تزال تغطّ في نومٍ عميق، فيما كانت البطانية مشدودة حتى ما دون أذنيها. كانت أنفاسها تخرج هادئة. هل يجب أن يوقظها؟ بالرغم من أنهما لم يفعلا أيّ شيء، وهو موقن تماماً من ذلك، فقد أمضيا الليلة معاً في الفراش. بدا أنها ستكون بذاءة من جانبه إن هو غادرها من دون وداع. ولكنها كانت تغط في نوم عميق، وقد قالت له إنّ هذا يوم عطلتها. حتى لو أيقظها، ماذا سيفعلان؟

وجد دفتراً للملاحظات وقلم حبر بجوار الهاتف. **أشكركِ على الليلة الماضية. أمضيت وقتاً ممتعاً. سأعود إلى نُزلي. تنغو.** سجّل الوقت. ووضع الدفتر على المنضدة، ثم وضع الخاتم الذي وجده على الأرض فوقها كثقل. وبعدئذٍ انتعل حذاءه الرياضي المهترئ وغادر.

مشى في الطريق بعض الوقت، حتى بلغ موقفاً للحافلات. انتظر هناك خمس دقائق وسرعان ما وصلت حافلة متّجهة إلى المحطة. كانت الحافلة تغصّ بالبنين والبنات من طلاب المدارس الثانوية الذين كانوا يُحدثون جلبة وصخباً، وركب معهم حتى نهاية الخط. تقبَّل العاملون في النزل وصوله المتأخر في الثامنة صباحاً وهو غير حليق. لم يبدُ أنّ ذلك غير مألوف بشدّة لديهم. من دون كلمة واحدة منهم، سارَعوا إلى إعداد وجبة الإفطار.

بينما كان يتناول فطوره الساخن ويحتسي الشاي، راح تنغو يتأمّل أحداث الليلة السابقة. كانت الممرضات الثلاث قد دَعَوْنه للخروج معهن والذهاب لتناول اللحم المشوي. ثم مضوا بعد ذلك إلى حانة للشراب، حيث غنوا أغاني الكاريوكي. وبعدئذٍ ذهب برفقة كومي أداتشي إلى شقتها، حيث تعاطيا الحشيش الهندي، فيما كان يتناهى إلى سمعه نعيب بومة في الخارج. وبعد ذلك بدا له وكأنّ دماغه قد تحوَّل إلى عصيدة ساخنة ذات قوام كثيف. وفجأة وجد نفسه داخل فصله الدراسي في مدرسته الابتدائية في فصل الشتاء، كان بوسعه أن يشمّ رائحة الهواء، ويتحدَّث إلى أَوْمَامِه. ثم كانت كومي، وهي في السرير، تتحدّث عن الموت والقيامة. كانت هناك أسئلة خاطئة، وإجابات غامضة. واصلت البومة نعيبها في الغابة، وتابع مشاهدو العرض التلفزيوني الكوميدي ضحكاتهم.

كانت ذاكرته متقطِّعة وكان بها حتماً العديد من الفجوات. ولكن الأجزاء التي يتذكّرها كانت واضحة وظاهرة بشكلٍ يبعث على الدهشة. يمكنه أن يستعيد كلّ كلمة تفوَّهها بها. كان تنغو لا يزال يتذكَّر آخر ما قالته له كومي. وجَّهَت له نصيحة وتحذيراً.

عليك أن تغادر مع طلوع الصباح يا تنغو. قبل إغلاق المخرج.

ربما يكون هذا هو الوقت المناسب للمغادرة. كان قد حصل على إجازة من عمله وجاء إلى هذه البلدة يحدوه الأمل في رؤية أَوْمَامِه ذات السنوات العشر داخل الشرنقة الهوائية مرة أخرى. وقد أمضى ما يقارب أسبوعين يذهب خلالهما كلّ يوم إلى المصحة، ويقرأ لوالده بصوتٍ مرتفع. ولكن الشرنقة الهوائية لم تظهر أبداً. بدلاً من ذلك، وحينما كان على حافة اليأس من ذلك، أعدَّت كومي أداتشي نوعاً مغايراً من الرؤية. وفيه استطاع أن يرى أَوْمَامِه وهي فتاة مرة أخرى ويتحدّث إليها. قالت له أَوْمَامِه، جِدني. **قبل فوات الأوان.** في الواقع، ربما تكون كومي هي مَن قالت ذلك. لم يستطعْ تنغو أن يجزم. لكن ذلك لا يهمه. لقد ماتت كومي مرة، وولدَت من جديد. ليس لأجلها، ولكن لأجل شخص آخر. في الوقت الراهن، قرَّر تنغو أن يصدِّق ما سمعه منها. كان من المهم أن يفعل ذلك. وعلى الأقل، كان موقناً من ذلك.

هذه هي بلدة القطط. وثمة شيء لا يمكن العثور عليه إلّا ها هنا. وهذا هو السبب الذي جعله يركب القطار ويقطع كلّ هذه المسافة إلى هذا المكان النائي. ولكن كلّ ما وجده هنا كان محفوفاً بالمخاطر. إذا صدّق تلميحات كومي، فقد يكون في هذه المخاطر

هلاكه. أشعر بوخز في إصبعيّ إبهامي، وإنه لدليل على شيء قادم ومعه شرّ وَبِيل.

لقد حان وقت العودة إلى طوكيو - قبل إغلاق المخرج، وحيث لا يزال القطار يتوقف في هذه المحطة. ولكن قبل ذلك كان عليه أن يعود إلى المصحة، كي يُودِّع والده. وكانت هناك أمور ما زال عليه أن يستوضحها.

الفصل العاشر

يوشيكاوا
تجميع قطع الأحجية

سافر يوشيكاوا إلى إتشيكاوا. بدت له وكأنها رحلة طويلة، رغم أنها موجودة في واقع الأمر على الضفّة الأخرى من النهر في محافظة تشيبا، ولا تبعُد كثيراً عن مدينة طوكيو. حينما وصل إلى المحطة استقلّ سيارة أجرة وأخبر السائق باسم المدرسة الابتدائية. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهراً حينما وصل إلى المدرسة. وكانت استراحة الغداء قد انتهت وبدأت الحصص الدراسية لفترة ما بعد الظهيرة. سمع جوقة الطلاب يغنون في غرفة الموسيقى فيما كان هناك فصل دراسي آخر يلعب كرة القدم في الخارج. وكان يسمع الأطفال يتصايحون وهم يركضون وراء الكرة.

لم يكن يوشيكاوا يحتفظ بأيّ ذكريات جميلة عن أيامه في المدرسة الابتدائية؛ فهو لم يكُن يُجيد أيّ لعبة ولا سيما تلك التي تُستخدم فيها الكرة. وكان قصير القامة وبطيئاً حينما يجري ويعاني ضعفاً في الإبصار ولا يستطيع الحفاظ على اتّزانه. ولذلك كان يعتبر حصة الألعاب كابوساً. ومع ذلك، كان يحقّق درجاتٍ ممتازة في حصص أخرى. كان شديد الذكاء ويكرّس جهده لواجباته المدرسية

(ما أتاح له أن يجتاز امتحان القانون قبل أن يتجاوز الخامسة والعشرين). لكن أحداً لم يكن يحبّه أو يحترمه. ربما كان أداؤه الرياضي السيئ هو أحد الأسباب. وكذلك ملامح وجهه. فمنذ كان طفلاً، وهو بهذا الوجه الكبير والدميم، وهذا الرأس المنبعج. وكانت شفتاه الغليظتان تبدوان مترهّلتين من كلتا زاويتيهما حتى يُخيل إلى الناظر وكأنّ لعابه سوف يسيل منهما في أيّ لحظة، رغم أن ذلك لم يحدث قَطّ. أمّا شعره فكان أجعد وأشعث. ولم تكن هذه بالملامح التي يمكن أن تجتذب الآخرين.

لم يكن يتكلّم إلا نادراً في المدرسة الابتدائية. كان يُدرك أنّ بوسعه أن يكون طليق اللسان إذا لزم الأمر، ولكن لم يكن لديه أيّ أصدقاء مقرّبين ولم تُتح له قط الفرصة كي يظهر للآخرين كيف أنه يستطيع أن يُحسِن الكلام إذا أراد. لذلك كان دائماً ما يُبقي فمه مغلقاً، ويُبقي أذنيه مفتوحتين وينصت إلى كلّ ما يصدر عن أيّ أحد، كي يتعلم شيئاً من كلّ ما يسمع. وقد عادت هذه العادة عليه في نهاية الأمر بالفائدة. وخلال ذلك، اكتشف مجموعة من الحقائق المهمة، ومنها الحقيقة التالية: معظم الناس في العالم لا يستخدمون في الحقيقة عقولهم في التفكير. وهؤلاء الذين لا يفكرون هم الذين لا يستمعون للآخرين.

وعلى أية حال، لم تكن أيام يوشيكاوا في المدرسة الابتدائية هي صفحة حياته التي يجد متعة في استحضارها. فمجرد تفكيره في أنه يوشك أن يزور مدرسة ابتدائية كان مدعاة للاكتئاب لديه. وبغض النظر عن أيّ اختلافات قد توجد بين محافظتي سايتاما وتشيبا، فإن المدارس الابتدائية تتشابه إلى حدٍّ كبير أينما ذهبت في اليابان. فهي تبدو متماثلة وتطبق المبادئ نفسها. ومع ذلك، أصرّ يوشيكاوا على أن

يقطع هذا الطريق كي يزور هذه المدرسة بنفسه في إتشيكاوا. كانت زيارة مهمّة، ولا يمكن أن يكلِّف بها أحداً سواه. كان قد اتصل بمكتب الاستقبال في المدرسة وحصل بالفعل على موعد في الواحدة والنصف ظهراً.

كانت نائبة المدير امرأة ضئيلة الجسم في منتصف الأربعينيات، نحيلة الجسم وجذابة وحسنة المظهر. **نائبة مدير؟** اعترى يوشيكاوا بعض الارتباك. لم يكن قد سمع هذا المسمى الوظيفي من قبل. ولكن زمناً طويلاً كان قد مضى على تخرّجه في المدرسة الابتدائية. ومنذ ذلك الحين تغيَّرت أشياء كثيرة. لا بد أنّ هذه المرأة قد تعاملت مع أشخاص كثيرين على مرّ السنين؛ إذ لم تطرف لها عين حينما وقع بصرها على يوشيكاوا بملامحه الغريبة. أو ربما كان ذلك لدماثة خلقها. اصطحبت يوشيكاوا إلى غرفة استقبال مرتّبة ودَعَته للجلوس. جلست في الكرسي المقابل له وابتسمت له ابتسامة عريضة، وكأنها تتساءَل أيّ حديث ممتع يوشكان على الخوض فيه.

ذكَّرت ملامح نائبة المدير يوشيكاوا بفتاة كانت في صفّه في المدرسة. كانت فتاة جميلة، وتحقِّق درجات جيدة، وتتصرّف بودّ ومسؤولية. كانت مهذَّبة وتُجيد العزف على البيانو، وإحدى الطالبات المفضّلات لدى المعلمين. وخلال الحصّة كان يوشيكاوا يقضي وقتاً طويلاً يحدِّق فيها، وبالأساس في ظهرها. ولكنه لم يتحدَّث إليها قطّ.

سألته نائب المدير: «فهمت أنك تريد الاستفسار عن أحَد خريجي مدرستنا؟».

قال يوشيكاوا: «المعذرة، كان ينبغي أن أقدِّم لك هذه أولاً»، ثم مرّر لها بطاقته التعريفية. كانت هي البطاقة نفسها التي قدَّمها إلى

تنغو، وعليها المسمى الوظيفي: مدير مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون. أخبَرَ المرأة بالقصّة المختلَقة نفسها التي حدّث بها تنغو من قبل. لقد أصبح تنغو كاوانا، الذي تخرَّج في هذه المدرسة، كاتباً وقد وصل إلى القائمة القصيرة التي تؤهِّله للحصول على منحة المؤسسة. وأخبرها أنه يُجري تحرّيات عادية حول نشأته.

قالت نائب المدير: «هذا خبر رائع. وشرف عظيم لمدرستنا، وسوف نبذل كلّ ما في وسعنا لمساعدتك».

قال يوشيكاوا: «كنت أرجو أن ألتقي وأتحدَّث مباشرة مع المعلمة التي درَّست السيد كاوانا».

«سوف أنظر في ذلك. مضى على ذلك أكثر من عشرين سنة، وربما تكون قد تقاعدت بالفعل».

قال يوشيكاوا: «أشكرك. هناك شيء آخر أودّ منكِ النظر فيه إذا سمحت».

«وما هو؟».

«حسبما أظنّ، كانت هناك فتاة في السنة نفسها مع السيد كاوانا، وهي ماسامي أَوْمَامِه. هل يمكنكِ أن تنظري أيضاً إن كانت في الصف نفسه الذي كان به السيد كاوانا؟».

بدَت بعض علامات الارتياب على وجه نائبة المدير: «هل هناك صلة ما بين هذه الآنسة أَوْمَامِه وحصول السيد كاوانا على المنحة؟».

«لا، ليس كذلك. في إحدى أعمال السيد كاوانا، هناك شخصية يبدو أنه رَسَمَها على غرار شخصية مثل أَوْمَامِه، ولديّ بعض الأسئلة التي أريد أن أستوضحها حول هذا الموضوع. ليس شيئاً مرتبطاً مباشرة بالموضوع. مسألة شكلية في الأساس».

قالت نائبة المدير، «فهمت» وقد ارتفعت زاويتا شفتيها قليلاً عمّا

كانتا عليه. «أنا متأكّدة أنك تدرك، مع ذلك، أننا في بعض الحالات قد لا نتمكّن من إعطائك معلومات ربما تمسّ الخصوصيات. مثل الدرجات أو تقارير البيئة المنزلية للتلميذ».

«بالطبع، أنا مدرك تماماً لذلك. كلّ ما نريده هو معلومات عمّا إذا كانت في الصف نفسه الذي كان به السيد كاوانا. وإذا كانت كذلك، فسأكون ممتناً للغاية لو تفضّلتم بإعطائي الاسم وبيانات الاتصال الخاصة بالمعلمة التي كانت مسؤولة وقتئذٍ عن صفّهما».

«أفهم ذلك. ولا بأس بذلك. اسمها الآنسة أَوْمَامِه، أليست كذلك؟».

«صحيح. إنها تكتب بالرموز التي تستخدم في كتابة خضراء وبازلاء. اسم غير شائع».

كتب يوشيكاوا اسم «ماسامي أَوْمَامِه» بقلم على إحدى صفحات دفتره ومرَّر الصفحة إلى نائبة المدير. نظرت إليها لبضع ثوان، ثم وضعتها في ملف على مكتبها.

«هل يمكنكَ الانتظار من فضلك هنا لبضع دقائق؟ سأذهب كي أراجع السجلات. سوف أجعل الموظف المسؤول يصوِّر لي نسخة فوتوغرافية من كلّ ما يمكن السماح به».

قال يوشيكاوا: «يؤسفني أنني أزعجتكِ بهذا وأنت مشغولة جداً».

هفهفت التنورة الفضفاضة للسيدة نائبة المدير بشكلٍ جمالي وهي تغادر الغرفة. كانت ذات قوام جميل، وتمشي بخطى أنيقة. وكانت تصفِّف شعرها بشكل جذاب أيضاً. كان واضحاً أنها تكبُر في العمر ولكنها تحافظ عل أناقتها. تقلَّب يوشيكاوا في مقعده وانصرف لقراءة كتاب كان قد أحضره معه.

عادت نائبة المدير بعد خمس عشرة دقيقة، وهي تضمّ إلى صدرها ظرفاً بني اللون.

«اتضح أن السيد كاوانا كان تلميذاً بارعاً. ومتفوقاً على أقرانه دائماً، وكان ناجحاً جداً في المجال الرياضي. كما برع في الحساب والرياضيات، وكان يستطيع وهو طالب في المدرسة الابتدائية أن يحلّ مسائل رياضية في مستوى طلاب المدرسة الثانوية. وفاز بمسابقة في الرياضيات حتى منحته الصحف لقب الطفل المعجزة».

قال يوشيكاوا: «هذا مدهش».

«الغريب أنه كان بارعاً في الرياضيات، ثم نجده اليوم وقد برَعَ في الأدب».

«الموهبة الوفيرة مثل عِرق الأرض الغني بالمياه الجوفية الذي يتدفّق في جميع الأماكن. إنه حالياً يقوم بتدريس الرياضيات ويكتب روايات».

قالت نائبة المدير: «أفهم ذلك»، وقد رفعت حاجبيها بزاوية جميلة. «على العكس من تنغو، لم أجد الكثير عن ماسامي أَوْمَامِه. نُقلت إلى مدرسة أخرى في الصف الخامس. استضافها أقاربَ لها في حي أداتشي في طوكيو ومن ثمّ انتقلت إلى مدرسة هناك. وكانت هي وتنغو كاوانا معاً في الصفين الثالث والرابع».

قال يوشيكاوا في نفسه، **تماماً كما كنت أظن. هناك صلة ما تجمَع الاثنين.**

«الأستاذة أوتا كانت هي المسؤولة عن صفّهما عندئذٍ. توشي أوتا. وهي الآن تعمل بمدرسة ابتدائية في ناراشينو».

«إذا اتَّصلت بهذه المدرسة، فهل أستطيع التواصل معها؟».

قالت نائبة المدير وهي تبتسم ابتسامة خفيفة: «لقد اتَّصلنا

بالمعلمة بالفعل. وعندما شرحنا لها الموقف، أبدَت ترحيباً كبيراً بلقائك».

قال يوشيكاوا: «إنني ممتنّ لك حقاً». قال في نفسه، **ليست مجرّد وجه جميل، ولكنها أيضاً مسؤولة قديرة.**

على ظهر بطاقتها التعريفية، كتبت نائبة المدير اسم المعلمة ورقم هاتف المدرسة، مدرسة تسودانوما الابتدائية، ثم سلَّمتها إلى يوشيكاوا. دسّ يوشيكاوا البطاقة بعناية في حافظة نقوده.

قال يوشيكاوا: «سمعت أنّ الآنسة أَوْمَامِه قد نشأت نشأة دينية. ونحن قلقون نوعاً ما من ذلك».

انقبض وجه نائبة المدير، وبرزت خطوط خفيفة عند زوايا عينيها. كانت خطوطاً دقيقة وساحرة وذكية من ذلك النوع الذي لا يظهر إلّا لدى النساء اللائي انتصفَت أعمارهن وبذلن جهداً كبيراً كي يتدرَّبن على ذلك.

قالت: «أنا آسفة، ولكن هذا ليس موضوعاً يمكننا مناقشته هنا».

قال يوشيكاوا: «إنه يقع في نطاق الخصوصية الشخصية، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح. خصوصاً أنها أمور دينية».

«ولكن إذا كان لي أن أقابل هذه المعلمة أوتا، فربما أستطيع مناقشة ذلك معها».

أمالت نائبة المدير فكّها جهة اليسار وابتسمت ابتسامة موحية: «إذا رغبت المعلمة أوتا في الحديث عن ذلك بصفتها الشخصية، فلا بأس عندنا».

نهض يوشيكاوا وشكرها بأدب. سلَّمته الظرف البني: «المواد المسموح بنسخها هنا في الداخل. وكذلك الوثائق المتعلِّقة بالسيد

كاوانا. ويوجد أيضاً القليل الذي يخصّ الآنسة أَوْمَامِه. آمل أن يفيدك ذلك».

«أنا متأكّد أنه سيفيدني. أشكركِ جزيل الشكر على كلّ ما فعلته. لقد كنتِ كريمة للغاية».

«حينما تتقرَّر نتائج تلك المنحة، لا بد أنك سوف تُبلغنا، أليس كذلك؟ وسيكون هذا شرفاً عظيماً لمدرستنا».

قال يوشيكاوا: «أنا واثقٌ من أن النتيجة سوف تكون جيدة. لقد قابلته عدّة مرات وهو شاب موهوب وينتظره مستقبل واعد».

توقف يوشيكاوا في مطعم صغير أمام محطة إتشيكاوا، حيث تناول غداءً خفيفاً وألقى نظرة على المواد الموجودة في الظرف. كان هناك سجلّ لحضور كلٍّ من تنغو وأَوْمَامِه في المدرسة، فضلاً عن سجلات الجوائز التي نالها تنغو عن إنجازاته الأكاديمية والرياضية. بدا أنه فعلاً طالب غير عادي. ربما لم ينظر إلى المدرسة ولو مرة واحدة باعتبارها كابوساً. وجد أيضاً نسخة مصورة من مقالة صحفية عن مسابقة الرياضيات التي فازَ بها. كانت مقالة قديمة ولم تكن الصورة واضحة، ولكن كان واضحاً أنه تنغو في صباه.

بعد تناوله الغداء، اتصل يوشيكاوا بالمدرسة الابتدائية في تسودانوما. تحدَّث مع السيدة أوتا، المعلمة، وحدَّد معها موعداً لمقابلتها في الساعة الرابعة في مدرستها. قالت له، بعد الرابعة سأكون متفرِّغة للحديث.

تنهد يوشيكاوا، أعلم أني أؤدي عملي ولكن زيارة مدرستين ابتدائيتين في يوم واحد فوق طاقتي. كان مجرّد التفكير في ذلك يُشعره بالاكتئاب. ولكن حتى الآن كانت الزيارة تستحقّ الجهد

المبذول. أصبحَ لديه الآن دليل على أنّ تنغو وأَوْمَامِه كانا زميليّ دراسة لمدة عامين، وهذه خطوة كبيرة إلى الأمام.

لقد ساعد تنغو إريكو فوكادا في مراجعة الشرنقة الهوائية حتى حوَّلها إلى رواية جيدة، وأصبحت من بين الأفضل مبيعاً. أما أَوْمَامِه فقد قتلت سراً والد إريكو، تاموتسو فوكادا، في إحدى أجنحة فندق أوكورا. يبدو وكأنهما، كلٌّ بطريقته، يتشاركان في هدف مهاجمة تنظيم ساكي جاكه الديني. هذا ما قد يستنتجه معظم الأشخاص.

ولكن إبلاغ الثنائي التابع لساكي جاكه بذلك لن يفيد، لم يَحِن الوقت بعد. لم يكن يوشيكاوا يرغب في الكشف عن المعلومات مجزأة. كان يفضِّل أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ثم يتحقَّق تماماً منها جميعاً، وبعدئذٍ، وحينما يمتلك دليلاً قوياً، يكشف النتائج بحركة تنمّ عن الثقة والفخر. كانت حركة استعراضية لا يزال يحتفظ بها منذ كان يعمل محامياً. كان من عادته أن يحطّ من شأن نفسه حتى يتخلى الآخرون عن حذرهم. ثم، وفيما تكون الأمور في طريقها إلى النهاية، كان يُظهر دليله الذي لا يُدحض ويَقلب الطاولة.

بينما كان يوشيكاوا يستقلّ القطار المتجه إلى تسودانوما، استعرضَ مجموعة من الفرضيات في ذهنه.

قد يكون تنغو وأَوْمَامِه عاشقين. لم يكونا عاشقين وهما في العاشرة، بالطبع، ولكن من الممكن تصوّر أنهما بعد انتهاء المرحلة الابتدائية، كانا يلتقيان بشكلٍ عابر وأن علاقتهما توثَّقت بمرور الوقت. ولسبب ما -وهو سبب لا يزال غير واضح- قرّرا العمل معاً لتقويض تنظيم ساكي جاكه. كانت هذه إحدى الفرضيات.

لكن وحسبما يبدو ليوشيكاوا، لم يكن ثمة دليل على وجود علاقة بين تنغو وأَوْمَامِه. لقد أقام تنغو علاقة غرامية مستمرة مع امرأة

متزوجة تكبُره بعشر سنوات. ولو أنّ تنغو كان مرتبطاً بشدّة بأَوْمَامِه، لما خانها مع امرأة أخرى بشكل منتظم - لا سيما وأنه لم يكن لديه من المهارة ما يكفي لجعله ينجح في هذه العلاقة. كان يوشيكاوا قد تحرى حول عادات تنغو على مدى أسبوعين. كان تنغو يدرِّس الرياضيات في مدرسة تأهيلية ثلاثة أيام في الأسبوع، أما بقية الأسبوع فيقضيه غالباً في شقته وحيداً. يكتب الروايات. وفيما عدا ذهابه للتسوق من حين إلى آخر أو خروجه للتريض سيراً، كان نادراً ما يغادر شقته. واعتاد أن يعيش حياة غاية في الرتابة والبساطة ويسهُل فهمها. لم يكُن يوجد في حياته أيّ جوانب غامضة. ولذلك كان يوشيكاوا لا يمكنه، بطريقة أو بأخرى، أن يتصوَّر أنّ تنغو ضالع في مؤامرةٍ لقتل أحدٍ ما.

كان يوشيكاوا يحبّ تنغو على المستوى الشخصي. فقد كان تنغو شاباً بسيطاً وصريحاً ومستقلاً ويعتمد على نفسه. وكما هو الحال غالباً مع هؤلاء الأشخاص من ذوي البنيان الضخم، كان تنغو في بعض الأحيان بطيئاً بعض الشيء في الفهم، لكنه على الأقل لم يكن به خبث أو دهاء. كان من نوعية هؤلاء الأشخاص الذين إذا ما قرَّروا مساراً معيناً، لم يحيدوا عنه أبداً. إنه من النمط الذي لا يمكنه أن ينجح في مهنة المحامي أو السمسار. بدلاً من ذلك، كان يميل أكثر إلى التعثّر والوقوع عند المنعطفات الخطرة. ومع ذلك، يمكنه أن يكون معلم رياضيات وروائياً جيداً. لم يكن شخصاً اجتماعياً أو مفوَّهاً بشكلٍ كبير، ولكنه كان يجتذب نوعاً معيناً من النساء. باختصار، لقد كان هو الطرف النقيض ليوشيكاوا.

وعلى النقيض ممّا كان يعرفه عن تنغو، كان يوشيكاوا يكاد لا يعرف أيّ شيء عن أَوْمَامِه - عدا عن أنّ نشأتها كانت في ظلّ جماعة

الشهود، وأنها أصبحت لاحقاً لاعبة بارعة في كرة السوفتبول. أمّا فيما يخصّ شخصيتها وطريقة تفكيرها ونقاط ضعفها وقوتها ونمط حياتها، فكان لا يدري شيئاً. ولم تكن الحقائق التي جمعها تزيد عن تلك التي تجدها في أيّ سيرة ذاتية.

ولكنه حينما بدأ يقارن بين نشأة تنغو وأَوْمَامِه، ظهرت له بعض أوجه التشابه. أولاً وقبل كلّ شيء، لا بد أن كلاً منهما قد عاش طفولة بائسة. كانت أَوْمَامِه تُجبَر على مرافقة والدتها في الطواف في جميع أرجاء المدينة للتبشير، حيث يشقّان طريقهما بصعوبة من منزل إلى منزل ويدقّان أجراس الأبواب. وكان جميع الأطفال في جماعة الشهود يُجبَرون على ذلك. أمّا في حالة تنغو، فكان والده محصِّل اشتراكات لدى شركة 'إن إتش كيه'. وهذه وظيفة أخرى تتطلَّب تطوافاً على المنازل، منزلاً منزلاً. هل كان تنغو يُجبَر على مرافقته؟ ربما كان ذلك. لو كان يوشيكاوا هو والد تنغو، فلربما كان قد اصطحب تنغو معه في جولاته. اصطحابك طفلاً يساعدك في تحصيل المزيد من الاشتراكات، كما أنه يوفّر أجر جليسة أطفال، ما يعني إصابة عصفورين بحجرٍ واحد. لم يكن تنغو يجد في ذلك أدنى متعة. وربما كان هذان الطفلان يمرّان بعضهما ببعض في شوارع إتشيكاوا.

ثانياً، حينما كبرا في السن، سعى تنغو وأَوْمَامِه بكلّ جهدهما للفوز بالمنح الرياضية حتى يتسنّى لهما الابتعاد عن المنزل بأسرع ما يمكن. وتبيَّن أن كلاً منهما رياضي بارع. لا بدّ أنهما كانا موهوبين للغاية في الأصل. ولكن ثمة سبباً آخر كان يدفعهما لأن يكونا بارعين. كان الالتحاق بالمجال الرياضي قد أصبح وسيلة لنيل تقدير الآخرين، كما أن تحقيق الأرقام البارزة في الرياضة يكادُ يكون الطريقة الوحيدة التي يمكنهما من خلالها نيل استقلاليتهما. كانت هذه

هي تأشيرة المرور التي يحتاجانها للبقاء على قيد الحياة. ولذلك، كان تفكيرهما يختلف عن تفكير المراهقين العاديين، وكانا يواجهان العالم بشكلٍ مختلف.

عندما فكّر يوشيكاوا في ذلك، أدركَ أنّ ظروفه تشبه ظروفهما إلى حدٍّ ما.

أنا أنتمي إلى أسرة ثرية ولم أكن بحاجة إلى منحة دراسية. كان لدي دائماً مال وفير كي أنفقه. ولكنني حتى ألتحق بجامعة مرموقة، وأجتاز امتحان القانون، كان عليّ أن أجتهد في دراستي، تماماً مثل تنغو وأَوْمَامِه. لم يكُن لدي وقت للمرح مثل بقية زملائي. أُضطررت للتخلي عن جميع متع الدنيا -ليس لأنّ فرصتي في الحصول عليها لم تكن كبيرة في الأساس- وصرفت كلّ تركيزي إلى دراستي. كنت دائماً عالقاً بين الشعور بالدونية والشعور بالتفوّق. كنت أحسب أنني غالباً أشبه شخصية راسكولنيكوف، إلّا أنني لم أقابل سونيا في حياتي.

كفى تفكيراً في نفسي. هذا التفكير لن يغيّر من الأمر شيئاً. يجب أن أعود إلى تنغو وأَوْمَامِه.

هب أن تنغو وأَوْمَامِه قد التقيا وهما في مطلع العشرينيات وبدآ يتحدثان معاً. لا بد أنهما كانا سوف يدهشان للغاية لكلّ أوجه التشابه التي تجمعهما. وكانا سوف يجدان أموراً كثيرة يتحدثان فيها. ربما كانا سيشعران بانجذاب متبادل، كرجل وامرأة. تخيّل يوشيكاوا صورة ذهنية حيّة لهذا المشهد - لقاء مصيري، ولحظة هي ذروة الرومانسية.

ولكن هل جرى هذا اللقاء بالفعل؟ هل أزهرت الرومانسية؟ هذا ما لم يكن يوشيكاوا يعرفه. ولكن ذلك سيكون منطقياً لو أنهما قد

التقيا بالفعل. فهذا سوف يفسِّر كيف تعاونا معاً لمهاجمة ساكي جاكه، كلّ منهما من زاوية مختلفة، تنغو بقلمه، وأَوْمَامِه بمهارة خاصة لديها. ومع ذلك، وعلى نحوٍ ما لم يكن يوشيكاوا متحمّساً لهذه الفرضية. كانت فرضية منطقية، ولكنه لم يقتنع بها.

لو أنّ تنغو وأَوْمَامِه جمعتهما فعلاً هذه العلاقة الوثيقة، لظهرت أدلّة على ذلك. كان هذا اللقاء المصيري سوف يحقِّق نتائج مصيرية، وهذه النتائج ما كانت لتمرّ دون أن تلحَظها عينا يوشيكاوا الثاقبتين. قد تستطيع أَوْمَامِه أن تُخفي هذه النتائج، أمّا تنغو فلا يمكنه ذلك.

وبصفة عامة، كان يوشيكاوا يزنُ الأمور بميزان المنطق. ومن دون دليل، لا يمكنه أن يمضي قُدُماً. ومع ذلك، فإنه يثق أيضاً في حدسه الطبيعي. حينما يفكر في سيناريو يتآمر فيه تنغو وأَوْمَامِه معاً، يجد حدسه يهزّ رأسه نافياً. كانت هزّة خفيفة، ولكنها تنطوي على إصرار. ربما كان كلّ منهما لا يدري شيئاً حتى عن وجود الآخر. وربما تبيَّن لهما للتو أنهما مرتبطان معاً من خلال ساكي جاكه.

حتى وإن كانِ من الصعب على يوشيكاوا أن يتصوَّر مثل هذه المصادفة، فقد كان حدسه يُخبره بأنّ هذه الفرضية تبدو أكثر ترجيحاً من نظرية المؤامرة. تصادف أنهما، مدفوعين بدوافع مختلفة، ويقاربان الأشياء من زوايا مختلفة، وقد استطاعا أن يزلزلا أركان ساكي جاكه في وقت واحد. يوجد خطان ممكنان للقصة، لكلٍّ منهما نقطة بداية مختلفة ولكنهما يسيران بمحاذاة بعضهما بعضاً.

والسؤال هو، هل يقبل ثنائي ساكي جاكه بهذه الفرضية المريحة؟ مستحيل، أقرّ يوشيكاوا. بدلاً من ذلك، سوف يقفزان إلى نظرية المؤامرة، لأنهما يحبّان كلّ ما تفوح منه رائحة المؤامرات الشريرة. قبل أن يسلّمهما أيّ معلومات أولية، سوف يتعيَّن عليه العثور على

دليل قوي. وإلّا فإنها سوف تضلّلهما، ما قد ينتهي بإلحاق الأذى به هو نفسه.

راح يوشيكاوا يفكّر في كلّ ذلك، فيما كان على متن القطار المتّجه من إتشيكاوا إلى تسودانوما. ودون أن يشعر، لا بد أنه كان متجهّم الملامح ويتنهد وهو يحدق في الفراغ، لأنّ فتاة في عمر المدرسة الابتدائية كانت تجلس في المقعد المقابل له وترمقه بنظرة استغراب. وحتى يداري حَرجه، أرخى تعبيرات وجهه وراح يحكّ رأسه التي يزحف عليها الصلع. ولكن هذه الحركة أخافت الفتاة الصغيرة، وقبيل وصول القطار إلى محطة نيشي فوناباشي، هبّت واقفة على قدميها وابتعدت.

تحدَّث مع توشي أوتا داخل فصلها الدراسي بعد انتهاء اليوم الدراسي. كانت تبدو في منتصف الخمسينيات. أوحى له مظهرها بأنها هي الطرف النقيض لنائبة مدير المدرسة الأنيقة في مدرسة إتشيكاوا الابتدائية. كانت السيدة أوتا ذات قامة قصيرة وممتلئة الجسم، وتمشي مشية غريبة تجعلها تبدو لمن ينظر إليها من الخلف وكأنها إحدى القشريات. وكانت ترتدي نظارة صغيرة ذات إطار معدني، ولكن المساحة الفاصلة بين حاجبيها كانت مستوية وواسعة، بما يتيح لك أن ترى بوضوح الشعر الناعم فيها. وكانت تلبس سترة من الصوف لا يمكن تحديد عمرها، رغم أنها كانت قَطعاً غير مسايرة للموضة في الوقت الذي صُنعت فيه، وتفوح منها رائحة خفيفة لكرات النفتالين. كانت السترة ذات لون وردي، ولكنه لون وردي من نوع غريب، كما لو أنّ بعض الألوان الأخرى قد امتزجت به بطريق الخطأ. كان صانعوها على الأرجح يقصدون الوصول إلى لون أنيق

وغير فاقع، ولكن لأنّ عملية المزج لم تتمّ بالشكل الصحيح، فقد جاء اللون الوردي لسترتها منغمساً بشدّة في الخجل والكتمان والاستسلام. وبسبب ذلك، بدت البلوزة البيضاء الجديدة التي تبرز من ياقة السترة وكأنها لشخص مأفون يمشي في جنازة. كانت تثبِّت شعرها الجاف، الذي خطَّه الشيب، بدبوس من البلاستيك، تصادف أنه كان أقرب شيء إلى متناولها. وكانت أطرافها تميل إلى البدانة ولا ترتدي أيّ خواتم في أصابعها المكتنزة. وتظهر لديها بوضوح ثلاثة تجاعيد رقيقة في خط الرقبة، وكأنها شقوق على طريق الحياة. أو لعلّها كانت علامات للاحتفال برغبات ثلاثة تحقَّقت، رغم أنّ يوشيكاوا كانت تُخامره شكوك جادّة في إمكانية أن يكون ذلك قد حدث في الأصل.

كانت المرأة هي معلّمة تنغو كاوانا منذ الصف الثالث وحتى إتمامه المرحلة الابتدائية. كان المعلمون يغيِّرون الصفوف مرة كلّ عامين، ولكن تصادَف أنها بقيت مسؤولة عن صفّه على مدى أربع سنوات كاملة. أمّا أَوْمَامِه فكانت معها في الصفين الثالث والرابع فقط.

قالت: «أتذكر السيد كاوانا بشكل جيد».

على النقيض من مظهرها الخارجي الهادئ، جاء صوتها واضحاً وحيوياً للغاية. كان صوتاً من تلك النوعية التي يمكنها أن تصل إلى أبعد مدى في صف دراسي صاخب. قال يوشيكاوا في نفسه بإعجاب، **مهنتك هي ما يصنعك**، وقد تأكد له أنها معلمة متمكِّنة للغاية.

«السيد كاوانا كان تلميذاً بارعاً. لقد درَّست لعدد لا أحصيه من الطلاب في مدارس كثيرة، على مدى أكثر من خمس وعشرين سنة، ولكني لم أقابل حتى الآن طالباً في مثل ذكائه. لقد فاقَ الجميع في كلّ شيء. كان حسن المظهر ويمتلك صفاتٍ قيادية. كنت أعرف أنه

يستطيع أن ينجح في أيّ مجال يختاره. في المدرسة الابتدائية برعَ بشكل خاص في الحساب والرياضيات، ولكني لم أندهش كثيراً حينما سمعت أنه برع في الأدب».

«أنا أعرف أن والده كان محصل رسوم في شركة 'إن إتش كيه'».

قالت المعلمة: «نعم، هذا صحيح».

قال يوشيكاوا: «السيد كاوانا قال لي إنّ والده كان صارماً للغاية». كان هذا مجرد تخمين جريء من يوشيكاوا.

قالت من دون تردّد: «كان كذلك فعلاً. لقد كان والده ينتهج معه أسلوباً صارماً. كان فخوراً بوظيفته في الشركة -وهذا شيء رائع- ولكن يبدو أن ذلك كان يلقي ببعض الأعباء على تنغو».

ربط يوشيكاوا بين هذه الموضوعات بمهارة، واستخلص منها التفاصيل. كان ذلك هو موطن قوته - أن يدع الطرف الآخر يتحدّث كيفما يريد. أخبرته أن تنغو كان يكره مرافقة والده في جولاته في عطلة نهاية الأسبوع، وأنه في الصف الخامس هرب من المنزل. وأوضحت: «كان ذلك أقرب إلى الطرد منه إلى الهرب». فكر يوشيكاوا، إذاً كان تنغو يرافق والده في تحصيل الرسوم مُكرهاً، لا بدّ أن ذلك كان يسبِّب للفتى ضرراً وجدانياً فادحاً.

كانت السيدة أوتا قد اصطحبت تنغو الشريد مؤقتاً إلى منزلها في تلك الليلة. رتّبت له السرير، وتأكّدت من أنه تناول فطوره في صباح اليوم التالي. وفي ذلك المساء ذهبت إلى منزل تنغو وأقنعت والده بإعادته إلى المنزل. كانت الطريقة التي تحدّثت بها عن تلك الواقعة، تُشعرك وكأنها تتحدث عن أفضل عملٍ لها في حياتها بأسرها. وأخبرته أيضاً عن لقاء جمعهما بالصدفة مرة أخرى في إحدى الحفلات

الموسيقية حينما كان تنغو في المدرسة الثانوية. وأضافت أنّ تنغو كان يعزف بشكلٍ رائع على آلة التيمباني.

«كانت مقطوعة سينفونييتا ياناتشيك. وهي ليست معزوفة سهلة على أيّ حال. قبل بضعة أسابيع فقط كان تنغو قد بدأ العزف على التيمباني للمرة الأولى. ورغم قصر فترة الاستعداد، فقد أدّى دوره بإتقان وجاء أداؤه مذهلاً».

قال يوشيكاوا في نفسه، **هذه السيدة تحمل لتنغو مشاعرَ عميقة من الحب. إنه نوع من الحب غير المشروط. كيف يشعر المرء حينما يجد شخصاً يحبّه كلّ هذا الحب؟**

سألها يوشيكاوا: «وهل تذكرين ماسامي أَوْمَامِه؟».

أجابت: «أتذكّرها جيداً». ولكن لم تظهر في صوتها نبرة السعادة ذاتها وهي تتحدث عن تنغو. لقد انخفضت نبرة صوتها بمقدار درجتين على المقياس.

قال يوشيكاوا: «إنه اسمٌ غير مألوف تماماً، أليس كذلك؟».

«نعم، غير مألوف تماماً. لكني لا أتذكّرها بسبب اسمها فقط».

أعقب ذلك صمتٌ قصير.

قال يوشيكاوا وهو يحاول أن يستوضح رأيها: «سمعت أنّ أفراد أسرتها كانوا أعضاء ملتزمين في جماعة الشهود».

سألته المعلمة: «هل يمكنكَ أن تُبقي هذا الكلام بيني وبينك فقط؟».

«بالتأكيد. لن أخبر أيّ أحد».

أومأت المرأة برأسها: «يوجد مكتب فرعي كبير للديانة في إتشيكاوا، ولذلك كان صفّي في كلّ سنة يضم العديد من أطفال جماعة الشهود. وقد تسبَّب ذلك في إثارة بعض الحساسيات التي كان

عليَّ التعامل معها بصفتي كمعلمة. ولكن أحداً لم يكن يشبه والديّ أَوْمَامِه في تديّنهما».

«بعبارة أخرى، كانا متشدِّدين».

وكما لو كانت تستحضر ذلك الزمن، عضّت المعلمة على شفتها: «بالضبط. فقد كانا صارمين للغاية فيما يخصّ تطبيق مبادئهما، وأعتقد أنهما فرضا الطاعة المطلقة نفسها على أبنائهما. ولذلك كانت الآنسة أَوْمَامِه تعيش في عزلة تامّة داخل الصف».

«إذاً فقد كانت شخصية استثنائية بمعنى من المعاني».

أقرّت المعلمة: «كانت كذلك. ولكن لا يمكنك أن تُلقي باللوم على الطفل. فالمسؤولية عن ذلك تكمُن في التعصّب الذي يستحوذ على عقل الشخص».

استطردت المعلمة في حديثها عن أَوْمَامِه. كان الأطفال الآخرون يتجاهلونها. كانوا يتعاملون معها كما لو كانت غير موجودة. كانت عنصراً غريباً، ولديها مبادئ غريبة تُثير انزعاج أقرانها. وكان تلاميذ الصف يُجمعون على ذلك. أمّا ردّة فعل أَوْمَامِه على ذلك فكانت الانزواء عنهم.

«كنت أبذل جهدي، ولكنّ رأي الأطفال كان أقوى ممّا تظن، والطريقة التي ردّت بها الآنسة أَوْمَامِه على ذلك جعلتها تبدو أقرب ما يكون إلى شبح. في أيامنا هذه كنّا سوف نحيلها إلى الإرشاد النفسي، ولكن هذا النظام لم يكُن معمولاً به عندئذٍ. كنت لا أزال شابة، وكنت أبذل كلّ جهدي حتى أجعل جميع التلاميذ في صفي يتفقون على رأي واحد. رغم أن ذلك يجعلني أبدو وكأنني أحاول تبرئة نفسي».

كان يوشيكاوا يفهم ما تودّ أن تقوله. إنّ عملها كمعلمة في

مدرسة ابتدائية هو عمل شاقّ. وإلى حدٍّ ما، كان عليك أن تدع الأطفال يكتشفون الأشياء بأنفسهم.

قال يوشيكاوا: «هناك دائماً خيط دقيق بين التديّن العميق والتعصّب. ولا حيلة للناس بإزاء ذلك».

قالت المرأة: «على الإطلاق. ولكن عند مستوى آخر كان ينبغي أن أفعل شيئاً. حاولتُ التحدّث مع الآنسة أَوْمَامِه مرات عديدة، ولكنها كانت نادراً ما تستجيب. كانت صلبة الإرادة، وحينما تصرّ على أمرٍ فإنها لا تغيِّر رأيها أبداً. كانت شديدة الذكاء وسريعة البديهة ولديها رغبة قوية في التعلّم. ولكنها كانت تحاول جاهدة أن تقمع كلّ ذلك وتمنعه من الظهور. وربما كان الانزواء هو وسيلتها الوحيدة لحماية نفسها. أنا واثقة من أنها لو عاشت في بيئة طبيعية لكانت تلميذة رائعة. أشعر باستياء حقيقي حينما أستحضر ذلك الآن».

«هل سبق أن تحدَّثتِ مع والديها؟».

أومأت المعلمة: «مرات ومرات. لقد حضر والداها إلى المدرسة للشكوى من الاضطهاد الديني. وقد طلبتُ منهما حينئذٍ أن يبذلا المزيد من الجهد لمساعدة ابنتهما على الاندماج في الصف. وسألتهما إن كان بإمكانهما أن يعدِّلا مبادئهما قليلاً. لكنهما رفضا رفضاً قاطعاً. كانت الأولوية لديهما هي الالتزام بالتعاليم الدينية. وكانا يريان أن السعادة الحقّة هي في الانتقال إلى ملكوت السماء، وأمّا الحياة في هذا العالم المدنّس فهي حياة عابرة. ولكن هذا هو المنطق الذي يحكم رؤية الأشخاص الكبار للعالم. ولسوء الحظ، لم أتمكن من جعلهما يدركان مدى الألم الذي يسبِّبانه لابنتهما الصغيرة حينما تتعرّض للنبذ في الصف ويتحاشاها الأطفال الآخرون، وأن ذلك قد يسبِّب لها جرحاً وجدانياً ربما لن يلتئم أبداً».

حدّثها يوشيكاوا بأنّ أَوْمَامِه كانت لاعبة بارعة في كرة السوفتبول حينما كانت تشارك في فريق الكلّية وفريق إحدى الشركات، وأنها عملت أيضاً مدرِّبة لياقة بدنية في نادٍ رياضي مرموق. أو بالأحرى، كان ينبغي له أن يقول، **كانت تعمل** حتى وقت قريب، لكنه لم يشأ أن يُظهر هذا الفارق.

قالت المرأة وقد احمرّت وجنتاها قليلاً: «يُسعدني جداً سماع ذلك. ويسرّني جداً أن أعرف أنها كبرت وترعرعت وفي صحة جيدة وتعيش حياة مستقلة الآن».

قال يوشيكاوا وقد ظهرت على شفتيه ابتسامة تبدو بريئة في ظاهرها: «لكن هناك شيء واحد لم أستطعْ اكتشافه، هل تعتقدين أنه كان يمكن أن تنشأ علاقة شخصية وثيقة بين تنغو كاوانا والآنسة أَوْمَامِه؟».

شبّكت المعلمة أصابعها ببعضها وراحت تفكِّر في ذلك. «قد يكون ذلك ممكناً. لكنني لم أره بنفسي أو أسمع عنه مطلقاً. وأجد صعوبة في أن أتخيّل أيّ طفل في ذلك الصف يشعر بودّ فعلاً نحو أَوْمَامِه. ربما حاول تنغو أن يساعدها. لقد كان عطوفاً للغاية ويتصرف بحسٍّ مسؤول. ولكن حتى لو افترضنا أنّ ذلك قد حدث، فإن الآنسة أَوْمَامِه ليست من النوع الذي يُظهر مشاعره بهذه السهولة. لقد كانت أشبه بمحار متشبِّث بصخرة. ولا يمكن فتحه بسهولة».

صمتت المعلمة برهة ثم أضافت: «يؤلمني أن أقول ذلك، ولكن لم يكن بوسعي عمل شيء في ذلك الوقت. وكما قلت من قبل، كنت عديمة الخبرة وغير فعالة».

«لو أنّ السيد كاوانا والآنسة أَوْمَامِه جمعتهما علاقة وثيقة،

لأحدثَ ذلك ضجة كبيرة في الصف، ولكنتِ قد سمعت بها. ألستُ محقاً؟».

أومأت المعلمة وقالت: «كان هناك تشدُّد لدى كلا الطرفين».

قال يوشيكاوا بعد أن شكرها: «لقد أفادني الحديث معكِ بشدّة».

قالت المعلمة بقلق: «آمل ألّا يكون ما قلته عن الآنسة أَوْمَامِه عقبة في سبيل حصولها على المنحة. بصفتي المعلمة المسؤولة عن الصف فقد كنت أتحمل المسؤولية النهائية عن مثل هذه المشكلات داخل الصف الدراسي. لم يكن خطأ تنغو أو الآنسة أَوْمَامِه».

هزّ يوشيكاوا رأسه: «أرجو ألّا تقلقي من ذلك. أنا أقوم بعملية بحث في الظروف التي شكّلت عملاً أدبياً فقط. والمسائل الدينية، كما تعرفين، يمكن أن تكون شديدة التعقيد. السيد كاوانا يمتلك موهبة كبيرة، وأنا على يقين أنه سوف يصبح شخصاً مشهوراً عمّا قريب».

بعد سماعها ذلك، ابتسمت المعلمة ابتسامة تنمّ عن الرضا. ثمة شيء صغير في عينيها انعكست عليه أشعة الشمس ولمع، مثل نهر جليدي على الجانب الأقصى من جبل. خمّن يوشيكاوا، إنها تتذكّر تنغو منذ سنوات صباه. وقد مضى على ذلك عشرون سنة، لكنها تتحدث عن ذلك وكأنه قد حدث بالأمس.

بينما كان ينتظر الحافلة بالقرب من البوابة الرئيسة للمدرسة كي يعود إلى محطة تسودانوما، راح يوشيكاوا يفكّر في معلّميه في المدرسة الابتدائية. هل ما زالوا يتذكّرونه؟ حتى لو كانوا كذلك، فإن تذكُّرهم له لن يجعل عيونهم تلمع بوميض الودّ.

لقد كان ما تحقّق من صحته يقترب بشدّة من فرضيته. كان تنغو هو أنبغ طالب في صفه، وكان تلميذاً معروفاً. أمّا أَوْمَامِه فكانت بلا

أصدقاء ويتجاهلها الجميع. كان ثمة احتمال ضئيل بأنهما سوف يتقاربان. وببساطة كانا مختلفين تماماً. وبالإضافة إلى ذلك، فقد غادرت أَوْمَامِه إتشيكاوا وانتقلت إلى مدرسة أخرى حينما بلغت الصف الخامس. ومنذ ذلك الحين، انقطع أيّ اتصال بينهما.

إذا كان عليه أن يحدِّد شيئاً واحداً يجمع بينهما في المدرسة الابتدائية، فسيكون هو: كان عليهما أن يطيعا والديهما مكرَهين. ربما كانت أهداف والد تنغو ووالدة أَوْمَامِه مختلفة، التبشير وتحصيل الرسوم - ولكن تنغو وأَوْمَامِه كانا مضطرين للمشي في أثر والديهما في جميع أنحاء المدينة. وداخل الصف كانا في وضعين مختلفين تماماً، ولكن لا بد أن كلاً منهما كان يواجه مشاعر الوحدة التي يواجهها الآخر، ويبحث باستماتة عن شيء ما. شيء يقبلهما ويحتضنهما من دون شروط. كان بوسع يوشيكاوا أن يتصوَّر كيف كانا يشعران. وبمعنى من المعاني، فقد كان يشاطرهما هذه المشاعر.

حسناً، قال يوشيكاوا محدِّثاً نفسه. كان يجلس في القطار السريع المتّجه من تسودانوما إلى طوكيو، وهو يضمّ ذراعيه. **حسناً، والآن ماذا علي أن أفعل؟ لقد استطعت أن أضَع يدي على علاقة ما تربط تنغو وأَوْمَامِه. إنها علاقة مثيرة جداً للاهتمام. ولكن للأسف، هذا لا يثبت أيّ شيء.**

هناك جدار حجري شاهق يقف أمامي. يوجد فيه ثلاثة أبواب، وعليّ أن أختار واحداً. وكل باب منها يحمل اسماً. أولها اسمه تنغو، والثاني أَوْمَامِه، والثالث الأرملة الثرية في أزابو. أَوْمَامِه تلاشت، كما يقولون، وكأنها خيط دخان. دون أن تترك وراءها أثر. وبيت الصفصاف في أزابو محكم الإغلاق وكأنه خزانة بنك.

ولا سبيل للدخول إليه. وهذا يعني أنه ليس أمامي سوى بابٍ واحد.

قرَّر يوشيكاوا، يبدو أنني سوف ألتزم بتنغو في الوقت الحالي. ليس لدي خيار آخر - هذا مثال متقن لعملية الاستبعاد. إنها في غاية الإتقان وليتني كنت أستطيع طباعتها في كتيب وتوزيعها على الناس في الشارع. مرحباً كيف حالك؟ هذه مسألة استبعاد متقنة.

تنغو هو دائماً الشاب اللطيف. ومعلم الرياضيات والروائي. بطل الجودو والتلميذ المفضّل لدى معلميه. وهو الآن السبيل الوحيد لفكّ هذه التشابكات المعقّدة. وكلّما أمعنتُ التفكير في ذلك، بدا لي أنّ فهمي يتضاءل، وكأنّ دماغي قد أصبح وعاءً من جبن التوفو الذي انتهت صلاحيته.

ولكن ماذا عن تنغو؟ هل رأى هذه الصورة مكتملة؟ الأرجح أنه لم يرها. حسبما يرى يوشيكاوا، فإنّ تنغو كان يؤدي ما يؤدي بناء على مبدأ المحاولة والخطأ، وكان يسلك طرقاً التفافية كلّما اقتضت الحاجة. لا بد أنه هو نفسه كان مرتبكاً، وهو يجرّب مختلف الفرضيات. ومع ذلك، فإنه بارع بالفطرة في الرياضيات. وبارع في تجميع قطع الأحجية. وربما تكون لديه قطع أحجية أكثر ممّا لديّ.

في الوقت الحالي سوف أواصل مراقبتي لتنغو كاوانا. أنا متأكد من أنه سوف يقودني مباشرة - إذا كنت محظوظاً، إلى حيث تختبئ أَوْمَامِه. كان يوشيكاوا بارعاً في الالتصاق بالأشخاص، مثل سمكة الريمورا حينما تلتصق بسمكة القرش. وبمجرد أن يقرّر الالتصاق بأحد ما، فلا سبيل للفكاك منه.

وبمجرد أن قرّر، أغمض يوشيكاوا عينيه وأوقف تفكيره. قال في نفسه، حان الوقت لبعض النوم. لقد أمضى يوماً مرهقاً، إذ كان عليه

أن يزور مدرستين ابتدائيتين في محافظة تشيبا البائسة ويستمع إلى معلمتين، نائبة مدير جميلة، ومعلّمة تسير كما يسير سرطان البحر. بعد ذلك يحتاج المرء إلى بعض الراحة. وسرعان ما بدأ رأسه المنبعج الكبير يتمايل بمصاحبة حركة القطار، وكأنه دمية بحَجم إنسان في عرض مسرحي تتنبّأ بحظوظ عاثرة.

كان القطار مزدحماً، ولكن أحداً لم يجرؤ على الجلوس بجانبه.

الفصل الحادي عشر

أَوْمَامِه
هذا العالم يفتقر بشدة إلى الشفقة والمنطق

في صباح الثلاثاء، كتبت أَوْمَامِه رسالة إلى تامارو توضح فيها أنّ الرجل الذي يسمي نفسه محصلاً للرسوم في شبكة 'إن إتش كيه' قد جاءها مرة أخرى - وأنه أخذ يطرق الباب ويصيح ويوجّه التوبيخ والإهانات لأَوْمَامِه (أو المدعوة تاكاي التي كانت تسكن الشقة). كان الأمر كله فوق الاحتمال وبالغ الغرابة. كان عليها أن تبقى منتبهة.

وضعت أَوْمَامِه الرسالة داخل ظرف، وأغلقته ثم وضعته على طاولة المطبخ. وكتبت الحرف «ت» على الظرف. سوف يسلّمها هؤلاء الأشخاص الذين يحضرون الاحتياجات إلى تامارو.

وقبل الواحدة ظهراً بقليل، دخلت غرفة نومها، وأغلقت الباب، واستلقت على السرير، ثم تابعت القراءة من حيث انتهت مع رواية بروست. وفي الواحدة ظهراً بالضبط رنّ جرس الباب رنة واحدة. بعد توقف فُتح الباب ودخل متعهدو الاحتياجات. كدأبهم، أعادوا سريعاً تزويد الثلاجة بما ينقصها من طعام، وجمعوا القمامة وتفحّصوا الأشياء المرصوصة على الأرفف. وفي غضون خمس عشرة دقيقة كانوا قد انتهوا من مهمتهم، وغادروا الشقة وأغلقوا الباب من

الخارج. ثم رنّ جرس الباب مرة أخرى في إشارة إلى مغادرتهم الشقة - وهو إجراء اعتادوا عليه.

وتوخياً لمزيد من الحذر، انتظرت أَوْمَامِه في غرفة نومها حتى الساعة 1:30 قبل أن تخرج منها وتمضي إلى المطبخ. اختفت الرسالة التي أرادت إيصالها إلى تامارو، وحلّ محلها كيسٌ ورقي على الطاولة يحمل اسماً لصيدلية. وجدت أيضاً كتاباً اشتراه تامارو لأجلها، وكان بعنوان **الموسوعة التشريحية لجسم المرأة**. كان الكيس الورقي يحتوي على ثلاث عُلب لاختبارات منزلية للحمل. فتحت العلب الثلاثة واحدة تلو أخرى وقرأت التعليمات، ثم راحت تقارنها. كانت جميعها متماثلة. يمكنك استخدام الاختبارات إذا تأخّرت الدورة الشهرية لأسبوع أو أكثر. دقة الاختبارات تصل إلى 95 في المائة، ولكن، وفقاً للتعليمات، إذا كانت النتيجة إيجابية، أو بعبارة أخرى، إذا أظهرت النتيجة وجود حمل، فيجب عندئذٍ إجراء فحص لدى طبيب مختصّ في أقرب وقت ممكن. يجب عدم القفز إلى استنتاجات. كانت الاختبارات تُشير إلى **احتمالية** الحمل فقط.

كان الاختبار في حدّ ذاته بسيطاً. ليس عليها سوى التبول في إناء نظيف ثم تَغمس مؤشر العصا فيه. أو بدلاً من ذلك، تتبوّل مباشرة داخل العصا. ثم الانتظار لبضع دقائق. إذا تغيّر اللون إلى الأزرق فهي حامل، وإذا لم يتغير اللون، فلا يوجد حمل. وفي اختبار من نوع آخر، إذا ظهر خطان عموديان على الشاشة الصغيرة، فهذا يعني أنها حامل. أما إذا كان خطاً واحداً، فهي ليست كذلك. قد تختلف التفاصيل ولكن المبدأ هو نفسه. وجود أو غياب هرمون الجونادوتروبين المشيمي البشري في البول هو ما يوضح هل أنتِ حامل أو لا.

تجهّمت أَوْمَامِه، الجونادوتروبين المشيمي البشري؟ إنها أنثى منذ ثلاثين سنة ومع ذلك لم تسمَع بهذا المصطلح. هل كانت هناك طوال كلّ هذه السنين مادة مجنونة تثير غددها الجنسية؟

فتحت أَوْمَامِه كتاب الموسوعة التشريحية لجسم المرأة.

يقول الكتاب، يتمّ إفراز هرمون جونادوتروبين المشيمي في المراحل الأولى للحمل، ما يساعد في الحفاظ على الجسم الأصفر. وهذا الجسم الأصفر يفرز هرمونَي البروجستوجين والاستروجين للحفاظ على البطانة الداخلية للرحم ومن ثم الحيلولة دون حدوث الحيض. وبهذه الطريقة تتشكّل المشيمة تدريجياً. وفي غضون فترة تتراوح ما بين سبعة أسابيع إلى تسعة، وحالما تكتمل المشيمة، تنعدم الحاجة إلى الجسم الأصفر وينتهي دور الجونادوتروبين المشيمي البشري.

وبعبارة أخرى، يتم إفراز هذا الهرمون من وقت التخصيب وإلى مدة تتراوح ما بين سبعة إلى تسعة أسابيع. كان التوقيت خادعاً قليلاً في حالتها. ثمة شيء واحد يمكنها قوله وهو أنه إذا جاءت نتيجة الاختبار إيجابية، فهذا يعني أنها حامل من دون شك. وأمّا إذا كانت سلبية، فلا يكون الاستنتاج قاطعاً بالدرجة نفسها. ربما تكون قد تجاوزت الوقت الذي يتمّ خلاله إفراز الهرمون.

لم تشعر بحاجة إلى التبول. مضَت نحو الثلاجة، وأخرجت زجاجة مياه معدنية، وشربت منها كوبين. ومع ذلك لم تشعر برغبة في قضاء الحاجة. قالت في نفسها، حسناً، لا داعي للاستعجال. تناست أدوات اختبار الحمل بعض الوقت وجلست على الأريكة حيث صرفت تركيزها إلى قراءة رواية بروست.

كانت الساعة قد بلغت الثالثة حينما شعرت بالحاجة إلى التبول. تبوّلت في كوب ثم غمست فيه شريط الاختبار. حسبما رأت، تغيَّر لون الشريط إلى الأزرق الزاهي. درجة من درجات الأزرق التي تليق بلون سيارة. سيارة صغيرة زرقاء اللون ومكشوفة السقف. كم سيكون رائعاً أن يسير المرء بمحاذاة الساحل في سيارة مثل هذه، ويشقّ بها نسائم الصيف. ولكن هذا الأزرق في حمام داخل شقة في وسط المدينة، وفي عزّ الخريف، قد أبلغها بأنها حامل، أو على الأقل، أنّ احتمال حملها هو 95 في المئة. وقفت أَوْمَامِه أمام المرآة وراحت تحدِّق في الشريط الصغير، وقد أصبح الآن أزرق اللون. مهما طال تحديقها، فلن يتغيَّر اللون.

ولمزيد من التثبّت، أجرت اختباراً آخر. كان هذا الاختبار يتطلب بحسب التعليمات «التبول مباشرة على طرف العصا». ولكن لأنها لن تكون بحاجة إلى التبول سريعاً فقد غمست العصا في إناء البول. أن تبوّل عليه مباشرة أو تغمسه في البول، أي فرق؟ سوف تحصل على النتيجة نفسها. ظهر بوضوح خطان عموديان على الشاشة الصغيرة. وهذا أيضاً يُخبر أَوْمَامِه بأنها قد تكون حاملاً.

سكبت أَوْمَامِه البول في الحمام وصرفته بالضغط على السيفون. لفَّت شريط الاختبار ببعض المناديل الورقية وألقت به في سلة القمامة، ثم غسلت الإناء في حوض الاستحمام. مضت إلى المطبخ وشربت كوبين من الماء. قالت في نفسها، **غداً سأحاول مرة أخرى وأجري الاختبار الثالث. الثالثة ثابتة كما يقولون. الضربة الأولى والضربة الثانية. لننتظر، بأنفاس محبوسة، الضربة الأخيرة.**

غلت أَوْمَامِه بعض الماء وأعدَّت شاياً ساخناً، ثم جلست على الأريكة، وتابعت قراءة رواية بروست. وضعت بعض البسكويت

بالجبن على طبق وراحت تمضغها وهي تحتسي الشاي. كانت ظهيرة هادئة ومثالية للقراءة. كانت عيناها تتابعان الكلمات المطبوعة، ولكن دون أن يَعلق في ذاكرتها أي شيء. كانت تُضطرّ لإعادة قراءة الفقرة الواحدة عدّة مرات، فأغمضت عينيها، وراحت تقود السيارة الزرقاء ذات السقف المكشوف، وسارت مسرعة بمحاذاة الشاطئ. كان النسيم الخفيف، والمشبّع برائحة البحر، يتخلّل شعرها. رأت عبر الطريق علامة بها خطين عمودِيين. هذا تحذير: **قد تكونين حاملاً.**

تنهّدت أَوْمَامِه وألقت الكتاب الذي بيديها جانباً.

كانت تُدرك جيداً أنها ليست بحاجة إلى إجراء الاختبار الثالث. حتى لو أجرته مائة مرة فسوف تظلّ النتيجة هي نفسها. سيكون مضيَعة للوقت. **سوف يبقى هرمون الجونادوتروبين المشيمي البشري على هذا الوضع في رحمي، حتى يبقى الجسم الأصفر سليماً، ويمنع حدوث الحيض، ويساعد في تكوين المشيمة. يجب أن أواجه الحقيقة: أنا حامل. الجونادوتروبين المشيمي البشري يعرف ذلك. وكذلك أنا أعرف. أشعر به وكأنه شيء دقيق في أسفل بطني. لا يزال ضئيلاً - مجرّد مِسحة ضئيلة. ولكن في النهاية ستكون هناك مشيمة، وستكبر. سوف تستمدّ مني غذاءها، وتنمو في السائل الكثيف المظلم، باطّراد ومن دون توقف.**

كانت هذه هي المرة الأولى التي تخوض تجربة الحمل. إنها بطبيعتها شديدة الحذر، ولا تثق إلّا بما تراه بعينيها. وكانت تحرص أشدّ الحرص على أن يستخدم شريكها واقياً ذكرياً حينما تمارس الجنس. وحتى حينما تثمل، لم يكن يغيب عنها مطلقاً أن تتحقّق من ذلك. وكما أخبرت الأرملة الثرية، منذ أول حيض جاءها في

العاشرة، لم ينقطع الحيض ولو مرة واحدة. كانت دوراتها الشهرية تأتي منتظمة ولم تتأخر قط لأكثر من يوم واحد. لم تكن تعتريها سوى تقلصات خفيفة. ولم تكن تنزف سوى بضعة أيام، ثم ينتهي الأمر. ولم يكن ذلك يعوقها عن أداء التمارين أو ممارسة الرياضة.

جاءها أول حيض بعد بضعة أشهر من إمساكها بيد تنغو داخل أحد الصفوف في مدرستهما الابتدائية. وعلى نحوٍ ما، شعرت بأنّ الحدثين مرتبطان. ربما أثار ملمس يد تنغو شيئاً ما بداخلها. حينما أخبرت والدتها بأنها قد حاضت، تجهّمت والدتها وكأن ذلك لا يعدو أن يكون عبئاً آخر يُضاف إلى أعبائها التي كانت تتحملها. هذا مبكر بعض الشيء، هكذا علّقت والدتها. ولكن ذلك لم يزعج أَوْمَامِه. كانت مشكلتها هي، لا مشكلة والدتها أو أي أحد سواها. لقد وطأت عالماً جديداً تماماً.

والآن هي حامل.

راحت تفكر في بويضاتها، وهي تقول في نفسها: من بين بويضاتي الأربعمائة أو نحو ذلك، واحدة منها (بالقرب من منتصف العنقود، هكذا تخيّلتها) خصّبت نفسها. على الأرجح في تلك الليلة من سبتمبر، أثناء العاصفة الرعدية. داخل غرفة مظلمة قتلتُ فيها رجلاً. حينما غرزتُ إبرة حادة في مؤخر رقبته حتى بلغتْ الجزء السفلي من دماغه. ولكن هذا الرجل كان يختلف تماماً عن هؤلاء الذين قتلتهم من قبل. كان يعرف أنه يوشك أن يُقتل، وكان يريد ذلك. وقد أعطيته ما أراد. ليس عقاباً له بقدر ما كان رحمة به. وفي المقابل، أعطاني ما طلبت. مفاوضات من نوعٍ ما جرت في مكان سحيق ومظلم. وبهدوء شديد، تمّ التخصيب في تلك الليلة. أنا أدرك ذلك.

بهاتين اليدين سلبتُ الرجل حياته، وفي الوقت نفسه تقريباً، زُرعت بداخلي حياة جديدة. هل كان ذلك جزءاً من صفقة؟

أغمضت أَوْمَامِه عينيها وتوقّفت عن التفكير. وبينما كان رأسها فارغاً، تدفّق داخله شيء ما في هدوء. وفجأة وجدت نفسها تتلو صلواتها.

أبانا الذي في السموات، ليتقدّس اسمك إلى أبد الآبدين، وليأتِ ملكوتك إلينا. اغفر لنا خطايانا الكثيرة، وأسبغ بركاتك على سُبلنا المتواضعة. آمين.

لماذا تأتي الصلاة على شفتي في مثل هذا الوقت؟ أنا لا أؤمن بأشياء من قبيل السماء أو الجنة أو الإله، إلّا أن تكون الكلمات منقوشة داخل عقلي. منذ كنت في الثالثة أو الرابعة ولم أكُن وقتها حتى أعرف ماذا تعني، وأنا أحفظ هذه الصلاة وأردِّدها. وكنت أُضرب على ظهر يدي بالمسطرة إذا ارتكبتُ أهون الأخطاء. ورغم أنني لم أكن أفهم ذلك، فقد كانت تطفو على السطح، وكأنها وشم سري.

ماذا ستقول أمي إذا أخبرتها أنني حملت من دون جنس؟ ربما سوف ترى في ذلك انتهاكاً رهيباً لتعاليم دينها. على أية حال، كان حملاً طاهراً لا دَنس فيه، رغم أنّ أَوْمَامِه لم تكن قطعاً عذراء. أو ربما لن تعبأ والدتها بالأمر، أو حتى تصغي لها. **لأنها تعتبرني فاشلة وتعتبرني قد سقطتُ من عالمها منذ زمن.**

قالت في نفسها، **سأفكّر في ذلك بطريقة مختلفة.** لن أحاول أن

أفرض تفسيراً على شيء يستعصي على التفسير، ولكن بدلاً من ذلك سوف أنظر لما حدث باعتباره لغزاً.

هل هذا الحمل شيء جيد وموضع ترحيب؟ أو أنه غير مُرحَّب به، وعمل غير لائق؟

لا يمكنني الوصول إلى استنتاج مهما أطلتُ التفكير. ما زلت أشعر بالصدمة. تفكيري مشوش ومضطرب. أشعر وكأنني قد انشطرتُ نصفين. وأجد صعوبة في استيعاب هذا الواقع الجديد.

ومع ذلك كان على أَوْمَامِه أيضاً أن تعترف بأنها تراقب هذا المصدر الضئيل للحرارة بشعور إيجابي من الترقب. كان عليها أن ترى ما حدث لهذا الشيء الذي ينمو بداخلها. وكان واضحاً أنها قلقة وخائفة. ربما يتجاوز ذلك قدرتها على التخيّل. ربما يكون كائناً غريباً معادياً يلتهمها بنهمٍ من الداخل. كان بوسعها أن تتخيّل كلّ الاحتمالات السلبية الممكنة. ولكنها كانت أسيرة لفضول إيجابي. ومثل دفقة ضوء مفاجئة في الظلام، خطرت ببالها فجأة فكرة.

ربما يكون هذا الشيء الموجود في أحشائي هو طفل تنغو.

عبست أَوْمَامِه قليلاً وأخذت تفكر. لماذا يجب أن أكون حاملاً بطفل تنغو؟ وماذا لو نظرتُ إلى المسألة كما يلي؟ في ليلة العاصفة، والتي وقعت فيها أحداث كثيرة، تمّ تنفيذ عملية ما في هذا العالم، حيث أَوصل تنغو سائله المنوي إلى رحمي. بطريقة ما، وعبر فجوة تخلَّلت الرعد والمطر، والظلام والقتل، انفتح ممرّ خاص، بناء على منطق يتجاوز قدرتي على الفهم. للحظة واحدة فقط. وفي تلك اللحظة انتهزنا وجود الممر. واغتنمت هذه الفرصة كي أستقبل تنغو داخلي بشراهة. أصبحتُ حاملاً. هل هي البويضة رقم 201، أو 202؟ عَلِقت في واحد من ملايين الحيوانات المنوية، خلية

حيوانات منوية واحدة تميّزت بسلامتها وذكائها واستقامتها تماماً كما الشخص الذي أنتجها.

يا لها من فكرة رهيبة. ولكنها عديمة المعنى. سوف يُبحّ صوتي وأنا أشرحها ولكن أحداً لن يصدقني. إن فكرة الحمل برمّتها لا تعني أي شيء. ولكن تذكّري أن هذه هي سنة 1Q84. إنه عالم غريب وقد يحدث فيه أيّ شيء.

تساءلت، ماذا لو كان هذا الطفل هو حقاً لتنغو؟

في ذلك الصباح عند المخرج على الطريق السريع رقم 3، لم أسحب الزناد. ذهبتُ إلى هناك بالفعل، ووضعتُ فوّهة المسدس في فمي، وكنت عازمة على الموت. لم أكن أخشى الموت، لأنني كنت سأموت كي أنقذ تنغو. ولكن قوة علوية من نوع ما فعلت فعلها وانتزعتني من براثن الموت. ومن بعيد سمعت صوتاً يناديني باسمي. هل ناداني لأني كنت حاملاً؟ هل كان يحاول أن يخبرني بهذه الحياة الجديدة التي تتخلّق في داخلي؟

استحضرت أَوْمَامِه الحلم، وتلك المرأة الأنيقة التي ألبَسَتها معطفها كي تستر جسدها العاري. ترجّلت من سيارتها المرسيدس فضية اللون وألبستني معطفها اللامع. أدركت عندئذٍ أني حامل، وحمتني بمعطفها من نظرات الناس المحدّقة وبرودة الرياح.

كانت هذه علامة مبشرة.

أرخت أَوْمَامِه قسمات وجهها المشدودة، وعادت ملامحها إلى طبيعتها. وحدّثت نفسها، ثمة شخص يراقبني ويحميني. أنا لست وحدي حتى وأنا في عالم 1Q84. على الأرجح.

حملت أَوْمَامِه كوب الشاي الذي برد ومضت نحو النافذة. ثم خرجت إلى الشرفة حيث غاصت في المقعد الكبير حتى لا يلمحها أحد، وراحت تحدق في الملعب عبر فجوة الستارة. حاولت أن تفكر في تنغو. ولكن لسبب ما، لم ينصرف تفكيرها إليه اليوم. وبدلاً من ذلك تراءى لها وجه أيومي ناكانو. رأت أيومي تبتسم مبتهجة، كانت ابتسامة طبيعية وتلقائية. كانتا تجلسان متقابلتَين في مطعم حيث تحتسيان الشراب. وأصبحتا ثملتين للغاية. راح البورغوندي الفاخر يَسري في عروقهما ببطء، فيضفي على العالم المحيط بهما لوناً أرجوانياً خفيفاً.

قالت أيومي: «ومع ذلك، يبدو أن هذا العالم يفتقر بشدّة إلى الشفقة والمنطق».

قالت أَوْمَامِه: «لا بأس. سوف يزول هذا العالم بأسرع ممّا تتوقعين».

«سيكون ذلك ممتعاً».

«وسوف يأتي الملكوت».

قالت أيومي: «هذا ما أنتظره بفارغ الصبر».

لماذا تذكرتُ الملكوت عندئذٍ؟ استغربت أَوْمَامِه. لماذا استحضرتُ فجأة ملكوتاً أنا نفسي لا أؤمن به؟ ولم تكن قد مضت على موت أيومي مدة طويلة.

أعتقد أنني حينما ذكرت الملكوت، كانت الصورة الذهنية التي ارتسمت لدي تختلف عن تلك التي للملكوت الذي تؤمن به جماعة الشهود. ربما كان ملكوتاً ذا طابع شخصي أكثر، وهذا هو ما يجعل الكلمة تأتي على لساني بشكلٍ تلقائي للغاية. ولكن ما هو الملكوت

الذي أؤمن به؟ ما هو الملكوت الذي أعتقد أنه سوف يأتي بعد نهاية العالم؟

وضعت يديها بلطف على بطنها وأصغَت باهتمام. لن تسمع شيئاً مهما أرهفت سمعها.

أيومي ناكانو عاشت منبوذة في هذا العالم. وقُيِّدت يداها بأصفاد باردة، وماتت خنقاً بحزام (وعلى حدّ علم أَوْمَامِه، فإنّ القاتل لا يزال طليقاً). تمّ تشريح الجثة، ثم خِيطَت ونُقلت إلى المحرقة حيث أُحرقت. لم يعُد للمدعوّة أيومي ناكانو وجود في هذا العالم. تلاشى لحمها ودمها إلى الأبد. لم يعُد لوجودها أيّ أثر خارج المستندات والذاكرة.

لا، ربما لا يكون ذلك صحيحاً تماماً. ربما لا تزال بخير وتعيش في عالم 1984. ولا تزال متذمّرة لأنها لم يسمح لها بحمل مسدس، ولا تزال تضع مخالفات انتظار السيارات تحت مسَّاحات المطر. ولا تزال تزور المدارس الثانوية لتوعية الطالبات بوسائل منع الحمل. «إذا لم يكن لديه واقٍ ذكري، أيتها الفتيات، فلا ينبغي أن يقوم بأيّ إيلاج».

كانت أَوْمَامِه تتحرّق شوقاً للقاء أيومي. ليتها تستطيع أن تصعد مرة أخرى درج الطوارئ على الطريق السريع رقم 3 ومن ثم تعود إلى عالم 1984، فربما تراها مرة أخرى. ربما تكون أيومي لا تزال على قيد الحياة هناك، وهناك لا يتعقّبني أحد من هؤلاء المهووسين. ربما استطعنا أن نذهب مرة أخرى إلى مطعم نوجيزاكا حيث نحتسي كوباً آخر من البورغوندي. أو ربما...

هل أصعد مرة أخرى درج الطوارئ؟

كما لو كانت تُعيد الاستماع لشريط كاسيت، استرجعت أَوْمَامِه

أفكارها. لماذا لم أفكر في ذلك من قبل؟ حاولتُ أن أهبط درج الطوارئ مرة أخرى ولكنني لم أجد المدخل. لقد تلاشى الدرج، الذي كان يُفترض أنه موجود في مقابل لوحة إعلان إيسو. ولكن ربما أنجح في ذلك إذا ذهبت من الاتجاه المعاكس، فلا يصبح هبوطاً للدرج وإنما صعود. أتسلل إلى منطقة التخزين الموجودة أسفل الطريق السريع وأمضي في الاتجاه المعاكس، ثم أصعد إلى الطريق السريع رقم 3. ثم إلى الممر. ربما يكون هذا هو الجواب.

كانت أَوْمَامِه ترغب في الانطلاق من فورها إلى سانجينجايا حتى ترى إنْ كان ذلك ممكناً. قد ينجح ذلك وقد لا ينجح. ولكن الأمر يستحقّ المحاولة. سأرتدي السترة نفسها، والحذاء عالي الكعبين نفسه، وأصعد مرة أخرى ذلك الدرج الذي تنتشر فيه بيوت العنكبوت.

ولكنها كبحت جماح نفسها، وقالت، لا، لن ينجح. لا أستطيع. لقد استطعت أن أرى تنغو مرة أخرى لأنني أتيت إلى عالم 1Q84 وأنا حامل الآن بمن هو طفله على الأغلب. يجب أن أراه مرة أخرى في هذا العالم الجديد. يجب أن ألتقيه مرة أخرى. وجهاً لوجه. لن أغادر هذا العالم قبل أن يحدث ذلك.

اتصل بها تامارو بعد ظهيرة اليوم التالي.

استهلّ تامارو مكالمته: «أولاً، بخصوص محصّل اشتركات 'إن إتش كيه'، فقد اتصلتُ بمكتب التشغيل في الشبكة وتحرّيت عن ذلك. أخبرني محصل الاشتراكات المسؤول عن منطقة كوينجي أنه لم يطرق باب الشقة 303، وأنه رأى بالفعل الملصَق الموجود على الباب الذي يفيد بأن الرسوم تُدفع تلقائياً من الحساب. وقال، ما دام للباب

جرس، فلماذا يطرقه. سوف يوجع يده وحسب. وفي اليوم الذي جاءكِ فيه المحصل، كان هذا الرجل يقوم بجولات في منطقة أخرى. لا أظنه يكذب. إنه محصِّل قديم ويعمل بالشركة منذ 15 سنة، ومعروف عنه أنه صبور ومهذب للغاية».

قالت أَوْمَامِه: «ما يعني..».

«ما يعني أنّ هناك احتمال قوي بأنّ المحصِّل الذي جاءكِ في المبنى الذي تسكنين فيه محصل زائف - شخص يتظاهر بأنه يعمل لدى 'إن إتش كيه'. وقد أثار ذلك قلق المحصِّل الذي تحدثتُ إليه عبر الهاتف. إنّ آخر ما يرغبون فيه هو ظهور محصِّلين زائفين. وقد طلب الشخص المسؤول مقابلتي كي أزوِّده بمزيدٍ من التفاصيل. ولكني كما تتوقعين، رفضتُ طلبه. لم يحدث أيّ ضرر فعلي، ولا أريد لهذا الأمر أن يخرج عن نطاقه».

«ربما كان مريضاً عقلياً؟ أو شخصاً يتعقبني؟».

«لا أعتقد أن شخصاً يتعقّبك يمكن أن يتصرف بهذه الطريقة. لن يفيده ذلك، بل في الواقع سوف يجعلك تتوخين الحذر».

«لو أنه كان مجنوناً، فلماذا يختار هذا الباب تحديداً. توجد حوله أبواب أخرى كثيرة. وأنا حريصة دائماً على ألّا يتسرب أيّ ضوء إلى الخارج، وألتزم بالهدوء التام. وأُبقي الستائر مسدلة دائماً ولم أنشر الغسيل في الخارج قطّ. ومع ذلك لا يزال هذا الرجل يختار هذا الباب كي يطرقه. إنه يعرف أنني أختبئ هنا، أو على الأقل يصرّ على أنه يعرف - ويحاول بكلّ السبل أن يجعلني أفتح الباب».

«هل تظنين أنه سيعود؟».

«لا أدري. ولكن إذا كان جاداً حقاً في جعلي أفتح، فأراهن أنه سوف يعود مرة تلو مرة حتى أفتح».

«وهذا يزعجك».

قالت أَوْمَامِه: «لا أقصد أنه يزعجنى بالضبط. ولكن لا أحبّ ذلك وحسب».

«وأنا أيضاً لا أحبّ ذلك، لا أحبه إطلاقاً. ولكن حتى لو عاد هذا المحصِّل الزائف مرة أخرى، لا يمكننا الاتصال بشركة 'إن إتش كيه' أو إبلاغ الشرطة. وإذا اتصلت بي وأسرعتُ بالمجيء حتى ألحق به، فغالباً سوف يتلاشى مع وصولي».

قالت أَوْمَامِه: «أظنّ أنني أستطيع التعامل معه بنفسي. دعهُ يتوعدني ويرهبني كيفما يشاء، ولكن كلّ ما عليّ فعله هو أن أُبقي الباب مغلقاً».

«أنا متأكد من أنه سوف يفعل كلّ ما بوسعه كي يُرهبك».

قالت أَوْمَامِه: «لا شك».

نظف تامارو حنجرته للحظة وغيَّر الموضوع.

«هل أجريت الاختبار؟».

قالت أَوْمَامِه مباشرة: «النتيجة إيجابية».

«أصبتِ الهدف، بعبارة أخرى».

«بالضبط. جرّبت اختبارين وجاءت النتائج متطابقة».

سادَ صمت. وكأنه حجر طباعة لم تنقش عليه كلمات بعد.

سألها تامارو: «ألا يوجد مجال للشك؟».

«كنت أعرف ذلك من البداية. والاختبارات أكَّدت لي فقط».

راح تامارو يحكّ في صمت حجر الطباعة لبعض الوقت بباطن أصابعه.

قال: «هناك سؤال مباشر يجب أن أسأله. هل تخطِّطين لوضع الطفل؟ أم أنك سوف تتصرفين فيه؟».

«لن أتصرف فيه».

«ما يعني أنك سوف تلدين».

«إذا سارت الأمور على ما يرام فإنّ موعد الولادة سيكون بين يونيو ويوليو من العام المقبل».

قام تامارو بإجراء عملية حسابية في ذهنه: «ما يعني أننا سوف نضطرّ لإدخال بعض التغيير على خططنا».

«يؤسفني ذلك».

قال تامارو: «لا داعي للأسف. لجميع النساء الحق في الإنجاب. وعلينا أن نحمي هذا الحقّ قدر استطاعتنا».

قالت أَوْمَامِه: «يبدو وكأنك تتلو إعلان حقوق الإنسان».

«سوف أسأل هذا السؤال مرة أخرى فقط للتأكد، ولكن ألا تدرين مَن هو الأب؟».

«منذ يونيو لم أمارس الجنس مع أيّ أحد».

«إذاً نحن أمام نوع من الحمل الطاهر؟».

«أتصوّر أن المتدينين سوف يُغضبهم أن تعبِّر عن ذلك بهذه الطريقة».

قال تامارو: «إذا فعلتِ شيئاً خارقاً للعادة، فلا بد أنّ ذلك سوف يُغضب فريقاً ما. ولكن فيما يخصّ الحمل، من المهم أن يفحصك طبيب مختصّ. لا يمكنك البقاء في هذه الغرفة رهن الانتظار فقط».

تنهدت أَوْمَامِه: «دعني أقيم هنا حتى نهاية العام. وأعدكَ بأنني لن أتسبَّب في أيّ مشكلات».

صمت تامارو لفترة من الوقت. ثم تحدث: «يمكنكِ البقاء حتى نهاية العام، كما وعدنا. ولكن بمجرد حلول العام الجديد، سيكون

علينا أن ننقلك إلى مكان أقل خطراً، حيث يمكنك الحصول على الرعاية الطبية بسهولة. لعلك تدركين هذا، أليس كذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «أدركه». لكنها لم تكن مقتنعة تماماً. وحدَّثت نفسها، إذا لم أرَ تنغو، **فهل سأكون حقاً قادرة على مغادرة هذا المكان؟**

قال تامارو: «لقد حملتْ مني امرأة ذات يوم».

لم تعلقْ أَوْمَامِه بشيء لفترة: «منك أنت؟ ولكني كنت أظنك. . ».

«مثليّ الجنس؟ أنا كذلك بالفعل. أنا مثليّ الجنس. لقد كنت دائماً هكذا، وأتخيَّل أنني سأظل هكذا».

«ومع ذلك فقد حملت منك امرأة».

قال تامارو: «لا أحد معصوم من الخطأ»، من دون أي تلميح للدعابة. «لا أريد الدخول في التفاصيل، ولكن ذلك حدث حينما كنت صغيراً. ضاجعتها مرة واحدة، ولكنها جاءت في الصميم! في قلب الهدف».

«ماذا حدث للمرأة؟».

قال تامارو: «لا أدري».

«لا تدري؟».

«بقيت متابعاً لأحوالها حتى الشهر السادس. ولكن لا أدري ماذا جرى بعد ذلك».

«ما دامت قد وصلت إلى الشهر السادس، فإنّ الإجهاض يصبح متعذراً».

«وذلك ما أفهمه».

قالت أَوْمَامِه: «لذلك يوجد احتمال كبير أنها وضعت طفلاً».

«على الأغلب».

«إذا كانت قد وضعت طفلاً حقاً، أفلا تريد أن تراه؟».

قال تامارو من دون تردد: «لستُ مهتماً إلى هذه الدرجة. ليست هذه هي نوعية الحياة التي أريد أن أعيشها. ولكن ماذا عنك؟ هل كنتِ سترغبين في رؤية طفلك؟».

أطرقت أَوْمَامِه وراحت تفكّر بعض الوقت: «أنا إنسانة نبذها أبواها وهي صغيرة، لذلك من الصعب أن أتخيَّل ماذا يعني أن يكون لدي طفل. ليس لدي نموذج يُحتذى به».

«ومع ذلك، سوف تأتين بهذا الطفل إلى العالم - هذا العالم المضطرب الذي يسوده العنف».

قالت أَوْمَامِه: «هذا لأنني أبحث عن الحب. ليس ذلك الحب الذي يجمع بيني وبين الطفل. فلم أصل بعد إلى هذه المرحلة».

«لكن الطفل جزء من هذا الحب».

«أظنه كذلك، بطريقة أو بأخرى».

«ولكن إذا لم تمضِ الأمور كما تتوقعين، ولم يصبح هذا الطفل جزءاً من الحب الذي تبحثين عنه، فسوف تُلحقين به الأذى في نهاية المطاف. تماماً كما هو حال كلّ منا».

«هذا محتمل. ولكني لا أشعر بأنّ ذلك سوف يحدث. يمكنكَ أن تسمي ذلك حدساً».

قال تامارو: «أنا أقدِّر قيمة الحدس. ولكن بمجرد أن تولد الأنا في هذا العالم، يجب أن تحمل قيم الأخلاق على كاهلها. يجدر بكِ أن تأخذي ذلك بعين الاعتبار».

«مَن الذي قال ذلك؟».

«فيتجنشتاين».

قالت أَوْمَامِه: «سوف أضع ذلك في اعتباري. لو قُدِّر لطفلك أن يُولد، فكم سيكون عمره الآن؟».

أجرى تامارو عملية حسابية في ذهنه وقال: «17 سنة».

ردَّدت أَوْمَامِه: «17 سنة»، ثم تخيّلت فتى أو فتاة، في عمر السابعة عشرة، ويحمل قيم الأخلاق على كاهله.

قال تامارو: «سوف أخبر السيدة بذلك. كانت ترغب في التحدّث إليك مباشرة. ولكن كما قلت مرات عديدة، من وجهة نظر أمنية، فإنني لا أشعر بالرضا عن هذه الفكرة. وعلى المستوى الفني، أتخذ جميع الاحتياطات اللازمة، ولكن الهاتف يظلّ وسيلة اتصال محفوفة بالمخاطر».

«أفهم ذلك».

«ولكنها قلقة للغاية ممّا جرى، وتشعر بالقلق على سلامتك».

«أفهم ذلك أيضاً. وأنا ممتنة لاهتمامها».

«سيكون من الذكاء أن تثقي بها، وتأخذي بنصائحها. إنها شخصية لديها حكمة كبيرة».

قالت أَوْمَامِه: «بالطبع».

قالت أَوْمَامِه في نفسها، **ولكن بعيداً عن ذلك، يجب عليّ أن أشحذ ذهني وأحمي نفسي. لا شكّ أن السيدة لديها حكمة بالغة. وتمتلك قدراً كبيراً من القوة. ولكن هناك بعض الأشياء التي لا يمكنها أن تعرفها. أشكّ في معرفتها بالمبادئ التي تسير وفقاً لها سنة 1Q84. أعني، هل انتبهت من قبل لوجود قمرين في السماء؟**

بعد أن وضعت السماعة، استلقت أَوْمَامِه على الأريكة وأخذتها غفوة لنصف ساعة. كان نوماً قصيراً ولكنه عميق. حلمت، ولكنه كان

حلماً أشبه بفضاء كبير وفارغ. كانت تفكر في الأشياء وهي داخل هذا الفضاء. كانت تكتب، بحبرٍ غير مرئي، في هذا الدفتر الأبيض. حينما استيقظت، وجدت لديها صورة ذهنية مبهمة ولكنها شديدة الوضوح. **سوف ألدُ هذا الطفل. وسوف يولدُ هذا الكائن الصغير بسلام.** وكما قال تامارو، باعتباره حاملاً حتمياً لقيم الأخلاق.

وضعت راحة يدها على بطنها وأصغَت، فلم تسمع شيئاً. حتى الآن.

الفصل الثاني عشر

تنغو
قبل أن تتخلخل القوانين الحاكمة للعالم

بعد تناوله الإفطار، تحمّم تنغو وغسل شعره وحلق ذقنه، ثم ارتدى ثيابه التي كان قد غسلها وجفّفها. غادر النُزل، ثم اشترى الطبعة الصباحية لإحدى الصحف من كشك في المحطة، وقصد مقهىً قريباً احتسى فيه كوباً من القهوة السادة الساخنة.

لم يجد في الصحيفة ما يثير اهتمامه. وبحسب هذه الصحيفة على الأقل، كان العالم مكاناً يبعث على الملل والضجر. بدا وكأنه يُعيد قراءة صحيفة مضى عليها أسبوع، لا صحيفة صادرة اليوم. طوى تنغو الصحيفة ونظر في ساعته. كانت التاسعة والنصف. وكانت ساعات الزيارة في المصحة تبدأ في العاشرة.

لم يستغرق وقتاً طويلاً لحزم أمتعته استعداداً لرحلة العودة إلى البيت. فلم يكن يحمل معه سوى بعض غيارات الملابس والأدوات الصحية وبعض الكتب ورزمة من ورق الكتابة. دسّ كلّ شيء داخل حقيبة كتف قماشية. علّق الحقيبة في كتفه، ودفع فاتورة الغرفة، وركب حافلة أقلّته إلى المصحّة. كان الشتاء في بدايته ولم يكن هناك سوى قلةٍ من الأشخاص يقصدون الشاطئ هذا الصباح. وكان تنغو هو الوحيد الذي نزل من الحافلة عند الموقف المخصّص للمصحة.

في مكتب الاستقبال سجّل اسمه ووقت الزيارة في سجلّ الزوار.

وجد ممرّضة شابة في مكتب الاستقبال لم يكن قد رآها من قبل. كانت ذات ذراعين وساقين طويلتين ونحيلتين، وتبتسم ابتسامة تظهر عند زاويتيّ شفتيها. أوحت له بعنكبوت طيب يرشد الأشخاص عبر طريق يخترق إحدى الغابات. كانت الممرضة تمورا، وهي المرأة متوسطة العمر وذات النظارة، هي عادة مَن تجلس في مكتب الاستقبال، ولكنها لم تكُن موجودة اليوم. شعر تنغو ببعض الارتياح لذلك. كان يخشى أن تُلمِّح له بشيء حول مرافقته كومي أداتشي إلى شقتها في الليلة السابقة. لم يكن ثمة أثر أيضاً للممرضة أومورا. ربما ابتعلتهما الأرض ولم تُبقِ لهما أثراً. وكأنهما الساحرات الثلاثة في ماكبث.

ولكن ذلك كان مستحيلاً. كان اليوم هو العطلة الأسبوعية لكومي أداتشي، أما الممرضتان الأخريان فقد أخبرتاه أنهما سوف يعملان كالمعتاد. لا بد أنهما يؤدّيان الآن عملاً ما في مكان آخر بالمصحة.

صعد تنغو إلى الطابق العلوي حيث غرفة والده، وطرق الباب برفق مرتين، ثم فتح الباب. كان والده يرقد على السرير، نائماً كما هو دائماً. كان يخرج من ذراعه أنبوب للحقنة الوريدية، فيما تخرج من بين فخذيه قسطرة. لم يتغير لديه أي شيء عمّا كان عليه في اليوم السابق. كانت النافذة مغلقة والستائر مسدلة. وجد هواء الغرفة ثقيلاً وراكداً. اختلطت فيه جميع أنواع الروائح معاً -رائحة الأدوية ورائحة الزهور الموضوعة في المزهرية وأنفاس المريض ورائحة برازه- جميع الروائح التي تجلبها معها الحياة. ورغم أنّ زخم الحياة هنا كان ضعيفاً، ورغم أنّ والده كان فاقداً الوعي، فإنّ التمثيل الغذائي لم يتغيّر. كان والده لا يزال على هذا الجانب من الصدْع الكبير. أن

تكون على قيد الحياة، إذا تعيّن عليك أن تقدِّم تعريفاً لذلك، يعني أن تنبعث منك مجموعة من الروائح.

كان أول ما فعله تنغو لدى دخوله غرفة أبيه هو أنه مضى مباشرة إلى الحائط الأقصى، حيث أزاح الستائر وفتح النافذة. كان صباحاً منعشاً وكانت الغرفة بحاجة ماسة إلى هواء نقي. كان الطقس بارداً في الخارج، ولكنه لم يصل إلى الدرجة التي يُسمّى معها برداً. كانت أشعة الشمس تتدفق إلى الداخل فيما ترفرف الستائر متأثِّرة بنسيم البحر. تعرّض طائر نورس وحيد، كان يثني إحدى ساقيه تحته بأناقة، لدفقة رياح فطار محلّقاً فوق أشجار الصنوبر. وكانت هناك مجموعة من العصافير تقف على سلك كهربائي، ولا تَني تُبدل مواضعها مثل نغمات موسيقية تُعاد كتابتها. وحطّ غرابٌ ذو منقار كبير على قمّة مصباح يعمل ببخار الزئبق، وراح يستطلع بحذر الأشياء المحيطة وهو يفكّر في تحرّكه التالي. ظهرت بعض السحب في كبد السماء، ولكنها كانت عالية وبعيدة للغاية حتى بدت وكأنها مفاهيم مجرّدة لا تمتّ بصِلَة لحياة الإنسان.

وبينما كان يعطي ظهره للمريض، راح تنغو يحدِّق لمدة في هذا المشهد بالخارج. الكائنات الحية والجمادات. الأشياء التي تتحرّك وتلك التي لا تتحرك. كان المشهد الذي رآه من النافذة هو المشهد المعتاد. لم يكن به جديد. يجب على العالم أن يمضي إلى الأمام. إنه أشبه بساعة منبِّه رخيصة، يؤدي وظيفة مُرضية في نطاق دوره المحدّد. كان تنغو ينظر إلى المشهد من دون اكتراث، محاولاً أن يرجئ مواجهة والده ولو للحظة، ولكنه لن يستطيع أن يرجئ ذلك إلى الأبد.

وأخيراً حزم تنغو أمره، واستدار، وجلس على الكرسي المجاور

للسرير. كان والده ممدَّداً على ظهره، ووجهه نحو السقف، ومغمَض العينين. كان الغطاء الذي شُدّ حتى عنقه أنيقاً ويخلو من أيّ تجاعيد. وكانت عيناه غائرتين بشدّة. وكان يبدو وكأنّ قطعة ما قد فُقدت منهما، فلم يعُد محجرا عينيه يدعمان مقلتيه، اللتين استسلمتا بهدوء. وحتى لو كان له أن يفتح عينيه، فإنّ العالم الذي سيراه سيكون صورة للعالم حينما يُنظر إليه من قاع حفرة.

استهلّ تنغو كلامه: «أبي».

لم يردّ والده. فجأة توقف النسيم الذي كان يهبّ على الغرفة وتدلّت الستائر من دون حركة، وكأنها عاملٌ وقد توقّف فجأة وهو في غمرة مهمة ما حينما تذكّر شيئاً آخر كان عليه أن يؤديه. وبعد فترة، وكما لو كانت تستجمع قواها، بدأت الرياح تهب مرة أخرى.

قال تنغو: «سأعود إلى طوكيو اليوم. لا أستطيع البقاء هنا إلى الأبد. ولا أستطيع تمديد إجازتي أكثر من ذلك. إنها حياة رديئة، ولكن لديّ حياة وعليّ العودة إليها».

كانت هناك بعض الشعيرات التي يتراوح عمرها ما بين يومين أو ثلاثة قد نمت على خدّي والده. اعتادت إحدى الممرضات أن تحلق له ذقنه بشفرة كهربائية، ولكنها لم تكن تفعل ذلك كلّ يوم. كانت هذه الشعيرات تمثّل خليطاً من الأبيض والأسود. لم يكُن قد تجاوز الرابعة والستين، لكنه بدا أكبر كثيراً من ذلك، كما لو أن أحداً ما قد قام بطريق الخطأ بتسريع شريط حياته.

«لم تستيقظ طوال المدة التي قضيتُها هنا. الطبيب يقول إنّ حالتك الجسمانية ليست شديدة السوء. والغريب أنك لا تزال تقريباً بصحّتك التي كنتَ عليها».

صمت تنغو، حتى يسمح للكلمات بأن تستقرّ في ذهن والده.

«لا أدري هل تسمع ما أقوله أو لا. حتى إذا كانت الكلمات تهزّ طبلة أذنك، فربما تكون الدائرة الموجودة بعد ذلك مغلقة. أو ربما تصل إليك الكلمات التي أنطق بها فعلاً ولكنك لا تستطيع الردّ عليها. لست أدري حقاً. ولكني كنت أتحدث إليك، وأقرأ لك، مفترضاً أنك تسمعني. لولا أنني افترضتُ ذلك، لما كان لحديثي إليك جدوى، وإذا كنت لا أستطيع الحديث إليك، فلا جدوى إذاً من بقائي هنا. لا أستطيع أن أوضح ذلك بشكلٍ جيد، ولكني أشعر بأنّ هناك قدراً ملموساً، قد يكون النقاط الرئيسة لما أقوله، على الأقل، يتمّ فهمه».

لا يوجد ردّ.

«قد يبدو ما أوشك على قوله كلاماً شديد الحمق. ولكني سأعود إلى طوكيو اليوم، ولا أعرف متى سأعود إلى هنا. لذلك سأقول ما يعنّ بخاطري. إذا وجدته كلاماً أبله، فاضحك من فورك ولا تتردَّد. هذا إذا كنت تستطيع أن تضحك، أقصد».

توقف تنغو وهو يحدِّق في وجه والده. لكن مرة أخرى لم يأتِه ردّ.

«إنّ جسمك في غيبوبة. لقد فقدتَ الوعي والشعور، وبقاؤك على قيد الحياة مرهون بالأجهزة الطبية الداعمة. أخبرني الطبيب أنك تشبه جثة حية، رغم أنه عبَّر عن ذلك بطريقة بها بعض التلطّف. من الناحية الطبية، هذه هي على الأرجح حالتك. ولكن أليس ذلك مجرد خداع؟ لدي شعور بأنك لست فاقداً لوعيك على الإطلاق. لقد أدخلتَ جسمك في غيبوبة، ولكن وعيك حيّ في مكان آخر. كنت أشعر بذلك لفترة طويلة. لكنه مع ذلك مجرّد شعور».

ساد صمت.

«أستطيع أن أفهم إذا كنت ترى في ذلك فكرة مجنونة. إذا قلتها

لأيّ أحد آخر، فسوف يقول إنني أهلوس. ولكن كان عليّ أن أراها حقيقية. أعتقد أنك فقدتَ الاهتمام بهذا العالم. أصابتك خيبة الأمل، وفقدتَ الاهتمام بكلّ شيء. ولذلك تخلّيت عن جسمك. ذهبتَ إلى عالمٍ منفصل وتعيش حياة مختلفة. في عالم لا وجود له إلّا داخلك».

سادَ صمتٌ مرة أخرى.

«أخذتُ إجازة من عملي، وجئتُ إلى هذه البلدة، وحجزتُ غرفة في نُزل، وكنت أجيء إلى هنا كل يوم وأتحدّث إليك - على مدى أسبوعين تقريباً. ولكني لم أكُن أفعل ذلك كي أطمئن على حالك أو رغبة في الاعتناء بك. كنت أريد أن أعرف من أين أتيت، وما هو نَسَبي. لكن ذلك لم يعُد له أدنى أهمية الآن. أنا هو أنا بغض النظر عن الشخص أو الشيء الذي أنتمي إليه. ومع ذلك فأنا أعرف أنك الشخص الذي يُدعى أبي. وهذا أمر حسن. هل هذا هو ما يمكن تسميته تصالح مع النفس؟ لست أدري. ربما أكون قد تصالحت مع نفسي وحسب».

أخذ تنغو نفساً عميقاً. وتحدَّث بلهجة ألطف.

«خلال الصيف، كنت لا تزال واعياً. عقلك كان مشوشاً، ولكن وعيك كان لا يزال حاضراً. في ذلك الوقت التقيتُ فتاة هنا، في هذه الغرفة، مرة أخرى. ظهرت لي بعد أن اصطحبوك إلى غرفة الفحص. أعتقد أنه كان شيئاً يشبه أناً بديلة لها. جئت إلى هذه البلدة مرة أخرى ومكثتُ هنا كلّ هذا الوقت لأنني كنت آمل أن أراها مرة أخرى. بصراحة، هذا هو سبب قدومي».

تنهد تنغو وضمّ يديه معاً فوق حجره.

«لكنها لم تأتِ. ما جاء بها إلى هنا في المرة الأخيرة كان شيئاً يسمى الشرنقة الهوائية، كبسولة كانت تغلّفها. أحتاج وقتاً طويلاً كي

أشرح لك كلّ شيء، ولكن الشرنقة الهوائية كانت مجرَّد وَهم من نتاج الخيال. ولكنها لم تعُد وهماً الآن. لقد اختلط عندي الحدّ الفاصل بين الواقع والخيال. السماء تضمّ الآن قمرين. وهذان، أيضاً، جِيء بهما من عالم الخيال».

حدق تنغو إلى وجه والده. هل يمكنه أن يتابع ما قاله تنغو؟

«ضمن هذا السياق، لا يُستبعد أن يكون وعيك قد انفصل عن جسمك، وأنه الآن يجوب عالماً آخر بحرية. يبدو وكأن القوانين الحاكمة للعالم قد بدأت تتخلخل. كما قلت من قبل، لديّ شعور غامض بأنك تقوم بذلك فعلاً. وكأنك ذهبتَ إلى شقتي في كوينجي وطرقت الباب. أتعرف ما أقصد؟ تعلن أنك محصّل اشتراكات 'إن إتش كيه' وتطرق الباب بشدة، ثم تصيح متوعّداً بأعلى صوتك. تماماً كما كنت تفعل دائماً خلال جولاتنا التي كنت نقوم بها في إتشيكاوا».

استشعر تغيراً في ضغط الهواء بالغرفة. كانت النافذة مفتوحة، ومع ذلك لم يكن يسمع أيّ صوت آتٍ من الخارج. لم يعُد يسمع سوى زقزقة العصافير.

«هناك فتاة تقيم في شقتي في طوكيو. ليست صديقة لي أو ما شابه - ولكن شيئاً ما قد حدث لها وهي تحتمي بشقتي كملاذٍ مؤقت. وقبل بضعة أيام أخبرتني عبر الهاتف بأنّ محصل الاشتراكات التابع لشركة 'إن إتش كيه' قد جاء إلى الشقة وطرق الباب، وبما فعله وقاله في الردهة. من الغريب أن تتشابه أساليبه مع تلك التي كنتَ تستخدمها. والكلمات التي سمِعَتها هي نفسها الكلمات التي أتذكّرها، والتعبيرات هي نفسها التي كنت آمل أن أمحوها من ذاكرتي. وأنا الآن أعتقد أنّ محصل الاشتراكات قد يكون أنتَ في واقع الأمر. هل أنا مخطئ في ذلك؟».

انتظر تنغو ثلاثين ثانية، ومع ذلك لم يرفّ لوالده رمش.

«هناك شيء واحد أريده: وهو ألّا تطرق باب شقتي مرة أخرى. ليس لدي جهاز تلفزيون. وتلك الأيام التي كنّا نطوف خلالها معاً لتحصيل الرسوم قد ولّت منذ زمن. أعتقد أننا اتفقنا على ذلك بالفعل، حينما حضرت معلمتي إلى المنزل - لم أعد أتذكّر اسمها، ولكنها كانت مسؤولة عن صفي. تلك السيدة ذات القامة القصيرة والنظارة. لعلّك تذكُرها، أليس كذلك؟ لذلك لا تطرق باب شقتي مرة أخرى، اتفقنا؟ وليس باب شقتي وحده. ولكن لا تطرق أي أبواب أخرى في أيّ مكان. أنت لم تعُد محصّلاً للاشتراكات في 'إن إتش كيه'، ولا يحقّ لك أن تُرهب الناس بهذا الشكل».

نهض تنغو، ومضى نحو النافذة، ونظر إلى الخارج. كان هناك رجل مسنّ يرتدي سترة فضفاضة، ويمسك بعصا، ويسير أمام الغابة. ربما كان يتمشى وحسب. كان طويل القامة وممشوق القوام رغم شعر رأسه الأبيض. ولكن خطواته كانت مضطربة، وكأنه قد نسي كيف يمشي، وكأنه مع كلّ خطوة إلى الأمام كان يحاول أن يتذكّر كيف يخطوها. ظلّ تنغو يراقبه فترة من الوقت. شقّ الرجل العجوز طريقه ببطء عبر الحديقة، ثم انعطف عند زاوية المبنى واختفى. لم يكن يبدو أنه تذكّر طريقة المشي. استدار تنغو كي يصبح في مواجهة والده.

«أنا لستُ عاتباً عليك. يحقّ لك أن ترسل وعيك أينما تريد. هذه حياتك ووعيك. لديك مفهومك الخاص عمّا هو صواب، وهو ما تطبّقه في حياتك. ربما لا يحقّ لي أن أقول لك ما أقول. ولكن عليك أن تفهم: **أنت لم تعُد محصّلاً لأيّ رسوم لدى 'إن إتش كيه'**. لذلك يجب ألا تدّعي أنك محصل. لا فائدة من ذلك».

جلس تنغو على عتبة النافذة وراح يفتش عن كلماته التالية في هواء الغرفة الضيقة في المستشفى.

«لا أدري أي نوع من الحياة عشتها، وأي أفراح وأحزان واجهت. ولكن حتى إنْ كان لديكَ شيء لم تحقّقه بعد، فلا يمكنك أن تجوب الشوارع بحثاً عنه بالطَّرْق على أبواب الآخرين. حتى لو كان ذلك في أكثر مكان تألفه، وحتى لو كان ذلك العمل هو نقطة قوتك».

أخذ تنغو يحدِّق بصمت في وجه والده.

«لا أريدك أن تطرق باب أيّ أحد بعد الآن. هذا كلّ ما أطلبه منك يا أبي. يجب أن أذهب. كنت أجيء إلى هنا كلّ يوم وأتحدّث معك وأقرأ لك وأنت في غيبوبتك. وأعتقد أن جزءاً مني ومنك على الأقل قد تصالحا، وأعتقد أنّ التصالح قد حدث بالفعل في عالم الواقع. ربما لا تكون راغباً في ذلك، ولكن عليك أن تعود إلى هنا مرة أخرى، إلى هذا الجانب. هذا هو مكانك».

رفعَ تنغو حقيبته وعلّقها في كتفه.

«حسناً، سوف أذهب الآن».

لم ينبس والده بكلمة. لم يحرِّك ساكناً وظلّت عيناه مغمضتين- كدأبه دائماً. ولكن بدا وكأنه يفكِّر في شيء ما. التزم تنغو الصمت وصرف انتباهه كاملاً إليه. خُيِّل إليه أنّ والده ربما يفتح عينيه في أيّ لحظة، ويجلس فجأة في السرير. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

كانت الممرضة ذات الأطراف النحيلة لا تزال في مكتب الاستقبال في أثناء مغادرته. كانت توجد شارة بلاستيكية على صدرها تُشير إلى أنّ اسمها تاماكي.

قال لها تنغو: «أنا عائد إلى طوكيو الآن».

قالت له مواسية: «يؤسفني أنّ والدك لم يستردّ وعيه وأنت هنا. ولكني متأكِّدة من أنه كان سعيداً لأنك مكَثت هنا هذه المدة الطويلة».

لم يجد تنغو تعليقاً مناسباً: «أرجو أن تُبلغي سلامي لزميلاتك الأخريات. لقد كنتنّ جميعاً خير عون لي».

لم يرَ الممرضة تمورا ذات النظارة أو الممرضة أومورا عامرة الصدر وقلمها الجاف الحاضر دائماً. أحزنه ذلك قليلاً. لقد كنّ ممرضات متميّزات، وكنّ دائماً لطيفات معه. ولكن ربما كان في عدم رؤيته لهن أعظم الفائدة له. وعلى أية حال، فقد كان في طريقه لمغادرة بلدة القطط وحيداً.

عندما غادر القطار محطة تشيكورا، تذكّر الليلة التي أمضاها في شقة كومي أداتشي. لم يمضِ على ذلك سوى يوم أمس. مصباح تيفاني المقلَّد، والأريكة الضيقة، والعرض الكوميدي في التلفزيون الذي كان يصل إلى سمعه من الشقة المجاورة. ونعيب البومة في الغابة. وتدخين الحشيش، والقميص ماركة سمايلي، وشعر العانة الكثيف لدى كومي. لم يمضِ سوى أقل من يوم واحد، ومع ذلك بدا وكأنه قد مضى عليه زمن. بدا عقله مضطرباً. لم تكن ذكرياته تستقرّ في مكان واحد وكأنها ميزان مختلّ التوازن.

وفجأة شعر تنغو بالقلق، فنظر حوله. هل كان هذا الواقع واقعاً حقيقياً؟ أم أنه قد ارتقى مرة أخرى الواقع الخطأ؟ سأل مسافراً بالقرب منه، وتأكّد أنّ هذا القطار متجه بالفعل إلى تاتياما. قال في نفسه، **لا بأس، لا داعي للقلق. في تاتياما يمكنني التغيير إلى قطار طوكيو السريع.** كان يبتعد شيئاً فشيئاً عن بلدة القطط بمحاذاة طريق البحر.

ولم يكد يغيِّر القطار ويجلس في مقعده، حتى دهمه النوم وكأنه لا يطيق الانتظار. كان نوماً عميقاً، وكأنه قد تعثّر وسقط في حفرة سحيقة. أغمض جفنيه، ولم يكد يفعل حتى تلاشى وعيه. وعندما فتح

عينيه مرة أخرى، كان القطار قد اجتاز ماكوهاري. لم يكن القطار حاراً من الداخل، ومع ذلك فقد تعرَّق من تحت إبطيه وأسفل ظهره. وبدأت تنبعث من فمه رائحة كريهة، تشبه ذلك الهواء الراكد الذي كان يتنفسه وهو في غرفة والده المريض. أخرج قطعة من العلك من جيبه وراح يلوكها في فمه.

كان تنغو على يقين أنه لن يزور تلك البلدة مرة أخرى، على الأقل ووالده لا يزال على قيد الحياة. ورغم أنه لم يكن هناك شيء في هذا العالم يمكنه أن يجزم به يقيناً، فقد أدرك أنه لا يمكنه على الأرجح أن يفعل أكثر ممّا فعل في تلك البلدة الساحلية.

حينما عادَ إلى شقته، لم تكن فوكا-إري موجودة. طرق الباب ثلاثاً، وتوقّف، ثم طرق مرتين أخريين. ثم فتح الباب بالمفتاح. في الداخل، كانت الشقة غارقة في صمت يشبه صمت القبور. فوجئ على الفور بالدرجة العالية من الترتيب والنظافة التي شمَلَت كلّ شيء. رُصّت الأطباق في مكانها، ورُتّب كلّ شيء على الطاولة والمكتب بعناية، فيما تمّ إفراغ سلة القمامة. كانت هناك دلائل على أنّ المكان قد تمّ تنظيفه بالمكنسة الكهربائية. وجد السرير مرتباً، ولم تعُد توجد أيّ كتب أو أسطوانات متناثرة في المكان. أمّا الغسيل المجفّف فقد طُوي ووُضع بعناية على السرير.

كانت حقيبة الكتف الضخمة التي تستخدمها فوكا-إري غير موجودة. لكن لم يكن يبدو أنها قد تذكّرت شيئاً كان عليها أن تفعله أو أن شيئاً ما قد طرأ لها فجأة فغادرت على عجل. ولم يكن يبدو أيضاً أنها قد خرجت لمدة قصيرة. وبدلاً من ذلك، كانت جميع الدلائل تشير إلى أنها قررت ترك الشقة بصفة دائمة، وأنها استغرقت

وقتاً في تنظيف الشقة ثم غادرت. حاول تنغو أن يتخيّلها تدفع المكنسة الكهربائية وتمسح هنا وهناك بقطعة قماش مبللة. لم يكن ذلك يناسب صورتها على الإطلاق.

فتح صندوق البريد الموجود داخل البوابة الخارجية فوجد نسخة من المفتاح. لقلّة عدد الرسائل، استنتج أنها قد غادرت أمس أو في اليوم السابق. كان آخر اتصال له بها في الصباح قبل يومين، حينما كانت لا تزال في الشقة. في الليلة الأخيرة كان قد تناول العشاء مع الممرضات الثلاث وعاد إلى شقة كومي. كان منشغلاً للغاية حتى إنه نسي أن يهاتفها.

في العادة كانت تترك وراءها قصاصة ورق بخطّ يدها الفريد الذي يشبه الخط المسماري، ولكنه لم يجد أثراً لهذه القصاصة. لقد غادرت من دون كلمة. لم يشعر تنغو بدهشة أو بخيبة رجاء كبيرة. لا أحد يستطيع أن يتنبأ بما تفكّر فيه هذه الفتاة أو بما ستفعله. جاءت حينما أرادَت ذلك، وغادرت حينما رغبت، وكأنها قطة متقلبة المزاج ومستقلة التفكير. وفي الواقع، لم يكن من مألوف عادتها أن تمكث كلّ هذا الوقت الطويل في مكانٍ واحد.

وجد الثلاجة ممتلئة بطعام أكثر ممّا توقع. خمَّن أن فوكا-إري قد خرجت قبل أيام قليلة وتسوّقت بنفسها هذه الاحتياجات. ووجد أيضاً كومة من القرنبيط المسلوق، بدا أنها قد طُهيت قبل وقت قصير. هل كانت تعرف أن تنغو سيعود إلى طوكيو في غضون يوم أو يومين؟ كان تنغو جائعاً، ولذلك قلى بعض البيض وأكله مع القرنبيط. وحمّص بعض الخبز وشرب كوبين من القهوة.

وبعد ذلك هاتف صديقه الذي كان ينوب عنه في محاضراته في

المدرسة وأخبره بأنه سيعود للعمل في مطلع الأسبوع. وأطلعه صديقه على آخر ما انتهى إليه في المقرّر الدراسي في أثناء غيابه.

«لقد ساعدتني حقاً. أنا مدين لك».

قال له صديقه: «لا مانع لدي من التدريس، بل في بعض الأحيان أجدُ فيه متعة. ولكني وجدت أنه كلما طالَ اشتغال المرء بالتدريس، زاد شعوره بالاغتراب عن نفسه».

كان تنغو ينتابه الشعور نفسه في كثير من الأحيان.

«هل حدث أيّ شيء غريب في غيابي؟».

«تقريباً لا. آه، لقد وصلتكَ رسالة. وضعتها في دُرج مكتبك».

سأله تنغو: «ممّن؟».

«فتاة نحيلة جاءت بها. ذات شعر منسدل يلامس كتفيها. جاءتني وقالت إنّ لديها رسالة تريد إيصالها إليك. كانت تتحدّث بلكنة غريبة. أظنها أجنبية».

«هل كانت تحمل حقيبة كتف كبيرة؟».

«نعم. حقيبة كتف خضراء اللون. ومحشوّة عن آخرها».

ربما خافت فوكا-إري أن تترك الرسالة في شقته، خشية أن يطّلع عليها أحدٌ آخر، أو يأخذها. ولذلك ذهبت مباشرة إلى المدرسة وسلّمتها لصديقه.

شكر تنغو صديقه مرة أخرى ووضع السماعة. كان المساء قد حلّ بالفعل، ولم يجد لديه رغبة في أن يستقلّ القطار ويقطع كل هذا الطريق إلى يويوجي لاستلام الرسالة. سوف يتركها للغد.

بعد ذلك مباشرة، أدرك أنه نسي أن يسأل صديقه عن القمر. همَّ أن يعاود الاتصال به ولكنه عدَل عن ذلك. أغلب الظنّ أن صديقه قد نسي كلّ ما له صلة بالقمر. وهو أمر عليه أن يجد له حلاً بنفسه.

خرج تنغو وراح يمشي بخطى وئيدة في الشوارع التي غطاها ضوء الشفق. عمّ السكون التام شقته بعد مغادرة فوكا-إري لها ولم يعُد يمكنه أن يستقرّ فيها. لم يكن يشعر بوجودها بهذا القدر حينما كان يعيش معها. كان يتبع روتينه اليومي، فيما تتبع هي الأخرى روتينها. ولكن من دونها، لاحظ تنغو فراغاً خلّفته وراءها يأخذ شكلَ إنسان.

لم يكن ذلك لانجذابه إليها. صحيح أنها كانت بلا شكّ فتاة جميلة وجذابة، ولكن تنغو منذ أن التقاها أول مرة لم يشعر نحوها بأيّ رغبة. حتى بعد مساكنته لها في الشقة نفسها مدّة طويلة، لم يشعر قط بأيّ شيء يتحرّك في قلبه نحوها. وتساءل، **كيف ذلك؟ هل هناك سبب ما يجعلني لا أشعر نحوها بأيّ رغبة جنسية؟** صحيح أنهما قد مارسا الجنس في تلك الليلة العاصفة. ولكنه لم يكن راغباً في ذلك. كان الأمر برمّته مِن فِعلها.

ربما تكون كلمة 'جماع' هي الكلمة المناسبة تماماً لتوصيف هذا الفعل. لقد اعتلت تنغو، الذي كان خَدِراً وعاجزاً عن الحركة، وقامت بإيلاج قضيبه داخلها. كانت فوكا-إري تبدو عندئذٍ وكأنها قد دخلت إلى حالة من التسامي، وكأنها جنية في خضمّ حلم جنسي مثير.

بعد ذلك عاشا معاً في الشقة الصغيرة كما لو أن شيئاً لم يحدث بينهما. توقفت العاصفة، وجاء الصباح، وتصرفت فوكا-إري وكأنها قد نسيت الواقعة تماماً. ولم يأتِ تنغو على ذكرها. ورأى أنها لو كانت قد نسيت حقاً، فإنّ الأحرى به أن يدعها في نسيانها. وربما سيكون من الأفضل أن ينسى هو الآخر ذلك. ومع ذلك، يبقى السؤال - لماذا فعلت ذلك الشيء فجأة؟ هل كانت هناك غاية ما وراء كل ذلك؟ أم أنّ مَسّاً قد أصابها بشكل مؤقت؟

ثمة شيء واحد فقط كان تنغو يعرفه على وجه اليقين: ما حدث لم يكن حباً. كانت فوكا-إري تشعر بألفة طبيعية نحو تنغو - وهو أمر كان يبدو مؤكداً. ولكن ليس وارداً أنها أحبته أو اشتهته، أو شعرت نحوه بأي شيء قريب من هذه المشاعر. إنها لم تشعر بأيّ رغبة جنسية بإزاء أحد. لم يكن تنغو واثقاً في قدرته على الملاحظة حينما يتعلق الأمر بالأشخاص، ومع ذلك لم يكن يستطيع أن يتخيل فوكا-إري في لقاء جنسي محموم مع رجل، تخرُج خلاله أنفاسها حارة ومجهَدة. أو يتخيلها وهي منخرطة في لقاء جنسي يخلو من العاطفة المُتّقدة. فهي ليست كذلك.

دارت هذه الأفكار في رأسه بينما كان يسير عبر شوارع كوينجي. كانت الشمس قد غابت وبدأت ريح باردة تهب، ولكنه لم يعبأ بذلك. كان يحب التفكير في أثناء ممارسته المشي، ثم يجلس إلى مكتبه ويصيغ أفكاره في كلمات. هكذا كان ديدنه. وهذا هو السبب في أنه كان يُكثر من المشي. قد يكون الجو ماطراً، وقد يكون عاصفاً، لا يهم. وبينما كان يمشي وجد نفسه أمام حانة تسمّى بارلي هيد. لم يجد تنغو أيّ شيء أفضل من ذلك يمكنه أن يفعله، ولذلك دخل إلى الحانة حيث طلب بيرة كارلسبرج. كانت الحانة قد فتحت أبوابها للتو ولذلك كان هو الزبون الوحيد. توقف عن التفكير لفترة، وأبقى عقله فارغاً، ثم بدأ يرتشف البيرة ببطء.

ولكن مثلما أنّ الطبيعة تنفر من الفراغ، فكذلك كان تنغو لا يحتمل ترف العقل الفارغ مدة طويلة. لم يكن بإمكانه أن يتجنب التفكير في فوكا-إري. فقد شقّت طريقها إلى عقله، وكأنها جزء من حلم.

هذا الشخص قد يكون قريباً جداً. في مكانٍ يمكنك أن تصل إليه مشياً.

فوكا-إري هي مَن قالت ذلك. وهذا هو ما جعلني أخرج للبحث عنها. وأجيء إلى هذه الحانة. ماذا قالت غير ذلك؟

لا تقلق. حتى إذا لم تتمكّن من العثور على هذا الشخص، فإنه سوف يجدك.

وكما كان تنغو يبحث عن أَوْمَامِه، كانت أَوْمَامِه تبحث عنه. لم يكن تنغو يدرك ذلك فعلاً. كان مستغرقاً في نفسه بحثاً عنها. لم يخطر بباله يوماً أنّ أَوْمَامِه هي الأخرى تبحث عنه.

أنا أبصر وأنت تسمع.

كانت هذه عبارة أخرى قالتها فوكا-إري. إنها تبصر الشيء، وتنغو يسمعه. ولكن فوكا-إري كانت لا تكشف ما تراه إلّا حينما ترغب في ذلك. ولكن هل كانت تصرفاتها نابعة من مبدأ أو نظرية، أم نابعة من مجرد نزوة؟ هذا ما لم يكن تنغو يستطيع الجزم به.

تذكر تنغو مرة أخرى تلك المرة التي تضاجعا فيها. حينما اعتلته تلك الفتاة الجميلة ذات السبعة عشر ربيعاً وأولجت قضيبه داخلها. كان ثدياها العامران يتحركان بخفّة في الهواء، وكأنهما ثمرتان ناضجتان. أغمضت عينيها من النشوة، فيما اضطرم أنفها بالرغبة. صاغت شفتاها شيئاً لم يصنع كلمات فعلية. كان يمكنه أن يرى

أسنانها البيضاء، ولسانها الوردي يبرز من بينهما بين حين وآخر. كان تنغو يحتفظ بذاكرة حيّة لهذا المشهد. ربما كان جسده قد تخدّر، ولكن ذهنه كان صافياً. وكان لديه انتصاب شديد الصلابة.

ولكن مهما استحضر تنغو هذا المشهد بوضوح في رأسه، لم يكن يشعر بأيّ إثارة جنسية. ولم يكن يشعر بأدنى رغبة في ممارسة الجنس معها مرة أخرى. لم يكن قد مارس الجنس منذ قرابة ثلاثة أشهر بعد ذلك اللقاء. والأدهى من ذلك، أنه لم يصل إلى النشوة ولو مرة واحدة. كان أمراً لم يعتَده بالمرة. فهو شخص أعذب وموفور الصحة ولم يتجاوز الثلاثين من عمره، ولديه رغبة جنسية طبيعية، وهي رغبة يجب أن يتمّ إشباعها بطريقة أو بأخرى.

ومع ذلك، حينما كان في شقة كومي أداتشي، ثم معها في الفراش، حيث كان شعر عانتها يدغدغ ساقه، لم يشعر بأيّ رغبة على الإطلاق. وظلّ قضيبه مرتخياً طوال الوقت. ربما كان الحشيش هو السبب. ولكنه رأى أنه لم يكن السبب. في ليلة العاصفة حينما مارس الجنس مع فوكا-إري، أخرجت شيئاً مهماً من قلبه. وكأنها نقلت قطعة أثاث من غرفة. كان مقتنعاً بذلك.

ما هو ذلك الشيء؟

هزّ تنغو رأسه.

حينما انتهى من احتساء البيرة، طلب كوباً من ويسكي «الفور روزز» مع مكعبات ثلج وبعض المكسرات. تماماً كما فعلَ آخر مرة.

الأرجح أن الانتصاب لديه في ليلة العاصفة كان انتصاباً مثالياً للغاية. كان قضيبه أقوى وأكبر ممّا عهده في أي وقت مضى. لم يكن يبدو أنه قضيبه. كان ناعماً ولامعاً على نحوٍ لا يبدو معه أنه قضيب حقيقي بقدر ما هو رمز تجريدي، وحينما قذف جاء قذفه قوياً ومثيراً،

فيما جاء ماؤه وفيراً وكثيفاً. لا بد أنه قد وصل إلى رحمها، أو حتى أبعد من ذلك. كانت نشوة مثالية.

ولكن عندما يبلغ شيءٌ ما درجة الاكتمال التام، يجب أن توجد ردّة فعل. هذه هي طبيعة الأشياء. **كيف كانت مرات الانتصاب التي جربتُها منذ ذلك الحين؟** تساءل تنغو. لم تُسعفه الذاكرة. ربما لم يحدث له أيّ انتصاب. أو إن كان ذلك قد حدث، فمن الواضح أنه لم يكن انتصاباً مشهوداً، أو أنه كان انتصاباً ضعيفاً. ولو أنّ انتصابه كان فيلماً سينمائياً، لكان فيلماً منخفض الميزانية يتمّ توزيعه مباشرة عبر الفيديو. وليس انتصاباً يستحقّ حتى النقاش. على الأرجح.

ربما قد قدِّر لي أن أمضي في هذه الحياة لا أحقّق إلا انتصاباً من الدرجة الثانية، هكذا تساءل، **أو ربما حتى أقل من ذلك؟** **ستكون هذه حياة بائسة وكأنها شفق طويل. ولكن بحسب نظرتك، ربما لا مفرّ من ذلك.** فقد جرّب الانتصاب المثالي مرة واحدة على الأقل في حياته، وبلغ النشوة المثالية. كان يشبه مؤلفة رواية **ذهب مع الريح**. حينما تحقّق شيئاً رائعاً جداً، فعليك أن تَسعد به.

انتهى من احتساء الويسكي، دفع الفاتورة وتابع تجواله في الشوارع. كانت الرياح قد زادت شدّتها وأصبح الهواء أبرد من ذي قبل. وحدّث نفسه، **قبل أن تتخلخل قوانين العالم، ويختلّ منطق الأشياء، لا بدّ أن أعثر على أَوْمَامِه.** كان الأمل الوحيد الذي يمكن أن يتشبّث به الآن هو أن يلتقيها مصادفة. وتساءل، **إذا لم أجدها، فأيّ قيمة إذاً لحياتي؟** لقد كانت هنا في كوينجي في سبتمبر. لو كان محظوظاً، فلا بد أنها لا تزال هناك. لا يعني ذلك أنه يستطيع إثبات ذلك، ولكن كلّ ما يستطيعه الآن هو أن يتحقّق من هذا الاحتمال.

أَوْمَامِه في مكان قريب من هنا. وهي الأخرى تبحث عني. مثل شطريّ عملة، كلٌّ منهما يبحث عن الآخر.

رفع تنغو بصره ونظر في السماء، فلم يرَ القمرين. قال في نفسه، يجب أن أبحث عن مكان آخر يمكنني فيه رؤية القمر.

الفصل الثالث عشر

يوشيكاوا

هل هذا هو ما يسمى بالعودة إلى المربع الأول؟

كانت ملامح يوشيكاوا تجعله لافتاً للنظر. لم يكُن لديه تلك الملامح التي تناسب شخصاً يتولى مراقبة الناس أو تعقّبهم. ورغم كلّ ما يبذله من جهد كي يتماهى وسط الجموع، فقد كان يظلّ غير ملحوظٍ كما هي حشرة أم أربعة وأربعين حينما تسقط في كوب من الزبادي.

لم تكن أسرته على هذه الشاكلة على الإطلاق. كانت أسرة يوشيكاوا تتألف من والديه، وشقيقين أحدهما يكبره سناً والآخر أصغر منه سناً، وشقيقة كانت هي الأخرى تصغره سناً. كان والده يدير عيادة صحية، حيث تُمسك فيها والدته بالحسابات. وكان شقيقاه طالبين متميّزين، التحقا بكلية الطب، وأصبحا طبيبين. عمل شقيقه الأكبر في مستشفى في طوكيو، فيما عُين الأصغر باحثاً في إحدى الجامعات. وعندما تقاعدَ والده، كان من المقرّر أن يتولى شقيقه الأكبر مسؤولية عيادة الأسرة في أوراوا، إحدى ضواحي طوكيو. وكان الشقيقان متزوجين ولدى كلّ منهما طفل واحد. أمّا شقيقة يوشيكاوا فقد درست في كلية بالولايات المتحدة الأميركية، وعادت الآن إلى اليابان، حيث تعمل مترجمة. وقد بلغت منتصف الثلاثينيات من عمرها ومع ذلك لا

تزال عزباء. وكان أشقاؤه جميعاً من ذوي الأجسام النحيفة والقامات الطويلة وذوي وجوه بيضاوية جميلة.

في جميع الجوانب تقريباً، ولا سيما في الملامح، كان يوشيكاوا هو الاستثناء في أسرته. كان قصير القامة، وله رأس كبير ومنبعج وشعر أشعث ومجعد. أمّا ساقاه فكانتا ممتلئتين وبهما تقوس يجعلهما أشبه بثمرتي خيار. أما عيناه الجاحظتان فتبدوان دائماً وكأنهما مندهشتين، وكانت تحيط بعنقه كتلة سميكة من الشحم. وكان حاجباه كثيفين وكبيرين، ويلتصقان تقريباً في الوسط. ويبدوان وكأنهما يسروعتين مشعّرتين وقد اتصلتا ببعضهما بعضاً. في المدرسة اعتاد أن يحقّق عموماً درجات ممتازة، ولكن أداءه في بعض المواد الدراسية كان متذبذباً، فيما كان بائساً للغاية في الألعاب الرياضية.

وداخل هذه الأسرة الميسورة والمرموقة والمعتدّة بنفسها، كان هو العضو الغريب، والنغمة النشاز المنفّرة التي أفسدت التناغم الأسري. وفي الصور العائلية كان يبدو وكأنه ذلك الشخص الشاذ والدخيل متبلّد الحسّ الذي أقحم نفسه وسط المجموعة، كي يظهر معهم في الصورة.

لم يستطعْ أفراد أسرته أن يفهموا كيف يمكن لشخص لا يشبههم أصلاً أن يكون واحداً منهم. ولكن لم يكن ثمة شكّ في أنّ والدته هي مَن أنجبته، مع كلّ آلام المخاض التي صحبت مولده (كانت والدته تذكر كيف كانت ولادتها له مصحوبة بألمٍ شديد). لم يضعه أحد على عتبة بابها في سلة. وفي نهاية المطاف، كان أحدهم يتذكّر أنّ هناك قريب هو ابن عم جدّ يوشيكاوا لأبيه، كان هو الآخر صاحب رأس كبير ومنبعج. وكان يعمل خلال الحرب في ورشة للحديد في محافظة كوتو في طوكيو، ولكنه قضى في الغارة الجوية الواسعة التي وقعت في

ربيع عام 1945. لم يكن والده قد التقى الرجل قط، رغم أنه كان يحتفظ بصورة له في ألبوم قديم. عندما رأى أفراد الأسرة الصورة، هتفوا، «الآن فهمنا!» كان يوشيكاوا وعمه مثل حبتين من البازلاء في قرن حتى إنّ المرء ليظن أنّ يوشيكاوا كان صورة مجسَّدة لذلك الرجل. لقد ظهرت الصفات الوراثية لهذا العم، أياً كان السبب، مرة أخرى.

كان يمكن لأسرة يوشيكاوا في مدينة أوراوا، التابعة لإقليم سايتاما، أن تكون أسرة مثالية - في ملامح أبنائها وإنجازاتهم الأكاديمية والمهنية، لولا وجود يوشيكاوا. وكان يمكن لها أن تصبح أسرة خالدة الذكر وكاملة الأوصاف وتُثير حسد الحاسدين. ولكن مع وجود يوشيكاوا وسط هذه المجموعة، كان الناس يميلون إلى التجهّم وهزّ الرؤوس. قد يبدأ الناس في الظنّ أنّ هناك مهرجاً أو مهرجين في موضع ما من سلالة الأسرة وقد تعثّرت بهما إلهة الجمال. لا، إنهم سوف يظنون ذلك حتماً، هكذا قرّر والداه، وهذا هو السبب في أنهما كانا يبذلان قصارى جهدهما كي يبعداه عن أعين الناس أو على الأقل يجعلانه غير لافت للانتباه (رغم أنّ محاولتهما كانت تبوء بالفشل).

لكن وجود يوشيكاوا في هذه الوضعية لم يجعله يشعر قَط بعدم الرضا أو الحزن أو الوحدة. فهو لم يكن اجتماعياً في الأصل، وكان عادة ما يؤْثِر البقاء في الظلّ. لم يكُن شديد الولع بأخويه وشقيقته. كان يوشيكاوا يعتبرهم أصحاب شخصيات ضحلة لا يمكن إصلاحها. وبالنسبة له، كانوا أيضاً ذوي عقول بليدة وأفق ضيق ومنعدمي الخيال، ولا يهمهم سوى ما يظنه الناس. وكان أشدّ ما يفتقرون إليه هو ذلك الشك الإيجابي الذي يُعتبر شرطاً لاكتساب أيّ قدر من الحكمة.

كان والد يوشيكاوا طبيباً ناجحاً نوعاً ما في الطب الباطني،

ولكنه كان مملاً إلى حدٍّ يجعل الحديث معه يُصيبك بآلام في الصدر. ومثل الملك الذي كانت لمسته تحوّل كل شيء إلى ذهب، كانت كلّ كلمة يتفوه بها تتحوّل إلى حبيبات رملية عديمة القيمة. ولكن لأنه كان رجلاً قليل الكلام فقد كان قادراً -ربما من دون قصد- على إخفاء مدى سماجته وجهله في حقيقة الأمر. وعلى النقيض، كانت والدته تُجيد الكلام ولكنها متكبرة وميؤوس منها. كان المال هو كلّ شيء لديها، وكانت أنانية ومتفاخرة، وتحبّ كلّ ما فيه بهرجة وبريق، ويمكن دائماً أن يُعوَّل عليها في الحطّ من قدر الآخرين بصوتها الحادّ. وبينما ورث الأخ الأكبر ليوشيكاوا ميول والده، فقد ورث شقيقه الأصغر طباع والدته. أمّا شقيقته فجاءت شديدة الاستقلالية. كانت مستهترة ولا تقيم وزناً للآخرين. ولأنها آخر العنقود، فقد كانت مدلّلة للغاية من قِبل والديها.

كل ذلك يفسِّر لماذا كان يوشيكاوا منطوياً على نفسه وهو صبي. وحينما يعود من المدرسة يُغلق غرفته على نفسه وينكبّ على كتبه. لم يكُن لديه أصدقاء سوى كلبِه، ولذلك لم تكن لديه فرصة للحديث مع أحد حول ما تعلَّمه، أو لمناقشة أيّ أحد. ومع ذلك، كان مقتنعاً بأنه شخص واضح ولديه منطق راجح ولسان مبين، وقد صقل قدراته معتمداً على نفسه. فعلى سبيل المثال، كان يمكنه أن يطرح فكرة ما للسِّجال حولها ثم يناقشها من كلا الوجهين. يجادل بحماسة مؤيداً فكرة ما، ثم يجادل - بالقوة نفسها معارضاً الفكرة ذاتها. وكان بوسعه أن يؤيد بالقدر نفسه أيّاً من الموقفين ويندمج تماماً وبصدق في الموقف الذي يدعمه في هذه اللحظة. وسرعان ما منحته هذه المناورات القدرة على التشكيك في ذاته، وأصبح يدرك أنّ معظم ما يُنظر إليه باعتباره الحقيقة هو شيء نسبي تماماً. إن الذات والموضوع

لا يتمايزان بالقدر الذي يظنّه معظم الناس. وإذا كان الحدّ الفاصل بين الاثنين ليس واضحاً من الأصل، فليس من الصعب المراوحة بين هذا وذاك.

وحتى يمكنه استخدام المنطق والبلاغة بصورة أكثر وضوحاً وفاعلية، راح يملأ عقله بكلّ ما تقع عليه يده من معارف -سواء كان يعتبرها مفيدة أو يثق تماماً بأنها نقيض ذلك. كان يختار الأشياء التي يوافق عليها، وكذلك تلك التي يعارضها في الأصل. لم يكن يسعى من وراء ذلك للتثقّف والتعلم بالمعنى المعتاد، وإنما يسعى إلى تحصيل معلومات ملموسة- شيء يمكنك التعامل معه في الواقع، شيء له شكل وثقل حقيقيين.

وقد تبيّن أن رأسه الكبير المنبعج، هي الوعاء المثالي لهذا القدر من المعلومات المتراكمة. وبفضل كلّ هذا، كان أوسع اطّلاعاً من جميع أترابه. وإذا رغب، كان يستطيع أن يتغلّب على أيّ أحد في الجدال - ليس أشقاؤه أو زملاؤه وحسب، ولكن أيضاً معلميه ووالدَيه. ولكنه مع ذلك لم يكن يرغب في لفت الانتباه ما دام يستطيع اجتناب ذلك، ولذلك أبقى هذه المقدرة دفينة. كان يعتبر المعارف والقدرات أدوات يستعين بها، لا أشياء يتباهى بها.

بدأ يوشيكاوا يعتبر نفسه كائناً ليلياً، يختبئ في غابة معتمة، مترقباً للفريسة التي تمرّ من أمامه. كان ينتظر في صبر الفرصة حتى تأتي، وحينما تسنح له كان يقفز ويهتبلها. ولكنه وحتى تلك اللحظة، لم يكن يُشعِرُ خصمَه بوجوده. كان من الأهمية بمكان لديه أن يظلّ بعيداً عن الأنظار ثم يباغت الطرف الآخر. كان ذلك هو ديدنه في التفكير حتى وهو تلميذ في المدرسة الابتدائية. لم يعتمد قط على الآخرين أو يكشف عواطفه بسهولة.

كان في بعض الأحيان يتخيّل كيف ستكون حياته لو قُدِّر له أن يُولد بملامح أفضل قليلاً. لم يكن بحاجة لأن يكون وسيماً. ولم يكن بحاجة لأن يبدو مثيراً للإعجاب. كان بحاجة فقط إلى ملامح طبيعية، أو على الأقل ما يكفي لئلّا يشيح الناس بوجوههم عنه أو يحدّقون فيه. وكان يتساءل في نفسه، **لو قُدِّر لي أن أولد بهذه الصورة، أيّ حياة كنت سأعيشها؟** ولكن ذلك كان افتراضاً يفوق قدرته على التخيّل. كان يوشيكاوا شديد الشبه بيوشيكاوا، ولم يكن ثمة مجال في ذهنه لمثل هذه الفرضيات. وبسبب رأسه الضخم المنبعج، وعينيه الجاحظتين، وساقيه القصيرتين الممتلئتين، أصبح يوشيكاوا على ما هو عليه، صبياً متشكّكاً يتملّكه فضول فكري وهادئ الطباع ولكنه فصيح اللسان.

ومع مرور السنوات، صار الصبي الدميم شاباً دميماً، ثم سرعان ما أصبح رجلاً دميماً في منتصف العمر. وفي كلّ مرحلة من مراحل حياته، ظلّ الناس يشيحون بوجوههم عنه أو يحدّقون فيه. كان الأطفال يحدقون في وجهه من دون خجل. وأحياناً كان يوشيكاوا يحدِّث نفسه، **حينما أصبح عجوزاً دميماً، ربما عندئذٍ فقط لن ألفت الانتباه كثيراً.** ولكن ذلك ممّا لا يستطيع الجزم به. ربما ينتهي به المطاف ليصبح أبشع عجوز رآه العالم بأسره.

وعلى أيّ حال، لم يكن يمتلك المهارات التي تمكّنه من التماهي مع الخلفية. وممّا كان يزيد الأمر سوءاً هو أنّ تنغو كان يدرك كيف تبدو ملامحه. وإذا أُفتطن إليه وهو يحوم حول المبنى الذي يقطن فيه تنغو، فإنّ العملية برمّتها سوف تنهار.

في مثل هذه الحالات، كان يوشيكاوا عادة ما يستعين بشخصٍ

من مكتب تحقيقات خاصة. ومنذ أن أصبح محامياً، كان يلجأ إلى هذا النوع من المنظمات التي تستعين في الغالب برجال شرطة سابقين ممّن برعوا في الكشف عن المعلومات، وتعقب الأشخاص ومراقبتهم. ولكنه في هذه الحالة، لم يكُن يريد أن يشرك أيّ غرباء. كانت الأمور بالغة الدقة، وهناك جريمة قتل خطيرة ارتُكبَت. وفوق ذلك، لم يكن يوشيكاوا متأكداً حتى من الفائدة التي يمكن أن يجنيها من وراء وضع تنغو تحت المراقبة.

كان يوشيكاوا يريد أن يكشف العلاقة بين تنغو وأَوْمَامِه، ولكنه لم يكن حتى يعرف يقيناً كيف تبدو أَوْمَامِه. لقد حاول بكلّ السبل ولكنه لم يصل بعد إلى أي صورة واضحة لها. وحتى 'الخُفاش' لم يستطعْ الحصول على صورة واحدة لها. صحيح أن يوشيكاوا طالعَ ألبوم تخرّجها في المدرسة الثانوية، ولكن وجهها في الصورة الجماعية للفصل كان ضئيلاً للغاية ولا يبدو طبيعياً، وكأنها ترتدي قناعاً. وفي صورة فريق الشركة لكرة السوفتبول كانت ترتدي قبعة ذات حواف توارى وجهُها في ظلها. ولذلك حتى إذا مرّت أَوْمَامِه من أمامه في الشارع، فلن يستطيع أن يعرف هل هي أَوْمَامِه أو لا. كان يعرف أنّ طولها يبلغ خمسة أقدام وست بوصات وأنها ذات جسم نحيل وقوام ممشوق، ولديها عينان وعظام خدين مميزين، وتسدل شعرها الذي يلامس كتفيها. ولكن هناك نساء كثيرات في العالم ممّن تنطبق عليهن هذه الأوصاف.

لذلك كان يتعيّن على يوشيكاوا أن يتولى بنفسه هذه المراقبة. سوف يكون عليه أن يُبقي عينيه مفتوحتين، وينتظر في أناة حدوث شيء ما، وحينما يحدث ذلك الشيء، سيكون عليه أن يتصرّف من فوره. لم يكن يستطيع أن يطلب من أحد آخر أن يتعامل مع هذه المهمة الدقيقة.

كان تنغو يعيش في الطابق الثالث لمبنى سكني قديم يتألف من ثلاثة طوابق. تصطف في مدخله صناديق البريد الخاصة بالسكان، وكان أحدها يحمل شارة باسم **كاوانا**. بعض صناديق البريد كانت قد صدأت، فيما بدأ طلاؤها يتقشّر. وكانت جميعها ذات أقفال، وإن كان معظم السكان قد اعتادوا تركَها مفتوحة. وكان الباب الخارجي للمبنى يظلّ مفتوحاً، ما يسمح لأيّ أحد بالدخول.

كان الممرّ المعتم المؤدّي إلى داخل المبنى تفوح منه تلك الرائحة الخاصة التي تميّز المباني السكنية القديمة. وهي مزيج غريب من الروائح التي تسببها تسريبات المياه الناجمة عن كسور لم يتمّ إصلاحها، وشراشف قديمة يتمّ غسلها بمنظفات رديئة، وزيت قديم أُستخدم في قلي طبق التمبورا، وشجيرات بنت القنصل المجففة، وبول القطط المنبعث من الباحة الأمامية المليئة بالأعشاب. إذا عشت هناك حيناً من الزمن، فربما تعتاد هذه الرائحة. ولكن بغضّ النظر عن مدى اعتيادك ذلك، فإنّ الحقيقة الثابتة هي أنها ليست رائحة طيبة.

كانت شقة تنغو تطلّ على الشارع الرئيس. لم يكن الشارع صاخباً، ولكن أقداماً كثيرة كانت تطؤه. بالقرب منها توجد مدرسة ابتدائية، وفي بعض أوقات النهار قد توجد مجموعات كبيرة من الأطفال خارج المدرسة. وأمام المبنى تصطفّ مجموعة من المنازل الصغيرة التي تسكنها أسرٌ صغيرة، وهي منازل تتألف من طابقين وليس بها حدائق. وفي نهاية الشارع يوجد متجر لبيع الخمور وقرطاسية لخدمة أطفال المدرسة الابتدائية. وعلى بُعد بنايتين أخريين كان يوجد قسم شرطة صغير. لم يكن ثمّة مكان للاختباء، وإذا وقف على جانب الطريق ونظر نحو شقة تنغو، وحتى إذا لم يكتشفه تنغو، فإنّ الجيران سوف يرمقونه قطعاً بعين الشكّ والريبة. وبسبب ملامحه غير العادية،

سوف يرتفع مستوى الحذر لدى سكان المنطقة بمقدار عدّة درجات. وربما يحسبه البعض شاذاً ينتظر خروج الأطفال من المدرسة، وقد يستدعي له الجيران الشرطة.

في المراقبة يكون المطلب الأول هو العثور على مكان مناسب يمكن رصد الهدف من خلاله، مكان يسمح بتتبّع تحرّكات هدفك ويضمن لك إمدادات مستمرة من الماء والغذاء. والوضع المثالي هو أن يجد يوشيكاوا غرفة يستطيع أن يرصد من خلالها شقة تنغو. ويمكنه أن يضع كاميرا مزوّدة بعدسة مقرّبة يتم تثبيتها على عمود لمراقبة الحركة في الشقة ورصد الداخلين والخارجين. ولأنّ يوشيكاوا كان يتولى هذه المهمة وحده، فقد كان مستحيلاً عليه أن يرصد الشقة طوال أربع وعشرين ساعة، ولكنه رأى في النهاية أنّ بإمكانه أن يفعل ذلك عشر ساعات في اليوم. لكن العثور على مكان مناسب سيكون أمراً صعباً ولا شك.

ومع ذلك، تمشى يوشيكاوا خلال الحي بحثاً عن هذا المكان. لم يكن من النوع الذي ينال منه اليأس بسهولة. كان الإصرار، رغم كلّ شيء، هو موطن قوته. ولكنه بعد أن فتش كلّ ركن وطريق في الحي، استسلم وتوقف. كانت كوينجي منطقة سكنية مكتظة ومستوية ولا توجد بها مبانٍ عالية. ولم يكن يوجد سوى عددٍ محدود للغاية من الأماكن التي يمكن أن يرى من خلالها شقة تنغو، ولم يكن لديه أيّ أحد يثق به في هذه المهمة.

عندما كان يوشيكاوا يجد صعوبة في الوصول إلى فكرة جيدة، كان يروقه أن يستحمّ بماء دافئ ويقضي مدة طويلة في حوض الاستحمام، ولذا عاد إلى المنزل وتحمّم. وبينما كان ممدداً في حوض الاستحمام المطلي بالأكريليك، كان يستمع إلى كونشيرتو

الكمان للموسيقي سيبيليوس عبر المذياع. لم يكن يرغب بشدّة في الاستماع إلى سيبيليوس، ولم يكن كونشيرتو سيبيليوس هو الموسيقى المناسبة بالضبط التي تستمع إليها مع نهاية يوم طويل وأنت ممدّد في حوض استحمام. تفكّر، ربما كان الفنلنديون يحبّون الاستماع إلى سيبيليوس في حمامات الساونا في أثناء لياليهم الطويلة. ولكن في حمام صغير داخل شقة مكونة من غرفتي نوم في كوهيناتا، بحي بونكيو، تصبح موسيقى سيبيليوس عاطفية ومثيرة للتوتر أكثر ممّا ينبغي. ليس معنى ذلك أنها كانت تزعجه، فهو بخيرٍ حالٍ ما دام يستمع إلى بعض الموسيقى. وكذلك كان سوف يرضيه كونشيرتو لرامو، كما أنه ما كان ليتذمر لو كانت **كارنفال** لشومان. تصادف أنّ المحطة الإذاعية كانت تبث كونشيرتو الكمان لسيبيليوس. وهذا هو كلّ ما في الأمر.

كعادته، ترك يوشيكاوا نصف ذهنه فارغاً واستعانَ في تفكيره بالنصف الآخر. كان أداء ديفيد أوستراخ لسيبيليوس يمرّ عبر النصف الفارغ من عقله، وكأنه نسيم عليل يهبّ عبر مدخل واسع مفتوح ليخرج عبر منفذ واسع مفتوح. ربما لم تكن هذه هي أفضل طريقة للاحتفاء بالموسيقى. ولو كان سيبيليوس عرف أنّ موسيقاه سوف تُعامَل بهذه الطريقة، فمن السهل أن نتخيّله وهو يعقد حاجبيه الكبيرين، ونرى كيف تتلاحم ثنايا رقبته الغليظة. ولكن سيبيليوس قد مات منذ زمن، وحتى أوستراخ قد قضى نحبه منذ مدة طويلة. ولذا كان ليوشيكاوا أن يفعل ما يشاء ويسمح للموسيقى بأن تمرّ من النصف الأيمن إلى الأيسر، حيث كان نصف عقله غير الفارغ يلهو ببعض الأفكار العشوائية.

في مثل هذه الأوقات، لم يكن يوشيكاوا يرغب في أن يحدّد

هدفاً محدداً لأفكاره. كان يترك أفكاره تنطلق بحرية، كما لو كان يطلق كلاباً في سهل فسيح. كان يطلب منها أن تذهب حيثما تشاء وتفعل ما يحلو لها، وبعدئذٍ يتركها تذهب. غمر نفسه في مياه الحوض حتى رقبته، وأغمض عينيه، وراح يستمع إلى الموسيقى بنصف عقله، فيما ترك النصف الآخر يهيم حيثما شاء. راحت الكلاب تمرح وتلعب، وتجري عبر المنحدرات، ويثبُ بعضها على بعض بلا كلل، وتطارد السناجب بلا جدوى، ثم تعود، مغطاة بالطين والعشب، فيربت يوشيكاوا على رؤوسها ويربط أطواقها مرة أخرى. انتهى عزف الموسيقى. كانت مدّة كونشيرتو الكمان لسيبيليوس ثلاثين دقيقة تقريباً، وهي مدة مناسبة. كانت المعزوفة المقبلة، حسبما أعلن المذيع، هي سينفونييتا ياناتشيك. كان يوشيكاوا يحتفظ ببعض الذكريات المبهمة التي تذكِّره بأنه سمع اسم هذه المعزوفة من قبل، لكنه لم يكن يتذكّر ذلك بالضبط. حينما حاول أن يتذكّر، أصبحت رؤيته غائمة وغير واضحة بشكلٍ غريب، كما لو أن ضباباً يشبه القشدة قد غشي مقلة عينيه. لا بد أنه قد مكثَ في حوض الاستحمام أكثر ممّا ينبغي، أو هكذا ظنّ. اكتفى، وأوقف المذياع، وخرج من حوض الاستحمام، وقد لفّ منشفة حول خصره، ثم أخرج علبة بيرة من الثلاجة.

كان يوشيكاوا يعيش وحيداً، رغم أنه اعتاد قبل ذلك أن يعيش مع زوجته وابنتيه الصغيرتين. كانوا قد اشتروا منزلاً فى منطقة تشورينكان فى ياماتو بمحافظة كاناجاوا. كان المنزل صغيراً وبه حديقة، وكانوا يقتنون كلباً. وكانت زوجته على قدر معقول من الجمال، وحتى بنتيه كانتا جميلتين. لم ترث أيّ منهما شيئاً من ملامح يوشيكاوا، وهو ما كان مبعث ارتياح كبير.

ثم، وكما يكون الإعتام المفاجئ الذي يحدث على خشبة

المسرح بين الفصول، وجد يوشيكاوا نفسه وحيداً. أصبح يصعب عليه أن يصدِّق أنه كان ذات يوم لديه أسرة ويعيش معها في منزل في ضواحي المدينة. بل وأحياناً كان يوقن أنّ هذا كله لم يكن سوى خللٍ إدراكي لديه، وأنه قد اختلق لاشعورياً هذا الماضي لنفسه. لكنه حدث بالفعل. فقد كانت لديه فعلاً زوجة يشاركها الفراش وطفلتين تشاركانه في نسبه. وفي درج مكتبه، كان يحتفظ بصورة عائلية تضمّ أربعتهم. كانوا جميعاً يبتسمون في سعادة، بل وحتى الكلب كان يبدو مبتسماً.

لم يكن ثمة احتمال أن يلتئم شملهم مرة أخرى كأسرة واحدة. انتقلت زوجته وابنتاه للعيش في ناجويا الآن. وأصبح للفتاتين والدٌ جديد، والد ذو ملامح طبيعية لن تتحرَّجا من ظهوره يوم اجتماع الآباء والمعلمين. لم ترى الطفلتان يوشيكاوا منذ نحو أربع سنوات، ومع ذلك لم يبدُ قط أنهما تأسفان لذلك. بل إنهما حتى لم تبعثا له برسالة. ولم يتضايق يوشيكاوا كثيراً من كونه لا يستطيع رؤية ابنتيه. لكن هذا لم يكُن يعني أنهما لا تهمّانه في شيء. كل ما في الأمر هو أنّ الأولوية لديه الآن هي أن يُبقي نفسه آمناً، لذلك كان عليه في الوقت الحاضر أن يوقف أيّ دوائر وجدانية لا ضرورة لها ويركِّز على مهامه التي بين يديه.

بالإضافة إلى ذلك، كان يدرك ما يلي: مهما ابتعدَت عنه ابنتاه، فإنّ دمه لا يزال يجري في عروقهما. قد تنسيا كلّ شيء عنه، ولكن هذا الدم لن يضلّ طريقه. للدم ذاكرة طويلة للغاية. وهذا الرأس الكبير، في وقت ما، وفي مكان ما سوف يعاود الظهور مستقبلاً، في زمان ومكان لا يتوقّعهما أحد. وحينما يحدث ذلك، سوف يتنهّد الناس ويتذكرون أن يوشيكاوا كان موجوداً ذات يوم.

ربما سيكون يوشيكاوا على قيد الحياة ويشهد هذا الظهور، أو

ربما لا. لم يكن هذا يهمه حقاً. كان يشعر بالرضا لمجرد معرفته أنّ ذلك ممكناً. لكن ذلك لم يكُن يعني أنه يتطلّع للانتقام. كان يشعر بالرضا حينما يدرك، أنه يمثل حتماً جزءاً أصيلاً من بنية العالم.

جلس على أريكته، ورفع ساقيه البدينتين على الطاولة، وبينما كان يرتشف البيرة، لاحت له فجأة فكرة. وقال في نفسه، **ربما لا تنجح. لكنها تستحق المحاولة. إنها سهلة للغاية.** وسأل نفسه مستغرباً: **لماذا لم تخطر ببالي من قبل؟ ربما أسهل الأشياء هي التي يصعب على أذهاننا التفكير فيها. وكما يقولون، فإنّ الناس لا يبصرون ما يجري تحت أنوفهم.**

في صباح اليوم التالي ذهب يوشيكاوا إلى كوينجي مرة أخرى. وقع بصره على وكالة عقارية، فمضى إلى الداخل، ثم سأل إن كانت لديهم أيّ شقق للإيجار في المبنى الذي يقطن فيه تنغو. لم تكن لهذه الوكالة أي تعاملات في هذا المبنى، إذ كانت جميع الإيجارات فيه تتمّ عبر وكالة أخرى توجد أمام المحطة.

قال الوكيل: «أشكّ في وجود أيّ وحدات متوفرة هناك. قيمة الإيجار فيها معقولة، والموقع مناسب، ولذلك لا يخرج منها سوى عددٍ قليل من المستأجرين».

قال يوشيكاوا: «حسناً، سوف أسأل على أيّ حال، كي أتأكّد فقط».

توقّف عند الوكالة الكائنة أمام المحطة. استقبله شاب في مطلع العشرينيات. كان للشاب شعر أسود فاحم، تمّ تثبيته بطبقة من الجل حتى أصبح يشبه في قوامه عش طائر. كان يرتدي قميصاً ناصع البياض وربطة عنق جديدة. لم يكن على ما يبدو يعمل هناك منذ مدة

طويلة. وكان يظهر على خدّيه أثر لبعض البثور. جفل الشاب قليلاً حينما وقع بصره على يوشيكاوا، ولكنه سرعان ما استعاد هدوءه وابتسم له ابتسامة لطيفة ومصطنعة.

قال الشاب: «أنت محظوظ، يا سيدي. يوجد زوجان في الطابق الأول طرأت لديهما مشكلات عائلية واضطرا للإخلاء سريعاً، لذلك أصبحت إحدى الشقق شاغرة منذ أسبوع. انتهينا من تنظيفها أمس ولكننا لم نضع إعلاناً بعد. إنها في الطابق الأول ولذلك قد تكون صاخبة بعض الشيء، ولا تدخلها أشعة الشمس كثيراً، ولكن موقعها رائع. ومع ذلك هناك شرط واحد في العقد ينصّ على أن: المالك يعتزم إعادة بناء المكان في غضون خمس أو ست سنوات، ولذلك عندما تتلقى إخطاراً بإعادة البناء قبل ستة أشهر من موعده، سوف يتعيّن عليك الإخلاء، من دون شكوى. بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد موقف لركن السيارات».

أجاب يوشيكاوا: «لا بأس». لم يكُن ينوي البقاء هناك مدة طويلة، وليس لديه سيارة.

«رائع. إذا كنت موافقاً على هذه الشروط، فيمكنك الانتقال إليها فوراً. أتصور أنك ترغب في معاينة الشقة أولاً؟».

أجاب يوشيكاوا: «نعم، بالطبع». أخرج الشاب مفتاحاً من دُرج المكتب وقدَّمه إليه.

«أنا آسف جداً، ولكن لدي مهمة عمل، فهل يمكنك إذا سمحت، أن تعاين المكان بنفسك؟ الشقة خالية، وكلّ ما عليك هو أن تردّ المفتاح وأنت في طريق عودتك».

قال يوشيكاوا: «يبدو ذلك جيداً، ولكن ماذا لو كنت شريراً ولم

أردّ المفتاح، أو استنسخته وتسلّلت خلسة في وقت لاحق إلى الشقة لنهب محتوياتها؟ ماذا ستفعل عندئذٍ؟».

حدَّق الشاب في يوشيكاوا فجأة لفترة: «نعم، ملحوظة جيدة. أدرك ذلك. للاحتياط فقط، هل يمكنك أن تعطيني بطاقتك التعريفية؟».

أخرج يوشيكاوا واحدة من بطاقاته التعريفية الخاصة بمؤسّسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون وسلّمها إليه.

«السيد يوشيكاوا»، تجهّم الشاب وهو يقرأ الاسم. ولكن بدا عليه الارتياح بعدئذٍ. «إنك لا تبدو لي شخصاً يمكن أن يرتكب عملاً مسيئاً».

قال يوشيكاوا: «أشكركَ على ذلك». ثم ابتسم ابتسامة لا معنى لها كما العنوان الموجود على بطاقته.

لم يقُل له أي أحد مثل ذلك من قبل. ربما كان يعني أنّ ملامحه غير مألوفة تماماً إلى درجة يتعذّر معها أن يرتكب أيّ عمل سيئ. سيكون سهلاً للغاية على أيّ شخص أن يقدِّم أوصافه، وأن يقدِّم للشرطة رسماً له. إذا صدرَ أمر بالقبض عليه، فلن يبقى طليقاً أكثر من ثلاثة أيام.

وجد الشقة أجمل ممّا تصور. كانت شقة تنغو الواقعة في الطابق الثالث يفصلها عنه طابقان علويان، لذلك كان من المستحيل مراقبته. ولكن كان بإمكانه أن يرى من نافذته المدخل الأمامي للمبنى وأن يرى تنغو لدى دخوله وخروجه منه، وأن يرى أيّ أحد يزوره. يمكنه أن يواري العدسة المقرِّبة للكاميرا ويلتقط صوراً لوجه كلّ شخص.

حتى يمكنه استئجار هذه الشقة كان عليه أن يدفع وديعة تأمين تعادل القيمة الإيجارين لشهرين وأن يدفع مقدماً إيجار شهر، وعمولة

تعادل إيجار شهرين. لم يكن الإيجار نفسه مرتفعاً، كما أنّ الوديعة سوف تردّ عند انتهاء العقد، ولكن إجمالي المبلغ المطلوب كان كبيراً. ولأنه كان قد دفع لتوه أتعاب 'خُفاش'، فقد تأثرت موارده بشدة، ولكنه كان يدرك أنه مضطرّ لاستئجار هذه الشقة. لم يكن لديه أيّ خيار آخر. عاد يوشيكاوا إلى مكتب العقارات، وأخرج النقود التي كانت جاهزة بالفعل من ظرف كان معه، ووقَّع عقد الإيجار. كان عقد الإيجار موقَّعاً باسم مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون. أبلغ مكتب العقارات أنه سوف يرسل لهم نسخة مصدَّقة من السجل الخاص بالمؤسسة في وقت لاحق. لم يكن يبدو أن ذلك يزعج الموظف الشاب. وبمجرد توقيع عقد الإيجار، سلمه الموظف المفاتيح مرة أخرى.

«الشقة جاهزة ويمكنك الانتقال إليها اليوم، يا سيد يوشيكاوا. الكهرباء والماء تم تشغيلهما، ولكن يجب أن تكون موجوداً عند تشغيل الغاز، لذا يرجى الاتصال بشركة 'غاز طوكيو' بنفسك. ماذا ستفعل بخصوص الهاتف؟».

قال يوشيكاوا: «سوف أتولى ذلك بنفسي». كان توقيع العقد مع شركة الاتصالات يستغرق وقتاً وجهداً كبيرين، ويجب أن يأتي عامل إلى الشقة لتركيبه. لذلك كان الأسهل له أن يستخدم هاتفاً عمومياً بالقرب منه.

عاد يوشيكاوا إلى الشقة وأعدّ قائمة بالأشياء التي يحتاجها. ولحسن الحظ، كان الساكن السابق قد ترك الستائر. كانت ستائر قديمة وعليها نقوش وردية، ولكن ما دامت ستائر، فإنه محظوظ بوجودها. إن وجود الستائر عموماً أمرٌ لا غنى عنه في مكان يُستخدم للرصد.

لم تكن قائمة الاحتياجات الضرورية طويلة. كانت احتياجاته الأساسية هي بعض الأغذية ومياه الشرب، وكاميرا مزوّدة بعدسة مقرِّبة، وحامل ثلاثي القوائم. أما بقية القائمة فشملت ورق الحمّام وغطاء نوم ثقيل، وحاويات كيروسين محمولة، وموقداً لإعداد الطعام وسكيناً حاداً وفتاحة علب وأكياس قمامة ومواد تنظيف أساسية وشفرة حلاقة كهربائية وعدة مناشف ومصباحاً يدوياً ومذياعاً. والحدّ الأدنى من الملابس وصندوق سجائر. كان هذا هو كل ما يحتاجه. لم يكن بحاجة إلى ثلاجة أو منضدة أو فراش. ما دام لديه مكان يحميه من تقلّبات الطقس، فإنه يعتبر نفسه محظوظاً. عاد يوشيكاوا إلى منزله ووضع عدسة مقرِّبة في حقيبة الكاميرا، فضلاً عن عدد كبير من الأفلام. ثم دسّ جميع هذه الأشياء في حقيبة سفر. اشترى الأشياء الإضافية التي كان لا يزال بحاجة إليها من منطقة التسوّق الكائنة أمام محطة كوينجي.

وضع حامل الكاميرا بجانب النافذة، وثبّت به كاميرا إلكترونية حديثة من طراز مينولتا، وقام بتركيب العدسة المقرِّبة، وضبطها بحيث تكون في مستوى وجه أيّ أحد يدخل إلى المبنى أو يغادره، ثم ضبط الكاميرا على الوضع اليدوي. ضبطها على نحوٍ يتيح له أن يستخدم جهاز التحكّم عن بُعد لتشغيل المصراع وضبط محرك التصوير المتتابع. صمم مخروطاً من الورق المقوى وقام بلفّه حول العدسة حتى لا ينعكس الضوء عليها. من الخارج، كان يظهر جزء من أنبوب ورقي في طرف إحدى الستائر المرفوعة قليلاً، ولكن أحداً لن يلحَظ ذلك أبداً. فلن يتخيل أحدٌ أبداً أن هناك من يُصوّر خلسة مدخل هذا المبنى السكني المتواضع.

التقط يوشيكاوا بعض اللقطات التجريبية للأشخاص الذين يأتون

إلى المبنى أو يغادرونه. وبفضل محرّك التصوير المتتابع كان يستطيع أن يلتقط ثلاث لقطات سريعة لكلّ شخص. وكإجراء احترازي لفّ منشفة حول جسم الكاميرا كي يكتم أيّ صوت ينبعث منها. وبمجرد الانتهاء من الفيلم الأول، أخذه إلى استديو التصوير الكائن بجوار المحطة. قام الموظف بوضعه في جهاز يطبع الصور تلقائياً. كان يطبع عدداً كبيراً من الصور وبسرعة عالية، ولذلك لم يكن أحد يلحظ الصور أو يأبه بما فيها.

خرجت الصور جيدة، ولكنها ليست على درجة عالية من الناحية الفنية، وإن كانت تؤدي الغرض بكلّ تأكيد. كانت وجوه الأشخاص الداخلين والخارجين من المبنى واضحة بما يكفي لتمييز أحدهم عن الآخر. في طريق عودته من استديو التصوير، اشترى يوشيكاوا بعض زجاجات المياه المعدنية والمواد الغذائية المعلّبة. واشترى صندوقاً من علب سجائر سفن ستارز. عاد إلى الشقة وهو يضمّ أكياس المشتريات إلى صدره كي يواري وجهه، ثم جلس مرة أخرى أمام الكاميرا. وبينما كان يقوم برصد المدخل، شرب بعض الماء، وأكل بعض الخوخ المُعلّب، ودخن بعض السجائر. كان التيار الكهربائي موجوداً، ولكن لسبب ما كان هناك انقطاع في المياه. عندما كان يفتح الصنبور كان يسمع صوت هدير في الجدار، ولكن دون أن يخرج أيّ شيء. لا بد أن هناك شيئاً يمنعهم من تشغيل المياه. فكّر في الاتصال بمكتب العقارات، ولكن، ورغبة في تقليص مرات خروجه ودخوله إلى المبنى، قرر أن ينتظر ويرى. كان انقطاع المياه يعني أنه لا يمكنه استخدام المرحاض، ولذلك استخدم بدلاً من ذلك دلواً قديماً، كانت شركة التنظيف لحسن حظه قد نسيت التخلّص منه.

حلّ الشفق مبكراً في فصل الشتاء وسرعان ما أظلمت الغرفة

تماماً، ومع ذلك لم يُشعل الأنوار. وبدلاً من ذلك استحسن يوشيكاوا الظلام. أضيئت الأنوار عند المدخل واستمرّت الكاميرا في التقاط الوجوه التي تمرّ عبر هذا الضوء المائل للصفرة.

مع حلول المساء، زادت قليلاً حركة الداخلين والخارجين من المبنى، وإنْ ظلّ عدد الأشخاص غير كبير. فهو مبنى سكني صغير، على أي حال. لم يكن تنغو من بين هؤلاء، ولم يكن من بينهم أيّ أحد يمكن أن يكون أَوْمَامِه. كان يفترض أن يلقي تنغو بعض المحاضرات في المدرسة التأهيلية اليوم، ثم يعود في المساء. لم يكن في العادة يتوقف في أيّ مكان في طريق عودته إلى البيت بعد انتهاء العمل. كان يفضِّل أن يُعدّ عشاءه بنفسه بدلاً من تناول الطعام في الخارج، وكان يحبّ أن يأكل وحده أثناء القراءة. كان يوشيكاوا يعرف كلّ ذلك. ولكن تنغو لم يَعد إلى المنزل. ربما التقى أحداً بعد انتهاء العمل.

كانت تعيش في المبنى مجموعة متنوعة من الأشخاص، شباب عاملون وطلاب جامعات وأزواج وزوجات بصحبة أطفال صغار، وكبار سن يعيشون وحدهم، وأشخاص من جميع مناحى الحياة. ولكنهم كانوا جميعاً يدخلون في نطاق الكاميرا، دون أن يدركوا أنهم تحت المراقبة. وبالرغم من بعض الفروق في الأعمار والظروف، فقد كانت تظهر عليهم جميعاً أمارات الإرهاق والسأم من الحياة. كانت تبدو عليهم علامات اليأس وتبدُّد الطموح وفتور العواطف، ولم يعد يملأ الفراغ الذي يخلفه كلّ ذلك سوى الخدر والاستسلام. وجوههم تبدو مكفهرة وخطواتهم ثقيلة، وكأنهم قد خلعوا لتوهم ضرساً من أضراسهم.

ولكن ربما جانَبه الصواب في ذلك. فقد يكون بعضهم في واقع

الحال يستمتع بحياته على أكمل وجه ممكن. وبمجرد أن يفتحوا أبوابهم، يجدون جنة تخلب الألباب في انتظارهم وحدهم. ربما كان بعضهم يتظاهرون بأنهم يعيشون حياة متقشّفة كي يتجنبوا التعرّض لعمليات التدقيق التي تُجريها مصلحة الضرائب. كان ذلك ممكناً. ولكن من خلال العدسة المقرِّبة، كانوا جميعاً يبدون وكأنهم سكان مدينة أشباح هائمين على وجوههم في الحياة، حيث يتشبّث كلّ منهم بشقّة رديئة آيلة للسقوط.

في تلك الليلة لم يظهر تنغو، كما لم يرصد يوشيكاوا أيّ أحد ربما يكون مرتبطاً به. حينما بلغت الساعة العاشرة وعشر دقائق، اعتبر أنّ يومه قد انتهى. لم يكن قد استقرّ تماماً على نظام معين ولم يرِد أن يواصل لأكثر من ذلك. قال في نفسه، **الأيام قادمة، ويكفيني ذلك الآن.** قام بتأدية مجموعة متنوعة من التمارين البدنية كي يحرّك عضلاته المتيبسة، ثم تناول كعكاً، وصبّ لنفسه بعض القهوة في غطاء وعاء الترموس وشربها. جرب أن يفتح صنبور حوض المطبخ، فوجد المياه تجري الآن. غسل وجهه بالصابون، ونظف أسنانه، وقضى حاجته. اتكأ على الحائط وراح يدخن سيجارة. كان يتوق إلى رشفة من الويسكي، لكنه كان قد عزم ألّا يَقْرَب الكحول ما دام موجوداً هنا.

تجرّد من ثيابه ولم يُبقِ سوى ملابسه الداخلية ثم دخل في المنامة. كان يرتجف قليلاً من البرد. كانت الشقة الخالية شديدة البرودة ليلاً. ورأى أنه قد يحتاج إلى مدفأة كهربائية صغيرة.

بينما كانت فرائصه ترتعد من البرد، وهو وحده في منامته، استحضر في ذاكرته تلك الأيام التي عاشها محاطاً بأسرته. لم يكن يشعر باشتياق شديد لتلك الأيام. فقد اختلفت حياته الآن تماماً ولم

تعُد هذه الذكريات تردُ بخاطره إلّا كي تُظهر له تلك الحقيقة. وقد كان يوشيكاوا يشعر بالوحدة حتى وهو برفقة أسرته. لم يكن يفضفض مع أي أحد، وكان يعتقد أن حياته الطبيعية لن تستمر أبداً، وكان في قرارة نفسه مقتنعاً بأنها يوماً ما سوف تنهار بكلّ سهولة - أيامه المزدحمة بالعمل كمحامٍ، ودخله الكبير، ومنزله الجميل في تشورينكان، وزوجته ذات الجمال المعقول، وابنتيه اللطيفتين اللتين تذهبان إلى مدرسة ابتدائية خاصة، وكلبه. ولذلك حينما بدأت حياته تتفسخ شيئاً فشيئاً، ووجد نفسه وحيداً، كان يشعر بالارتياح في واقع الأمر. وكان يقول في نفسه، **أحمدك يا ربي. لم يعُد لدي الآن ما يشغل بالي. ها قد عُدت إلى نقطة الصفر.**

هل هذا هو ما يسمى بالعودة إلى المربع الأول؟

تلوّى في منامته وكأنه دودة، وراح يحدِّق في السقف. كان يَبقى على الوضعية نفسها مدة طويلة رغم آلام مفاصله. ورغم أنه كان يرتجف من شدّة البرد، كان يكتفي في العشاء بكعكة باردة، فيما يظلّ واقفاً يراقب مدخل شقّة بائسة وآيلة للسقوط، حيث يشاهد أشخاصاً يدخلون ويخرجون ويفتقرون لأيّ جاذبية، وحينما يريد أن يقضي حاجته، يتبوّل في دلوٍ للغسيل. وتساءل مرة أخرى: **هل هذا هو ما يُسمى بالعودة إلى المربع الأول؟** تذكر شيئاً كان قد نسي القيام به. زحف خارجاً من المنامة، وسكبَ البول المتجمّع في الدلو في المرحاض، ثم دفع مقبض السيفون، فأجرى عليه الماء. كان الدفء قد بدأ يسري داخل المنامة، وتردَّد في الخروج منها. وقال في نفسه، **دعه كما هو**، ولكن إذا حدث وانسكب في الظلام فسوف يندم أشدّ الندم. بعد ذلك عاد إلى المنامة وهو يرتجف من شدة البرد مرة أخرى.

هل هذا هو ما يسمى بالعودة إلى المربع الأول؟

على الأغلب. لم يعُد لديه ما يخسره، سوى حياته. أصبح ذلك جلياً تماماً. وفي خضمّ العتمة، ارتسمت على شفتَي يوشيكاوا ابتسامة واهنة.

الفصل الرابع عشر

أَوْمَامِه

صغيري

أصبحت حياة أَوْمَامِه في الغالب تسودها حالة من الارتباك. بدأت تشعر وكأنها تتحسّس طريقاً وسط الظلام. فالمنطق العادي والعقل لا يعملان في هذا العالم 1Q84، ولم يكن بوسعها أن تتنبّأ بما سيحدث لها في قادم الأيام. ومع ذلك، كانت موقنة بأنها سوف تبقى على قيد الحياة خلال الأشهر القليلة المقبلة حتى تضع الطفل. لم يكن ذلك يعدو أن يكون حدساً، وإن كان حدساً قوياً. كان كلّ شيء يمضي بناء على مقدّمة مفادها أنها سوف تضع هذا الطفل. كان لديها شعور بذلك.

استحضرت الكلمات الأخيرة التي تلفَّظ بها الزعيم. كان قد قال: «قدركِ أن تمرّي بصعابٍ وتتعرضي لمحن شديدة. وعندما تجتازين ذلك، سوف تصبحين قادرة على رؤية الأشياء كما ينبغي أن تكون».

كان يعلم شيئاً ما. شيئاً مهماً. قالت أَوْمَامِه في نفسها، لقد حاول بكلمات غامضة ومبهمة أن يوصلَ لي هذه الرسالة. ربما تكون الصعاب التي تحدّث عنها هي تلك التي واجهتها حينما دفعت

بنفسي إلى حافة الموت، وأخرجتُ المسدس في ذلك المكان أمام لوحة إعلان إسو، وأنا أنوي الانتحار. ولكني عدتُ، دون أن أموت، واكتشفتُ أني حامل. ربما كان هذا أيضاً مُقدراً.

مع قدوم ديسمبر، هبّت رياح عاتية على مدار بضعة أيام. كانت الرياح تذري الأوراق المتساقطة لشجر الزيلكوفا فترتطم بالستارة البلاستيكية للشرفة، محدِثَة صوتاً جافاً وحاداً. كان صفير الرياح الباردة يبدو وكأنه إنذار حينما يمرّ عبر فروع الأشجار. وكان نعيب الغربان يزداد حدّة وشدّة. لقد حلّ فصل الشتاء.

كانت تزداد اقتناعاً يوماً بعد يوم بأنّ الطفل الذي ينمو في رحمها هو لتنغو، حتى أصبحت هذه الفرضية حقيقة راسخة. لم يكن ذلك منطقياً بالقدر الذي يكفي لإقناع طرف ثالث، ولكنه كان منطقياً بالنسبة لها. كان جلياً بالنسبة إليها.

إذا كنت قد حملتُ من دون علاقة جنسية صريحة، فمَن يا ترى يمكن أن يكون والد الطفل غير تنغو؟

في نوفمبر بدأ وزنها يزداد. لم يكن يمكنها الخروج، ولكنها كانت تعوّض ذلك عبر المواظبة على التمارين البدنية والتزامها بنظام غذائي صارم. منذ بلوغها العشرين لم يتجاوز وزنها 115 رطلاً قطّ. ولكن ذات يوم أشار الميزان إلى أن وزنها 119 رطلاً، وبعد ذلك لم ينخفض وزنها مطلقاً لما هو أدنى من ذلك. شعرت وكأن وجهها، أيضاً، قد أخذ شكلاً بيضوياً. لا شك أنّ هذا الصغير يريد لأمه أن تصبح ممتلئة الجسم.

برفقة **هذا الصغير** واصلت أَوْمَامِه مراقبتها الملعب ليلاً، آملة أن ترى ظلّ شاب ضخم البنيان يجلس وحده على الزلاقة. وبينما كانت

تحدّق في القمرين، اللذين ظهرا جنباً إلى جنب في السماء في مطلع الشتاء، أخذت أَوْمَامِه تحكّ بطنها عبر البطانية التي تتدثّر بها. كانت عيناها أحياناً تفيض بالدمع من دون سبب. تجد الدموع تجري على وجنتيها حتى تسقط في حجرها. ربما كان مبعث ذلك هو شعورها بالوحدة، أو ربما بسبب القلق. أو ربما كان الحمل قد جعلها أكثر حساسية. أو ربما كانت الرياح الباردة وحسب هي ما يحفّز القنوات الدمعية لإفراز الدموع. أيّاً كان السبب، كانت أَوْمَامِه تترك دموعها تتدفق دون أن تكفكفها.

وعندما كان يستمرّ بكاؤها مدة، ثم تتوقف دموعها في لحظة بعينها، كانت تظلّ وحيدة تُكابد السهر والانتظار. ثم تقول في نفسها، **لا، لستُ وحيدة إلى هذه الدرجة. هذا الصغير يؤنسني. نحن اثنان - اثنان ننظر إلى القمرين، ونترقّب ظهور تنغو.** وكانت ما بين حين وآخر تلتقط نظارتها المكبِّرة وتوجِّهها نحو الزلاقة الخالية. ثم تلتقط مسدّسها الآلي وتتحقق من وزنه وملمسه. **أحمي نفسي، وأبحث عن تنغو، وأمدّ هذا الصغير بالغذاء. هذه هي واجباتي الآن.**

وذات يوم، هبَّت فيه ريح باردة فيما كانت تراقب الملعب، أدركت أَوْمَامِه وقتها أنها تؤمن بإله. كان كشفاً مفاجئاً، وكأنك وجدت، بباطن قدميك، أرضاً صلبة تحت الوحل. كان إحساساً غامضاً، ووعياً غير متوقع. منذ أن تشكَّل وعيها بالحياة، كانت دائماً تبغض ذلك الشيء الذي يُدعى إلهاً. وبشكلٍ أدقّ، كانت ترفض الأشخاص والنظام الذي يتوسّط بينها وبين الإله. وقد ظلَّت على مدى سنوات تساوي بين هؤلاء الأشخاص وهذا النظام من ناحية وبين الإله من ناحية أخرى. كراهيتها لهم جعلتها تكره الإله.

وقد كانوا منذ لحظة ميلادها بالقرب منها، يتحكّمون فيها، ويُسيِّرونها كما يشاؤون، وكل ذلك باسم الإله، ويضيّقون عليها الخناق. باسم الإله، سلبوها عمرها وحريتها، ووضعوا الأغلال على قلبها. كانوا يبشِّرون برحمة الإله، ولكنهم ينذرون ضعف ذلك مرتين بغضبه وعقابه. في سنّ الحادية عشرة، عقدت أَوْمَامِه عزمها، وتمكَّنت أخيراً من التحرُّر من هذا العالم. لكنها وحتى تفعل ذلك، كان عليها أن تضحّي بالكثير.

لو لم يكُن هناك إله، لأصبَحت حياتي أكثر بهجة. هكذا كانت أَوْمَامِه تظنّ غالباً. كانت سوف تستطيع عندئذٍ أن تعيش الذكريات الجميلة التي يعرفها الأطفال الطبيعيون، دون أن يُضنيها دائماً الغضب والخوف. وكانت سوف تعيش حياة إيجابية وهادئة ومشبَعة.

بالرغم من ذلك كله، وبينما كانت تجلس هناك، واضعةً راحة يدها على بطنها، وتراقب الملعب الخالي عبر فتحات الستارة، لم تستطعْ أن تتفادى لحظة إدراكها بأنها تؤمن بإله. وحينما كانت تلهج تلقائياً بكلمات الصلاة، وحينما كانت تضمّ كفّيها معاً، كانت تؤمن بإله خارج عالم الوعي. كان شعوراً قد تسرَّب داخلها حتى بلغ منها النخاع، وأصبح شيئاً لا يمكن أن يبدِّده منطق أو انفعال. بل حتى الكراهية والغضب لا يمكنهما محوه.

ثم تعود فتقرّر، لكن هذا ليس إلههم. إنه إلهي. إنه الإله الذي وجدته عبر التضحية بحياتي، وعبر تقطيع جسدي، وتمزيق جلدي، وامتصاص دمي، ونزع أظافري، وإضاعة عمري وتبديد آمالي وذكرياتي. إلهي ليس له شكل. لا ثياب بيضاء ولا لحية طويلة. إلهي بلا عقيدة، ولا كتاب مقدّس، ولا مبادئ. ليس لديه ثواب ولا

عقاب. إلهي لا يعطي ولا يمنع. ليس هناك جنة في السماء ولا جحيم. إلهي موجود في الحرّ والبرد على السواء.

كانت ما بين حين وآخر، تستحضر آخر ما قاله الزعيم قبل موته. لم تنسَ قط نبرة صوته الجليلة. كما لم تستطعْ أن تنسى شعورها وهي تغرز الإبرة في مؤخر رقبته.

حيثما يوجد ضوء، فلا بد أن يوجد ظلّ، وحيثما يوجد ظلّ، فلا بد أن يوجد ضوء. فلا ظلّ بلا ضوء ولا ضوء بلا ظلّ. . . نحن لا نعرف هل ما يُسمى الناس الصغار أخيار أم أشرار. وهذا، بمعنى من المعاني، هو شيء يتجاوز قدراتنا على الفهم والتعريف. إننا نعيش معهم منذ زمن سحيق جداً، بل حتى قبل أن يوجد الخير والشر، حينما كانت عقول الناس لا تزال غارقة في ظلام الجهل.

هل الإله والناس الصغار طرفان متعارضان؟ أو أنهما وجهان لشيء واحد؟

لم تكن أَوْمَامِه تدري شيئاً عن ذلك. ما تعرفه هو أنّ عليها أن تحمي هذا الصغير الذي بداخلها. وكي تفعل ذلك أصبح من الضروري أن تؤمن على نحوٍ ما بإله. أو أن تقرّ بحقيقة أنها تؤمن بإله.

راحت أَوْمَامِه تتأمّل فكرة وجود الرب. ليس للربّ شكل، ولكنه قادر على أن يتّخذ أي شكل. كانت الصورة التي لديها هي لسيارة مرسيدس جديدة كلياً من فئة كوبيه وقد تم استلامها للتو من وكالة السيارات. ومن تلك السيارة تخرج امرأة أنيقة في منتصف العمر، وسط طريق سريع يمرّ عبر المدينة، وتقدِّم لأَوْمَامِه وهي عارية معطفاً

جميلاً. كي تحميها من برودة الرياح ونظرات الناس الخبيثة. ثم، ودون أن تنبس بكلمة، عادت إلى سيارتها الكوبيه ذات اللون الفضي. أدركت المرأة أنّ أَوْمَامِه تحمل بأحشائها طفلاً. وأنّ حمايتها ضرورة لا بدّ منها.

بدأت ترى حلماً جديداً. وفيه تجد نفسها حبيسة غرفة بيضاء. غرفة صغيرة مكعّبة الشكل، وبلا نوافذ، وليس لها سوى بابٍ واحد. وبها سرير بسيط، بلا فراش، تنام عليه ووجهها نحو السقف. يتدلى مصباح على السرير ويسطع فوق بطنها الكبير المنتفخ. إنها لا تشبه جسمها، ولكنها حتماً جزء من جسدها. ها هو موعد ميلاد الطفل يقترب.

كان يحرس الغرفة حليق الرأس وذيل الحصان. كان كلاهما عازمَين على ألّا يرتكبا أيّ أخطاء أخرى. لقد ارتكبا معاً خطأً ذات مرة وهم بحاجة إلى استعادة سمعتهما. كانت مهمّتهما هي أن يمنعا أَوْمَامِه من مغادرة هذه الغرفة، وألّا يدخلها أحد. كانا ينتظران ولادة الصغير. يبدو أنهما يعتزمان انتزاعه من أَوْمَامِه فور ولادته.

تصرخ أَوْمَامِه في اهتياج طلباً للعون. ولكن هذه الغرفة قد شُيِّدت بمواد خاصة، حيث الجدران والأرضية والسقف تمتص أيّ أصوات فوراً. وحتى هي نفسها لا يمكنها سماع صراخها. تتضرّع أَوْمَامِه كي تأتي إليها المرأة صاحبة السيارة المرسيدس وتنقذها، هي وصغيرها. ولكن جدران تلك الغرفة البيضاء كانت تمتصّ صوتها.

يمتصّ الصغير التغذية عبر الحبل السري، وينمو بوتيرة سريعة. ويركل بقدميه جدار رحمها، آملاً الخروج من هذه العتمة، وراجياً الخروج إلى النور والحرية.

يجلس ذيل الحصان صاحب القامة الطويلة في كرسي بجوار الباب فيما يضع يديه في حجره، ويحدِّق في نقطةٍ ما وسط الفراغ. ربما كان يرنو إلى غيمة صغيرة. أمّا حليق الرأس فيقف بجانب السرير. كانا يرتديان البدلتين الداكنتين كما كانا من قبل. وكان حليق الرأس يرفع ذراعه من حين إلى آخر كي ينظر في ساعته، وكأنه شخص ينتظر وصول قطار مهم.

لا تستطيع أَوْمَامِه أن تحرِّك ذراعيها وساقيها. لا يبدو أنها مقيّدة إلى السرير، ومع ذلك لا يمكنها أن تتحرك. انعدم شعورها بأصابعها. تملَّكها هاجس بأنّ آلام المخاض توشك أن تداهمها. وكأنها ذلك القطار المنتظَر الذي يقترب من المحطة، ويصل في موعده المحدّد. يمكنها أن تسمع اهتزازات خفيفة في القضبان كلما اقترب.

وعندئذٍ تستيقظ.

تحمّمت كي تزيل العرق وتبدِّل ثيابها. قذفت بملابسها التي تنضح بالعرق في غسالة الملابس. لم تكن ترغب في هذا الحلم بأيّ حال، ولكنه كان يتراءى لها رغم ذلك. قد تتغير التفاصيل أحياناً، ولكن يظلّ المكان والنتيجة دائماً كما هما: غرفة بيضاء مكعّبة الشّكل، وآلام المخاض، والثنائي ببدلتيهما الداكنتين.

كان الرجلان يعرفان أنها حامل بالصغير أو كانا يوشكان أن يعرفا ذلك. كانت أَوْمَامِه متأهّبة. وإذا اقتضى الأمر، لن تتردّد في توجيه جميع طلقات المسدس إلى ذيل الحصان وحليق الرأس. فالربّ الذي حماها كان أيضاً، في بعض الأحايين، رباً دموياً.

سمعت طرقة على الباب. كانت أَوْمَامِه تجلس في المطبخ وقد

شدّت قبضتها على المسدس. وفي الخارج كانت تهطل منذ الصباح أمطارٌ شتوية باردة، وتفوح رائحتها في كل مكان.

توقف الطرق، وجاءها صوت رجل يقف على الجانب الآخر من الباب: «مرحباً يا آنسة تاكاي. ها أنذا، محصِّل الرسوم الطيب الذي يعمل في شبكة 'إن إتش كيه'. يؤسفني إزعاجك مرة أخرى، ولكني عدتُ لتحصيل قيمة الاشتراك. أعلم أنك بالداخل، يا آنسة تاكاي».

واجهَت أَوْمَامِه الباب وراحت تُحدِّث نفسها. لقد اتصلنا بشركة 'إن إتش كيه' واستفسرنا عن ذلك. أنت مجرَّد مدَّعٍ يتظاهر بأنه يعمل لدى الشبكة؟ مَن أنت؟ وماذا تريد من قدومك إلى هنا؟

«يجب على كلّ شخص أن يدفع ثمن ما يحصل عليه. هكذا يسير العالم. وأنت تحصلين على إشارة تلفزيونية، وعليك أن تدفعي رسوم الخدمة. ليس عدلاً أن تحصلي على الخدمة ولا تدفعين. هذه هي السرقة بعينها».

كان صوته يدوي عالياً في الردهة. كان صوتاً مبحوحاً، ولكنه حادّ.

«ليس لمشاعري الشخصية أيّ صلة بذلك على الإطلاق. أنا لا أكرهك، ولا أحاول معاقبتك بأيّ طريقة. كل ما هنالك هو أنني لا أرضى بالظلم. يجب أن يدفع الناس ثمن الخدمة التي يحصلون عليها. يا آنسة تاكاي، ما دمتِ لا تفتحين الباب، سأعود مرّة تلو مرة كي أطرق بابك. ولا أظن أنّ هذا هو ما تريدينه. لستُ عجوزاً مغفلاً يهذي. أنا واثق من أننا إذا تحدّثنا فسوف نصل إلى تفاهم. فهل يمكنك أن تتعطّفي وتفتحي الباب؟».

تواصل طرق الباب.

زادت أَوْمَامِه من شدّة قبضتها على المسدس. لا بدّ أن هذا

الرجل يعرف أني حامل. ظهر أثر عرق خفيف تحت إبطيها وعلى أرنبة أنفها. لن أفتح لك أبداً. افتحه بمفتاح مستنسخ، أو افتحه بالقوة، ولكنك إذا فعلت، فسوف أفرغ هذه الخزنة كاملة في أحشائك، سواء أكنت محصّلاً أم لم تكن.

لا، لن يحدث ذلك على الأرجح. كانت تدرك ذلك. لن يستطيع فتح الباب. ما دامت لم تفتحه من الداخل، فلن يمكنه فتحه. وهذا ما يجعل الرجل شديد الغضب وكثير الكلام، ويلجأ إلى كلّ الحيل الكلامية الممكنة حتى يوتّرها ويُثير أعصابها.

بعد عشر دقائق، غادر الرجل. ولكن بعد أن توعَّدها واستهزأ بها، بصوته المدوّي، وحاول ببراعة أن يقنعها برأيه، ووبّخها بكلمات صريحة، ثم أعلن في النهاية أنه سوف يعود إليها بزيارة أخرى.

«لا يمكنك أن تهربي، يا آنسة تاكاي. سوف أعود إليكِ ما دمتِ تحصلين على الإشارة التلفزيونية. لستُ أنا مَن يتراجع بسهولة. هذه هي شخصيتي. حسناً، سوف نلتقي مرة أخرى قريباً جداً».

لم تسمَع وقع خطاه، ولكنه لم يعُد واقفاً أمام الباب. نظرت أَوْمَامِه عبر ثقب الباب كي تتحقَّق من ذلك. أعادت المسدّس إلى وضع الأمان وغسَلت وجهها في الحوض. كان ما تحت إبطيها قد تعرَّق تماماً. وبينما كانت ترتدي قميصاً جديداً وقفت عارية أمام المرآة. لم تكن بطنها قد برزت بما يكفي لملاحظتها، ولكنها كانت تعرف أن هناك سراً كبيراً يكمن داخلها.

تحدَّثت إلى الأرملة الثرية عبر الهاتف. بعد أن ناقشها تامارو في بعض الأمور، سلَّم الهاتف إلى الأرملة دون أن ينطق بكلمة. كانوا

يستخدمون طريقة غير مباشرة في كلامهم، ويتجنّبون أيّ كلمات صريحة. على الأقل في البداية.

قالت الأرملة: «لقد عثرنا لكِ بالفعل على مكان جديد. يمكنكِ هناك تنفيذ المهمة التي كنتِ تخطّطين لها. إنه مكان آمن ويمكنك إجراء فحوص منتظمة لدى طبيب مختصّ. إذا كنت ترغبين، فيمكنك الانتقال في أقرب وقت».

هل يجب أن تُخبر الأرملة عن الأشخاص الذين يتعقّبون صغيرها؟ وكيف أنها ترى في أحلامها رجلين من ساكي جاكه يحاولان انتزاع طفلها منها؟ وكيف أن محصّل الاشتراكات الزائف الذي يلجأ إلى جميع الحيل كي يجعلها تفتح الباب ربما يسعى إلى الشيء نفسه؟ ولكن أَوْمَامِه تراجعت عن ذلك. كانت تثقُ في الأرملة، وتُكنّ لها احتراماً عميقاً. ولكن ليست هذه هي القضية. **في أيّ عالم تعيش؟** كانت هذه هي المشكلة في الوقت الحالي.

سألتها الأرملة: «كيف حالك؟».

أجابت أَوْمَامِه: «يبدو أنّ كل شيء على ما يرام حتى الآن».

قالت الأرملة: «يسرّني جداً سماع ذلك. لكن صوتك يبدو مختلفاً قليلاً. ربما يكون مجرّد ظنّ مني، ولكن يبدو أنك متوترة ومتوجّسة بعض الشيء. إذا كان لديك أيّ شيء يزعجك، أيّ شيء على الإطلاق، فأرجوك ألّا تتردّدي في إخبارنا. قد نستطيع مساعدتك».

أجابت أَوْمَامِه وقد تنبّهت إلى نبرة صوتها: «أعتقد أنّ مكوثي في مكانٍ واحد مدّة طويلة قد أصابَني ببعض التوتر، على الأغلب، دون أن أشعر. لكني أعتني بنفسي. فهذا هو اختصاصي، على أيّ حال».

ردّت الأرملة: «بالطبع». صمتت مرة أخرى. «منذ فترة قصيرة

كان هناك رجل مريب ظلّ يحوم في منطقتنا بضعة أيام. كان يبدو مهتماً في الأساس بدار الأمان. طلبت من النساء الثلاث اللائي يعشنَ فيها أن ينظرنَ في الصور التي التقطتها الكاميرات، لكن لم تتعرّف عليه أيُهن. ربما كان يتعقّبك أنتِ».

تجهّمت أَوْمَامِه قليلاً: «تقصدين أنهم قد علموا بالعلاقة التي تربطنا؟».

«لا أجزم بذلك. لكن علينا أن ننظر في هذا الاحتمال. هذا الرجل يبدو غريباً جداً. لديه رأس كبير ومنبعج. الجزء العلوي من رأسه مفلطح وآخذٌ في الصلع. وهو قصير القامة وذو بنية متينة، وله ذراعان وساقان قصيران. هل يبدو ذلك مألوفاً بأيّ حال؟».

رأس منبعج؟ «أنا أجلس في الشرفة وأرقب المارة في الشارع، ولكني لم أرَ أحداً تنطبق عليه هذه الأوصاف. يبدو أنه من هؤلاء الأشخاص الذين لا تخطئهم العين».

«بالضبط. يبدو وكأنه مهرِّج في سيرك. إذا كان هو الشخص الذي اختاروه كي يتحرّى عنا، فيا له من اختيار غريب».

وافقتها أَوْمَامِه. لن يرسل القائمون على ساكي جاكه شخصاً بهذه السمات البارزة كي يتحرّى عن مكاننا. لا يمكن أن يصل احتياجهم إلى المساعدة لهذه الدرجة من البؤس. وهذا يعني أنّ الرجل ربما لا تربطه صلة بديانتهم، وأنهم في ساكي جاكه لم يعرفوا بعد بالعلاقة التي تربطها بالأرملة. ولكن مَن يكون هذا الرجل إذاً، وماذا كان يفعل وهو يستطلع دار الأمان؟ ربما يكون هو نفسه ذاك الرجل الذي يتظاهر بأنه محصِّل اشتراكات لدى 'إن إتش كيه' ولا يكفّ عن إزعاجها؟ لم يكن لديها أيّ دليل. فقد ربطت في ذهنها وحسب بين الطريقة الغريبة لمحصِّل الاشتراكات وأوصاف هذا الرجل الغريب.

«إذا رأيته، فأرجو منكِ الاتصال. ربّما يتعين علينا القيام بعملٍ ما».

ردت أَوْمَامِه: «بالطبع سوف أتصل على الفور».

صمتت الأرملة مرة أخرى. لم يكن ذلك أمراً مألوفاً منها، فهي في العادة حينما تتحدث عبر الهاتف تكون شديدة الجدية، وتكره إضاعة أيّ وقت.

سألتها أَوْمَامِه بشكل عفوي: «هل أنت بخير؟».

«أنا كما أنا دائماً. لا أشكو شيئاً». ولكن أَوْمَامِه كان بوسعها أن تسمع نبرة تلعثم خافتة في صوتها، نبرة ليست عادية.

انتظرت أَوْمَامِه منها أن تتابع.

وأخيراً، وكأنما قد قبلت على مضض، تحدّثت الأرملة: «أصبحتُ أشعر في الآونة الأخيرة أنني عجوز أكثر ممّا اعتدت. وخصوصاً بعد أن تركتيني».

قالت أَوْمَامِه مستبشرة: «لم أتركْكِ مطلقاً. ما زلتُ هنا».

«أعرف. إنك هناك، ولا يزال بوسعنا أن نتحدّث عبر الهاتف. ولكننا حينما كنا نلتقي بانتظام ونمارس الرياضة معاً، كانت تنتقل إليّ بعض حيويتك».

«أولاً، أنت لديك من الحيوية الكثير. كلّ ما فعلته هو أني ساعدتك في إخراجها. وكان بوسعك أن تفعلي ذلك بنفسك حتى لو لم أكن موجودة».

قالت الأرملة وقد ضحكت ضحكة أفضل ما توصف به هي أنها جافة: «حتى أكون صريحة معكِ، فقد كنت حتى وقت قريب أظنّ ذلك. كنت واثقة أني امرأة مميزة. ولكن الزمن يوهن الحياة داخلنا

ببطء. والناس لا يموتون حينما تحين ساعتهم فقط. إنهم يموتون شيئاً فشيئاً من داخلهم. وفي النهاية يأتي يوم يجب على المرء فيه أن يسوي حساباته. ليس لأحد أن يفرّ من ذلك. يجب على كلّ شخص أن يدفع ثمن ما حصل عليه. تعلَّمتُ مؤخراً هذه الحقيقة».

تجهّمت أَوْمَامِه، يجب أن تدفعي ثمن ما حصلتِ عليه. هذه هي الجملة التي نطق بها محصّل الاشتراكات.

قالت الأرملة: «في تلك الليلة من سبتمبر، التي هبت فيها العاصفة الرعدية، خطرت لي فجأة هذه الأفكار. كنت في المنزل، وأجلس وحيدة في غرفة المعيشة، وأشعر بالقلق عليك، وأشاهد ومضات البرق. وقد كشفت لي إحدى هذه الومضات هذه الحقيقة، وجعلتها واضحة أمام عيني. في تلك الليلة فقدتُك، وفقدتُ شيئاً في داخلي. أو ربما عدة أشياء. شيء جوهري لوجودي، بل هو مكوّن أساسي لي كشخص».

ابتدرتها أَوْمَامِه: «هل كان الغضب جزءاً من ذلك؟».

خيم صمتٌ يشبه ذلك الذي يعقب موجات المدّ حينما تنتهي. وأخيراً تحدثت الأرملة. «هل تقصدين إن كان غضبي من بين الأشياء التي فقَدتها؟ هل هذا ما تسألين عنه؟».

«نعم».

أخذت الأرملة نفساً بطيئاً: «جواب سؤالك هو نعم. هذا ما حدث. وسط هذا البرق الشديد، تبدَّد فجأة ذلك الغضب الهادر الذي كان يمور بداخلي، أو على الأقل، تراجع إلى مكانٍ بعيد. لم يعُد بتلك الحرقة التي عهدتها. تحوَّل إلى ما يشبه الحزن الباهت. كنت أعتقد أنّ هذا الغضب الشديد سوف يستمرّ إلى الأبد... ولكن كيف عرفتِ ذلك؟».

قالت أَوْمَامِه: «لأنّ الشيء نفسه حدث معي في هذه الليلة العاصفة».

«هل تتحدثين عن غضبك؟».

«نعم. لم أعُد أشعر بذلك الغضب الخالص والشديد الذي اعتدته. لم يتلاشَ تماماً، ولكن كما قلتِ، تراجعَ إلى مكانٍ بعيد. لسنواتٍ كان هذا الغضب يشغل حيزاً كبيراً بداخلي. كان هو ما يحرِّكني ويدفعني».

قالت الأرملة: «مثل حوذي قاسٍ لا يكلّ ولا يملّ. ولكنه فَقَدَ قوّته، والآن أنت حامل. بدلاً من أن تكوني غاضبة».

هدّأت أَوْمَامِه أنفاسها: «بالضبط. بدلاً من الغضب، أصبح في أحشائي صغير. إنه شيء لا يمتّ بِصِلَة للغضب. وهو ينمو داخلي يوماً بعد يوم».

قالت الأرملة: «أعلم أني لست بحاجة إلى أن أقول لكِ هذا، ولكن عليك أن تأخذي حذرك تماماً. وهذا سبب إضافي يوجب عليك الانتقال في أقرب وقتٍ إلى مكان أكثر أمناً».

«أوافقك، ولكن قبل ذلك، لديّ شيء يجب أن أنتهي منه».

بعد أن وضعَت السماعة، خرجت أَوْمَامِه إلى الشرفة، ونظرت عبر فجوة في الستائر إلى الطريق، وراحت تحدِّق في الملعب. كان وقت الشفق يقترب حثيثاً. قالت في نفسها، **قبل أن ينتهي عالم 1Q84، وقبل أن يجدوني، لا بدّ أن أجد تنغو. مهما كلفني ذلك.**

الفصل الخامس عشر

تنغو
ليس مسموحاً له بالكلام عنه

غادر تنغو حانة بارلي هيد، وأخذ يجوب الشوارع وهو مستغرق في التفكير. وفي النهاية، حزمَ أمره واتّجه صوب ملعب الأطفال، حيث اكتشف للمرة الأولى وجود قمرين في السماء. قال في نفسه، **سوف أصعد الزلاقة كما فعلتُ آخر مرة، وأنظر نحو السماء مرة أخرى.** لعلّه يرى القمرين مرة أخرى. وربما يخبرانه بشيء ما.

وبينما كان يمشي، تساءَل متى كانت آخر مرة ذهب فيها إلى الملعب. لم تسعفه الذاكرة. لم يعُد تدفّق الوقت متّسقاً بأيّ حال، وأصبح إحساسه بالمسافة موضع شكّ. ولكن ربما كان ذلك في مطلع الخريف. تذكّر أنه كان يرتدي قميص «تي شيرت» طويل الأكمام. والوقت الآن هو ديسمبر.

كانت هناك ريح باردة تدفع كتلة من السحب باتجاه خليج طوكيو. بدت السحب في تلبّدها متيبّسة وجامدة، وتشبه الملاط بعد جفافه. كان القمران ظاهرين، ولكنهما يتواريان ما بين حين وآخر خلف السحاب. وكان القمران، الأصفر المعهود والجديد ذو اللون الأخضر والأصغر حجماً، في مرحلة البدر.

كان القمر الصغير يبدو وكأنه طفل يتوارى في تنورة أمه. وقد بقي القمران في المكان نفسه تقريباً الذي رآهما فيه من قبل، وكأنما كانا ينتظران بفارغ الصبر عودة تنغو.

لم يكن يوجد أيّ أحد آخر في الملعب. كانت إضاءة مصباح بخار الزئبق أقوى من ذي قبل، وكان ينبعث منه ضوء بارد وساطع. ذكرته فروع شجرة الزيلكوفا العارية بعظام قديمة بيضاء. كانت ليلة من النوع الذي تتوقّع أن تسمع فيها نعيب بومة. ولكن البوم لم يكن يوجد في متنزهات المدينة. شدّ تنغو قلنسوة سترته فوق رأسه ودسّ يديه في جيبَي سترته الجلدية. صعد الزلاقة، وأسند ظهره إلى الدرابزين، وراح يحدق في القمرين اللذين كانا يظهران ثم يتواريان بين السحاب. عدا ذلك، كانت النجوم تومض في صمت. وكان التلوث العالق في أجواء المدينة قد ذهب مع الريح، ليصبح الهواء نقياً والجو صافياً.

قال تنغو في نفسه، والآن، كم من الناس غيري قد انتبه لهذين القمرين؟ كانت فوكا-إري تعرف، لأنها هي مَن بدأت ذلك الشيء. على الأرجح. ولكن فيما عداها، لم يسبق أن تحدَّث أيّ أحد ممّن يعرف عن قمرين في السماء. ألم ينتبه الناس إلى ذلك؟ أم أنهم لا يجرؤون على ذِكر ذلك في محادثة؟ هل هي مجرد معلومات عامة؟ في كلتا الحالتين، وعدا صديقه الذي نابَ عنه في محاضراته، لم يكن تنغو قد سأل أيّ أحد عن القمرين. بل لقد كان حريصاً على ألّا يأتي على ذِكر هذا الموضوع في أيّ كلام، وكأنه موضوع غير لائق أخلاقياً.

لماذا؟

فكر تنغو، ربما هذا هو ما يريده القمران. لعلّ هذين القمرين رسالة موجهة إليّ وحدي، ولا يجوز لي الكشف عن هذه المعلومات لأيّ أحد آخر.

ولكن هذه الطريقة في التفكير كانت غريبة. كيف يمكن لعددِ الأقمار أن يكون رسالة شخصية؟ وما الذي يحاولان قوله إليه؟ كان تنغو يرى في ذلك لغزاً معقداً أكثر ممّا هو رسالة. وإذا كان لغزاً، فمَن الذي صنعه؟ ومَن الذي لا يجيز هذا الشيء أو ذاك؟

كانت الرياح تندفع بين أفرع شجرة الزيلكوفا، فتصنع صفيراً قوياً، يشبه أنفاساً فاترة تخرج من بين أسنان شخص فقدَ كلّ أمل في الحياة. راح تنغو يحدق في القمرين، دون أن يعير صوت الرياح اهتماماً كبيراً، وظلّ جالساً هناك حتى تجمّد جسمه كله من شدّة البرد. لا بدّ أن ذلك قد استمرّ حوالي 15 دقيقة. لا، ربما أكثر. كان قد فقدَ كلّ إحساس بالوقت. كان جسمه، الذي شعر ببعض الدفء في البداية بفضل الكحول، قد أصبح متيبساً وبارداً، وكأنه صخرة وحيدة في قاع البحر.

ظلّت الغيوم تندفع باتجاه الجنوب. وكلّما تبدّد بعضها، تظهر غيوم أخرى مكانها. وكأن هناك مصدراً لا ينضب من الغيوم في مكان بعيد صوب الشمال. أشخاص مصمّمون، عقولهم تفكر في المهمة التي بين أيديهم، ويرتدون ملابس سميكة ورمادية، حيث يعملون في صمتٍ من مطلع الصبح حتى حلول الليل كي يصنعوا غيوماً، مثلما يصنع النحل العسل وتغزل العناكب الشِّباك وتصنع الحرب الأرامل.

نظر تنغو في ساعته. كانت تشير إلى الثامنة تقريباً. كان الملعب لا يزال خالياً. كان الناس ما بين حين وآخر يمرّون به وهم يجتازون الشارع المواجِه له. وكان الأشخاص الذين انتهوا من أعمالهم وفي طريق العودة إلى بيوتهم يمشون المشية نفسها. وفي المبنى الجديد المكوّن من ستة طوابق على الجانب الآخر من الشارع كانت الأنوار مُضاءة في نصف عدد الشقق. وفي الليالي الشتوية التي تشتدّ فيها

الريح، كانت ثمة نافذة ينبعث منها ضوء ينشر دفئاً جميلاً. راح تنغو ينقل ناظريه من نافذة إلى أخرى، بالترتيب، وكأنه ينظر إلى باخرة سياحية ضخمة من قارب صيد صغير يمخُر عباب البحر ليلاً. ثم وكأنّ ذلك يجري بترتيب مسبَق، أُسدلت جميع ستائر هذه النوافذ. وحينما نظر إليها من الزلاقة الواقعة في الحديقة ووسط أجواء شديدة البرودة ليلاً، بدت وكأنها عالم مختلف تماماً، عالم يقوم على مبادئ مختلفة، عالم يسير وفق قواعد مختلفة. وراء تلك الستائر لا بد أنّ هناك أناساً يعيشون حياة عادية للغاية، وهم مسالمون وراضون.

حياة عادية للغاية؟

كانت الصورة الذهنية الوحيدة لدى تنغو عن الحياة العادية هي صورة نمطية لا عمق فيها ولا لون لها. زوج وزوجة، وربما مع طفلين. الأم ترتدي المريول. والبخار يتصاعد من وعاء يغلي، وأصوات تُسمع لأشخاص يتحلّقون حول مائدة الطعام، كان ذلك هو أبعد ما أخذه إليه خياله قبل أن يصطدم بجدار صلب. عمّ يمكن أن يدور حديث أسرة عادية للغاية وهي حول مائدة العشاء؟ لم يكن هو نفسه لديه أيّ ذكريات لحديث جَمَعه هو ووالده على مائدة العشاء. كان كلّ منهما يدسّ الطعام في فمه في صمت وحسب، كلما شعرا بالرغبة في الطعام. وكان من الصعب تسمية ما يأكلانه وجبة طعام حقيقية.

بعد أن نظر تنغو إلى جميع النوافذ المضاءة في المبنى، راح يرنو مرة أخرى نحو القمرين. ولكن مهما أطال النظر فيهما، فلن يقُل له أيٌّ من القمرين أيّ شيء. بقي وجها القمرين جامدين وهما يسبحان في السماء جنباً إلى جنب، وكأنهما بيتا شعر يعتريهما الاضطراب وفي حاجة إلى مَن يُعيد صياغتهما. لا توجد رسالة اليوم. هذا هو الشيء الوحيد الذي أوصلاه إلى تنغو.

ظلّت الغيوم تزحف بلا كللٍ صوب الجنوب. كانت الغيوم على اختلاف أحجامها وأشكالها تظهر ثمّ تتلاشى. بعضها كانت ذات أشكال شديدة الغرابة، كما لو كانت لديها أفكارها الفريدة، أفكار صغيرة وصلبة ومنقوشة بوضوح. ولكن تنغو كان يريد أن يعرف فيمَ يفكّر القمران، وليس الغيوم.

وأخيراً نال منه اليأس، فنهض واقفاً ومدّ ذراعيه وساقيه، ثم هبط الزلاقة. **هذا كلّ ما أستطيعه. تأكّدت أن عدد الأقمار لم يتغير، وسوف أتركهما كذلك الآن.** دسّ يديه في جيبي سترته الجلدية، ثم غادر الملعب، ومضى عائداً إلى شقته. وبينما كان يمشي، خطر بباله فجأة كوماتسو. لقد حان الوقت كي يتحدّثا. كان عليه أن يرتِّب ما دار بينهما. كان كوماتسو، أيضاً، لديه بعض الأمور التي يجب أن يتحدّث إلى تنغو بشأنها. كان تنغو قد ترك رقم هاتف المصحة في تشيكورا لدى مكتب كوماتسو، لكنه لم يتلقَّ منه أيّ اتصال. سوف يهاتف كوماتسو غداً. ولكن قبل ذلك، يجب أن يذهب إلى المدرسة كي يقرأ الرسالة التي تركتها له فوكا-إري.

كانت رسالة فوكا-إري في درج مكتبه، لم يفتحها أحد. ورغم أنّ الرسالة كانت في ظرف محكَم الإغلاق، فقد كانت قصيرة. كانت قد كتبتها على صفحة ونصف انتزعتها من دفتر للكتابة، وبالحبر الأزرق، وبخطّها الذي يشبه الخط المسماري المميز، وهو خط من نوع سيكون أكثر ملاءمة لو كان قد نُقش على لوح من الطين وليس في دفتر ملاحظات. أدرك تنغو أنها حتماً قد استغرقت وقتاً في كتابة مثل هذه الرسالة.

قرأ تنغو الرسالة مرة تلو مرة. **لقد اضطرت لمغادرة شقته.**

الآن، لأنهما مراقَبان. وضعت خطاً تحت هذه الأماكن الثلاثة مستخدمة قلمَ رصاص ناعم وسميك. يا لها من خطوط معبِّرة.

مَن كان يراقبنا، وكيف عرفت ذلك - لم تقل شيئاً عن ذلك. في العالم الذي كانت فوكا-إري تعيش فيه، كان يبدو أنّ الحقائق لا يتم إيصالها مباشرة. وكأنه خريطة توضح مكان كنز دفين، حيث الأشياء ترتبط ببعضها عبر تلميحات وألغاز، ومنحنيات وتباينات. لقد اعتادَ ذلك، وفي الوقت الحالي، كان يقبل، ولو مؤقتاً، ما قالته فوكا-إري. حينما قالت إنهما تحت المراقبة، لا شكّ أنهما كانا مراقَبين بالفعل. وحينما شعرت بأنّ عليها مغادرة شقته، كان ذلك يعني أن الوقت قد حانَ لكي تغادرها. إنّ أوّل ما يجب عمله هو قبول كلّ تلك الأقوال كحقيقة جامعة. ثم لاحقاً يمكنه أن يكتشف، أو يستنتج، الخلفية والتفاصيل والأساس الذي تقوم عليه هذه الفرضيات، أو أن يتخلى عنها من الأصل.

نحن مراقبان.

هل هذا يعني أنّ أشخاصاً من ساكي جاكه قد وجدوا فوكا-إري؟ إنهم على معرفة بعلاقته معها. لقد اكتشفوا أنه هو الشخص الذي، بناء على طلب كوماتسو، قد أعاد كتابة الشرنقة الهوائية، ما يفسِّر السبب الذي جعل يوشيكاوا يحاول التقرّب من تنغو. وإذا صحّ ذلك، فإنّ ثمة إمكانية واضحة بأنّ شقته تحت المراقبة.

ولكن، إذا صحّ ذلك، فإنّ هذا يعني أنهم ليسوا في عجلة من أمرهم. لقد مكثت فوكا-إري في شقته ثلاثة أشهر تقريباً. هؤلاء الناس منظّمون وأصحاب سلطة حقيقية ونفوذ. ولو أنهم أرادوا، لكانوا قد أمسكوا بها في أيّ وقت. ليسوا بحاجة إلى أن يتجشّموا

المشقّة ويضعوا شقته تحت المراقبة. ولو كانوا يراقبونها حقاً، لما سمحوا لها بالمغادرة.

كلّما حاول تنغو أن يطبق قواعد المنطق في ذلك، التبس عليه الأمر أكثر. الخلاصة التي وصل إليها هي أنهم لم يحاولوا الإمساك بفوكا-إري. ربما تغيّرت أهدافهم في لحظة بعينها. وكانوا لا يتعقّبون فوكا-إري، وإنما يتعقبون شخصاً آخر يرتبط بها. ولسبب ما أصبحوا لا يرون في فوكا-إري تهديداً. لكن إذا قبلتَ بذلك، فلماذا يتجشّمون عناء مراقبة شقة تنغو؟

استخدم تنغو هاتفاً عمومياً في المدرسة كي يتصل بمكتب كوماتسو. كان اليوم هو الأحد، ولكن تنغو كان يعرف أنه يحبّ المجيء إلى العمل في عطلة نهاية الأسبوع. كان يقول، قد يكون المكتب مكاناً لطيفاً للعمل، إذا لم يكن به أحد سواه. ولكن لم يُجِبْه أحد. نظر تنغو في ساعته. كانت الحادية عشرة صباحاً، وقت مبكر جداً لمجيء كوماتسو إلى العمل. كان يبدأ يومه، لا يهمه أيّ يوم هو من أيام الأسبوع، بعد أن ترتفع الشمس إلى كبد السماء. جلس تنغو على كرسي في الكافتيريا، وراح يرتشف القهوة ويُعيد قراءة رسالة فوكا-إري. كدأبها لم تستخدم تقريباً أياً من حروف 'الكانجي'، ولا توجد فقرات أو علامات ترقيم.

حسناً فعلت يا تنغو أنك عدتَ من بلدة القطط وتقرأ
هذه الرسالة ولكننا مراقبان ولا بد لي من مغادرة هذا
المكان فوراً ولا تقلق بشأني ولكني لا أستطيع البقاء هنا مدة

أطول كما قلت من قبل إن الشخص الذي تبحث عنه موجود
على مسافة قريبة من هنا ولكن كن حذراً لئلا يراك أحد.

أعاد تنغو قراءة هذه الرسالة الأشبه بالبرقية ثلاث مرات، ثم قام بطيّها ووضعها في جيبه. كما حدث من قبل، كان كلّما أعاد قراءتها، زاد تصديقه لكلماتها. هناك شخص ما يراقبه. أصبح يعتبر ذلك الآن يقيناً. رفعَ رأسه وراح يستطلع الكافتيريا. كان الطلاب داخل صفوفهم ولذلك كانت الكافتيريا شبه خالية. لم يكُن بها سوى مجموعة صغيرة من الطلاب ممّن يستذكرون دروسهم أو يدوّنون بعض المعلومات في دفاترهم. ولكنه لم يلحَظ أيّ أحد يراقبه خلسة بالقرب منه.

ولكن يظلّ هناك سؤال أساسي: لو كانوا لم يراقبوا فوكا-إري، فلماذا تنتقل المراقبة إلى هنا؟ هل كانوا مهتمين بتنغو نفسه، أم أنّ شقته هي موضع اهتمامهم؟ راح تنغو يفكر في ذلك. كانت هذه كلها مجرد تخمينات. وعلى نحوٍ ما، لم يكن يشعر أنه موضع اهتمامهم. لقد انتهى دوره في **الشرنقة الهوائية** منذ مدة.

لم تغادر فوكا-إري شقته إلّا نادراً، ولذلك فإن شعورها بأنها مراقَبة يعني أنّ شقّته كانت بالفعل تحت المراقبة. ولكن كيف يمكن لأحد ما أن يجد مكاناً لمراقبة شقته؟ صحيح أنه يعيش في منطقة حضرية مزدحمة، ولكن شقة تنغو الموجودة في الطابق الثالث، تقع تقريباً خارج نطاق رؤية أيّ أحد. وكان ذلك أحد الأسباب التي لأجلها أحبّ الشقة وعاش فيها مدة طويلة. وللسبب نفسه، أحبّت صديقته التي تكبره سناً الشقة. وكانت كثيراً ما تقول له: «بغض النظر عن كيف تبدو الشقة، فهي هادئة بشكلٍ مدهش. تشبه كثيراً الشخص الذي يعيش فيها».

قُبيل مغيب الشمس كلّ يوم، كان ثمة غراب كبير الحجم يحطّ على نافذته. هذا هو الغراب الذي أشارت إليه فوكا-إري في مكالمتها له. كان يستقرّ فوق إطار النافذة ويحكّ جناحيه الأسودين الكبيرين بالزجاج. كان ذلك ديدن الغراب كلّ يوم، أن يرتاح قليلاً خارج شقته قبل أن يعود إلى عُشه. كان يبدو أنّ الغراب لديه بعض الفضول بإزاء شقة تنغو من داخلها. كانت عيناه الكبيرتين والداكنتين في جانبي رأسه تتنقلان سريعاً، وتجمعان المعلومات عبر فتحة في الستارة. الغربان طيور شديدة الذكاء ولديها فضول كبير. زعمت فوكا-إري أنها تستطيع التحدّث مع هذا الغراب. ومع ذلك، تظلّ فكرة أنّ الغراب يمكن أن يصبح أداة لأحد لمراقبة شقّة تنغو فكرة سخيفة.

فكيف كانوا يراقبونه إذاً؟

في طريق عودته إلى المنزل قادماً من المحطة توقف تنغو عند متجر للبقالة واشترى بعض الخضراوات والبيض والحليب والسمك. وبينما كان يقف عند مدخل المبنى الذي توجد به شقته وفي يده صحيفة، ألقى نظرة سريعة حوله كي يتأكد أن أحداً لا يراقبه. لم يجد ما يثير شكوكه، فالمشهد كما هو دائماً - الأسلاك الكهربائية تتدلى في الهواء وكأنها أحشاء إنسان: والباحة الأمامية الصغيرة، وحديقة المبنى التي ذبلت شجيراتها بفعل برودة الشتاء، وصناديق البريد الصدئة. أرهف سمعه، فلم يسمع سوى ضجيج المدينة الذي لا يتوقف، والذي كان يشبه رفيف الأجنحة.

دخل إلى شقته، ووضع مشترياته من الطعام، ثم قصد النافذة، وأزاح الستائر، وألقى نظرة فاحصة على المشهد في الخارج. كانت توجد عبر الطريق ثلاثة منازل قديمة، تتألف من طابقين وهي مبنية على

قطع أرض صغيرة المساحة. كان السكان جميعاً كباراً في السن ويسكنونها منذ مدد طويلة، وتظهر على وجوههم علامات المزاج المتعكر وهم يبغضون أيّ نوع من التغيير، ولذلك لا يحتمل أن يرحّبوا بوافد جديد في الطابق الثاني. وفوق ذلك، وحتى لو وُجد شخص في الطابق الثاني وانحنى بشدّة من النافذة، فلن يرى سوى لمحة من سقف شقته.

أغلق تنغو النافذة، وأعدّ كوباً من القهوة. وبينما كان يجلس إلى مائدة الطعام كي يشرب القهوة، راح يفكر في كلّ سيناريو يخطر له ببال. ثمة شخص قريب يضعه تحت المراقبة. والمسافة التي تفصله عن أَوْمَامِه هي مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام. هل ثمة صلة بين الأمرين؟ أو أنها مجرد صدفة؟ فكّر في ذلك طويلاً، ولكنه لم يتوصّل إلى نتيجة. كانت أفكاره تدور وتدور حول نفسها، وكأنها فأرٌ بائسٌ علِقَ في متاهة بلا مخرج ولكنه يشمّ فيها رائحة الجبن.

توقف عن التفكير وراح يطالع الصحيفة التي اشتراها من كشك المحطة. رونالد ريغان، الذي أعيد انتخابه رئيساً في هذا الخريف، يحب أن يدعو رئيس الوزراء ياسوهيرو ناكاسون باسم «ياسو»، أما ناكاسون فيناديه «رون». ربما يكون السبب في ذلك هو الكيفية التي التقطت بها الصورة، ولكن كليهما يبدوان وكأنهما من رجال صناعة البناء والتشييد وهما يناقشان كيف سيتحولان إلى استخدام مواد بناء رخيصة وغير مطابقة للمواصفات. وما زالت أعمال الشغب التي اندلعت في الهند إثر اغتيال أنديرا غاندي مستمرة، حيث يتعرّض السيخ لمذابح في شتى أنحاء البلاد. وفي اليابان كان هناك محصول وفير وغير مسبوق من التفاح. ولكن لم يلفت انتباه تنغو أيّ شيء آخر في الصحيفة.

انتظر حتى أشارت الساعة إلى الثانية ثم اتصل بمكتب كوماتسو مرة أخرى.

كدأبه، احتاج كوماتسو اثنتي عشرة رنة حتى يرفع السماعة. كان تنغو لا يدري السبب وراء ذلك، ولكن يبدو دائماً أنه من الصعب عليه الوصول إلى الهاتف.

قال كوماتسو: «لم نلتقِ منذ مدة طويلة، يا تنغو». بدا أنّ صوته يشبه صوت كوماتسو الذي يعرفه. ناعم ويشوبه بعض التكلُّف، ومن الصعب أن تحدّد نوعه.

«حصلتُ على إجازة من العمل لأسبوعين وسافرت إلى تشيبا. ثم عدتُ الليلة الماضية».

«قلت إن والدك ليس على ما يرام. لا بد أنّ الأمر كان عصيباً بالنسبة لك».

«ليس بالضبط. إنه في غيبوبة تامة، ولذلك فقد قضيت معه بعض الوقت، لا أفعل سوى التحديق في وجهه وهو نائم. أما بقية الوقت فقد كنت أقضيه في الحانة وفي الكتابة».

«ولكنك تتحدث عن حالة ما بين الحياة والموت، ولذلك لا بد أن الأمر لم يكن سهلاً عليك».

قال تنغو كي يُغير الموضوع: «في آخر مرة تحدّثنا، قبل مدة طويلة، قلتَ إنّ هناك أمراً يجب أن تحدِّثني فيه».

قال كوماتسو «أذكر ذلك. أودّ أن أتحدث معك حديثاً مُطوَّلاً وودياً، إذا كان لديك وقت؟».

«إذا كان أمراً مهماً، فربما الأفضل أن تُعجِّل به؟».

«نعم، الأفضل أن أعجِّل به».

«هذه الليلة قد تناسبني».
«حسناً. وأنا أيضاً لدي وقت هذه الليلة. ما رأيك في السابعة؟».
قال تنغو: «وهو كذلك. في السابعة».
طلب منه كوماتسو أن يقابله في حانة صغيرة بالقرب من مكتبه، وهي حانة قصدها تنغو مرات ومرات. وأضاف كوماتسو: «إنها تفتح أبوابها أيام الآحاد. ولكن يكاد لا يقصدها أحد في هذا اليوم من الأسبوع. ولذلك يمكننا أن نتحدث في هدوء».
«هل ستكون حكاية طويلة؟».
فكر كوماتسو في ذلك: «لا أدري. حتى أقصها عليك بالفعل، لا أدري كم من الوقت سوف تستغرقه».
«لا بأس. سوف يُسعدني الاستماع إليك. لأننا معاً في القارب نفسه، ألسنا كذلك؟ أو لعلك قد انتقلت إلى قارب آخر؟».
قال كوماتسو وقد باتت نبرة صوته أكثر جدية: «لا، لا على الإطلاق. ما زلنا في القارب نفسه. على أي حال، سوف أراك في السابعة. وعندئذٍ سأخبرك بكل شيء».

بعد أن وضع السماعة، جلس تنغو أمام مكتبه، وقام بتشغيل برنامج معالج الكلمات، وكتب القصة التي دوّنها بقلم حبر في الحانة في تشيكورا. عندما أعاد قراءة القصة، تصوّر البلدة في ذهنه: المصحة ووجوه الممرضات الثلاثة، والرياح التي تهب من البحر ثم تمرّ عبر أشجار الصنوبر، وطيور النورس ناصعة البياض وهي تحلّق في السماء. نهض تنغو، وأزاح الستائر، ثم فتح الباب الزجاجي للشرفة، وراح يستنشق الهواء البارد بعمق.

حسناً فعلت يا تنغو أنك عدت من بلدة القطط وتقرأ هذه الرسالة.

هكذا كتبت فوكا إري في رسالتها. ولكن هذه الشقة التي عاد إليها كانت تحت المراقبة. ربما توجد كاميرا خفية هنا في الغرفة. ولأن القلق بدأ يساوره، فقد فتش تنغو كلّ ركن من أركان الشقة. لكنه لم يجد كاميرا خفية، ولا بقّة إلكترونية. فهذه الشقة، على أيّ حال، قديمة وضيقة ولا تضم سوى غرفة واحدة، ومن المحال تقريباً إخفاء أي شيء من هذا القبيل.

ظلّ تنغو يكتب مخطوطته حتى حلّ الظلام. استغرق منه ذلك وقتاً أطول ممّا توقع لأنه أعاد كتابة بعض فقراتها في أثناء كتابته لها على البرنامج. توقّف للحظة كي يُشغّل مصباح المكتب فانتبه إلى أنّ الغراب لم يأتِ اليوم. كان يشعر بمجيئه حينما يسمع صوته، وحينما يحكّ جناحيه الكبيرين بالنافذة. كان يترك وراءه آثار بقع خفيفة على الزجاج، تشبه رموزاً تنتظر مَن يفك شفرتها.

في الخامسة والنصف أعدّ عشاءً خفيفاً. لم يكن يشعر بالجوع، ولكنه لم يكن قد تناول أي شيء في الغداء. فكر، **يجب أن أضع أي شيء في جوفي**. أعدّ سلاطة من الطماطم وبعضاً من جبن الواكامي وتناول شريحة خبز محمّص. وفي السادسة والربع، ارتدى سترة سوداء برقبة وفوقها سترة خضراء وغادر الشقة. عندما خرج من البوابة الخارجية، توقف برهة ونظر حوله مرة أخرى، ولكن شيئاً لم يلفت انتباهه - لا أحد يتوارى خلف عمود من أعمدة الهاتف، ولا توجد أيّ سيارات متوقفة بالقرب من المكان ويمكن أن تثير الشكوك. وحتى الغراب لم يكن موجوداً. ولكن ذلك جعل تنغو أكثر قلقاً. بدا له وكأن جميع الأشياء العادية من حوله تراقبه. مَن يدري ربما يكون هؤلاء

الأشخاص، مثل ربة المنزل التي تحمل سلة التسوق، والعجوز الصامت الذي يصطحب كلبه ويتمشى به، وطلاب المدرسة الثانوية الذين يركبون الدراجات ويعلّقون مضارب التنس في أكتافهم ويتجاهلونه، ربما يكونون جزءاً من فريق مراقبة يُتقن التخفي ويعمل لحساب ساكي جاكه.

قال تنغو في نفسه، **لقد أصابني جنون الشك. صحيح أنه يجب أن أكون حذراً، ولكن ليس لدرجة الفزع.** حثّ الخطى نحو المحطة، وكان يلتفت إلى الوراء من حين إلى آخر حتى يتأكّد من أن أحداً لا يتبعه. لو أنّ أحداً كان في أثره، فمن المؤكّد أنّ تنغو كان سيعرف ذلك. كان مجال الرؤية لديه أفضل ممّا هو لدى معظم الأشخاص، كما أنه يتمتع بدرجة إبصار ممتازة. وبعد أن نظر خلفه ثلاث مرات، أيقن أنّ أحداً لا يتعقبه.

وصل إلى الحانة قبل السابعة بخمس دقائق. لم يكن كوماتسو قد وصل بعد، وكان تنغو هو أول زبون في فترة المساء. كانت توجد باقة من الأزهار الزاهية في مزهرية كبيرة وقد وُضعت على الطاولة فيما تفوح منها رائحة منعشة. جلس تنغو إلى طاولة في آخر الحانة وطلب كوباً من البيرة. أخرج كتاباً من جيب سترته وراح يقرأه.

وصل كوماتسو في السابعة والربع. كان يرتدي جاكيت من الصوف، وسترة من الكشمير الخفيف، وبنطالاً من الصوف، وحذاءً سويدياً ويتلفع بوشاح من الكشمير. هذه هي ثيابه المعتادة. ثياب عالية الجودة، وتتميّز بذوق رفيع، وتبدو بالية رغم رونق الجمال الذي يميزها. حينما كان يرتديها، كان يبدو وكأنه قد ولد بها. لعلّه كان كلما اشترى ملابس جديدة، كان ينام فيها ويتقلب بها. ربما كان يغسلها مرة تلو مرة ثم ينشرها كي تجف في الظل. ولا يظهر بها أمام

الآخرين إلّا حينما تتكسّر وتبهت. على أي حال، كانت الملابس تجعله يبدو وكأنه محرِّر مخضرم. ومَن ينظر إلى ملابسه وهيئته، يجد أنّ هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يكونه. جلس كوماتسو قبالة تنغو وطلب هو الآخر بيرة.

علق كوماتسو قائلاً: «تبدو كما كنت دائماً. كيف تسير الرواية الجديدة؟».

«أعمل عليها، ببطء ولكن بوتيرة ثابتة».

«يسرّني سماع ذلك. يجب على الكتّاب مواصلة الكتابة إذا أرادوا أن يبلغوا مرحلة النضج، مثل اليرقات التي تظلّ تمضغ الأوراق بلا توقف. وكما قلت لك، إنّ عملك في إعادة كتابة الشرنقة الهوائية سوف يحسن أسلوبك. هل كنت محقاً؟».

أومأ تنغو: «نعم. لقد ساعدَتني إعادة كتابة هذه الرواية في معرفة الكثير عن كتابة الأدب. لقد بدأت ألاحظ أموراً لم ألحظها في حياتي».

«ليس تباهياً أو ما شابه، ولكني أعرف بالضبط ما تقصده. لقد كنت بحاجة فقط إلى فرصة مناسبة».

«ولكني أيضاً واجهت متاعب كبيرة بسببها. كما تعرف».

التوى فم كوماتسو بشكلٍ أنيق لتفتر شفتاه عن ابتسامة، وكأنه قمر في طور الهلال في فصل الشتاء. كانت ابتسامة من النوع الذي يصعب قراءتها.

«كي ينال الناس شيئاً مهماً، يجب أن يدفعوا الثمن. هذه هي القاعدة التي يسير بها العالم».

«ربما تكون محقاً. ولكني لا أستطيع أن أحدِّد الفرق بين ما هو مهمّ والثمن الذي يجب أن تدفعه. لقد أصبح الأمر بالغ التعقيد».

قال كوماتسو وقد تجهّم: «لقد تعقَّد بكلّ تأكيد. يبدو الأمر وكأنك تحاول إجراء مكالمة هاتفية فيما تتداخل الأسلاك مع بعضها. بالتأكيد. بالمناسبة، هل تعرف أين توجد فوكا-إري الآن؟».

قال تنغو وهو ينتقي كلماته بعناية: «لا، لا أدري أين هي في الوقت الحالي».

كرَّر كوماتسو بنبرة ذات مغزى: «في الوقت الحالي».

لم يعلّق تنغو بشيء.

قال كوماتسو: «ولكنها كانت تعيش في شقتك حتى وقت قريب. على الأقل، هذا ما أسمعه».

أومأ تنغو: «صحيح. مكثَت في شقتي ثلاثة أشهر تقريباً».

قال كوماتسو: «ثلاثة أشهر مدة طويلة. ولم تخبر أحداً قط».

«هذا هو ما طلبته مني، ولذلك لم أخبر أحداً. بمَن فيهم أنت».

«ولكنها الآن لم تعُد موجودة».

«صحيح. غادرت في أثناء وجودي في تشيكورا، وتركت رسالة. لا أدري أين هي الآن».

تناول كوماتسو سيجارة، ووضعها في فمه، وأشعلَ عود ثقاب. ضيّق عينيه ونظر إلى تنغو.

قال: «بعد أن غادرت فوكا-إري شقتك، قصدت منزل البروفسور إبيسونو، على قمة الجبل في فوتاماتاو. وما كان من البروفسور إبيسونو إلّا أن اتّصل بالشرطة وسحب محضر التغيب، لأنها حينما غادرت منزله كان ذلك من تلقاء نفسها ولم تُختَطَف. لا بدّ أن الشرطة قد استجوبوها. إنها قاصر، على أيّ حال. لن أندهش إذا نشرت قريباً إحدى الصحف تقريراً حول ذلك، وإن كنت أشكّ أنها سوف تقول الكثير. لأنه لا يوجد أيّ عمل إجرامي، على ما يبدو».

«هل يمكن أن يُظهر أنها كانت تقيم في شقتي؟».

هزّ كوماتسو رأسه: «لا أظن أنّ فوكا-إري سوف تَذكر اسمك. أنت تعرفها. يمكنها أن تتحدّث إلى رجال الشرطة أو الشرطة العسكرية أو مجلس الثورة أو الأم تيريزا، ولكنها حينما تقرِّر ألّا تقول شيئاً، فإنها تكتم السرّ. فلا داعي للقلق إذاً».

«لست قلقاً. كلّ ما هنالك أنني أودّ أن أعرف كيف ستسير الأمور».

قال كوماتسو وقد علَت ملامحه الجدية: «مهما جرى، لن يظهر اسمكَ للعلن. اطمئنّ. ولكن لديّ شيء يجب أن أسألك بشأنه. ولكني متردِّد في ذلك».

«ما هو؟».

«حسناً، إنه شأن شخصي جداً».

أخذ تنغو رشفة من البيرة وأعاد الزجاجة مرة أخرى إلى الطاولة: «لا بأس. إذا كان شيء يمكنني الإجابة عنه، فسوف أجيبك».

«هل جرت بينك وبين فوكا-إري علاقة جنسية؟ أقصد حينما كانت تُقيم في شقّتك. يكفيني أن تجيب بنعم أو لا فقط».

صمت تنغو لحظة وهزّ رأسه ببطء: «إجابتي هي لا. لم أدخل معها في هذا النوع من العلاقة».

اتخذ تنغو قراراً عفوياً بأنه لا ينبغي أن يكشفَ ما جرى بينهما في ليلة العاصفة. وفوق ذلك، فإنّ ما جرى بينهما لا يمكن أن يُسمى فعلاً ممارسة جنسية. لم تكن هناك رغبة جنسية، لم تكن بالمعنى المعروف. لدى أيٍّ من الطرفين.

«إذاً لم تقيما معاً علاقة جنسية».

قال تنغو بنبرة جافة: «لم نفعل».

غضَّن كوماتسو أنفه: «أنا لا أشكُّك في كلامك، يا تنغو. ولكنك تردَّدتَ قليلاً قبل أن تُجيب. ربما جرى بينكما ما هو قريب من الجنس؟ أنا لا ألومك. كلّ ما هنالك أنني أحاول التحقُّق من بعض الأشياء».

نظر تنغو مباشرة في عينيّ كوماتسو: «لم أتردَّد. كان مجرَّد استغراب، استغربتُ انشغالك الشديد بما إذا كانت هناك علاقة جنسية بيني وبين فوكا-إري. وأنت عادةً لست من هؤلاء الأشخاص الذين يدسّون أنوفهم في خصوصيات الآخرين. فأنت تتحاشى ذلك».

قال كوماتسو: «أظن ذلك».

«إذاً لماذا تسأل الآن عن مثل هذا الشيء؟».

حكّ كوماتسو جانب أنفه وقال: «لا يعنيني أساساً مع مَن تنام أو ما تفعله فوكا-إري. كما أوضحت. ولكن كما تعلم جيداً، فإنّ فوكا-إري ليست مجرد فتاة عادية. لا أدري كيف أوضح لك ذلك؟ إنّ كل عمل تقوم به هو عمل له مغزى».

أعادَ تنغو قوله: «له مغزى».

قال كوماتسو: «من الطبيعي أن يكون لكلِّ عملٍ يؤديه الإنسان مغزى معيناً. ولكن في حالة فوكا-إري يصبح المغزى أعمق. لديها شيء مختلف في هذا الجانب. ونحن يجب أن نتحقّق قدر استطاعتنا من جميع الحقائق».

قال تنغو: «مَن نحن الذين تعنيهم بالضبط؟».

بدا كوماتسو على غير عادته مرتبكاً. «حتى أكون صريحاً معك، لستُ أنا مَن يريد أن يعرف هل أقمتما علاقة جنسية أو لا، ولكنه البروفسور إيبسونو».

«وهل البروفسور إبيسونو يعرف أنّ فوكا-إري كانت معي في شقتي؟».

«بالتأكيد. كان يعلم ذلك منذ اليوم الأول لوصولها إلى شقتك. فوكا-إري هي مَن أخبرته عن مكانها».

قال تنغو مندهشاً: «لم أكُن أدري». كانت فوكا-إري قد أخبرته بأنها لم تُخبر أيّ أحد بمكانها. لم يعُد ذلك يهم الآن. «هناك شيء واحد فقط لا أفهمه. البروفسور إبيسونو هو وصيّها القانوني ووليُّها، لذلك يتوقع منه أن يهتمّ بأشياء من هذا القبيل. ولكن في هذا الوضع الجنوني الذي نحن به الآن، أعتقد أنّ الأولوية هي أن يتأكد أنها آمنة، وليس إن كانت لا تزال عذراء أو لا».

رفع كوماتسو إحدى زوايا شفتيه: «لا أدري فعلاً ما هي الظروف المحيطة بذلك. لقد طلب مني أن أعرف ذلك وحسب - أن أقابلك وأسألك عمّا إذا كنتما قد دخلتما في علاقة جسدية. هذا هو السبب وراء سؤالي لك، وكان جوابك لا».

قال تنغو بحزم وهو يحدِّق في عيني كوماتسو: «هذا صحيح. لم تجمعني أنا وفوكا-إري علاقة جسدية».

لم يشعُر تنغو بأنه يكذب.

قال كوماتسو: «حسناً إذاً». وضع سيجارة مارلبورو أخرى بين شفتيه، وأشعل عوداً من الثقاب. «هذا هو كل ما كنت أحتاج إلى معرفته».

قال تنغو: «إن فوكا- إري فتاة جذابة، ولا شك. ولكن كما تعلم، فأنا تورّطت في أمرٍ خطير للغاية، رغماً عني. لا أودّ أن تتعقّد الأمور أكثر ممّا هي الآن. وفوق ذلك، فقد كنت أواعد امرأة ما».

قال كوماتسو: «أنا أفهم ذلك تماماً. وأعلم أنك بارع للغاية في

مثل هذه الأمور، وأن تفكيرك ناضج للغاية. سوف أبلغ البروفسور إبيسونو بما قلته. وتقبَّل اعتذاري على السؤال. لا تدع ذلك يضايقك».

«إنه لا يضايقني. كلّ ما هنالك أنني استغربتُ أن يوجَّه لي مثل هذا السؤال في هذه اللحظة». صمت تنغو لحظة واحدة، وقال: «ولكن ما الشيء الذي كنتَ تود قوله لي؟».

كان كوماتسو قد انتهى من شرابه وطلب من النادل كأساً طويلاً من النبيذ.

سأل تنغو: «ماذا تودّ أن تشرب؟».

قال تنغو: «سوف أحتسي نبيذاً مثلك».

جلب النادل كأسين إلى الطاولة.

استهل كوماتسو كلامه بعد صمت طويل: «حسناً، أولاً وقبل كلّ شيء، أعتقد أننا بحاجة للكشف قدر استطاعتنا عن بعض جوانب الوضع الذي تورّطنا فيه. نحن جميعاً على أيّ حال في قارب واحد. وأعني نحن الأربعة -أنت وأنا وفوكا-إري والبروفسور إبيسونو».

قال تنغو: «يا لها من مجموعة مثيرة للاهتمام». ولكن بدا أنّ كوماتسو لم يفهم نبرته الساخرة.

تابع كوماتسو كلامه وأضاف: «أعتقد أنّ كلّ واحدٍ منا نحن الأربعة كانت لديه تطلّعاته الخاصة من هذه الخطة، وأننا لسنا جميعاً عند مستوى واحد، ولا نتحرك في اتجاه واحد. وكي أعبِّر عن ذلك بطريقة أخرى، فنحن لم نجدف جميعاً بالإيقاع نفسه والزاوية نفسها».

«ليست هذه هي المجموعة التي يتوقع منها أن تعمل معاً بشكلٍ جيد».

«ربما يكون ذلك صحيحاً».

«وكان قاربنا يمرّ بمنطقة منحدرة ويتّجه صوب شلال».

أقر كوماتسو: «إنّ قاربنا يمر بمنطقة منحدرة بالفعل ويتّجه صوب شلال. لا أبحث عن أعذار، ولكن في البداية كانت الخطة في غاية البساطة. نقوم بعملية خداع للجميع، ونجمع بعض المال. نصفها مزحة ونصفها ربح. كان هذا هو هدفنا. ولكن منذ شارك البروفسور إبيسونو، زادت الحكاية تعقيداً. وأصبحت توجد عدة حكايات فرعية معقّدة تحت سطح الماء، وتسارعت حركة المياه. إعادة كتابتك للرواية تجاوز توقعاتي بكثير، وبفضلها حظيت الرواية بآراء نقدية رائعة وحققت مبيعات مذهلة. وقد دفع ذلك قاربنا إلى مكان غير متوقع - مكان خطر نوعاً ما».

هزّ تنغو رأسه قليلاً: «ليس خطراً نوعاً ما، ولكنه خطير للغاية».

«ربما تكون محقاً».

«لا تتصرّف وكأن الأمر لا يهمّك. فأنت صاحب الفكرة في المقام الأول».

«أوافقك. فأنا صاحب الفكرة وأنا من ضغطَ زرّ الانطلاق. في البداية سارت الأمور بشكلٍ جيد، ولكن للأسف مع المضي قدماً في الخطة فقدتُ السيطرة. إنني أشعر بالمسؤولية عن ذلك، صدقني. وخصوصاً بشأن إشراكك في الخطة، لأنني أجبرتك أساساً عليها. ولكن حان الوقت كي نتوقّف، ونُجري تقييماً لموقفنا الحالي ونخرج بخطّة عمل».

بعد أن أقرَّ بكل ذلك، أخذ كوماتسو نفساً واحتسى بعض الشراب. ثم التقط منفضة السجائر الزجاجية، وكما لو كان رجلاً

أعمى يتحسَّس شيئاً من جميع جوانبه كي يعرف ما هو، مرَّر أصابعه بعناية على السطح.

وقال أخيراً: «حتى أكون صادقاً معك، لقد حُبست سبعة عشر أو ثمانية عشر يوماً في مكانٍ ما. منذ نهاية أغسطس إلى منتصف سبتمبر. في اليوم الذي حدثَ ذلك فيه كنت في الحي الذي أسكن به، في أول فترة ما بعد الظهيرة، في طريقي إلى العمل. كنت في الطريق إلى محطة جوتوكوجي. توقفت سيارة سوداء كبيرة بجانبي وأُنزل زجاج النافذة لأسفل ثم دعاني شخص ما باسمي. اتجهتُ نحوه، وأنا أتساءل مَن عساه أن يكون، وعندئذٍ قفزَ رجلان من السيارة وسحباني إلى الداخل. كانا قويين للغاية. أحدهما ثبَّت ذراعي من الخلف، فيما وضع الآخر كلوروفورم أو ما شابه على أنفي. تماماً كما يحدث في أفلام السينما، هاه؟ ولكن هذه المادة كانت ذات مفعول، صدّقني. حينما أفقت، وجدتني محتجزاً في غرفة صغيرة بلا نوافذ. جدرانها بيضاء، وتشبه المكعّب. كانت تضمّ سريراً صغيراً ومكتباً خشبياً صغيراً، ولكن لا يوجد بها أيّ كرسي. وكنت مستلقياً على السرير».

قال تنغو: «لقد كنت مختَطفاً؟».

انتهى كوماتسو من تفحّصه في منفضة السجائر، ثم أعادها إلى الطاولة، ونظر إلى تنغو: «نعم. عملية اختطاف حقيقية. كتلك التي حدثت في الفيلم القديم *The Collector*. لا أظنّ أنّ معظم الأشخاص قد تخيّلوا مطلقاً أنهم سوف يتعرّضون ذات يوم للاختطاف. الفكرة نفسها لا تخطر لهم ببال، أليس كذلك؟ لكن عندما يتمّ اختطافك، صدقني، فقد أُختطفت. إنه شيء، لا أدري كيف أعبِّر عنه، غريب؟ لا يمكنك أن تصدق أنّ شخصاً ما قد اختطفك بالفعل. هل يمكنك أن تصدق ذلك؟».

راح كوماتسو يحدِّق في تنغو، كما لو كان ينتظر منه رداً. لكنه كان سؤالاً استنكارياً. بقي تنغو صامتاً، منتظراً منه أن يتابع كلامه. لم يكن قد لمَسَ شرابه. كانت بعض قطرات الرطوبة قد تشكَّلت على جدار الكأس من الخارج، وتبلَّلت القماشة التي بأسفله.

الفصل السادس عشر

يوشيكاوا
آلة لا تكلّ ولا تملّ وعديمة الإحساس

في صباح اليوم التالي جلس يوشيكاوا مرة أخرى بجوار النافذة وواصل مراقبته عبر فجوة في الستارة. كان الأشخاص الذين عادوا إلى المبنى في الليلة السابقة، أو على الأقل الأشخاص الذين يشبهونهم، هم أنفسهم تقريباً الذين يغادرونه الآن. كانت وجوههم لا تزال متجهِّمة وأكتافهم متهدِّلة. إنه يوم جديد قد بدأ لتوه، ومع ذلك كانت تبدو عليهم علامات الضجر والإنهاك. لم يكن تنغو من بين هؤلاء، ومع ذلك مضى يوشيكاوا يلتقط صورة لكلّ وجه يمرّ به. كانت لديه أفلام تصوير كثيرة وكانت هذه الصور تمريناً جيداً له حتى يصبح أكفأ في التقاط الصور خلسة.

عندما انقضت ساعات الذروة الصباحية ورأى أنّ كلّ مَن كان سيخرج قد خرج بالفعل، غادر الشقة وانسلَّ إلى هاتف عمومي في أحد الأكشاك. اتصل بمدرسة يويوجي التأهيلية وطلبَ التحدّث إلى تنغو.

قالت المرأة التي ردَّت على الهاتف: «السيد كاوانا فى إجازة منذ عشرة أيام».

«آمل ألّا يكون مريضاً؟».

«لا، بل أحد أفراد أسرته هو الذي مرض، ولذلك ذهبَ إلى تشيبا».

«هل تعرفين متى سيعود؟».

قالت: «للأسف لم أسأله عن ذلك».

شكرها يوشيكاوا ووضع السماعة.

كان يوشيكاوا يعرف أنّ أسرة تنغو تعني والده فقط، ذلك الأب الذي كان يعمل محصّلاً للاشتراكات في 'إن إتش كيه'. كان تنغو ما زال لا يعرف شيئاً عن والدته. وكان يوشيكاوا يعرف أيضاً أنّ تنغو ووالده كانا دائماً على علاقة سيئة. ومع ذلك أخذ تنغو إجازة من العمل لأكثر من عشرة أيام كي يتفرَّغ لرعاية والده المريض. وجد يوشيكاوا صعوبة في استيعاب ذلك. كيف يمكن أن يرقّ قلب تنغو لوالده بهذه السرعة؟ وأيّ مرض هذا الذي أصابَ والده، وفي أيّ مكان في تشيبا توجد مستشفاه؟ ينبغي أن تكون هناك وسيلة لمعرفة ذلك، رغم أنه سوف يحتاج إلى نصف يوم على الأقل كي يعرف. وسوف يتعيَّن عليه إيقاف المراقبة حتى يعرف.

لم يكن يوشيكاوا يعرف يقيناً ماذا عليه أن يفعل. إذا كان تنغو خارج طوكيو، فلا جدوى إذاً من مراقبة هذا المبنى. ربما يَحسن به أن يوقف المراقبة ويبحث في اتجاه آخر. يجب أن يعرف ما هي المستشفى التي يتلقى والده فيها العلاج، أو يُجري بعض التحريات حول نشأة أَوْمَامِه. يمكنه أن يقابل زملاءها في الجامعة وفي الشركة التي عملت فيها فترة ويجمع المزيد من المعلومات الشخصية عنها. مَن يدري ربما يقدِّم له ذلك بعض المفاتيح الجديدة.

ولكن بعد أن أمعنَ التفكير، قرَّر أن يبقى في مكانه ويواصل

مراقبة المبنى. أولاً، إذا علّق مراقبته في هذه المرحلة، فسوف يفسد الإيقاع اليومي الذي وضعه لنفسه، ويُضطر للبدء مرة أخرى من نقطة الصفر. ثانياً، حتى إذا استطاع أن يحدِّد مكان والد تنغو، وعرف المزيد عن صداقات أَوْمَامِه، فربما لن يعادل المردود عناء ذلك. ربما يكون المشي على الرصيف من أجل استقصاء شيء ما مفيداً حتى نقطة معينة، ولكن ما إن تتجاوز هذه النقطة، فلن تستفيد منه شيئاً. كان يعرف ذلك بحُكم التجربة. ثالثاً، إنّ حدسه يُخبره، بعبارات لا تحتمل اللبس، بأن يبقى حيث هو، يراقب كلّ الوجوه التي تمرّ به، ولا يدَع شيئاً يفوته.

ولذلك فقد استقرّ رأيه على الاستمرار في مراقبة المبنى، سواء كان تنغو حاضراً أو غائباً. إذا بقي في مكانه، فسيكون قد تعرَّف على كلّ الوجوه مع قدوم تنغو. وعندما يتعرَّف على جميع سكان المبنى، سيكون بوسعه أن يعرف بسهولة حينما يحلّ على المبنى وجه جديد. فكر يوشيكاوا، **أنا من الحيوانات اللاحمة. ويجب على الحيوانات اللاحمة أن تتحلى دائماً وأبداً بالصبر. عليها أن تتماهى مع البيئة المحيطة وتعرف كلّ شيء عن فريستها.**

وقبل الظهر بقليل، عندما قلّت حركة الدخول والخروج من المبنى، غادر يوشيكاوا الشقة. حاول أن يتنكَّر بعض الشيء، وارتدى قبعة مشغولة من الصوف ووشاحاً رفعه حتى أنفه، ومع ذلك ظلَّ يلفت الانتباه. فقد كانت القبعة ذات اللون السمني تجثم فوق رأسه الضخم وكأنها غطاء فطر. أمّا الوشاح الأخضر فبدا وكأنه ثعبان كبير يلتف حول عنقه. لم تفلح محاولة التخفي. وفوق ذلك، كان لونا القبعة والوشاح متعارضَين للغاية.

توقف يوشيكاوا عند مختبر تحميض للصور بالقرب من المحطة

وسلَّم فيلمين لتحميضهما. ثم توجَّه إلى مطعم يقدِّم معكرونة السوبا وطلب طبق معكرونة مع التيمبورا. لم يكن قد تناول طعاماً ساخناً منذ مدّة. التهم قطع التيمبورا والخضراوات المقلية ثم شرب الحساء حتى آخره. مع انتهائه من الطعام، بدأ يشعر بالإحماء وبدأ يتعرّق. ارتدى القبعة مرة أخرى، ولفَّ الوشاح حول رقبته، ومضى عائداً إلى الشقة.
وبينما كان يدخِّن سيجارة، رصَّ جميع الصور التي قام بطبعها على الأرضية. وراح يقارن صور الأشخاص الذين يخرجون في الصباح، وصوّر هؤلاء الذين يعودون، وكان إذا طابق بين صورتين، يضعهما معاً. وحتى يميِّزها بسهولة، بدأ يضع اسماً لكل شخص، ويكتب الأسماء على الصور بقلم لبّاد.

وعندما كانت ساعة الذروة الصباحية تنتهي، لم يكن أحد من السكان يغادر المبنى. لكن شاباً - يبدو من ملامحه أنه طالب جامعي، خرج مسرعاً في حوالي العاشرة صباحاً، وقد علق حقيبة في كتفه. وكذلك خرجت امرأةٌ عجوز في السبعين من عمرها تقريباً وبرفقتها امرأة أخرى في منتصف الثلاثينيات ولكنهما ما لبستا أن عادتا تحملان أكياساً من البقالة. التقط يوشيكاوا صورتهما أيضاً. وخلال الصباح جاء ساعي البريد وفرزَ الرسائل الموجودة في كلّ صندوق من الصناديق الموضوعة في المدخل. وجاء عامل توصيل يحمل صندوقاً ثم غادر خالي اليدين، بعد خمس دقائق.

كان يوشيكاوا يترك الكاميرا مرة كلّ ساعة كي يُجري بعض التمارين الرياضية لخمس دقائق. وخلال هذه الدقائق كان يوقف المراقبة، وهو يعرف أنه من المستحيل أن يرصد كل شيء. كان يهمه أكثر ألّا يصيب جسمه الخدار. فعضلاته سوف تبدأ في الضمور وعندئذٍ لن يكون قادراً على إظهار ردّات الفعل السريعة إذا لزم الأمر.

وكما كان جريجور سامسا يفعل حينما تحوَّل إلى خنفساء، راح يوشيكاوا يمدِّد جسمه الممتلئ والمترهِّل ببراعة على الأرضية، ويزيل كلّ تشنجات عضلاته المشدودة.

كان يستمع إلى مذياع على موجة «أيه أم» عبر سماعة أذن حتى يدفع عن نفسه الملل. تجتذب معظم برامج فترة النهار ربات البيوت وكبار السن من المستمعين. وكان الأشخاص الذين يظهرون في البرامج يقولون نكاتاً سخيفة، ثم ينفجرون من الضحك بلا مبرِّر، ويعبرون عن آراء حمقاء ومبتذلة، ويعزفون موسيقى بشعة تجعلك تصمّ أذنيك عنها. وبشكل دوري كانوا يقدِّمون فقرات إعلانية صاخبة لمنتجات لا يُحتمل أن يرغب أحد في شرائها. كان ذلك على الأقل هو ما بدا ليوشيكاوا. لكنه كان يريد أن يسمع أصواتاً لأشخاص، ولذلك احتملَ الاستماع إلى برامج سخيفة، وهو يتساءل عن السبب الذي يجعل الناس ينتجون مثل هذه البرامج الفارغة ويتجشَّمون عناء بثّها عبر الأثير.

لكن ذلك لا يعني أن يوشيكاوا نفسه كان يقوم بعملٍ نبيل ومثمِر، عبر اختبائه خلف الستائر في شقّة رديئة ليس بها سوى غرفة واحدة، والتقاطه خلسة صور الأشخاص. من الصعب عليه أن ينتقد أفعال الآخرين.

لم يكُن ذلك الآن فقط، أيضاً. فقد كان حاله هكذا وهو محامٍ. إنه لا يذكر أنه قد قام بأيّ عمل عادَ بالنفع على المجتمع. كان زبائنه الكبار يديرون شركات مالية صغيرة ومتوسطة وعلى صلة بالجريمة المنظمة. لقد ابتكر يوشيكاوا أكثر الطرق براعة في إخفاء أرباحهم وكان يقوم بكلّ الإجراءات بالنيابة عنهم. وكانت في معظمها عمليات غسيل للأموال. وتورط أيضاً في عمليات شراء وبيع أراضي بأرباح

هائلة: فحينما يضع المستثمرون أعينهم على منطقة سكنية، كان يساعدهم في إخراج السكان القدامى منها حتى يتمكنوا من هدم منازلهم ثم بيع الأرض لشركات التطوير العقاري. وفي سبيل ذلك كانت تُنفق مبالغ مالية ضخمة. وتخصَّص أيضاً في الدفاع عن الأشخاص الذين يلجأون إليه بتهم مرتبطة بالتهرّب الضريبي. كان معظم عملائه من المشبوهين الذّين قد يتردّد أيّ محام عادي في الارتباط بهم بأيّ شكلٍ من الأشكال. أمّا يوشيكاوا فلا يتردَّد لحظة في قبول القضية، ما دام العميل قد طلب منه أن يمثّله، وما دام سوف يتقاضى مبلغاً وقدره. كان محامياً بارعاً ويتمتع بسجلّ حافل، ولذلك لم يجلس قط عاطلاً بلا عمل. وعلى النحو نفسه، بدأت علاقته مع ساكي جاكه. وبغض النظر عن السبب، فقد كان الزعيم يشعر نحوه بإعجاب شخصي.

ولو أنّ يوشيكاوا كان قد سلك الطريق التي يسلكها المحامون العاديون، لكان على الأرجح قد وجد صعوبة في تدبير نفقاته وكسب قوته. كان قد اجتاز امتحان نقابة المحامين قبل أن يمضي وقت طويل على تخرّجه في الكلية، وعليه فقد أصبح محامياً، ولكن لم يكن لديه علاقات أو داعمون متنفذون. وبسبب ملامحه، كان من الصعب أن يوظّفه أي مكتب محاماة مرموق. ولو أنه كان قد سلك طريقاً قويماً، لما قصده سوى قلة قليلة من العملاء. فلا يوجد كثيرون في العالم سوف يتجشّمون مشقّة الاستعانة بمحامٍ بهذه الملامح المنفّرة، ثم يدفعون له أتعاباً باهظة. ربما يمكن أن يلقى اللوم في ذلك على المسلسلات التلفزيونية التي تطرح موضوعات قانونية؛ فقد جعلت الناس يتوقعون أنّ يكون المحامون أشخاصاً على قدر كبير من الذكاء والوسامة.

ولذلك وبمرور الوقت، أصبح يوشيكاوا مرتبطاً بعالم الجريمة. في هذا العالم لم يعبأ الناس بملامحه وهيئته. بل إن مظهره الغريب كان أحد العناصر التي ساعدتهم في الثقة به وقبوله، وذلك لأن أيّاً منهم لم يكن مقبولاً لدى العالم الطبيعي. أعجبتهم سرعة البديهة لديه وقدراته العملية وفصاحته. كانوا يكلّفونه بتحويل مبالغ مالية كبيرة (وهي مهمة لا يمكنهم الاضطلاع بها علناً)، ثم يدفعون له بسخاء. وسرعان ما اكتسب يوشيكاوا الخبرة اللازمة في كيفية الإفلات القانوني. وكانت بداهته وإرادته القوية هما خير معين له في ذلك. لكن لسوء الحظ، فقد أصبح جشعاً للغاية وارتكب بعض الحسابات الخاطئة، وتصرّف بطرق غير قانونية. ورغم أنه تفادى العقوبة الجنائية، فقد طُرد من نقابة المحامين في طوكيو.

أوقف يوشيكاوا المذياع وراح يدخن سيجارة سفن ستارز. كان يسحب الدخان بشدة إلى رئتيه، ثم ينفثه ببطء. وكان يستخدم علبة فارغة لعصير الخوخ كمنفضة سجائر. إذا استمرّ في ذلك، فربما سيموت ميتة مزرية. لن ينقضي وقت طويل حتى يتعثر في طريقه ويسقط وحيداً في مكان مظلم. **حتى لو غادرت هذا العالم، لا أظن أن أحداً سوف ينتبه لذلك. سوف أصرخ في الظلام، ولن يسمعني أحد. ومع ذلك، لا بد من المثابرة حتى الموت. هذه هي الطريقة الوحيدة التي أعرفها. ليست حياة مجيدة، ولكنها الحياة الوحيدة التي أعرف كيف أعيشها.** وحينما يتعلق الأمر بأعمال لا تستحق الثناء، فإنّ يوشيكاوا يصبح هو الشخص الأقدر عليها من أيّ أحد سواه تقريباً.

في الساعة الثانية والنصف غادرت المبنى فتاة شابة تعتمر قبعة بيسبول. لم تكن تحمل أيّ حقائب وسرعان ما دخلت نطاق الكاميرا.

سارع يوشيكاوا بالضغط على زرّ التشغيل والتقط صوراً ثلاثة. هذه هي المرة الأولى التي يراها. كانت شابة جميلة، ونحيلة الجسم وطويلة الأطراف، وقوامها ممشوق وكأنها راقصة من راقصات الباليه. كانت تبدو في السادسة عشرة من عمرها أو السابعة عشرة تقريباً، وترتدي بنطالاً من الجينز باهت اللون، وحذاءً رياضياً أبيض، وجاكيت جلدي رجالي كانت تُدخل شعرها في ياقته. وبعد مغادرة المبنى مشت بضع خطوات، ثم توقفت، وتجهّمت، وراحت تحدّق في عمود الكهرباء الموجود أمامها. ثم أنزلت بصرها إلى الأرض وعادت تنظر مرة أخرى. استدارت يساراً ثم تلاشت من مجال الرؤية لدى يوشيكاوا.

قال يوشيكاوا في نفسه، **هذه الفتاة تشبه شخصاً ما**. شخصاً يعرفه، ورآه مؤخراً. يوحي مظهرها أنها قد تكون مذيعة تلفزيونية. لم يكن يوشيكاوا يشاهد سوى نشرات الأخبار في التلفزيون، ولم يكن يُبدي أدنى اهتمام بنجماته الجميلات.

ضغط يوشيكاوا بشدّة على دواسة السرعة في ذاكرته ودفع ناقل الحركة في دماغه إلى مستوى السرعة القصوى. ضيَّق عينيه واعتصر خلايا دماغه، حتى أضحت وكأنها فوطة غسيل أطباق وقد تمّ عصرها. بدأ يشعر بألم في أعصابه مع هذا الجهد. وفجأة لمعت له فكرة: **هذه ليست إلّا إريكو فوكادا**. لم يكن قد التقاها شخصياً من قبل، ولكنه رأى صورتها في الصفحة الأدبية لإحدى الصحف. كان الإحساس بالشفافية واللامبالاة الذي ينبعث منها هو نفسه ذلك الانطباع الذي تولّد لديه حينما رأى صورتها الصغيرة بالأبيض والأسود التي نشرتها الصحيفة. لا بد أنها هي وتنغو قد التقيا في أثناء إعادته كتابة **الشرنقة الهوائية**. ومن الوارد جداً أن تكون قد وقعت في غرام تنغو وأنها تختبئ في شقته.

ومن دون تفكير تقريباً، التقط يوشيكاوا قبّعته الصوفية، وارتدى معطفه الأزرق الداكن، وتلفّع بوشاحه. غادر المبنى ومشى في الاتجاه الذي رآها تسلكه.

كانت مشيتها سريعة للغاية. وقال في نفسه، ربما يكون اللحاق بها مستحيلاً. ولكنها لم تكن تحمل شيئاً، ما يعني أنها لن تذهب بعيداً. عوضاً عن مراقبتها والمخاطرة بلفت انتباهها، ألا يجدر به أن ينتظرها ريثما تعود؟ فكّر يوشيكاوا في ذلك، ولكنه لم يستطعْ التوقف عن تتبّعها. كان في الفتاة شيء غامض أثار لديه الشكوك. إنه الشعور ذاته الذي يداخل المرء وقت الشفق حينما يثير شعاعُ ضوء مبهم اللون ذكرى معينة.

وقع بصره عليها بعد مدة. كانت فوكا-إري قد توقفت أمام قرطاسية صغيرة وراحت تنظر باهتمام داخلها. لا بد أن هناك شيئاً قد استرعى انتباهها. أدار يوشيكاوا ظهره لها ووقف أمام ماكينة بيع مشروبات. أخرج بعض قطع النقود واشترى كوب قهوة ساخنة.

وأخيراً غادرت الفتاة مرة أخرى. وضع يوشيكاوا كوب القهوة الذي كان قد انتهى من نصفه عند قدميه ومضى في أثرها تاركاً بينهما مسافة آمنة. بدا أن الفتاة تركّز بشدة في عملية المشي، كما لو أنها تتزلج على سطح بحيرة هادئة. مَن يمشي بهذه الطريقة المميزة، فلن يَغرق أو يُبلل حذاءه. كان يبدو وكأنها تعرف سرّ هذه المشية.

هناك شيء مختلف يميّز هذه الفتاة. لديها شيء خاص لا يملكه معظم الناس. لم يكن يوشيكاوا يعرف الكثير عن إريكو فوكادا. ولكن وفقاً للمعلومات التي جمعها، فهي الابنة الوحيدة للزعيم، وقد هربت من ساكي جاكه وهي في العاشرة من عمرها، وكبرت في كنف أسرة باحث شهير يُدعى البروفسور إيبسونو، وكتبت رواية بعنوان الشرنقة

الهوائية، التي أعاد تنغو كاوانا كتابتها وغدت ضمن لائحة الكتب الأفضل مبيعاً. ولكن كان يُفترض أنها مفقودة الآن - فقد تمّ إبلاغ الشرطة بذلك، ومنذ مدة ليست ببعيدة قامت الشرطة بتفتيش مقر ساكي جاكه.

يبدو أنّ مضمون **الشرنقة الهوائية** قد أثار انزعاج ساكي جاكه. وكان يوشيكاوا قد اشترى الرواية وقرأها بعناية، ولكنه لم يعرف أي جزء منها ولماذا أثارت انزعاجهم. رأى أنّ الرواية رائعة وأُعجب بأسلوب كتابتها. ولكنها بالنسبة إليه، كانت عملاً خيالياً لا يضرّ أحداً، وكان يرى أنّ العالم كله يجب أن يوافقه الرأي. أُناس صغار يخرجون من فم ماعز، وينسجون شرنقة هوائية، وتنقسم الشخصية الرئيسة إلى **مازا ودوهتا**، في حكاية تضمّ قمرين اثنين. أين إذاً في كلّ هذه القصة الخيالية تلك الأشياء التي يمكنها أن تضرّ ساكي جاكه إذا خرجت للعلن!؟

ولكن إذا كانت إريكو فوكادا شخصية معروفة، فسوف يكون القيام بأيّ عمل ضدّها مخاطرة بالغة. وهذا هو السبب، حسبما خمَّن يوشيكاوا، الذي جعلهم يريدون منه التواصل مع تنغو. كان يوشيكاوا يرى أن تنغو مجرد لاعب صغير ضمن مخطط كبير، ولم يكن يفهم سبب انشغالهم الشديد بتنغو. ولكن لأنّ يوشيكاوا كان مجرد جندي مشاة في هذه المهام، فقد كان عليه أن يطيع الأوامر من دون نقاش. كانت المشكلة التي واجهته هي أنّ تنغو سارع برفضِ المقترح السخيّ الذي اجتهد يوشيكاوا في إعداده له، ولذلك فقد توقف سعيه فجأة لإقامة علاقة مع تنغو محدِثاً صوتاً زاعقاً. وبينما كان يفكر في طريقة أخرى، إذا بوالد إريكو فوكادا، الزعيم، يموت، وبقي الحال على ما هو عليه.

ولذلك كان يوشيكاوا يجهل أين تقع بؤرة اهتمام ساكي جاكه، بل لم يكن حتى يعرف مَن هو المسؤول هناك الآن بعد غياب الزعيم. ولكنهم كانوا في كل الأحوال يحاولون الوصول إلى أَوْمَامِه، ومعرفة قاتل الزعيم والسبب الذي دفَعه لذلك. لا بد أنهم سوف يُنزلون بمن فعلَ ذلك أشدّ العقاب. وقد استقرّ عزمهم على إبعاد القانون عن المسألة برمتها.

فماذا إذاً عن إريكو فوكادا؟ وكيف يرى ساكي جاكه الآن الشرنقة الهوائية؟ ألا يزالون يرون في الكتاب تهديداً؟

لم تبطئ إريكو فوكادا من خطواتها أو تلتفت وراءها، وكأنها حمامة زاجل تمضي مباشرة إلى وجهتها. وسرعان ما تبيّن له أنّ وجهتها لم تكن سوى متجر سوبر ماركت، اسمه «ماروشو». حملت فوكا-إري سلة التسوق في يدها، وراحت تنتقل من ممر إلى آخر وتختار أطعمة معلّبة وأخرى طازجة. كان مجرد اختيارها رأساً واحدة من الخس يستغرق وقتاً؛ كانت تتفحّصها من كلّ زاوية ممكنة. قال يوشيكاوا في نفسه، **سوف تستغرق دهراً**. غادر السوبر ماركت، واجتاز الشارع إلى محطة للحافلات، حيث تظاهر بأنه ينتظر الحافلة فيما راح يرقب بعينيه مدخل المتجر.

طال انتظار يوشيكاوا ومع ذلك لم تظهر الفتاة. بدأ القلق يساوره. ربما غادرت عبر مخرج آخر؟ لكن بحسب علمه، فليس لهذا المتجر سوى باب واحد، وهو ذاك الذي يواجه الشارع الرئيس. ربما كان التسوّق يستغرق لديها وقتاً طويلاً. تذكّر يوشيكاوا الجدية التي بدت في عينيها الغائرتين وهي تنظر في رؤوس الخس وقرّر الانتظار. جاءت ثلاث حافلات وغادرت. في كلّ مرة كان يوشيكاوا هو

الشخص الوحيد الذي يبقى في المحطة. ندم لأنه لم يُحضر معه صحيفة. كان يمكنه أن يتوارى خلفها. عندما تراقب أحداً، يصبح وجود صحيفة أو مجلة ضرورة لا غنى عنها. ولكن لم يكن بوسعه أن يفعل شيئاً، فقد ألقى بكلّ ما في يديه وغادر الشقة مسرعاً وهو خالي اليدين.

عندما ظهرت فوكا-إري أخيراً، كانت ساعته تشير إلى 3:35. لم تنظر الفتاة نحوه، ولكنها مضت في الاتجاه الذي جاءت منه. انتظر يوشيكاوا بعض الوقت ثم انطلق في أثرها. بدا أن كيسيّ التسوّق ثقيلين، ومع ذلك كانت تحملهما بخفة، وتمشي في الشارع وكأنها حشرة تقفز على سطح بركة صغيرة من الماء.

قال يوشيكاوا في نفسه مرة أخرى وهو يرقبها: **يا لها من فتاة غريبة. وكأني أشاهد فراشة نادرة. تسرّ الناظرين ولكنك لا تستطيع أن تلمسها، لأنك إذا فعلت فسوف تموت في الحال ويذهب ألقُها.** وسوف يضع ذلك نهاية لحلمه الغريب.

فكر يوشيكاوا سريعاً ما إذا كان عليه أن يبلِّغ ثنائي ساكي جاكه بأنه قد اكتشف مكان فوكا-إري. كان قراراً صعباً. إذا أخبرهما بأنه قد عثر عليها، فسوف يُسجَّل ذلك حتماً باعتباره نقطة في صالحه. على الأقل، لن تضرّ مكانته عندهما، ويمكنه بذلك أن يثبت لهما أنه يحرز تقدماً ملموساً. ولكنه إذا صرف تركيزه نحو فوكا-إري، فربما يؤثر ذلك في حظوظه للوصول إلى الهدف الحقيقي لبحثه وهي أَوْمَامِه. وتلك ستكون كارثة. فماذا يفعل؟ دسّ يديه في جيبي معطفه القصير، ورفع الوشاح حتى غطى أنفه، واستمر في متابعتها، مُبقياً على مسافة فاصلة أطول ممّا كانت.

قد يكون تتبّعي لها هو لأني كنت أرغب في رؤيتها. لاحت له

فجأة هذه الفكرة. إن مجرد رؤيتها وهي تخطو عبر الطريق، وتمسك بكيسين من البقالة، قد جعل صدره ضيقاً حَرَجاً. إنه يشبه شخصاً محشوراً بين جدارين، لا يمكنه أن يمضي إلى الأمام ولا إلى الوراء. أصبحت أنفاسه متقطعة وغير طبيعية، وبدأ يجد صعوبة كبيرة في التنفس، وكأنما قد علِق وسط دفقة ريح راكدة. كان شعوراً غريباً لم يجرّبه من قبل.

على أيّ حال، سوف أدعها تذهب الآن. سوف ألتزم بخطتي الأصلية وأركز على أَوْمَامِه. أَوْمَامِه قاتلة. وأيّاً كان السبب الذي دفعها لذلك - فهي تستحقّ العقاب. لم يكن يرى ضيراً في أن يُسلّمها إلى ساكي جاكه. ولكن هذه الفتاة مختلفة. إنها مخلوق هادئ وصغير يعيش في أدغال الغابة، وذات جناحين ضعيفين وتبدو وكأنها طيف أو شبح. استقرّ رأيه، **سوف أراقبها من بعيد فقط.**

انتظر يوشيكاوا بعض الوقت بعد أن تلاشت فوكا-إري عند مدخل الشقة، وفي يديها كيسا البقالة، قبل أن يدخل هو الآخر. مضى إلى غرفته، وخلع الوشاح والقبعة، ثم مالَ نحو الكاميرا. كان يشعر ببرودة في خدّيه بسبب الرياح. دخّن سيجارة وشرب بعض المياه المعدنية. كان يشعر بحرقة في حلقه، وكأنما قد أكل شيئاً حاراً للغاية.

هبط الشفق، وأضيئت أنوار الشوارع، واقترب موعد عودة الناس إلى بيوتهم. وبينما كان يوشيكاوا لا يزال يرتدي معطفه القصير، كان يمسك بجهاز التحكّم عن بُعد في مصراع الكاميرا وهو يرصد باهتمام مدخل المبنى. ما إن تلاشى ضوء شمس ما بعد الظهيرة، حتى زادت برودة غرفته الخاوية. بدا أنّ هذه الليلة ستكون أشدّ برودة من سابقتها. فكّر يوشيكاوا في الذهاب إلى متجر الأجهزة الكهربائية

المخفّضة الكائن أمام محطة الحافلات كي يشتري مدفأة كهربائية أو بطانية كهربائية.

ظهرت إريكو فوكادا عند المدخل مرة أخرى في الرابعة وخمس وأربعين دقيقة. كانت ترتدي الكنزة السوداء نفسها ذات الياقة المدورة وبنطالاً من الجينز، ولكن من دون جاكيت جلدي. كشفت الكنزة الضيقة عن نهدين عامرين. كانت تمتلك نهدين ممتلئين مقارنة بجسمها النحيل. شاهد يوشيكاوا هذا الامتلاء الجميل عبر عدسة الكاميرا، وشعر مرة أخرى بضيق في الصدر وصعوبة في التنفس.

ولأنها لم تكُن ترتدي الجاكيت، فلا بدّ أنها لن تذهب بعيداً. وكما فعلت من قبل، توقّفت عند المدخل، وضيّقت عينيها، ثم نظرت لأعلى حيث عمود الكهرباء القائم أمامها. كانت أجواء العتمة قد بدأت تَغشى المكان، ولكن بإمكانك أن تتبيّن هيئة الأشياء إذا دققت النظر. وقفتْ هناك لبرهة وكأنما تبحث عن شيء ما. ولكنها على ما يبدو لم تجد ذلك الشيء الذي تبحث عنه. توقفت عن النظر إلى أعلى العمود، ثم وكأنها طائر، لفَّت رأسها وراحت تحدق في الأشياء التي من حولها. ضغط يوشيكاوا على زرّ جهاز التحكّم من بُعد والتقط صورة لها.

وكأنما قد سمعت صوت مصراع الكاميرا، استدارت فوكا-إري كي تنظر مباشرة في اتجاه الكاميرا. عبر عدسة الكاميرا أصبح يوشيكاوا وجهاً لوجه مع فوكا-إري. كان يوشيكاوا يرى وجهَها بوضوح بالغ. لكنه على أيّ حال، كان ينظر عبر عدسة تصوير مقرِّبة. أما في الناحية الأخرى من العدسة، فكانت فوكا-إري تحدِّق نحوه بشدّة. وبنظرة ثاقبة للعدسة، استطاعت أن تراه. انعكس وجه يوشيكاوا بوضوح داخل هاتين العينين شديدتي السواد. استغرب

يوشيكاوا أن يكون هو وهي على هذا الاتصال المباشر. ازدردَ ريقه. **غير معقول. وهي في مكانها، لا يمكنها أن ترى أي شيء. إن العدسة مخبّأة، وصوت المصراع يتمّ كتمه بمنشفة ملفوفة حوله، ولا يمكنها وهي في مكانها أن تسمعه.** لكنها ظلَّت واقفة عند المدخل، وراحت تحدِّق في المكان الذي يختبئ به. كانت نظرتها القاسية التي تحدِّق مباشرة نحو يوشيكاوا ثابتة، وتشبه ضوء نجمٍ ينسكب على صخرة ضخمة ومجهولة.

بقيا الاثنان مدّة، لم يدرك يوشيكاوا كم من الوقت استغرقاه في ذلك، يحدّقان بعضهما في بعض. وفجأة استدارت فوكا-إري إلى الخلف ومضت إلى المدخل، وكأنها قد رأت كلّ ما ينبغي لها أن تراه. بعد تلاشيها، زفر يوشيكاوا كلّ الهواء الذي كان يحتبسه في رئتيه، ثم انتظر لحظة، واستنشق بعمق هواء نقياً. شعر وكأنّ الهواء البارد قد استحال أشواكاً لا حصر لها داخل رئتيه.

كان الناس يعودون، تماماً كما فعلوا الليلة السابقة، فيمرّون من تحت أضواء المدخل، واحداً تلو الآخر. لكن يوشيكاوا لم يعُد ينظر عبر عدسة الكاميرا. ولم يعُد يمسك بيده جهاز التحكّم عن بُعد في مصراع الكاميرا. لقد انتزعت منه الفتاة بنظرتها الثابتة، القوة وكأنما قد غرزت في صدره إبرة طويلة من الصُلب، حتى بدا وكأنها قد خرجت من الجانب الآخر.

أدركت الفتاة أنه كان يراقبها خفية، وأنها كانت تُصوَّر بكاميرا مخبّأة. لم يستطعْ أن يتبيَّن كيف، ولكن فوكا-إري أدركت ذلك. لعلّها أدركته عبر حاسّة خاصة تمتلكها.

كان في حاجة ماسّة إلى بعض الشراب، وإلى أن يملأ كوباً من الويسكي حتى آخره ثم يشربه دفعة واحدة. فكَّر في الخروج لشراء

قنينة من الشراب. كان يوجد بالقرب منه متجرٌ لبيع المشروبات الكحولية. ولكنه صرف نظره عن ذلك، فالشراب لن يغيِّر من الأمر شيئاً. لقد رأته عبر الجانب الآخر من عدسة الكاميرا. **هذه الفتاة الجميلة رأتني، ورأت رأسي المنبعج واطَّلعت على روحي القذرة، وأنا أختبئ هنا، وألتقط الصور في الخفاء.** لا شيء يمكن أن يُغيِّر هذه الحقيقة.

ترك يوشيكاوا الكاميرا، وأسندَ ظهره إلى الحائط، وراح ينظر في السقف الملطّخ. وسرعان ما بدا له كلّ شيء خاوياً. لم يشعر من قبل بالوحدة كما شعرَ بها الآن، ولم يتصوَّر قطّ بأنّ الظلام يمكن أن يكون دامساً إلى هذا الحدّ. تذكّر منزله في تشورينكان، وحديقته وكلبه، وزوجته وابنتيه، والشمس الساطعة هناك. وفكَّر في الحمض النووي الذي أورثه ابنتيه، الحمض النووي لرأس منبعج وروح ملتوية.

بدا له أنّ كلّ ما فعله كان بلا طائل. لقد استنفدَ جميع الورق الذي وُزِّع عليه، وهو في الأصل ليس بارعاً في اللعبة. لقد حصل على ورق سيئ واستخدمه كأفضل ما يكون في بعض الرهانات الذكية. بدت الأمور وكأنها في طريقها نحو النجاح لفترة معينة، لكن تبين له الآن أنّ الورق قد نفد. أطفأ المصباح الموجود أعلى الطاولة، وغادر جميع اللاعبين الغرفة.

في ذلك المساء لم يلتقط أيّ صورة. وبينما كان متكئاً إلى الحائط، راح يدخن سيجارة «سفن ستارز»، وفتح علبة خوخ أخرى والتهم محتواها. وفي الساعة التاسعة ذهب إلى الحمّام، ونظّف أسنانه، وبدّل ثيابه، وانسلّ إلى منامته، وحاول أن ينام فيما كانت فرائصه ترتجف. كان الجو بارداً، ولكن الرجفة التي أخذته لم يكن سببها البرد وحده. كان يبدو أن البرد ينبعث من داخل جسمه. سأل

نفسه في العتمة، لا أدري مِن أين أتيتُ؟ وإلى أين أنا ذاهب بحق الجحيم؟

كان لا يزال يشعر بوخزات الألم التي أعقبت نظرتها له. لعلّ أثرها لن يتلاشى أبداً. وتساءل، **أو لعلّها كانت موجودة دائماً، ولكني لم أكُن ألحظها؟**

في صباح اليوم التالي، بعد وجبة إفطار تكوّنت من الجبن والمكسّرات مع كوب من القهوة الفورية، استجمع قواه وجلس مرة أخرى أمام الكاميرا. وكما فعل في اليوم السابق، راح يرصد الخارجين والعائدين ويلتقط بعض الصور. ومع ذلك، لم يكن تنغو وفوكا-إري من بين هؤلاء. كانوا أشخاصاً بظهورٍ محنيّة وأكتافٍ متهدّلة، لا تحملهم سوى قوة العادة في يومهم الجديد. كان الطقس لطيفاً، والرياح قوية. وكانت أنفاسهم تخرج بيضاء ثم تدور كأعمدة في الهواء.

استقرّ عزم يوشيكاوا، **لن أشغل نفسي بأيّ شيء غير ضروري. سأكون متبلّد المشاعر وقاسي القلب. وأعيش حياتي يوماً بيوم، لا أفعل إلّا ما هو مطلوب مني فقط. فأنا مجرّد آلة. آلة لا تكلّ ولا تملّ وعديمة الإحساس. آلة تستقبل وقتاً جديداً من ناحية، فتُخرجه وقتاً قديماً من الناحية الأخرى. وهي موجودة لمجرّد الوجود.** كان بحاجة إلى العودة مرة أخرى إلى هذه الدورة النقية والنظيفة، والحركة الأبدية التي سوف تنتهي ذات يوم. استجمع إرادته وضبط انفعالاته، محاولاً إزاحة صورة فوكا-إري عن ذهنه. خفّت الآن حدّة الألم الذي أحسّ به في صدره جرّاء نظرتها الحادة، ولم يعُد يزيد إلّا قليلاً عن أيّ ألم عادي. وقال في نفسه، حسناً. **لا أرغب في أكثر من**

ذلك. ها قد عُدت جهازاً بسيطاً مرة أخرى، جهازاً بسيطاً بتفاصيل معقّدة.

قبل الظهر ذهب إلى متجر البقالة القريب من المحطة واشترى مدفأة كهربائية صغيرة. ثم مضى إلى المطعم نفسه الذي تناول فيه المعكرونة من قبل، وفتح جريدته وتناول طبقاً ساخناً من حساء التمبورا. وقبل عودته إلى الشقّة توقف عند المدخل وراح ينظر إلى عمود الكهرباء محدِّقاً في النقطة ذاتها التي كانت فوكا-إري تحملق فيها يوم أمس، لكنه لم يجد ما يلفت الانتباه. لم يكن هنالك سوى مُحوِّلٍ وأسلاك كهربائية سميكة تتشابك فيما بينها وكأنها جمعٌ من الثعابين. ما الذي كانت تنظر إليه؟ أو هل كانت تبحث عن شيء ما؟

حينما عاد إلى غرفته، شغَّل المدفأة الكهربائية. غمر ضوءٌ برتقالي حياته وبدأ يشعر بدفء جميل. لم تكن المدفأة تكفي لتدفئة المكان كله، لكنها أفضل من لا شيء. أسند يوشيكاوا ظهره إلى الحائط وثنى ذراعيه، وأخذَ إغفاءة قصيرة في بقعة صغيرة كانت تغمرها الشمس. نام نوماً عميقاً وصافياً.

أخرجه من هذا النوم الهانئ والعميق صوت طرقة. ثمة شخص يطرق بابه. استيقظ فزعاً وأخذ ينظر حوله، ولبرهة لم يكن يدري أين هو. وقع بصره على الكاميرا أحادية العدسة والموضوعة على حامل ثلاثي القوائم، فتذكر أنه في غرفة داخل شقة في كوينجي. ثمة شخص كان يقرع الباب بقبضته. وبينما كان يوشيكاوا يستجمع وعيه سريعاً، انتبه إلى أنه من الغريب أن يطرق الباب أحد. للباب جرس وما عليكَ إلّا الضغط على زرّ. إنه عمل في غاية السهولة. ومع ذلك أصرَّ هذا الشخص على طرق الباب - طرقه بكلّ ما أوتي من قوة. امتعض

يوشيكاوا ونظر في ساعته. كانت تشير إلى الواحدة وخمس وأربعين دقيقة ظهراً. وكان جلياً أن الوقت نهار في الخارج.

لم يُجب الطارق. لم يكن هناك أحدٌ يعرف بوجوده هنا، ولم يكن هو نفسه ينتظر أيّ زوار. لا بد أنه بائع، أو شخص يُسوِّق لاشتراكات الصحف. أيّاً كان هؤلاء الذين يحتاجون إليه، فهو قطعاً لم يكن بحاجة إليهم. ورغم أنه ظلّ مستنداً إلى الحائط، فقد راح يحدِّق في الباب في صمت. سوف يكفّ عن طرق الباب بعد قليل وينصرف.

لكنه لم يفعل. كان يتوقف عن الطرق، ثم يستأنفه مرة أخرى. بوابل من الطرقات، ثم يتوقف لعشر أو خمس عشرة ثانية، ثم يعود بوابلٍ جديد من الطَرقات. كانت طرقات ثابتة، لا يعتريها أيّ تردّد، كلّ طرقة تماثل تلك التي تتلوها تقريباً. من البداية إلى النهاية كانت هذه الطرقات تطالب يوشيكاوا بالردّ. زاد قلقه. هل الشخص الموجود على الجانب الآخر من الباب هي إريكو فوكادا؟ وقد جاءته تشكو إليه سلوكه المشين بتصويره الناس خلسة؟ بدأ قلبه يخفق بشدّة. لعق شفتيه بلسانه السميك. ولكن هذه الطَرقات الشديدة على باب من الصلب لا يمكن أن تَصدر إلّا عن قبضة رجل قوي، لا قبضة فتاة.

أو لعلّها أبلغت شخصاً آخر بما كان مِن يوشيكاوا، وهذا الشخص هو الموجود أمام الباب؟ ربما يكون موظفاً من مكتب العقارات، أو ربما رجل شرطة؟ ليس هذا بالأمر الجيد. ولكن أيّ موظف بمكتب العقارات سيكون لديه مفتاح وبإمكانه أن يفتح الباب بنفسه، كما أن رجال الشرطة سوف يُفصحون عن هويتهم. لا أحد يمكن أن يطرق الباب هكذا. كانوا بكل بساطة سوف يدقون الجرس.

نادى رجل ما: «يا سيد كوزو. يا سيد كوزو».

تذكر يوشيكاوا أنّ كوزو هو اسم الساكن السابق للشقة. لقد بقي اسمه على صندوق البريد. هذا ما فضَّله يوشيكاوا . لا بد أنّ الرجل الواقف بالخارج يعتقد أنّ السيد كوزو لا يزال يسكن الشقة.

ردَّد الرجل بالنبرة نفسها: «يا سيد. كوزو. أنا أعرف أنك موجود هنا. لدي شعور بأنك تختبئ بالداخل، وتحاول الالتزام بالصمت التام».

كان صوتاً لرجلٍ في منتصف العمر، ليس بالصوت المرتفع، ولكنه أجشّ قليلاً. كان صوته في جوهره به بعض القساوة، قساوة لبنة ألقيت في التنور ثم تُركت حتى جفت. وربما لذلك، كان صدى صوته يُدوي في أرجاء المبنى.

«يا سيد كوزو، أنا من شركة 'إن إتش كيه'. وقد جئتكَ لتحصيل الاشتراك الشهري. سأكون ممتناً لو فتحت الباب».

لم يكن يوشيكاوا ينوي دفع أيّ رسوم لاشتراك 'إن إتش كيه'. **قال في نفسه، ربما يكون الأجدر به أن يسمح للرجل بالدخول ويُريه الشقة. ويقول له، انظر، لا يوجد في الشقة جهاز تلفزيون، أليس كذلك.** ولكنه إذا رأى يوشيكاوا، بملامحه الغريبة، وهو حبيس وحده داخل شقة لا تحتوي على قطعة أثاث واحدة في منتصف النهار، فربما يُثير ذلك شكوكه.

«يا سيد كوزو، يجب على كلّ شخص لديه جهاز تلفزيون أن يدفع الاشتراك. هذه هي القاعدة. بعض الناس يقولون إنهم لا يشاهدون 'إن إتش كيه' نهائياً، ولذلك لن يدفعوا. ولكن حجّتهم ضعيفة. لا يهم إن كنت تشاهد 'إن إتش كيه' أو لا، ما دام لديك جهاز تلفزيون فعليك أن تدفع».

إذاً هو مجرد محصّل للاشتراكات. دعهُ يُخرج الشقة من رأسه.

لا ترد، وسوف يغادر من نفسه. ولكن كيف له أن يجزم بأن هناك أحداً ما داخل الشقة؟ منذ أن عاد يوشيكاوا إلى الشقة قبل ساعة أو نحو ذلك، لم يغادرها مرة أخرى. ولم يُصدر أيّ صوت، وهو يُبقي الستائر مُسدَلة دائماً.

قال الرجل وكأنه يقرأ أفكار يوشيكاوا: «يا سيد كوزو، أنا أعلم جيداً أنك موجود هنا. لا بد أنك تستغرب أني أعرف ذلك. ولكني أعرف فعلاً، أعرف أنك بالداخل. وأنك لا تريد دفع رسوم الاشتراك، ولذلك تلتزم الصمت. وأنا أعرف ذلك جيداً».

بدأت الطرقات المتجانسة مرة أخرى. قد تتخلّلها وقفات قصيرة، وكأنه عازف على آلة نفخ يتوقف كي يأخذ نفساً، ثم يبدأ الطرق مرة أخرى، دون أن يغيّر إيقاعه.

«فهمتك يا سيد كوزو. لقد قرّرتَ أن تتجاهلني. حسناً. سأغادر اليوم. لديّ أشياء أخرى يجب القيام بها. ولكني سأعود. تذكّر كلماتي. إذا قلت إنني سأعود، فثقْ أنني سأفعل. أنا لستُ محصّلَ اشتراكات عادي. ولا أيأس أبداً حتى أحصل على ما أراه حقي. ولا أتراجع أبداً. إنه شيء يشبه مراحل القمر، أو الحياة والموت. لا مفرّ منها».

أعقب ذلك صمتٌ طويل. لم يكد يوشيكاوا يظنّه قد رحل، حتى انبرى المحصّل يتحدث من جديد.

«سأعود قريباً، يا سيد كوزو. انتظرني. سوف تسمع طرقاتي على الباب حينما لا تتوقّعها. بوم بوم. سأكون أنا من يدق».

لم يعد يسمع أيّ طرقات على الباب الآن. أَصغى يوشيكاوا باهتمام. ظنَّ أنه سمع وقع خطوات تبتعد عبر الممر. سارع إلى

الكاميرا وثبّت نظرته على مدخل الشقة. لا بد أنّ محصّل الاشتراكات سوف يُتمّ عمله في المبنى سريعاً ويغادر. كان عليه أن يتحقّق من هوية هذا الرجل ويعرفه. كان محصلو الاشتراكات في 'إن إتش كيه' يلبسون زياً خاصاً، ويجب أن يميِّز شكله على الفور. ولكنه ربما لا يعمل في الحقيقة لدى 'إن إتش كيه'. ربما كان يتظاهر بأنّه محصل كي يجعل يوشيكاوا يفتح الباب. وفي كلتا الحالتين، سيكون شخصاً لم يره يوشيكاوا من قبل. وبينما كان يمسك بجهاز التحكم في يده اليمنى، راح ينتظر ظهور الشخص المحتمل.

لم يدخل أحد إلى المبنى أو يغادره خلال الدقائق الثلاثين التالية. وأخيراً، خرجت امرأة في منتصف عمرها كان قد رآها عدة مرات وركبت دراجتها. كان يوشيكاوا يطلق عليها اسم «صاحبة اللغد» بسبب شحم زائد يتدلى من تحت ذقنها. بعد نصف ساعة عادت صاحبة اللغد، ومعها أكياس تسوّق وضعتها في سلة الدراجة. أوقفت دراجتها في مكان وقوف الدراجات ودخلت إلى المبنى والأكياس في يدها. بعد ذلك، عاد تلميذٌ في مدرسة ابتدائية إلى منزله. كان يوشيكاوا يُسميه «ثعلب»، لأنّ عينيه كانتا تميلان إلى أعلى. ولكنه لم يرَ أحداً يمكن أن يكون محصّلاً للاشتراكات. أثار ذلك حيرة يوشيكاوا. ليس للمبنى سوى مدخلٍ ومخرج وحيد، وكان قد أبقى عينيه مثبتتين على المدخل. إذا كان محصل الاشتراكات لم يخرج، فهذا يعني أنه لا يزال داخل المبنى.

واصلَ مراقبة المدخل من دون انقطاع. لم يذهب إلى الحمام. غابت الشمس، وحلّ الظلام، وأضيئت أنوار المدخل. ومع ذلك لم يظهر المحصّل. بعد الساعة السادسة، نالَ اليأس من يوشيكاوا. ذهب إلى الحمام وأخرجَ كلّ البول التي كان يحتبسه. كان الرجل حتماً لا

يزال في المبنى. لماذا، هذا ما لم يعرفه. إنه أمرٌ غير مفهوم. ولكن هذا المحصل الغريب قرَّر أن يبقى داخل المبنى.

كانت الرياح، وقد زادت برودتها الآن، تُحدث صفيراً حينما تمرّ عبر الأسلاك الكهربائية المتجمدة. أوقد يوشيكاوا المدفأة، وبينما كان يدخّن سيجارة راح يفكر في الأمر برمته. **لماذا كان هذا الرجل يتكلم بهذه اللهجة المتحدية والعدوانية؟ لماذا كان واثقاً أن هناك أحداً ما بالشقة؟ ولماذا لم يغادر المبنى؟ وإذا كان لم يغادر، فأين هو؟**

ترك يوشيكاوا الكاميرا، وأسند ظهره إلى الحائط، وراح يحدّق في أسلاك المدفأة المتوهّجة برتقالية اللون.

الفصل السابع عشر

أَوْمَامِه

ليس لي سوى عينين اثنتين

كان يوم سبت عاصف، وبينما كانت الساعة تُشير إلى الثامنة مساء تقريباً، رنّ الهاتف. كانت أَوْمَامِه ترتدي جاكيت مبطناً وتضع بطانية فوق حجرها وتجلس في الشرفة. وعبر فجوة في الستارة، كانت ترصد الزلاقة الموجودة في الملعب، الذي كان يضيئه مصباح بخار الزئبق. كانت تضع يديها تحت البطانية حتى لا يصيبهما الخدار. بدت الزلاقة الخالية وكأنها هيكل عظمي لحيوان ضخم مات في العصر الجليدي.

ربما لا يكون جلوسها في الخارج في ليلة باردة ملائماً للجنين، ولكن أَوْمَامِه رأت أنّ برودة الطقس لم تبلغ تلك الدرجة التي تمثّل خطراً عليه. وبغضّ النظر عن درجة برودة الجو، فإنّ السائل الأميني الذي يحيط بالجنين، كما الدم، يحتفظ تقريباً بدرجة حرارة واحدة. أقرّت في نفسها، هناك أماكن كثيرة في العالم أشدّ برودة وقسوة. ومع ذلك لا تزال النساء يلدن الأطفال هناك. ولكنها فوق كلّ ذلك، كانت تشعر بأنّ عليها أن تحتمل هذا البرد إن كانت تريد رؤية تنغو مرة أخرى.

كحالهما دائماً، كان القمر الأصفر الكبير ورفيق دربه الأخضر الصغير يسبحان في السماء الشتوية. كانت تتحرّك سريعاً عبر السماء غيوم ذات أحجام وأشكال متنوعة. كانت الغيوم بيضاء ولكنها كثيفة وذات حوافّ واضحة، وبدت لأَوْمَامِه وكأنها كتلٌ ثلجية صلبة تطفو فوق نهر ذاب جليده وقد اتخذت طريقها إلى البحر. وبينما كانت أَوْمَامِه تنظر إلى الغيوم التي تظهر هنا وتتلاشى هناك، أحسّت بأنها قد نُقلت إلى مكان بالقرب من حافة العالم. كانت هذه هي الحدود الشمالية للعقل. لم يكن هناك شيء فيما وراء الشمال - لا شيء سوى الفوضى والعدم.

كان الباب الزجاجي للشرفة موارباً، ولذلك جاء رنين الهاتف خافتاً، فيما كانت أَوْمَامِه مستغرقة في التفكير، ومع ذلك انتبهت للصوت. رنّ الهاتف ثلاث مرات، وتوقّف، ثم بعد عشرين ثانية رنّ مرة أخرى. لا بد أنه تامارو. ألقت البطانية جانباً، وفتحت الباب الذي تغبّش زجاجه، واتجهت إلى الداخل. كانت الشقة معتمة في الداخل ودرجة حرارتها مقبولة. رفعت السماعة، رغم أنها كانت لا تزال تشعر ببرودة في أصابعها.

«أما زلت تقرئين رواية بروست؟».

قالت: «لكني لا أتقدّم فيها كثيراً». بدا ذلك وكأنه أشبه بتبادل لكلمة سرّ.

«ألم تُحبيها؟».

«ليس هذا ما أقصده. لا أدري كيف أقول ذلك، ولكنها قصّة تدور حول مكان مختلف، مكان هو النقيض التامّ لهذا العالم».

بقي تامارو صامتاً، وهو ينتظر منها أن تتابع. لم يكن هناك ما يتعجّله.

«أعني أنّ قراءتها أشبه بقراءة تقرير مفصّل جاءني من كوكب صغير تفصله عن العالم الذي أعيشه فيه سنوات ضوئية. أستطيع أن أتخيّل وأفهم جميع المشاهد التي تمّ وصفها. إنها موصوفة بعناية ووضوح كبيرين. ولكني لا أستطيع أن أربط بين مشاهد هذا الكتاب والمكان الذي أُوجد فيه الآن. إننا بعيدين فيزيائياً. سوف أقرؤها، وإن كنت أُضطر لإعادة قراءة الفقرة الواحدة مرة تلو أخرى».

فتّشت أَوْمَامِه عن الكلمات التالية التي ستقولها. انتظرها تامارو أثناء ذلك.

وقالت: «ومع ذلك فهي ليست مملّة. إنها ممتلئة بالتفاصيل ومكتوبة بلغة جميلة، وأشعر أنني أستطيع فهم تركيب هذا الكوكب الصغير. لكن لا يبدو أنني أستطيع أن أتقدّم في القراءة. أشعر وكأني في قارب، وأجدِّف عكس التيار. أجدِّف لفترة، وحينما أمنح نفسي قسطاً من الراحة وينصرف تفكيري إلى شيء ما، أجدني وقد عدتُ من حيث بدأت. ربما هذه الطريقة في القراءة تناسبني الآن، بدلاً من تلك الطريقة التي تمضي فيها إلى لأمام كي تعرف ماذا سيحدث لاحقاً. لا أعرف كيف أقول ذلك بالضبط، ولكني أشعر بأنّ الوقت يتذبذب كلما حاولتُ التقدم إلى الأمام. لو تمّ تقديم المتأخّر وتأخير المتقدم، فلن يهمّ فعلاً، أليس كذلك؟ الأمر جيد في كلتا الحالتين».

بحثت أَوْمَامِه عن طريقة أكثر دقة للتعبير عن نفسها.

«يبدو الأمر وكأنني أعيش حلماً لشخص آخر. وكأننا نتشارك الأحاسيس بشكلٍ متزامن في آنٍ واحد. ولكني لا أستطيع فعلاً أن أفهم ما يعنيه أن تكون الأحاسيس متزامنة. مشاعرنا تبدو متقاربة للغاية، وإن كانت تفصلنا في الواقع فجوة كبيرة».

«لا أدري هل كان بروست يهدف إلى إيصال هذا النوع من الإحساس».

ولم تكن أَوْمَامِه تدري.

قال تامارو: «ومع ذلك فإنّ الوقت في هذا العالم الحقيقي يمضي إلى الأمام دائماً. لا يتوقف ولا يرجع إلى الوراء مطلقاً».

«بالطبع. في العالم الحقيقي الوقت يمضي إلى الأمام».

وبينما كانت تقول ذلك، رمقت أَوْمَامِه الباب الزجاجي. ولكن هل هذا صحيح فعلاً؟ هل يتدفق الوقت إلى الأمام دائماً؟

قال تامارو: «لقد تغيّرت الفصول، وها نحن نقترب من نهاية عام 1984».

«أشك في أنني أستطيع الانتهاء من البحث عن الزمن المفقود مع نهاية العام».

قال تامارو: «لا يهم. خذي وقتك. لقد كُتبت منذ أكثر من خمسين سنة. وهي لا تمتلئ بمعلومات قد تتقادم إذا لم تُقرأ في حينها».

فكرت أَوْمَامِه، قد تكون محقاً. وقد لا تكون. لم يعُد لديها ثقة كبيرة في الوقت.

تساءل تامارو: «هل ذلك الشيء الذي بداخلك بخير؟».

«بخير حتى الآن».

قال تامارو: «يُسعدني سماع ذلك. بالمناسبة، هل حدَّثتك عن ذلك الرجل القصير أصلع الرأس الذي كان يحوم حول بيت الصفصاف؟».

«نعم. ألا يزال يحوم حول المنطقة؟».

«لا. لم يعُد يفعل. بقي كذلك بضعة أيام ثم اختفى. لكنه قصدَ

مكاتب العقارات في المنطقة، وتظاهر بأنه يبحث عن شقة، وجمع معلومات عن دار الأمان. هذا الرجل يسهُل تمييزه بملامحه فعلاً. ثم كأنّ ملامحه ليست سيئة بما يكفي، فإنه يرتدي ملابس بشعة. ولذلك فقد تذكَّره جميع مَن تحدث إليهم. كان من السهل تتبع تحركاته».

«لا يبدو من ذلك النوع الملائم للتقصي والتحريات».

«بالضبط. بملامحه هذه فإنه قطعاً ليس مؤهلاً لهذا النوع من العمل. لديه رأس ضخم، أيضاً، وكأنه إحدى الدمى الصينية التي تجلب الحظ السعيد. ولكنه على ما يبدو يُجيد ما يفعله. ويعرف كيف يمشي في الشوارع ويستخلص المعلومات. ويبدو حادّ الذهن. ولا يفوته أي شيء مهم، ويتغاضى عمّا هو ليس كذلك».

«وقد جمع قدراً معقولاً من المعلومات عن دار الأمان».

«إنه يعرف أنه ملجأ للنساء اللائي يهربن من العنف المنزلي، وأنّ السيدة تفتح أبوابه لهنّ مجاناً. وأظنه أيضاً قد اكتشف أنّ السيدة عضو في النادي الرياضي الذي كنتِ تعملين فيه، وأنك كنتِ عادة ما تزورينها في منزلها كي تقدِّمي لها جلسات تدريبية خاصة. لو كنت في مكانه، لكان باستطاعتي اكتشاف كلّ هذه المعلومات».

«هل تقول إنه في مثل كفاءتك؟».

«ما دمتِ لا تمانعين في بذل الجهد المطلوب، فإنّ بإمكانك أن تعرفي أفضل الطرق لجمع المعلومات وتدرِّبي نفسك على التفكير المنطقي. يمكن لأيّ شخص أن يفعل ذلك».

«لا أكاد أصدِّق أن هناك كثيرين من أمثال هؤلاء الأشخاص في العالم».

«حسناً، هناك قلّة. محترفون».

جلست أَوْمَامِه وتحسَّست طرف أنفها. كان لا يزال بارداً بسبب برودة الطقس في الشرفة.

سألت أَوْمَامِه: «ألا يزال هذا الرجل يحوم حول المنزل حتى الآن؟».

قال: «أظنّه يُدرك أنّ ملامحه لافتة جداً للانتباه. وهو يَعي بوجود الكاميرات الأمنية. لذلك فقد جمعَ أكبر قدرٍ ممكن من المعلومات في أقصر وقت ممكن ثم غادر المكان».

«ولذلك فهو يعرف بالعلاقة بيني وبين السيدة، وأنها أكثر من مجرّد علاقة بين مدربة في نادٍ رياضي وزبونة ثرية، وأنّ دار الأمان لها صلة بالموضوع أيضاً. وأننا تشارَكنا في مشروع ما».

قال تامارو: «على الأرجح. وبحسب علمي، فإنّ هذا الشخص يقترب من حقيقة الأشياء. خطوة خطوة».

«لكن من خلال ما تقوله، يبدو وكأنه يعمل من تلقاء نفسه، وليس جزءاً من تنظيم أكبر».

«كان لدي الانطباع نفسه. ما لم يكن هناك دافعٌ خفيّ، فإنّ أيّ تنظيم كبير لن يستعين بشخص لافت للأنظار إلى هذا الحدّ لإجراء تحقيق سري».

«فلماذا يقوم بإجراء هذا التحقيق، ولمصلحة مَن؟».

قال تامارو: «لقد فهمتِ قصدي. كلّ ما أعرفه هو أنه يجيد العمل الذي يؤدّيه وأنه شخص خطِر. أيّ شيء فوق ذلك هو مجرّد تكهنات. ورغم أنّ تكهّناتي المتواضعة تقودني إلى الاعتقاد بأنّ ساكي جاكه ضالع بشكلٍ أو بآخر».

فكرت أَوْمَامِه في هذا الاحتمال: «وقد غادر الرجل المنطقة».

«نعم. لكني لا أدري إلى أين ذهب. ولكن إذا كان عليّ أن أقدِّم تخميناً منطقياً فسأقول إنه يحاول العثور عليكِ».

«ولكنك قلت لي إنّ العثور على هذا المكان شبه مستحيل».

«نعم. يستطيع أيّ أحدٍ أن يتحرى كيفما يشاء ولكنه لن يكتشف أبداً أيّ شيء يربط بين السيدة وهذه الشقة. أيّ صلة محتمَلَة تمّ محوها. ولكنني أتحدَّث في المدى القصير. أما المدى الطويل، فسوف تظهر ثغرات مميتة، من حيث لا تتوقعين. قد تتجوّلين في الخارج، مثلاً، ويلمَحك أحدهم. هذا مجرّد احتمال واحد».

قالت أَوْمَامِه بإصرار: «لكني لا أخرج». لم يكن هذا صحيحاً تماماً. فقد غادرت الشقة مرتين: الأولى حينما ذهبت ركضاً إلى الملعب بحثاً عن تنغو، والثانية حينما استقلَّت سيارة أجرة حتى وصلت إلى الطريق السريع رقم 3، بالقرب من سانجينجايا، بحثاً عن المخرج. لكنها لم تستطِعْ أن تصرِّح لتامارو بذلك.

«كيف سيعثر على هذا المكان إذاً؟».

«لو كنتُ مكانه، لألقيتُ نظرة أخرى على بياناتك الشخصية. وفكَّرت في نمط شخصيتك، ومن أين جئتِ، وما هي نوعية الحياة التي عشتيها حتى الآن، وما يشغل تفكيرك، وما تأملينه في هذه الحياة، وما لا تأملين حدوثه. كنت سأجمَع كلّ المعلومات التي يمكنني الوصول إليها بشأنك، ثم أضعُ كلّ شيء على طاولة، وأتحقَّق منها وأحلِّلها من أوّلها إلى آخرها».

«يكشف عني الغطاء، بعبارة أخرى».

«صحيح. يعرِّضك لضوء ساطع. يستخدم ملاقط صغيرة وعدسة مقرِّبة للتحقّق من كل ركنٍ وزاوية، ويكتشف السمات التي تحكُم تصرّفاتك».

«لا أفهم ذلك. هل يمكن لمثل هذا التحليل أن يكشف عن مكان وجودي الآن؟».

قال تامارو: «لا أدري. قد يكشف، وقد لا يكشف. هذا مرهون بأشياءَ أخرى. ما أودّ قوله هو أنّ هذا هو ما كنت سأفعله. لأنني لا أستطيع أن أجدَ أيّ طريقة أخرى. لكلّ شخص نمط معتاد في التفكير والعمل، وحيثما يوجد هذا النمط المعتاد، توجد نقطة ضعف». «يبدو وكأنه تحقيق علمي».

«لكل شخص نمط معتاد. إنه يشبه الموضوع بالنسبة إلى المعزوفة الموسيقية. ولكنه أيضاً يقيّد أفكارك وأفعالك ويُحدّ من حريتك. ويرتّب أولوياتك وفي بعض الحالات يشوّه منطقك. وفي الوضع الحالي، لا يجب أن تتحرَّكي من مكانك هذا. وعلى الأقل حتى نهاية العام أنتِ لا تريدين الانتقال إلى مكانٍ آخر أكثر أمناً لأنك تبحثين عن شيء ما هناك. وإلى أن تجدي ذلك الشيء، لا يمكنك أن تغادري المكان. أو لا تريدين ذلك».

بقيَت أَوْمَامِه صامتة.

«ما هو ذلك الشيء، أو ما هو مدى احتياجك إليه، لا أدري. ولا أنوي سؤالك. ولكني أرى أنّ هذا الشيء يمثل نقطة ضعف شخصية لديك».

قالت أَوْمَامِه: «ربما تكون محقاً».

«الرأس المفلطَح سوف يبحث عن ذلك. وسوف يتتبَّع بإصرار هذا العنصر الشخصي الذي يُبقيكِ حيث أنتِ. سوف يظنّ أنه سيقوده إلى تحقيق اختراق، شريطة أن يكون بالبراعة التي أتخيّلها وقادر على تتبّع القرائن المجزّأة للوصول إلى تلك النقطة».

قالت أَوْمَامِه: «لا أظنه سيكون قادراً على ذلك. لن يعثُر على الطريق. لأنه شيء لا يوجد إلّا في قلبي».

«هل أنتِ متأكدة مئة في المئة؟».

فكَّرت أَوْمَامِه في ذلك وقالت: «ليس مئة في المئة. ولكن يمكنكَ أن تقول ثمانية وتسعين».

«حسناً، إذاً عليك أن تكوني قلقة جداً بشأن الاثنين في المائة. كما قلت، هذا الرجل محترف. إنه شديد الذكاء ومثابر جداً».

لم تردّ أَوْمَامِه.

قال تامارو: «إنّ المحترف يشبه كلبَ الصيد. يمكنه أن يكتشف ما لا يستطيع الأشخاص العاديون اكتشافه، ويسمع ما لا يستطيعون سماعه. إذا كنتِ تؤدين الأشياء التي يؤدّيها الجميع، فأنت إذاً لستِ محترفة. وحتى إذا كنت محترفة، فلن تستمري فترة طويلة. لذلك خذي حذرك. أدرك أنكِ حذرة بطبعك، ولكن يجب أن تكوني الآن أكثر حذراً ممّا كنت. واعلمي أنه في المسائل المصيرية لا يمكن القبول بنسب مئوية».

قالت أَوْمَامِه: «هناك شيء أودّ أن أسألك عنه».

«ما هو؟».

«ماذا تنوي أن تفعل إذا ما ظهر الرأس المفلطح هناك مرة أخرى؟».

صمت تامارو لبرهة. يبدو أن السؤال قد باغته: «ربما لن أفعل أيّ شيء. سأتركه وشأنه. ليس لديه ما يمكنه عمله».

«ولكن ماذا لو بدأ يفعل شيئاً يثير انزعاجك؟».

«شيء مثل ماذا؟».

«لا أدري. شيء مقلق».

أخرجَ تامارو صوتاً خافتاً من مؤخّر حنجرته. وقال: «أعتقد أنني سأبعث له برسالة».

«كزميلٍ محترف؟».

«أظنّ ذلك. ولكن قبل أيّ شيء، سيكون عليّ أن أعرف أولاً لحساب مَن يعمل. إذا كانت وراءه جهة داعمة، فقد أُصبح أنا في خطرٍ وليس هو. أودّ أن أتحقَّق من ذلك قبل أيّ شيء».

«كمن يتحقَّق من عمق المياه قبل أن يقفز في بركة».

«هكذا يمكنني أن أقول ذلك».

«ولكنك تعتقد أنه يتصرف من تلقاء نفسه. قلت إنه قد لا تكون وراءه أيّ جهة داعمة».

قال تامارو: «نعم، ولكن قد يخيب حدسي أحياناً. ولسوء الحظّ، ليس لدي عينان في مؤخّر رأسي. على أيّ حال، أودّ منك أن تترقبي وصوله، اتفقنا؟ انظري حولك إذا وجدت ما يُثير الشكوك، أو طرأ أيّ تغيير في المشهد من حولكِ، أو أيّ شيء خارج عن المألوف. إذا لاحظتِ أي شيء غير عادي، مهما كان بسيطاً، فلا بد أن تُخبريني».

قالت أَوْمَامِه: «أفهم ذلك. سوف أكون حذرة». لم تكن بحاجة إلى أحد كي يقول لها ذلك. لن تفوتني أتفه التفاصيل، فأنا أبحث عن تنغو. لكني مثلما قال تامارو، ليس لي سوى عينين اثنتين.

قال: «هذا هو ما لدي اليوم».

سألته أَوْمَامِه: «وكيف هي السيدة؟».

قال تامارو: «بخير». ثم أضاف: «وإن كانت تبدو صامتة نوعاً ما هذه الأيام».

«لم تكن أبداً كثيرة الكلام».

أصدر تامارو زمجَرَة هادئة من آخر حنجرته، كما لو أنّ حنجرته مزوّدة بجهاز للتعبير عن مشاعر خاصة. «إنها أكثر صمتاً من المعتاد».

تصوّرت أَوْمَامِه الأرملة، وهي جالسة وحدها على كرسيها تُشاهد الفراشات، وقد وضعت مرشّة ماء كبيرة عند قدميها. كانت أَوْمَامِه تعرف جيداً كيف أنّ السيدة قد اعتادت أن تتنفس أنفاساً هادئة.

قال تامارو وهو يختتم كلامه: «سوف أضيف علبة كعك لاحتياجاتك في المرة القادمة. ربما يكون لذلك أثر إيجابي على تدفّق الزمن».

قالت أَوْمَامِه: «أشكرك».

وقفت أَوْمَامِه في المطبخ وأعدَّت مشروب الكاكاو. قبل عودتها إلى الشرفة لاستئناف المراقبة، كانت بحاجة إلى بعض الشعور بالدفء. قامت بغلي الحليب في وعاء ثم أذابت فيه بعضاً من مسحوق الكاكاو. صبَّت ذلك في كوب كبير وأضافت طبقة من القشدة كانت قد أعدَّتها قبل ذلك. جلست إلى طاولة الطعام وراحت ترتشف الكاكاو في بطء وهي تستعيد محادثتها مع تامارو. الرجل صاحب الرأس المنبعج والكبير يضعني تحت أضواء كاشفة. إنه بارع وخطِر.

ارتدَت جاكيت مبطناً وتلفّعت بوشاح حول رقبتها وحملت في يدها كوب الكاكاو الذي انتهت من نصفه، ثم عادت مرة أخرى إلى الشرفة. جلست على الكرسي المريح وبسطت البطانية فوق حجرها. وكالعادة، كانت الزلاقة خالية. ولكنها رأت بعدئذٍ طفلاً يغادر الملعب. كان غريباً أن يأتي طفلٌ وحده إلى الملعب في هذه الساعة. كان طفلاً ممتلئ الجسم ويرتدي قبعة مشغولة من الصوف. وبينما كانت تنظر إليه من الشرفة عبر فجوة في الستارة، كان الطفل قد اجتاز

سريعاً مجال رؤيتها حيث اختفى في ظلال المبنى. بدت رأسه أكبر كثيراً من رأس طفل، ولكن ذلك ربما كان محض خيال اختلَقَته.

لم يكُن تنغو بكلّ تأكيد، ولذلك لم تعره أَوْمَامِه المزيد من الاهتمام وحوّلت ناظريها مرة أخرى إلى الزلاقة. كانت تشرب الكاكاو، وتُدفئ كلتا يديها عبر إمساكها الكوب بهما، وفي الوقت نفسه تتابع الغيوم وهي تتجمّع في السماء واحدة بعد أخرى.

بالطبع، لم يكن هذا الشخص الذي رأته أَوْمَامِه لبرهة طفلاً، وإنما كان يوشيكاوا. لو كانت الإضاءة أفضل، أو لو كانت أطالت النظر قليلاً، لكانت قد لاحظت أنّ رأسه الكبير ليس رأس طفل. كانت سوف تكتشف أن هذا الشخص القزم صاحب الرأس الكبير ما هو إلّا ذاك الرجل الذي وصفه لها تامارو. ولكن أَوْمَامِه لم تلمَحه سوى لبضعِ ثوان، ومن زاوية لا توفّر لها أيّ رؤية مثالية. لحسن الحظ، وللأسباب نفسها، لم تقع عينا يوشيكاوا على أَوْمَامِه وهي في الشرفة.

في هذه اللحظة، تبادرت إلى ذهنها مجموعة افتراضات استهلّتها بـ«لو». لو أنّ تامارو كان قد وضع السماعة قبل ذلك بقليل، لو أنّ أَوْمَامِه لم تُعدّ لنفسها شراب الكاكاو، لكانت قد رأت تنغو، أعلى الزلاقة يحدّق إلى السماء. كانت ستخرج مسرعة من الغرفة، وكان شَمْلهما سوف يلتئم بعد عشرين سنة.

رغم ذلك، لو أنّ هذا قد حدث، لكان يوشيكاوا، الذي كان يتعقّب تنغو، قد اكتشف أنّ هذه هي أَوْمَامِه، وعرف مكان اختبائها، ولكان قد أبلغ على الفور ثنائي ساكي جاكه.

لذلك من الصعب القول هل كانت عدم رؤية أَوْمَامِه تنغو في هذه اللحظة شيئاً سيئاً أو شيئاً حسناً. وأياً كان ذلك، وكما فعلَ من قبل،

صعدَ تنغو إلى أعلى الزلاقة وأطال النظر إلى القمرين السابحين في السماء فيما تمرّ الغيوم من أمامهما. وكان يوشيكاوا يشاهد تنغو من مكانه المعتم. وفي أثناء ذلك كانت أَوْمَامِه قد غادرت الشرفة كي تردّ على مكالمة تامارو الهاتفية، ثم أعدَّت مشروب الكاكاو. وعلى هذا النحو، مضت خمسٌ وعشرون دقيقة. خمس وعشرون دقيقة مصيرية. وحينما ارتدت أَوْمَامِه الجاكيت المبطن وعادت إلى الشرفة، كان تنغو قد غادر الملعب. لم يتبعه يوشيكاوا مباشرة. بدلاً من ذلك، بقي في الملعب، وتحقَّق من شيء رأى أنّ عليه أن يتحقَّق منه. وعندما تمَّ له ذلك، غادر الملعب على وجه السرعة. وخلال هذه الثواني القليلة كانت أَوْمَامِه قد رصدته من الشرفة.

كانت الغيوم لا تزال تتسابق عبر السماء، وهي تتحرّك ناحية الجنوب، فوق خليج طوكيو ومن ثم إلى المحيط الهادئ الكبير. بعد ذلك، لا أحد يدري أي مصير ينتظرها، تماماً كما لا أحد يدري ما يحدث للروح بعد الموت.

على أيّ حال، كانت الدائرة تضيق. ولكن تنغو وأَوْمَامِه لم يكونا يُدركان أنّ الدائرة تضيق من حولهما. وكان يوشيكاوا يَعي ذلك، لأنه كان يعمل بهمّة ونشاط على تضييقها، ولكنه لم يكن يرى الصورة الكاملة. لم يكن يدرك النقطة الأهم: وهي أنّ المسافة بينه وبين أَوْمَامِه لم تعُد الآن تتجاوز عشرات الأمتار. وعلى غير العادة بالنسبة إلى يوشيكاوا، كان ذهنه حينما غادر الملعب مشوّشاً على نحوٍ غير مفهوم.

بحلول الساعة العاشرة أمسى البرد قارساً بما لا يَسمح بالبقاء في الخارج، ولذلك نهضت أَوْمَامِه على مضضٍ وعادت مرة أخرى إلى

أجواء الدفء في الشقة. خلعت ملابسها وتحمَّمت بماء دافئ. وبينما كان الماء يغمرها وحرارة الماء تمتصّ البرد العالق بها، كانت تضع إحدى يديها على بطنها. كان بوسعها أن تستشعر امتلاءها الطفيف. أغمضت عينيها وحاولت أن تشعر بالصغير الذي بداخلها. لم يكن الوقت المتبقي كثيراً. كان عليها بطريقة أو بأخرى أن تخبر تنغو: بأنها تحمل طفلاً له. وأنها سوف تستميت في حمايته.

ارتدت ملابسها، وانسلَّت إلى الفراش، ورقدت على جنبها في الظلام حتى نامت. قبل أن تغطّ في نوم عميق تراءى لها حلم قصير دارَت أحداثه حول الأرملة.

كانت أَوْمَامِه في الدفيئة الموجودة في بيت الصفصاف حيث تراقب هي والأرملة الفراشات. تشبه الدفيئة في عتمتها ودفئها، الرحم. رأت هناك نبات المطاط الذي تركته في شقتها القديمة. كان يحظى بعناية كبيرة وكان شديد الاخضرار حتى كادت لا تعرفه. ورأت فراشة قادمة من الإقليم الجنوبي لم ترَ لها مثيلاً من قبل تستريح على إحدى ورقات النبات السميكة. كانت الفراشة قد طوَت جناحيها الزاهيين وبدا أنها تنام في سلام. وسعدت أَوْمَامِه بذلك.

في الحلم كان بطنها ممتلئاً بشكلٍ كبير. يبدو أنّ موعدها قد اقترب. أصبح باستطاعتها أن تميِّز دقات قلب الصغير. كانت دقات قلبها وقلب الصغير تمتزج معاً فتصنع إيقاعاً جميلاً مشتركاً.

تجلس الأرملة بجوارها، وكعادتها دائماً، بظهرٍ مستقيم وشفتين مزمومتين في خطّ مستقيم، وتتنفس بهدوء. لم يكونا يتبادلان أيّ أحاديث، كيلا يوقظا الفراشة النائمة. بدت الأرملة غير مكترثة، وكأنها لا تشعر بوجود أَوْمَامِه بجانبها. كانت أَوْمَامِه تُدرك مدى

حرص الأرملة على سلامتها وحمايتها، ولكنها رغم ذلك، كانت تشعر بشيء من عدم ارتياح. بدت يدا الأرملة الموضوعتين في حجرها نحيلتين وشديدتي الهشاشة. أما أَوْمَامِه فكانت يداها تتحسّسان لاإرادياً المسدس، ولكن دون أن تعثر عليه.

كانت مستغرقة في الحلم، ولكنها مع ذلك تعي أنها في حلم. اعتادت أَوْمَامِه أن ترى هذه النوعية من الأحلام ما بين حين وآخر، حيث تجد نفسها في واقع متمايزٍ وواضحٍ رغم إدراكها أنه ليس حقيقياً. إنه مشهد مزدحم بالتفاصيل من كوكب صغير في مكان آخر.

في الحلم، ثمة شخص يفتح الباب ويدخل إلى الدفيئة. تهبّ رياح باردة تنذر بالشرور. تفتح الفراشة الكبيرة عينيها، وتنشر جناحيها، وتطير بعيداً، بعيداً عن نبات المطاط. مَن هذا؟ تدير رأسها كي تنظر في هذا الاتجاه. ولكن لم تكَد تفعل، حتى انتهى الحلم.

وجدت نفسها متعرِّقة حينما استيقظت، عرقاً كريهاً ولزجاً. خلعت عنها منامتها الرطبة، وجفَّفت جسمها بمنشفة، ثم ارتدت «تي شيرت» جديداً. جلست في السرير لفترة من الوقت. **قد يكون هناك حدث سيئ يوشك أن يقَع. وربما هناك مَن يحاول الوصول إلى الصغير. وبغضّ النظر عمّن يكون، فقد يكون ذلك وشيكاً.** كان عليها أن تعثُر على تنغو، لا وقت لديها تُضيعه. ولكنها أيضاً فيما عدا الجلوس ومراقبة الملعب كلّ ليلة، لا شيء لديها تفعله. ليس بوسعها أن تفعل ما هو أكثر، فهي تُبقي عينيها مفتوحتين في يقظة ومثابرة وإخلاص، وتثبتهما على هذا الجزء الصغير من العالم، وهذه النقطة

الموجودة أعلى الزلاقة. لكن حتى في ظلّ هذا التركيز، قد تفوت المرء بعض الأشياء. وهي ليس لديها سوى عينين اثنتين.

أرادت أَوْمَامِه أن تبكي، ولكن دموعها لم تطاوعها. تمدَّدت على السرير مرة أخرى، ووضعَت راحتيها على بطنها، وانتظرت في هدوء حتى غلبها النوم.

الفصل الثامن عشر

تنغو

حينما تغرز إبرة في جسد إنسان، فيخرج منه دمٌ أحمر

قال كوماتسو: «وعلى مدى ثلاثة أيام بعد ذلك لم يحدث أيّ شيء. كنت أتناول ما يقدِّمونه لي من طعام، وأنام ليلاً في سرير ضيق وصغير، ثم أستيقظ مع طلوع الصبح، وأستخدم الحمّام الصغير الموجود في إحدى زوايا الغرفة. كان للحمام حاجز للحفاظ على الخصوصية، ولكنه من دون قفل. وكان أثر حرارة الصيف لا يزال عالقاً في المكان، ولكن يبدو أن ممرّ التهوية كان متّصلاً بجهازٍ لتكييف الهواء، ولذلك لم أشعر بحرارة الجو».

كان تنغو يستمع إلى حكاية كوماتسو من دون أن يعلِّق بشيء.

«كانوا يحضرون الطعام ثلاث مرات في اليوم. في أيّ ساعة، لا أدري. كانوا قد أخذوا ساعتي، ولم يكن للغرفة نافذة، ولذلك لم أكُن أعرف حتى إن كان الوقت ليلاً أو نهاراً. كنت أرهف سمعي فلا أسمع أيّ صوت. وأشكّ أنّ أيّ أحدٍ كان يمكنه أن يسمع أيّ صوت منّي. لم أكُن أدري أين أنا، رغم أنه كان لديّ شعور غامض بأننا في مكان ما على طريق مهجور. على أية حال، أبقوني هناك ثلاثة أيام،

لم يحدث خلالها أي شيء. لست متأكداً في الواقع إن كانت ثلاثة أيام. أحضروا لي الطعام تسعَ مرات، وكنت أتناوله حينما يحضرونه. وأطفأوا أنوار الغرفة ثلاث مرات، ونمت ثلاث مرات. وفي العادة نومي خفيف وغير منتظم، ولكن لسبب ما كنت أنام نوماً عميقاً. إنه شيء غريب، إذا فكرت فيه. هل أنت معي حتى الآن؟».

أومأ تنغو برأسه في صمت.

«لم أنطق بكلمة خلال الأيام الثلاثة. كان يقدِّم لي الطعام شاب نحيل يرتدي قبعة بيسبول ويضع كمامة طبية. وكان يرتدي سترة وبنطالاً وحذاء رياضياً متسخاً. اعتاد أن يُحضر لي وجباتي على صينية ثم يأخذها حينما أنتهي من الطعام. كانوا يستخدمون أطباقاً ورقية، أمّا السكاكين والشوك والملاعق فهي مصنوعة من بلاستيك هش. كانوا يحضرون طعاماً عادياً ليس حلو المذاق، ولكنه ليس رديئاً إلى حدّ يجعلك ترفض تناوله. لم يكونوا يقدّمون كمية كبيرة من الطعام في كلّ مرة، وبسبب الجوع، كنت ألتهم كلّ ما يُقدَّم لي. وهذا أمر غريب. فليس لدي في العادة شهية كبيرة للطعام، وإذا لم أكن حريصاً، فقد يفوتني أحياناً أن أتناول أيّ طعام. كانوا يقدّمون لي الحليب والمياه. لكنهم لم يقدِّموا لي قهوة أو شاياً. ولا كحوليات. ولا سجائر. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ لم أكن ضيفاً في فندق فخم».

كما لو كان قد تذكَّر لتوه أنّ بإمكانه الآن أن يدخِّن كيفما يشاء، أخرج كوماتسو علبة سجائر مارلبورو حمراء، ووضع سيجارة بين شفتيه، ثم أشعلها بعودِ ثقاب. استنشق دخانها بملء رئتيه، ثم نفثه، ثم انقبضت ملامحه.

«لم يكن الشاب الذي يُحضر الطعام ينطق بكلمة. لا بدّ أنّ

رؤساءه قد أمروه بذلك. أنا متأكِّد من أنه يقع في أسفل السلم، مجرّد ساعي من هؤلاء الذين يؤدون جميع الأعمال. ومع ذلك، أظنه قد تلقى تدريباً في أحد مراكز فنون الدفاع عن النفس. كان يمشي مِشية معينة فيها قدر من الانتباه».

«وأنت ألَم تسأله عن أيّ شيء؟».

«كنت أعرف أنه لن يردّ إذا ما تحدَّثت إليه، ولذلك بقيت صامتاً وتركت الأمور تمضي كما هي. كنت أتناول الطعام وأشرب الحليب، وأنام حينما يطفئون الأنوار وأستيقظ حينما يضيئونها مرة أخرى. في الصباح، كان هذا الشاب يأتي ويجلب معه ماكينة حلاقة كهربائية وفرشاة أسنان، فأحلق ذقني وأغسل أسناني. وحينما أنتهي من ذلك، كان يأخذهما مرة أخرى. وبخلاف ورق الحمام، لم يكن يترك أيّ شيء آخر بالغرفة. لم يسمحوا لي بالاستحمام أو تغيير ملابسي، ولكنني لم أشعُر أبداً بالرغبة في الاستحمام أو تغيير الملابس. لم يكُن بالغرفة مرآة، ولكن ذلك لم يزعجني. كان الشيء الأسوأ بالتأكيد هو الضجر. أعني أنه كان عليّ منذ لحظة استيقاظي حتى وقت النوم، أن أجلس وحدي، لا أتحدّث إلى أيّ أحد، في هذه الغرفة المربَّعة البيضاء، والتي تُشبه حجر نرد. كنت أشعر بمللٍ رهيب. فأنا شخص مدمن للقراءة، ودائماً بحاجة إلى شيء أقرأه - سمِّها قائمة خدمة الغرف، أو سمّها ما شئت. ولكن لم يكن لديّ أيّ كتب أو صحف أو مجلات. لا تلفزيون أو مذياع، أو ألعاب. لا أحدَ كي أتحدَّث معه. ولا شيء أفعله سوى الجلوس في كرسي والتحديق في الأرضية والجدران والسقف. لقد كان شعوراً سخيفاً جداً. أعني، حينما تمشي في طريقك ويأتي بعض الأشخاص فجأة، ويمسكون بك ثم يضعون كلوروفورم أو شيئاً من هذا القبيل على أنفك، ثم يحملونك

ويحتجزونك في غرفة صغيرة وغريبة وبلا نوافذ. وضع غريب مهما كانت نظرتك إليه. ثم يصيبك ملل يجعلك تظن أنك سوف تفقد عقلك».

حدّق كوماتسو بشدة في السيجارة التي بين أصابعه والدخان المتصاعد منها، ثم نفض الرماد في منفضة السجائر.

«أظنّهم قد أودعوني في تلك الغرفة الصغيرة لثلاثة أيام لا أفعل أيّ شيء حتى أنهار. يبدو أنهم يعرفون كيف يحطّمون الروح المعنوية للمرء ويدفعونه إلى حافة الانهيار. في اليوم الرابع، وبعبارة أخرى بعد تناولي وجبة الإفطار الرابعة، جاءني رجلان آخران. أدركتُ أنّ هذين الشخصين هما مَن اختطفاني. كان هجومهما عليّ مباغتاً ولم أستطعْ النظر جيداً في وجهيهما. ولكني حينما رأيتهما في اليوم الرابع، تذكّرتهما وتذكّرت كيف أنهما سحباني إلى السيارة بقسوة حتى كادا يخلعان ذراعي، وكيف وضعا قطعة قماش مضمَّخة بمخدر ما على أنفي وفمي. وخلال ذلك، لم ينطق أي منهما بكلمة، وتمّ كلّ شيء في لحظة».

مع استحضاره لهذه الأحداث، قطّب كوماتسو جبهته.

«كان أحدهما ليس طويلاً، ولكنه قوي البنيان وحليق الرأس. وكان صاحب بشرة شديدة الاسمرار وله خدين بارزين. أما الآخر فكان طويل القامة، وأطرافه طويلة، وله خدين غائرين، ويصفّف شعره على هيئة ذيل حصان. حينما تضعهما جنباً إلى جنب، تجد أنهما يُشبهان ثنائياً في عملٍ كوميدي. لديكَ النحيف طويل القامة ولديك صاحب الجسم الممتلئ والقامة القصيرة. ولكني بمجرد أن لمحتهما كان باستطاعتي أن أجزم أنهما ليسا كوميديانين. كانا يمثلان معاً ثنائياً خطيراً. لن يترددا في عمل أيّ شيء، دون أن ينتبه إليهما أحد. كانا

يتصرفان بهدوء شديد، وهو ما يجعلهما مصدر رعب كبير وكانت لهما أعين جامدة. وكانا يرتديان سروالين من القطن الأسود وقميصين أبيضين بأكمام قصيرة. والأرجح أنهما في منتصف العشرينيات من عمرهما، وربما كان حليق الرأس أكبر قليلاً. ولم يكن أيّ منهما يرتدي ساعة».

بقي تنغو صامتاً، في انتظار أن يتابع كلامه.

«كان حليق الرأس هو وحده مَن يتكلم. أما ذيل الحصان فيقف بجانب الباب، منتصب القامة لا يحرك ساكناً. كان يبدو وكأنه يستمع إلى حديثنا، ولكنك عندما تمعن النظر، ربما لا. كان حليق الرأس يجلس أمامي في كرسي معدني قابل للطيّ. لم يكن بالغرفة أيّ مقاعد أخرى، ولذلك كان جلوسي دائماً على السرير. لم تظهر على وجه الرجل أي تعبيرات. كان فمه يتحرك عندما يتكلم، ولكن عدا ذلك، فوجهه جامد وكأنه دمية متكلّم بطني».

كان أوّل ما قاله حليق الرأس حينما جلس أمام كوماتسو هو:

«هل تستطيع أن تخمّن مَن نحن، ولماذا جئنا بك إلى هنا؟».

ردّ كوماتسو: «لا، لا يمكنني».

راح حليق الرأس يحدِّق في كوماتسو مدة بعينيه الغائرتين، وتابع كلامه: «ولكن افترض أنّ لديك تخمين، فماذا ستقول؟» كانت كلماته مهذّبة، ولكن لهجته كانت آمرة، فيما جاء صوته صارماً وصلباً وكأنه مسطرة معدنية تركت مدة طويلة في ثلاجة.

تردَّد كوماتسو، ولكنه قال بعد ذلك، صادقاً، إنه إذا كان مجبراً على التخمين، فسيقول إنّ الأمر مرتبط بالشرنقة الهوائية. لم يتبادر

إلى ذهنه أيّ شيء آخر. وتابع: «هذا يعني أنّ كليكما على الأرجح من ساكي جاكه. ونحن الآن في مقرّكم».

لم يؤكّد حليق الرأس أو ينكر ما قاله كوماتسو. اكتفى بالتحديق في وجهه. وبقي كوماتسو صامتاً هو الآخر.

استهلّ حليق الرأس كلامه بهدوء: «دعنا نتحدث إذاً بناء على هذه الفرضية. ما سنقوله من الآن فصاعداً هو امتداد لتلك الفرضية، سيكون الحديث كله بناء على افتراض أنّ هذا هو الحال بالفعل. هل هذا مقبول؟».

قال كوماتسو: «لا بأس بذلك». كانوا سوف يتحدّثون عن ذلك بشكلٍ غير مباشر قدر استطاعتهم. لم تكُن هذه علامة سيئة. لو كانوا يخطّطون أنهم لن يدعوه يخرج من هنا على قيد الحياة، لما تجشّموا عبء الكلام معه على هذا النحو.

«كمحرِّر في إحدى دور النشر، فقد كنت مسؤولاً عن نشر **الشرنقة الهوائية** لإريكو فوكادا، هل هذا صحيح؟».

أقرَّ كوماتسو: «نعم صحيح». كانت هذه معلومات معروفة.

«بناء على فهمنا، فقد شابَ عملية النشر بعض الاحتيال. نالت **الشرنقة الهوائية** جائزة أدبية للروائيين المبتدئين من مجلّة أدبية. ولكن قبل استلام لجنة التحكيم للمخطوطة، قام طرف ثالث بإعادة كتابتها بناء على توجيهك. بعد الانتهاء من تنقيح العمل سراً، فازت الرواية بالجائزة، وصدرت في شكل كتاب، وأصبحت من أكثر الكتب مبيعاً. هل هذه الوقائع صحيحة؟».

قال كوماتسو: «هذا يتوقّف على الكيفية التي تنظر بها إلى المسألة. في بعض الأحيان يتمّ إعادة كتابة المخطوطة المقدّمة، بناء على نصيحة المحرر..».

رفع حليق الرأس يده حتى يُسكته: «لا يوجد احتيال في أن يقوم مؤلف بتنقيح أجزاء من روايته بناء على نصيحة المحرّر. ولكن أن يقوم طرف ثالث بإعادة كتابة العمل فهذا أمر لاأخلاقي. ليس ذلك فحسب، بل تأسيس شركة وهمية لتوزيع المكاسب - لا أدري كيف يفهم ذلك من الناحية القانونية، ولكن هذه الأعمال مرفوضة بشدّة من الناحية الأخلاقية. إنه أمر لا يغتفر. الصحافة سوف تنتقد ذلك بشدّة، وسوف تتضرّر سمعة شركتكم. أنا متأكّد أنك تفهم هذا جيداً، يا سيد كوماتسو. نحن نعرف الحقيقة كلها، ولدينا دليل لا يُدحض يمكن أن نكشفه للعالم. لذلك من الأفضل ألّا تحاول أن تجدَ لنفسك مخرجاً. سيكون مضيعة لوقتنا ووقتكم».

أومأ كوماتسو.

«إذا وصلت الأمور إلى هذا الحدّ، فلا بدّ أنك سوف تضطر إلى الاستقالة. وفوق ذلك، سوف تتعرّض للنبذ من الوسط الصحافي. ولن يكون لك مكان في مجال النشر. ولو في عمل مشروع».

قال كوماتسو: «أتصوّر لا».

«ولكن حتى هذه اللحظة، ليس هناك سوى عدد محدود من الأشخاص يعرف الحقيقة. أنت وإريكو فوكادا والبروفسور إبيسونو وتنغو كاوانا، الذي أعاد كتابة الرواية. وحفنة من الأشخاص الآخرين».

انتقى كوماتسو كلماته بعناية: «وفقاً للفرضية التي نتحدث بناء عليها، فإنّ هذه الحفنة من الأشخاص الآخرين هم أعضاء في ساكي جاكه».

أومأ حليق الرأس، إيماءة لا تكاد تُرى: «نعم. وفقاً لفرضيتنا، هذا صحيح».

صمت حليق الرأس، حتى يستوعب الفرضية. ثم تابع كلامه.

«وإذا كانت هذه الفرضية صحيحة حقاً، فيمكنهم أن يفعلوا بكَ ما يشاؤون. يمكنهم أن يُبقوك هنا ضيف شرف لأطول فترة ممكنة. لا توجد مشكلة على الإطلاق. أو إذا أرادوا تقصير مدة إقامتك، فهناك خيارات أخرى يمكنهم اللجوء إليها، وبعضها لن يسرّ كلا الطرفين. وفي كلتا الحالتين، لديهم القدرة والوسائل. وأعتقد أنك بالفعل مدرك لذلك جيداً».

ردّ كوماتسو: «أعتقد ذلك».

قال حليق الرأس: «حسناً».

رفع حليق الرأس إصبعاً، فغادر ذيل الحصان الغرفة. وسرعان ما عاد ومعه هاتف. قام بتوصيله بمقبس في الحائط وسلَّم الهاتف لكوماتسو. وطلب منه أن يتّصل بشركته.

«قل لهم إنك تعرّضت لنزلة بردٍ وحمى شديدة، ولزمت الفراش بضعة أيام. ويبدو أنك لن تستطيع الحضور إلى العمل لفترة من الوقت. أخبرهم بذلك ثم ضَع السماعة».

طلبَ كوماتسو أحد زملائه في العمل، وأوضحَ له بإيجاز ما كان عليه أن يقوله، ثم وضع السماعة دون أن يلتفت إلى أسئلته. أومأ حليق الرأس، فيما قام ذيل الحصان بفصل الهاتف من المقبس وحمل الهاتف وغادر الغرفة. راح حليق الرأس يتفحّص بشدّة ظهر يديه، ثم تحوّل إلى كوماتسو. وكانت هناك نبرة خفيفة مفعمة باللطف في صوته.

قال: «يكفينا هذا اليوم. سوف نتحدّث ثانية في يوم آخر. وحتى ذلك الحين، أرجو أن تفكّر بعناية في ما قلناه».

غادر الاثنان، وأمضى كوماتسو الأيام العشرة التالية في صمت،

في تلك الغرفة. كان الشاب الذي يضع الكمامة يُحضر وجبات طعام بسيطة مرات ثلاثة في اليوم. بعد اليوم الرابع، قدمت لكوماتسو غيارات ملابس - قميص من القطن يُشبه المنامة وبنطال، ولكن حتى نهاية إقامته، لم يُسمح له بالاستحمام. كان قصارى ما يمكنه عمله هو غسل وجهه في حوض صغير ملحَق بالحمام. وبمرور الوقت أصبح شعوره أكثر اضطراباً.

كان كوماتسو يعتقد أنه نُقل إلى مقرّ الجماعة في ياماناشي. وكان قد شاهده عبر التلفزيون. كان المقرّ يقع وسط الجبال، ومحاطاً بسياج عالٍ، وكأنه عالم مستقلّ. الهروب أو طلب النجدة ليس وارداً. إذا قرّروا في النهاية قتله (وهو ما قد يكون الاختيار غير السار الذي أشاروا إليه)، فلن يعثر أحد على جثّته. لم يشعُر في حياته من قبل بحقيقة الموت أو قربه الشديد كما شعر به في هذا المكان.

بعد عشرة أيام من إجرائه هذه المكالمة القسرية لشركته (الأرجح أنها عشرة أيام، رغم أنه ليس متأكداً)، عاد الثنائي نفسه مرة أخرى. بدا حليق الرأس أنحف من ذي قبل، وبدت عظام خديه أكثر بروزاً. وكانت عيناه الجامدتين قد احمرّتا الآن. وكما فعل من قبل، جلس على كرسي قابل للطي جلبه معه، ولم يكُن يفصله عن كوماتسو سوى الطاولة. بقي صامتاً مدة طويلة. اكتفى بالتحديق في كوماتسو بعينيه المحمرتين.

أمّا ذيل الحصان فبدا كما هو لم يتغيّر. ووقف مرة أخرى، منتصب القامة، أمام الباب، مثبتاً عينيه الجامدتين على نقطة وهمية في الفراغ. كانا يرتديان مرة أخرى بنطالين أسودين وقميصين أبيضين، أغلب الظنّ أنه زيّ موحّد من نوعٍ ما.

وأخيراً قال حليق الرأس: «دعنا نبدأ من حيث انتهينا في المرة السابقة. كنا نقول إننا نستطيع أن نفعل بكَ ما نشاء».

أومأ كوماتسو: «بما في ذلك خيارات لن تكون سارّة لأيّ من الطرفين».

قال حليق الرأس: «لديك ذاكرة قوية حقاً. أنت على صواب. هناك نتائج غير سارة تلوح في الأفق».

بقي كوماتسو صامتاً. تابع حليق الرأس كلامه.

«نظرياً هذا هو الموقف. أما عملياً، فإنهم لا يفضّلون كثيراً اللجوء إلى خيارات عنيفة. إذا كنت ستختفي فجأة الآن، يا سيد كوماتسو، فسوف يؤدّي ذلك إلى تعقيدات غير مرغوبة. تماماً كما حدث حينما اختفت إريكو فوكادا. لن يحزن أشخاص كثيرون لاختفائك، ولكنك محرّر مرموق ولديك مكانتك في مجالك. وأنا متأكد من أنك إذا تخلّفت عن سداد النفقة، فسوف يُغضب ذلك زوجتك، وليس ذلك أمراً مرغوباً».

سعل كوماتسو سعلة جافة وابتلع ريقه.

«لن ينتقدوك شخصياً، أو يحاولوا معاقبتك. فهم يدركون أنك حينما نشرت الشرنقة الهوائية لم تكن تقصد مهاجمة أيّ تنظيم ديني. في البداية لم تكن تُدرك حتى العلاقة بين الرواية وهذا التنظيم. لقد ارتكبت هذا الاحتيال على سبيل المرح وتحقيق الطموح. ومع تطوّر الأمور، دخل المال كعنصر مؤثر أيضاً. من الصعب جداً على موظف في شركة أن يدفع نفقة لزوجة ويعيل طفلاً، أليس كذلك؟ وقد ورّطت تنغو كاوانا، وهو روائي طموح يعمل في مدرسة ولم يكن يعرف أيّ شيء عن ملابسات هذه الفوضى. الخطة نفسها كانت ذكية، لولا اختيارك للرواية والكاتب. لم يكن في ذلك ذكاء كبير. وقد تعقّدت

الأمور أكثر ممّا كنت تتصور. كنتم أشخاصاً عاديين تمشون عبر الخطوط الأمامية ثم وقعتم في حقل ألغام. لا يمكنكم المضي قدماً، ولا يمكنكم العودة. هل أنا مصيب في ذلك يا سيد كوماتسو؟».

رد كوماتسو: «أظن أنك لخّصت الموضوع كله».

قال حليق الرأس وقد ضيّق عينيه قليلاً: «لا تزال هناك بعض الأشياء التي لم تفهمها تماماً. إذا فهمتها، فلن تدّعي أنه لا علاقة تربطك بذلك. دعني أوضحها لك. أنت بصراحة واقع في قلب حقل الألغام».

أومأ كوماتسو في صمت.

أغمض حليق الرأس عينيه، وبعد عشر ثوان فتحهما: «هذا الموقف يضعك في أزمة، ولكني أدرك أنه ربما يسبّب لهم أيضاً مشكلات حقيقية».

تجاسر كوماتسو وقال: «هل تمانع إذا سألتك سؤالاً؟».

«إذا كان يمكنني جوابه».

«لقد تسبَّب نشرنا الشرنقة الهوائية في مشكلة بسيطة للتنظيم الديني. هل هذا ما تودّ قوله؟».

قال حليق الرأس: «أكثر من مجرّد مشكلة بسيطة». تجهَّم قليلاً. «لم تعد الأصوات تتحدث إليهم. هل تدري ماذا يعني ذلك؟».

قال كوماتسو بصوت متحشرج وجاف: «لا».

«حسناً. لا يمكنني أن أوضح لك أكثر من ذلك. والأفضل لك ألّا تعرف. لم تعُد الأصوات تتحدث إليهم. هذا كلّ ما أستطيع قوله لك الآن». سكتَ حليق الرأس برهة. «وقد حدث هذا التحوّل المؤسف بسبب نشركم الشرنقة الهوائية».

طرح كوماتسو سؤالاً: «وهل كانت إريكو فوكادا والبروفسور

إبيسونو يدركان أنهما بنشر **الشرنقة الهوائية**، سوف يتسبّبان في هذا التحوّل المؤسف؟».

هز حليق الرأس رأسه: «لا، لا أعتقد أنّ البروفسور إبيسونو كان يدرك أنّ الأمور سوف تأخذ هذا المنحى. وليس واضحاً ما هي نوايا إريكو فوكادا. إنّ القول بأنها غير مقصودة هو مجرّد تخمين. ولكن حتى لو افترضنا أنها كانت متعمّدة، لا أعتقد أنّ نواياها هي التي حرّكتها».

قال كوماتسو: «إنّ الناس يقرؤون **الشرنقة الهوائية** كرواية خيالية. حكاية بسيطة حالمة لا تحمل ضرراً لأحدٍ كتَبَتْها فتاة في سن المرحلة الثانوية، بل لقد تعرّضت الرواية لنقد كبير بسبب إغراقها في السريالية. لا أحد على الإطلاق ظنَّ أنّ صفحاتها كشفت عن سرٍّ كبير أو معلومات مهمة».

قال حليق الرأس: «أتصوّر أنك على صواب. الغالبية العظمى من الناس لن يلاحظوا ذلك أبداً. ولكن هذه ليست المشكلة. هذه الأسرار ما كان ينبغي أبداً أن تخرج للعلن. **بأيّ شكل من الأشكال**».

كان ذيل الحصان يقف متسمراً في نقطة ما أمام الباب، وهو يحدق في الجدار، إلى بعض الاحتمالات التي لا يستطيع أحد سواه أن يراها.

قال حليق الرأس وهو ينتقي كلماته: «ما يريدونه هو استعادة الأصوات. البئر لم تجف. ولكن الماء الذي فيها قد غار إلى القاع، ولم يعُد يُرى. ستكون استعادته صعبة للغاية، ولكنها ممكنة».

نظر حليق الرأس بعُمق في عينيّ كوماتسو. بدا وكأنه يقيس عمق شيء ما داخل عينيه، وكمَن يعاين غرفة حتى يرى إن كانت قطعة أثاث تناسبها أو لا.

«كما أسلفت، جميعكم دخلتم إلى حقل ألغام. ولم يعُد بإمكانكم المضيّ إلى الأمام، أو العودة إلى الوراء. أمّا ما يمكنهم عمله فهو أن يرشدوكم إلى الطريق، حتى يمكنكم الخروج بأمان. إذا فعلوا ذلك، فسوف تنجون بأعجوبة، وسيكون بوسعهم التخلص بسلام من بعض المتسلّلين المزعجين».

ثنى حليق الرأس ذراعيه، وتابع: «نودّ منكم أن تنسحبوا من كلّ هذا بهدوء. إذا غادرت هذا المكان سليماً معافى فلن يضرّ ذلك أحداً. ولكننا سوف نواجه متاعب إذا أحدثنا ضجيجاً هنا الآن. لذلك، يا سيد كوماتسو، سوف أرشدك إلى طريقة الانسحاب. سوف أدلّك على مكان آمن. ما أطلبه في المقابل هو ما يلي: يجب أن توقف نشر **الشرنقة الهوائية**. وألّا تقوم بطباعة أي نسخ أخرى، أو إعادة طباعتها في شكل كتاب ورقي. ويجب إيقاف جميع الإعلانات التي تروّج للكتاب. وسوف تقوم بقَطع جميع الاتصالات مع إريكو فوكادا. ما قولك؟ لديك من التأثير ما يكفي لعمل ذلك».

قال كوماتسو: «لن يكون سهلاً، ولكن ربما أستطيع».

أصبحت عينا حليق الرأس أكثر احمراراً وزادت حدّتها: «يا سيد كوماتسو، نحن لم نأتِ بك كلّ هذا الطريق إلى هنا للحديث عن ربما. نحن لا نطلب منك جمع كلّ النسخ التي صدرت من الكتاب. إذا فعلت ذلك، فسوف تتلقّف وسائل الإعلام الخبر. ونحن نعلم أنّ نفوذك لا يصل إلى ذلك الحدّ. نودّ منك أن تتعامل مع الموقف بهدوء. لم يعُد بالإمكان إلغاء ما حدث بالفعل. عندما تتلف شيئاً، لا يمكنك أن تُعيده إلى ما كان عليه. ما يريدونه هو إزاحة هذا العمل بعيداً عن دائرة الضوء. هل تفهمني؟».

أومأ كوماتسو.

«يا سيد كوماتسو، كما أوضحت، هناك العديد من الحقائق هنا التي يجب ألّا تخرج إلى العلن. وإذا خرجت، فسوف يتحمّل جميع المتورطين العواقب. لذلك، ولمصلحة الطرفين، نودّ أن نبرم هدنة. ولن تتحمل مسؤولية أيّ شيء يقع بعد هذه النقطة. سوف يكون السلام مضموناً. ولن يكون لك أيّ صلة **بالشرنقة الهوائية** مستقبلاً. هذه صفقة لا بأس بها، وأنت تعرف ذلك؟».

فكّر كوماتسو في ذلك وقال: «حسناً. سوف أوقف أولاً نشر **الشرنقة الهوائية**. قد يستغرق ذلك بعض الوقت، ولكني سوف أجد وسيلة. وعلى المستوى الشخصي، يمكنني أن أخرج هذه المسألة برمّتها من ذهني. وأعتقد أن تنغو كاوانا يمكنه فعل الشيء نفسه. لم يكن متحمّساً لها منذ البداية. جعلته يشارك رغم إرادته. دوره في المسألة انتهى منذ مدة. ولا أعتقد أنّ إريكو فوكادا سوف تمثل مشكلة. وهي نفسها قالت إنها لا تنوي كتابة أي روايات أخرى. البروفسور إبيسونو هو الوحيد الذي لا أستطيع أن أتوقع ردّ فعله. وغايته النهائية كانت أن يَعرف ما إذا كان صديقه، تاموتسو فوكادا، بخير أم أصابه مكروه. إنه يريد أن يعرف أين هو الآن وماذا حلّ به. مهما كان ما سأقوله، ربما يواصل بحثه عن معلومات حول السيد فوكادا».

قال حليق الرأس: «إنّ تاموتسو فوكادا مات». جاء صوته هادئاً، وغير مكترثٍ، ولكن كانت تصاحبه نبرة ثقيلة للغاية.

سأله كوماتسو: **مات؟**

قال حليق الرأس: «مات منذ فترة وجيزة». أخذ نفساً عميقاً وأخرجه ببطء. «توفي بنوبة قلبية. انتهت حياته في لحظة، ومن دون معاناة. وبسبب ملابسات الوفاة، لم نعلن الخبر، وأقمنا الجنازة سراً

في مجمعنا. ولأسباب دينية، تمّ حرق الجثمان، وسُحقت العظام ونُثرت في الجبال القريبة. قانونياً، يُعتبر ذلك انتهاكاً لحرمة جثة، ولكن من الصعب أن يُحرّك دعوى ضدنا. ولكن هذه هي الحقيقة. نحن لا نكذب مطلقاً فيما يخصّ أمور الحياة والموت. أودّ منك إبلاغ البروفسور إيبسونو بذلك».

«وفاة طبيعية».

أومأ حليق الرأس بشدّة: «السيد فوكادا كان بالنسبة إلينا شخصاً مهماً جداً. لا، كلمة مهمة هنا مبتذلة للغاية ولا تعبّر عما كانه بيننا. كان عملاقاً. لم نخبر بوفاته سوى عددٍ محدودٍ من الأشخاص. وقد فجُعوا بفقدانه. قبل عدة سنوات توفّيت زوجته، وهي والدة إريكو فوكادا بسرطان المعدة. رفضتْ العلاج الكيماوي، وتوفيت داخل منشأة علاجية داخل المجمع. ظلّ زوجها تاموتسو يرعاها حتى النهاية».

قال كوماتسو: «وفي حالتها أيضاً، لم تقدّموا بلاغاً بوفاتها».

لم يَسمع أيّ كلمات نفي.

«ومات تاموتسو فوكادا مؤخراً».

قال حليق الرأس: «صحيح».

«هل كان ذلك بعد نشر الشرنقة الهوائية؟».

نظر حليق الرأس إلى الطاولة للحظة، ثم رفع رأسه ونظر إلى كوماتسو.

«نعم. توفي السيد فوكادا بعد نشر الشرنقة الهوائية».

تجاسر كوماتسو وسأل: «هل كان الحدثان مرتبطين؟».

لم يُجب حليق الرأس بأيّ شيء، وراح يفكّر في كيفية الرد عليه. وأخيراً، كما لو كان قد حزَمَ أمره، قال: «حسناً. أعتقد أنه من

الأفضل إبلاغ البروفسور إبيسونو بكلّ الحقائق، حتى يفهم. كان السيد تاموتسو فوكادا هو الزعيم الحقيقي، **الذي يسمع الأصوات**. حينما نشرت ابنته، إريكو فوكادا، **الشرنقة الهوائية**، لم تعد تأتيه الأصوات، وفي هذه المرحلة أنهى السيد فوكودا حياته بنفسه. كانت وفاته طبيعية. وللدقة، وضع حداً لحياته بشكل طبيعي».

تمتم كوماتسو: «إريكو فوكادا كانت ابنة الزعيم».

أومأ حليق الرأس إيماءة سريعة ومقتضبة.

تابع كوماتسو: «وانتهى الأمر بإريكو فوكادا أنها دفعت والدها إلى حتفه».

أومأ حليق الرأس مرة أخرى: «هذا صحيح».

«لكن الديانة لا تزال قائمة».

ردّ حليق الرأس: «لا تزال الديانة قائمة،» وراح يحدق في كوماتسو بعينين يشبهان حصاتين قديمتين وقد تجمّدتا في قاع نهر جليدي. «يا سيد كوماتسو، لقد تسبَّب نشر **الشرنقة الهوائية** في ضرر غير هيّن لساكي جاكه. ومع ذلك، فهم لا يفكِّرون في معاقبتكم. لا فائدة ترجى من هذا العقاب في الوقت الحالي. لديهم مهمة يجب عليهم إتمامها، ولإنجازها، لا بد من عزلة هادئة».

«ولهذا فأنتَ تريد من الجميع التراجع خطوة إلى الوراء ونسيان كل ما كان».

«باختصار نعم».

«هل كان لا بد من اختطافي لإيصال هذه الرسالة؟».

اعترى حليق الرأس للمرة الأولى ما يشبه تعبيراً للوجه، أو انفعالاً عابراً، يقع في منزلة بين المرح والتعاطف. «لقد تحمّلوا عناء إحضارك إلى هنا حتى تُدرك خطورة الموقف. إنهم لا يريدون اللجوء

إلى أيّ عنف، ولكن إذا اقتضى الأمر، فلن يتردّدوا. كانوا يريدونك أن تشعر بذلك فعلاً، وأن يكون ذلك نابعاً من داخلك. إذا لم تلتزموا جميعاً بوعدكم، فسوف يصيبكم جميعاً شيء لا يسرّكم بالمرة. هل أنت معي؟».

ردّ كوماتسو: «نعم معك».

«حتى أكون صريحاً معك يا سيد كوماتسو، فأنت محظوظ للغاية. لعلّك لم تلحَظ ذلك بسبب كلّ هذا الضباب الكثيف، ولكنك كنت على حافة الهاوية. سيكون من الأفضل إذا وضعت ذلك نصب عينيك. في هذه اللحظة ليس لديهم وقت للتصرّف معك. لديهم أمور أخرى أكثر إلحاحاً. وبهذا المعنى أيضاً، أنت محظوظ جداً. ولذلك ورغم استمرار هذا الحظ الجيد..».

وبينما كان يقول ذلك، رفع يديه لأعلى، كمن يريد أن يتحقَّق ما إذا كانت السماء تُمطر أو لا. انتظر كوماتسو كلماته التالية، ولكنه لم ينطق بشيء. والآن وبعد انتهائه من كلامه، بدا حليق الرأس منهكاً. نهض ببطء من كرسيه، وقام بطيّه، وغادر الغرفة المربعة دون أن ينظر كثيراً وراءه. أغلق الباب الثقيل، وسُمع صوت القفل. تُرك كوماتسو وحيداً.

«أبقوني حبيس هذه الغرفة الصغيرة لأربعة أيام أخرى. كنا قد انتهينا بالفعل من نقاش الأمور المهمة. أخبروني بما يريدونه وتوصّلنا إلى اتفاق. ولذلك لم أفهم غايتهم من إبقائي هناك مدة أطول. لم يظهر هذا الثنائي مرة أخرى، كما لم ينطق الشاب المسؤول عني بكلمة. كنت أتناول الطعام نفسه، وأحلق بالماكينة الكهربائية، وأقضي وقتي أحدِّق في السقف والجدران. أنام حينما يطفئون الأنوار،

وأستيقظ حينما يضيئونها. وأفكّر في ما قاله لي حليق الرأس. ما لفت انتباهي حقاً هو قولة إننا كنا محظوظين. كان حليق الرأس محقاً. لا شيء يستعصي على هؤلاء الناس. يمكنهم أن يكونوا عديمي الرحمة. اكتشفتُ ذلك خلال فترة احتجازي هناك. أعتقد أنهم أبقوني حبيساً هناك لأربعة أيام أخرى، لمعرفتهم أن هذه ستكون النتيجة. سهامهم لا تطيش. فهم دقيقون للغاية».

أمسك كوماتسو كأسه الطويل وارتشف منه رشفة.

«خدَّروني مرة أخرى بالكلوروفورم أو بشيء من هذا القبيل، وحينما استيقظت كان الوقت فجراً ووجدتني مستلقياً على أريكة في جينجو جاين. كان ذلك في نهاية سبتمبر، وكان الطقس بارداً في الصباح. وبسبب ذلك أصبتُ بالفعل في نهاية الأمر بالبرد والحمى، ولزمت الفراش فعلاً خلال الأيام الثلاثة التالية. ولكني أعتقد أني كنت محظوظاً لأنّ الأمر قد انتهى عند هذا الحد».

بدا أنّ كوماتسو انتهى من قصته. وسأله تنغو: «هل أخبرتَ البروفسور إبيسونو بذلك؟».

«نعم، بعد إطلاق سراحي، وبعد بضعة أيام من هدوء الحمى، ذهبتُ إلى منزله على الجبل. وأخبرته تقريباً بما قلته لك».

«وماذا كان ردّ فعله؟».

شربَ كوماتسو آخر قطرة من كأسه وطلب إعادة ملئه. عرض على تنغو الشيء نفسه، ولكن تنغو هز رأسه.

«البروفسور إبيسونو جعلني أعيد القصة مرة تلو مرة وراح يسألني أسئلة تفصيلية كثيرة. أجبتُه بكلّ ما لدي. استطعتُ أن أعيد له القصة مرة تلو مرة. أعني، أنني بعد آخر مرة تحدّثت فيها مع حليق الرأس،

بقيتُ حبيس الغرفة وحدي لأربعة أيام. لم يكن هناك أحدٌ يمكنني أن أتحدّث إليه، وكان لدي الكثير من الوقت. ولذلك كنتُ أفكر كثيراً في ما قاله لي واستطعتُ أن أتذكَّر بدقّة كلّ التفاصيل. كما لو كنتُ شريط كاسيت بشري».

سأله تنغو: «ولكن الجزء الذي يتعلق بوفاة والديّ فوكا-إري هو مجرَّد ادّعاء منهم. أليس كذلك؟».

«صحيح. لقد أكّدوا حدوث ذلك، ولكن لا يمكن التحقّق من ذلك. ولم يقدِّموا بلاغاً بالوفاة. ومع ذلك، وبالنظر إلى الكيفية التي بدا بها حليق الرأس، فلا يبدو أنه يختلق الخبر. وكما قال، فإنّ ساكي جاكه يعتبر حياة الناس وموتهم شيئاً مقدّساً. بعد أن انتهيت من قصتي، بقي البروفسور إيبسونو صامتاً لبعض الوقت، وراح يفكر فيها. إنه يفكر فعلاً في الأمور بإمعان لفترة طويلة. ودون أن ينطق بكلمة، نهض وغادر الغرفة، ولم يعُد إلّا بعد مدة. أعتقد أنه كان يحاول استيعاب خبر وفاة صديقه، معتبراً الوفاة قضاء محتوماً. ربما كان يتوقّع بالفعل أنهما قد غادرا العالم وكان يحاول أن يستوعب ذلك. ومع ذلك، لا بد أن خبر وفاة اثنين من أصدقائه المقربين كان مفجعاً».

تذكّر تنغو غرفة المعيشة الفارغة في منزل البروفسور إيبسونو، والتي يسودها صمت بارد ورهيب، والنداء الزاعق الذي يُصدره طائر خارج النافذة. وسأله: «إذاً، هل بدأنا بالفعل طريق الخروج من حقل الألغام؟».

أتى النادل بكوب جديد. أخذ كوماتسو رشفة.

«لم نتوصَّل لقرار وقتها. البروفسور إيبسونو قال إنه بحاجة إلى وقت للتفكير. ولكن أيّ خيار آخر لدينا سوى أن نفعل ما طلبوه منا؟

لقد بدأتُ العمل من فوري. في الشركة بذلتُ كلّ ما بوسعي وأوقفتُ طباعة أيّ نسخ إضافية من **الشرنقة الهوائية**، حتى تنفد نسخها بالفعل. لن تكون هناك أيّ طبعات من الكتاب الورقي، أيضاً. بِيْع من الرواية بالفعل نسخ كثيرة وحقّقت الشركة مالاً وفيراً، لذلك لن تتعرّض للخسارة. في مثل هذه الشركة الكبيرة، لا بد من عقد اجتماعات حول المسألة، ولا بد من توقيع الرئيس على ذلك، ولكني حينما أوضحتُ لهم إمكانية التعرّض لفضيحة بسبب وجود كاتبٍ خفيّ، فزع كبار المسؤولين، وفي النهاية استجابوا لما أردته. يبدو أنني من الآن فصاعداً سوف أكون موضع ازدراء داخل الشركة، ولكن لا بأس. لقد اعتدتُ ذلك».

«هل تقبّل البروفسور إبيسونو بما قيل عن وفاة والدي فوكا إري؟».

قال كوماتسو: «أعتقد ذلك. ولكني أتصوّر أنه سوف يستغرق بعض الوقت كي يستوعبه ويتقبّله فعلاً. بحسب علمي، فإنّ هؤلاء الأشخاص كانوا جادين. سوف يقدّمون بعض التنازلات، ولكني أظنّهم يرغبون في تجنّب المزيد من المشكلات. ولهذا السبب لجأوا إلى اختطافي - كانوا يريدون أن يتأكّدوا تماماً من أن الرسالة وصلتنا. لم يكونوا بحاجة إلى إخباري عن كيفية حرقهم جثتي السيد والسيدة فوكادا سراً. ورغم أنه سيكون من الصعب إثبات ذلك، فإنّ انتهاك حرمة الجثث جريمة كبرى. ولكنهم رغم ذلك أخبروني بها. لقد وضعوا ورقهم على الطاولة. لذلك أعتقد أنّ معظم ما قاله حليق الرأس هو الحقيقة. ربما لم يكشف كلّ التفاصيل، ولكنه على الأقل قدَّم الصورة الكُلية».

تفكّر تنغو في ما قاله كوماتسو: «كان والد فوكا-إري هو مَن

يسمع الأصوات. بعبارة أخرى، كان نبياً. ولكن حينما نشرت ابنته **الشرنقة الهوائية** وغدت أفضل الكتب مبيعاً، انقطعَت عنه الأصوات، ولذلك مات الأب ميتة طبيعية».

قال كوماتسو: «أو بالأحرى أنهى حياته نهاية طبيعية».

«ولذلك فمن المهم لساكي جاكه أن يجد نبياً جديداً. إذا توقّفت الأصوات عن الكلام، فسوف يفقدون العلّة الكاملة لوجود الديانة. لذلك لم يكن لديهم وقت كي ينشغلوا بأمثالنا. باختصار، هذه هي القصة، أليس كذلك؟».

«أظن ذلك».

«**الشرنقة الهوائية** تتضمن معلومات بالغة الأهمية بالنسبة لهم. عندما نُشرَت وقُرئت على نطاق واسع، توقفت الأصوات عن الكلام. ولكن ما هي المعلومات الحساسة التي أشارت إليها الرواية؟».

قال كوماتسو: «خلال الأيام الأربعة الأخيرة من حبسي فكرت كثيراً في ذلك. إن **الشرنقة الهوائية** رواية قصيرة جداً. في القصة نجد العالم يمتلئ بالناس الصغار. والفتاة ذات العشر سنوات وهي بطلة الرواية تعيش في مجمّع منعزل. يخرج الناس الصغار سراً في الليل وينسجون الشرنقة الهوائية. الأنا البديلة للفتاة توجد داخل الشرنقة وتنشأ بينهما علاقة أم بابنتها - **مازا ودوهتا**. وفي ذلك العالم يوجد قمران، الأول كبير والثاني صغير، وربما يرمزان إلى **مازا ودوهتا**. في الرواية ترفض البطلة، بحسب فوكا-إري نفسها، حسبما أعتقد، ترفض أن تكون **مازا** وتفرّ بعيداً عن هذا المجمّع. تركَت **دوهتا** وراءها. لكن الرواية لا تُخبرنا بما حدث مع **دوهتا** بعد ذلك».

حدّق تنغو مدة في مكعبات الثلج وهي تذوب في الكوب.

قال تنغو: «ولكن هل يحتاج الشخص الذي يسمع الأصوات إلى دوهتا كوسيط؟ فمن خلالها يمكنه أن يسمع الأصوات لأول مرة، أو ربما من خلالها تترجم الأصوات إلى لغة مفهومة. كلاهما يجب أن يكونا موجودين كي تأخذ رسالة الأصوات شكلَها الصحيح. وبحسب كلمات فوكا-إري، فإنّ هناك سميعاً وبصيراً. ولكن أولاً وقبل كلّ شيء يجب صنع شرنقة هوائية، لأنّ دوهتا لا يمكنها أن تولد إلّا من خلال ذلك. ولخلق دوهتا، يجب أن توجد مازا ملائمة».

«هذا رأيك، يا تنغو».

هز تنغو رأسه: «لا أسمّيه رأياً. حينما كنت أستمع لك وأنت تلخّص القصة لي، كنت أرى أن هذا هو ما ينبغي أن تكون عليه».

بينما كان يقوم بإعادة كتابة الرواية، وبعد الانتهاء من ذلك، كان تنغو يفكر في معنى مازا ودوهتا، لكنه لم يستطعْ مطلقاً أن يفهم تماماً الصورة الكلية. ولكن الآن، بعد حديثه مع كوماتسو، تجمّعت قطع الأحجية شيئاً فشيئاً في موضعٍ واحد. رغم ذلك كانت لا تزال لديه أسئلة: لماذا تشكّلت الشرنقة الهوائية فوق سرير والده في المستشفى؟ ولماذا ظهرت أَوْمَامِه كطفلة صغيرة داخلها؟

قال كوماتسو: «إنه نظام رائع. ولكن ألا توجَد مشكلة في أن تنفصل مازا عن دوهتا؟».

«في غياب دوهتا، من الصعب أن تصبح مازا كياناً مكتملاً. كما رأينا مع فوكا-إري، فإنه من الصعب أن نحدِّد بالضبط ما يعنيه ذلك، ولكن هناك شيء مفقود - وكأنّ شخصاً قد فقَدَ ظلّه. أمّا كيف يبدو شكل دوهتا من دون مازا، فلا أدري. ربما تكون كلتاهما ناقصتين، لأنّ دوهتا، في نهاية المطاف، ليست سوى أنا بديلة. ولكن في حالة

فوكا-إري، حتى دون أن تكون مازا بجانبها، يمكن لدوهتا أن تؤدّي دورها كوسيطٍ من نوع ما».

مطّ كوماتسو شفتيه لفترة من الوقت، ثم قلبها قليلاً: «هل تعتقد أنّ كل الأحداث التي وردت في الشرنقة الهوائية قد حدثت بالفعل؟».

«ليس هذا ما أقصده. إنه مجرد افتراض - افتَرِضْ أنّ كل شيء فيها قد حدث بالفعل، ثم ابدأ من هذا الأساس».

قال كوماتسو: «حسناً. إذاً حتى لو كانت الأنا البديلة لفوكا-إري تذهب بعيداً عن جسدها، فإنها لا تزال وسيطاً».

«وهذا يفسر لنا لماذا لا يُجبرها ساكي جاكه على العودة، حتى لو علموا بمكان وجودها. لأنه في حالتها، حتى لو كانت مازا ليست موجودة بالقرب، فإنّ دوهتا لا يزال يمكنها تأدية واجباتها. ربما تكون الصلة التي تجمعهم قوية للغاية، حتى وإن انفصلتا بعضهما عن بعض».

«حسناً..».

تابع تنغو: «أتصوّر أن لديهم العديد من دوهتا. يجب على الناس الصغار أن يغتنموا الفرصة لخلق العديد من الشرنقات الهوائية. سوف يتملّكهم القلق إن أصبح لديهم بصير واحد. أو لو أنّ عدد دوهتا التي يمكنها العمل بشكلٍ سليم بات محدوداً. ربما توجد دوهتا واحدة قوية، دوهتا رئيسة، والعديد من دوهتا الأضعف التي تقوم بدور مساعد، وهم يعملون بشكل جماعي».

«إذاً فهل دوهتا التي تركتها فوكا-إري وراءها هي دوهتا رئيسة تعمل بشكل صحيح؟».

«يبدو ذلك ممكناً. لقد كانت فوكا-إري خلال كلّ ما جرى في المركز دائماً، وكأنها عين الإعصار».

ضيَّق كوماتسو عينيه وثنى يديه على الطاولة. حينما يفعل ذلك، يصبح باستطاعته أن يركِّز فعلاً في قضية ما.

«هل تعرف، يا تنغو، لقد كنتُ أفكر في ذلك. هل يمكنك أن تفترض أنّ فوكا-إري التي قابلناها هي في الواقع دوهتا وأنّ مَن تركتها وراءها في ساكي جاكه هي مازا؟».

كان ذلك بمثابة صدمة لتنغو. لم تخطر له هذه الفكرة من قبل. كان يعتبر فوكا-إري شخصاً حقيقياً. ولكن يجوز فعلاً أن نتصوّرها على هذا النحو. **أنا لا أحيض. لذلك ليس وارداً أن أحمل**. كانت فوكا-إري هي مَن كشفت ذلك، بعد اللقاء الجنسي الذي جمعهما في تلك الليلة. لولا أنها لم تكن سوى أنا بديلة، لكان عدم حملها أمراً غير مفهوم. فالأنا البديلة لا يمكنها أن تتكاثر ذاتياً، وحدها مازا يمكنها ذلك. ومع ذلك، لم يستطعْ تنغو أن يقبل هذه الفرضية - أي أنه قد ضاجع أنا بديلة، وليس فوكا-إري الحقيقية.

«إن فوكا-إري لديها شخصية متميّزة. ولديها معايير أخلاقية. وأنا لديّ بعض الشكّ في أن تلتزم أنا بديلة بتلك المعايير».

وافق كوماتسو: «بالضبط. لو لم يكن لديها أيّ شيء آخر، فإن فوكا-إري لديها شخصية متميزة ومعايير أخلاقية خاصة. يجب أن أوافقك في ذلك».

لكن فوكا-إري كانت لا تزال تخفي سرّاً، ولا تزال هذه الفتاة الجميلة تحتفظ داخلها بشفرة مهمة، شفرة كان عليه أن يكتشفها. هكذا كان يشعر تنغو. أيهما الشخص الحقيقي وأيهما الأنا البديلة؟ أو هل فكرة تصنيفهما إلى «حقيقي» و«أنا بديلة» هي فكرة خاطئة برمّتها؟ ربما كانت فوكا-إري قادرة، بحسب الموقف، على المناورة بذاتها الحقيقية وأناها البديلة؟

قال كوماتسو وقد وضعَ يديه على الطاولة وأخذَ يحدِّق فيهما: «هناك عدة أمور ما زلت لا أفهمها». كانت أصابعه طويلة ونحيلة بالنسبة إلى رجل في منتصف العمر.

«لقد توقّفت الأصوات عن الكلام، وجفَّت مياه البئر، ومات النبي. ماذا سيحدث لدوهتا بعد ذلك؟ لن تتبعه إلى الموت كما تفعل الأرامل في الهند».

«عندما لا يوجد بصير، فليس هناك حاجة للسميع».

قال كوماتسو: «إذا مضينا بفرضيتك خطوة أبعد، وحتى نكون أكثَر دقة، هل كانت فوكا-إري تعرف أن هذه ستكون النتيجة حينما كتبت الشرنقة الهوائية؟ علماً بأنّ المسؤول في ساكي جاكه أخبرني أنها لم تكُن متعمّدة. على الأقل لم تكن هذه هي نيتها. ولكن كيف له أن يعرف هذا؟».

قال تنغو: «لا أعرف. لكني لا أستطيع أن أتصور فوكا-إري وهي تدفع والدها عمداً إلى الموت. أعتقد أن والدها كان يواجه الموت لسببٍ آخر لا صلة لها به. ربما ما فعلته كان محاولة منها لمواجهة القوى التي تعمل ضدّ والدها. أو ربما كان والدها يأمل في أن يتحرَّر من الأصوات. هذه مجرد تكهنات، وليس لدي ما يدعمها».

فكَّر كوماتسو في ذلك مدة طويلة، حتى ظهرت التجاعيد على جانبي أنفه. وأخيراً تنهد ونظر حوله. «يا له من عالم غريب. مع كلّ يوم يمرّ، يصعب معرفة مقدار ما هو افتراضي ومقدار ما هو حقيقي. قل لي، يا تنغو، باعتبارك روائياً، ما تعريفك للعالم الحقيقي؟».

قال تنغو: «حينما تغرز إبرة في جسد إنسان، فيخرج منه دمٌ أحمر، فهذا هو العالم الحقيقي».

قال كوماتسو وهو يحكّ ساعده من الداخل: «إذاً هذا قَطعاً هو العالم الحقيقي». ظهرت إلى سطح جلده أوردة شاحبة اللون. لم يكن يبدو أنّ أوعيته الدموية في صحة جيدة - كانت قد تضرَّرت على مدى سنوات من الشرب والتدخين ونمط حياتي غير صحي وأجواء المؤامرات التي تخيِّم على الوسط الأدبي. ازدردَ كوماتسو آخر قطرة من شرابه ورجَّ الثلج في الكأس الفارغة.

«هل يمكنك متابعة فرضيتك؟ لقد أصبحتْ أكثر إثارة».

قال تنغو: «إنهم يبحثون عن خليفة للشخص الذي يسمع الأصوات. ولكن عليهم أيضاً العثور على دوهتا جديدة، تعمَل بشكل سليم. السميع الجديد سوف يحتاج إلى بصير جديد».

«بعبارة أخرى، يجب عليهم أن يعثروا أيضاً على مازا جديدة. وحتى يمكنهم ذلك، يجب عليهم أن يصنعوا شرنقة هوائية جديدة. هذا يبدو أشبه بعمل ضخم للغاية».

«وهذا هو ما يجعلهم شديدي الجدية».

«بالضبط».

قال تنغو: «لكن لا يمكنهم البحث بشكل عشوائي. يجب أن يضعوا أحداً ما في بالهم».

أومأ كوماتسو: «أنا أيضاً لدي الانطباع نفسه. لهذا السبب فإنهم يريدون التخلّص منا بأسرع ما يمكن، حتى لا نسبِّب لهم أيّ إزعاج بعد الآن. أعتقد أننا كنّا تماماً مثل بقعة سوداء على ثوبهم الأبيض».

«كيف ذلك؟».

هزّ كوماتسو رأسه. لم يكن يعرف هو الآخر.

«لا أدري ما هي الرسالة التي أوصلتها لهم الأصوات حتى الآن. وما هي العلاقة بين الأصوات والناس الصغار».

هزّ كوماتسو رأسه باستخفاف مرة أخرى. وهذا، أيضاً، يتجاوز أي شيء يمكن أن يذهب إليه خيالهما.

«هل شاهدت فيلم 2001: أوديسا الفضاء؟».

قال تنغو: «نعم».

قال كوماتسو: «نحن نشبه القرود في الفيلم. ذات الفراء الأشعث الأسود، يصيحون بكلام غير مفهوم وهم يرقصون حول الحجر الضخم».

دخل شخصان جديدان من الزبائن إلى الحانة، وجلسا أمام بار الشراب وكأنهما من روّاد المكان، وطلبا شراباً.

قال كوماتسو وقد بدا أنه يريد أن ينهي الحوار: «هناك شيء يمكننا أن نقوله على وجه اليقين. فرضيتك مقنعة. تبدو منطقية. وأنا دائماً أستمتع بهذه الأحاديث معك. ولكن سوف يكون علينا الانسحاب من حقل الألغام المخيف، وربما لن نرى فوكا-إري أو البروفسور إبيسونو مرة أخرى. **الشرنقة الهوائية** هي مجرد رواية خيالية لا ضرر منها، ولا تحوي معلومة واحدة محدّدة. أما ما هي هذه الأصوات، وما هي الرسالة التي ينقلونها، فهذا ليس من شأننا. يجب أن نترك الأمر كما هو».

«ننزل من القارب ونعود إلى الحياة على البر».

أومأ كوماتسو: «لقد فهمت. سأذهب للعمل كلّ يوم، وأستلم المخطوطات التي لا تضرّ أحداً لنشرها في مجلة أدبية. وأنت سوف تذهب إلى المدرسة وتدرِّس الرياضيات للشباب الواعد، وفي أثناء ذلك، تكتب الروايات. سوف يعود كلّ منا إلى حياته الهادئة المملّة.

لا جنادل ولا شلالات. سوف نتقدّم في العمر بهدوء. هل لديك اعتراض؟».

«ليس لدينا أي خيار آخر، أليس كذلك؟».

شدّ كوماتسو تجاعيد أنفه بإصبعه: «صحيح. ليس لدينا خيار آخر. أستطيع أن أقول ذلك - لا أريد أن أُختطف مرة أخرى. الحبس في تلك الغرفة مرة واحدة يكفي وزيادة. إذا كانت هناك مرة قادمة، فربما لن أرى ضوء النهار ثانية. مجرد التفكير في اللقاء مرة أخرى مع هذا الثنائي يزلزل قلبي. ليس عليهم إلّا أن يرمقوك بنظرة غضب، حتى يُغمى عليك».

استدار كوماتسو ليصبح مواجهاً لبار الشراب وطلب كأساً ثالثة. ووضع سيجارة جديدة في فمه.

«ولكن لماذا لم تقل لي هذا إلّا الآن؟ لقد انقضى وقت طويل على اختطافك، أكثر من شهرين. كان ينبغي أن تُخبرني قبل ذلك».

قال كوماتسو وقد مالت به رأسه قليلاً: «لا أدري. معك حق. كنت أفكّر في إبلاغك، ولكني ظللتُ أؤجل ذلك. لا أدري لماذا. ربما كنت أشعر بالذنب».

قال تنغو مندهشاً: «تشعر بالذنب؟» لم يتوقّع مطلقاً أن يسمع ذلك من كوماتسو.

قال كوماتسو: «حتى أنا أشعر بالذنب».

«بشأن ماذا؟».

لم يردّ كوماتسو. وضيَّق عينيه وأدار السيجارة التي لم يُشعلها بعد بين شفتيه.

سأله تنغو: «هل تعرف فوكا-إري أن والديها قد ماتا؟».

«أعتقد أنها ربما تعرف. أتصور أن البروفسور إيبسونو أخبرها».

أومأ تنغو. لا بد أن فوكا-إري قد علمت بذلك منذ مدة. كان لديه شعور واضح بأنها علمت بذلك. لقد كان هو الوحيد الذي لا يعلم.

أعاد تنغو الكلام: «إذاً سننزل من القارب ونعود الى حياتنا في البر».

«هذا صحيح. إننا نبتعد عن حقل الألغام».

«ولكن حتى إذا كنا نريد القيام بذلك، فهل تعتقد أن بإمكاننا العودة إلى حياتنا القديمة بهذه السهولة؟».

قال كوماتسو: «ليس لنا إلّا أن نحاول». أوقد عود ثقاب وأشعل السيجارة. «ماذا يقلقك تحديداً؟».

«هناك أشياء كثيرة من حولنا بدأت بالفعل تتخذ أشكالاً غريبة. وبعض الأشياء تحوّلت بالفعل، وقد لا يكون سهلاً أن تعود هذه الأشياء إلى سيرتها الأولى».

«حتى لو كانت حياتنا في خطر؟».

هزّ تنغو رأسه هزّة مُبهمَة. لقد كان يشعر منذ مدة بأنه عالق في تيار مائي قوي، تيار لم يتوقّف لحظة. وهذا التيار كان يسحبه إلى مكان مجهول. لكنه لا يستطيع أن يشرح ذلك حقاً لكوماتسو.

لم يقُل تنغو لكوماتسو أنّ الرواية التي يكتبها تدور في العالم الذي صوّرته الشرنقة الهوائية. لعلّ كوماتسو لم يكُن ليرحّب بذلك الخبر. وحتماً لن يُسعد ذلك ساكي جاكه. إذا لم يتوخَّ الحذر، فربما يجد نفسه في حقل ألغام آخر، أو يوقع فيه الأشخاص المحيطين به.

ولكن الحكاية تأخذ اتجاهها الخاص، وتستمر، من تلقاء نفسها تقريباً. كان تنغو جزءاً من هذا العالم، شاء ذلك أم أبى. بالنسبة له لم يعُد هذا العالم خيالياً. إنه العالم الحقيقي، حيث ينبجس دمٌ أحمر حينما تجرح جلدك بسكين. وفي سماء هذا العالم، كان يوجد قمران، جنباً إلى جنب.

الفصل التاسع عشر

يوشيكاوا
أشياء يستطيعها هو، ويعجز عنها كثيرون

كانت صبيحة خميس هادئة وخالية من الرياح. استيقظ يوشيكاوا كالمعتاد قبل السادسة وغسلَ وجهه بماء بارد. غسلَ أسنانه فيما كان يستمع إلى نشرة الأخبار التي تقدِّمها 'إن إتش كيه' عبر المذياع، ثم حلق ذقنه بماكينة كهربائية. غلى بعض الماء في وعاء، وأعدّ طبقاً من الرامن الجاهز، وبعد الانتهاء من تناوله، شرب فنجاناً من القهوة الفورية. لفّ كيس منامته، ووضعها في خزانة الملابس، ثم جلس بجوار النافذة أمام الكاميرا. كان ضوء النهار قد بدأ يظهر في السماء جهة الشرق. وبدا أنّ اليوم سيكون يوماً دافئاً.

أضحت وجوه هؤلاء الأشخاص الذين يتوجّهون صباحاً إلى أماكن عملهم منقوشة في ذهنه. لم يعُد بحاجة إلى التقاط المزيد من الصور. بداية من السابعة وحتى الثامنة ونصف، كانوا يخرجون من المبنى سراعاً قاصدين المحطة - وهم أنفسهم الأشخاص الذين اعتادوا ذلك. سمع يوشيكاوا أصواتاً مبتهجة لمجموعة تلاميذ ممّن هم في سنّ المرحلة الابتدائية وفي طريقهم إلى المدرسة. ذكّرته أصواتهم بابنتيه حينما كانتا صغيرتين. كانتا تستمتعان كثيراً بالذهاب إلى

مدرستهما الابتدائية حيث تتلقيان دروساً في العزف على البيانو ورقص الباليه، وكان لديهما أصدقاء كثيرون. حتى آخر لحظة، ظلّ يوشيكاوا يجد صعوبة في القبول بأنّ هاتين الطفلتين الطبيعيتين والسعيدتين هما ابنتاه. كيف لمثله أن يكون أباً لهاتين الطفلتين؟

بعد انتهاء ساعة الذروة الصباحية، لم يغادر أحدٌ المبنى أو يدخله. تلاشت أصوات الأطفال النابضة بالحياة. وضع يوشيكاوا جانباً جهاز التحكم عن بُعد في مصراع الكاميرا، ثم أسندَ ظهره إلى الحائط وراح يدخن سيجارة، مبقياً عينيه على المدخل عبر فجوة في الستارة. كما هو الحال دائماً، بعد العاشرة صباحاً مباشرة، جاء ساعي البريد راكباً دراجته النارية الصغيرة الحمراء وفرزَ ببراعة رسائل البريد في جميع الصناديق. كان نصف عدد الرسائل غير مرغوب فيها، كانت من تلك الرسائل التي سوف يتمّ التخلّص منها فور فتحها. ومع ارتفاع الشمس في السماء، زادت درجة الحرارة، وراح معظم المارة عبر الشارع يخلعون معاطفهم.

لم تظهر فوكا-إري عند مدخل المبنى إلّا بعد الحادية عشرة. كما كانت من قبل، كانت ترتدي الكنزة السوداء نفسها ذات الياقة المدورة، ومعطفاً قصيراً رمادي اللون، وبنطالاً من الجينز وحذاءً رياضياً ونظارة شمسية سوداء. وكانت تتدلى بشكل مائل عبر كتفها حقيبة كبيرة خضراء اللون. كانت الحقيبة منتفخة بأشياء من كلّ نوع. ترك يوشيكاوا الحائط الذي كان يتكئ عليه، ومضى إلى الكاميرا المرتكزة إلى الحامل، ونظر نظرة خاطفة عبر عدسة الكاميرا.

كانت الفتاة راحلة عن المكان، هذا ما أدركه. فقد دسّت كلّ متعلقاتها في تلك الحقيبة، وكانت عازمة على الانتقال إلى مكان آخر. لن تعود إلى المبنى مرة أخرى. كان يستشعر ذلك. قال في نفسه،

ربما قرّرت أن تغادر، بعد أن لاحظت أنه يرصد المكان. تسارَعَت نبضات قلبه لمجرَّد التفكير في ذلك.

ما إن أصبحت خارج المدخل، حتى توقفت فجأة وأخذت تحدِّق في السماء كما فعلت من قبل، وكأنها تبحث عن شيء ما وسط تشابك الأسلاك الكهربائية والمحوّلات. كانت نظارتها الشمسية تعكس الضوء وتلمع. هل وجدتْ ما تبحث عنه؟ أو ربما لم تجده؟ لم يتمكن من قراءة تعبيرات وجهها بسبب النظارة الشمسية. وقفت هناك، متسمِّرة لنحو ثلاثين ثانية، وهي تحدق في السماء. ثم، وكأنما خطرت ببالها فكرة، حوّلت رأسها وراحت تنظر مباشرة إلى النافذة التي كان يوشيكاوا يختبئ خلفها. خلعَت نظارتها الشمسية ودسَّتها في جيب المعطف. عبست ملامحها وثبتت عينيها على عدسة الكاميرا المخبأة. قال يوشيكاوا في نفسه مرة أخرى، **إنها تعرف. هذه الفتاة تعرف أنني أختبئ هنا، وأن أحداً يراقبها سراً**. كانت تنظر نحوه من الاتجاه المعاكس، وترصد يوشيكاوا عبر العدسة. وكأنها مياه تتدفق عائدة إلى الخلف رغم انحناء الأنبوب. شعر يوشيكاوا بقشعريرة تسري في كلا ذراعيه.

كانت عينا فوكا-إري تطرفان بشكلٍ متسارع. وكان جفناها يعلوان ويهبطان ببطء، وكأنهما كائنين مستقلين عنها وصامتين. لا شيء آخر كان يتحرك. وقفت هناك وكأنها طائر في مكان مرتفع يلوي عنقه، وراحت تحدّق مباشرة في يوشيكاوا. لم يستطعْ أن يشيح عنها بعينيه. بدا كما لو أنّ العالم كله قد توقف للحظة. سكنت الريح ولم تعُد الأصوات تجعل الهواء يهتزّ.

وأخيراً توقفت فوكا-إري عن النظر إليه. رفعت رأسها مرة أخرى وحدقت في السماء، كما فعلت قبل لحظة. لكنها هذه المرة، توقفت

بعد بضع ثوان. وبقيت تعبيرات وجهها ثابتة. أخرجت النظارة الشمسية السوداء من جيبها، وارتدتها مرة أخرى، ومشت نحو الشارع. كانت تمشي بخطوات سريعة وواثقة.

يجب أن أخرج وأتبعها. تنغو لم يعُد بعد، ولديّ وقت يمكنني من خلاله أن أعرف إلى أين هي ذاهبة. لن يضرّ إذا عرفت وجهتَها. ولكن يوشيكاوا على نحوٍ ما لم يستطعْ النهوض من الأرض. كان جسمه خدراً. لقد سلبته تلك النظرة الحادة التي وجَّهتها إليه عبر عدسة الكاميرا القوة التي يحتاجها إلى الوقوف.

قال يوشيكاوا في نفسه وهو جالس على الأرض. **أَوْمَامِه هي مَن يجب عليّ معرفة مكانها. أما إريكو فوكادا فهي فتاة رائعة، لكنها ليست ذات أولوية. إنها مجرد ممثلة مساعدة. إذا كانت ستغادر، فلماذا لا أدَعها تذهب؟**

حينما بلغت فوكا-إري الشارع الرئيس، حثّت الخطى في اتجاه المحطة. لم تنظر وراءها. ظلَّ يوشيكاوا يرقبها عبر الفجوة الموجودة بين الستائر التي حال لونها من أثر الشمس. وحينما تلاشت حقيبة الكتف الخضراء، التي كانت تتأرجح، من مجال رؤيته، ابتعد عن الكاميرا وعاد يتكئ على الحائط مرة أخرى، راجياً أن تعود إليه قوته. أخرج سيجارة «سفن ستارز» وأشعلها، ثم راح يستنشق دخانها بعمق. ولكن السيجارة كانت عديمة الطعم.

لم تعُد إليه قوته. لا يزال يشعر بخدار في ذراعيه وساقيه. أدرك فجأة أن فراغاً غريباً تشكَّل بداخله، كان فراغاً نقياً من نوع ما. فراغ يدلّ بوضوح على فقدان شيء ما وانعدامه. جلس يوشيكاوا وسط هذا الفراغ الغامض، لا يقدر على النهوض. كان يحسّ في صدره بألم

خفيف، ليس ألماً بالضبط، ولكنه يشبه اختلافاً في ضغط الهواء عند النقطة التي يتلاقى فيها المادي واللامادي.

جلس مدة طويلة في قاع هذا الفراغ، متكئاً إلى الحائط، وراح يدخن سجائر عديمة المذاق. **حينما غادرت تلك الفتاة، تركت وراءها هذا الفراغ. لا، ربما لا. لعلّها فقط كشفت لي شيئاً كان موجوداً بالفعل، بداخلي.**

أدرك يوشيكاوا أنّ إريكو فوكادا قد هزّته هزة شديدة. نظرتها الثاقبة لم تهزّه جسدياً فقط، ولكنها بلغت أيضاً صميم كيانه، وكأنه شخص شغفه الحب. لم يداخله مثل هذا الشعور من قبل في حياته.

قال في نفسه، **لا، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. ما الذي يجعلني أقع في حبّ هذه الفتاة؟ سنكون أسوأ زوجين يمكن أن يتخيّلهما أحد**. لم يكن بحاجة للنظر في المرآة كي يتحقق من ذلك. ولكنها ليست الملامح وحدها. قال في نفسه، **في كلّ شيء، هي أبعد ما تكون عني**. ولم يشعر نحوها بأيّ إثارة جنسية. وكان يوشيكاوا قد اعتاد أن يدعو إليه عاهرة يعرفها بضع مرات في كلّ شهر كي يُشبع رغباته الجنسية، وكان ذلك يكفيه. كان يهاتفها ويدعوها إلى غرفة في فندق، حيث يضاجعها وكأنه ذاهب إلى الحلاق.

استنتج يوشيكاوا، **لا بد أنّ هناك شيئاً روحياً وراء ذلك**. كان يصعب عليه القبول بذلك، ولكن يوشيكاوا وهذه الفتاة الجميلة، وفيما كانا يحدقان بعضهما في بعض عبر طرفي العدسة، قد توصّلا إلى نوع من التفاهم الذي انبثق من أعمق وأحلك نقطة في كينونة كلّ منهما. حدث ذلك في لمح البصر، ومع ذلك كشف كلّ منهما للآخر عن روحه. وبعدئذٍ تلاشت فوكا-إري تاركة يوشيكاوا وراءها وحيداً في خضم هذا الفراغ.

هذه الفتاة أدركت أني كنت أراقبها سراً عبر هذه العدسة، ولا بد أنها أدركت أيضاً أني تتبعتها حتى المتجر القريب من المحطة. إنها لم تنظر حينئذٍ وراءها ولو مرة واحدة، ومع ذلك علمت قطعاً أنني كنت أتعقبها. لكنه لم يرَ في عينيها أيّ انتقاد. شعر يوشيكاوا على نحوٍ ما، ومن مكان سحيق وبعيد، أنها قد فهمته.

لقد ظهرت الفتاة ثم غادرت. كلانا جاء من اتجاه مختلف، ولكن تصادف أن مسارينا تقاطعا، وتلاقت أعيننا للحظة، ثم انطلقنا في اتجاهين مختلفين مرة أخرى. أغلب ظني أني لن ألتقي إريكو فوكادا مرة أخرى.

وبينما كان متكئاً إلى الحائط، راح يوشيكاوا ينظر عبر فتحة الستارة ويشاهد الأشخاص الذين يغدون ويروحون. ربما تعود فوكا-إري. ربما تتذكر شيئاً مهماً نسيته في الشقة. لكنها لم تعُد. لقد قررت الانتقال إلى مكان آخر، ولن تعود أبداً.

أمضى يوشيكاوا فترة ما بعد الظهيرة وقد تملّكه شعور بالعجز التام. كان إحساسه بالعجز إحساساً مبهماً لا شكل له ولا وزن. كان دمه يجري في عروقه ببطء وتثاقل. بدا له وكأنّ بصره قد غشيته غلالة من الضباب، فيما شعر بضعف في مفاصل ذراعيه وساقيه. وحينما أغمض عينيه، أحسّ بألم نظرتها يخترق ضلوعه، كان الألم يذهب ويجيء وكأنه موجات صغيرة على شاطئ، تقترب من الشاطئ ثم تنحسر مرة أخرى. كان الألم يأتيه أحياناً حاداً فيجفل من شدته. لكنه في الوقت نفسه، أدرك أن هذه النظرة قد منحته إحساساً بالدفء، إحساساً لم يجرّبه في حياته.

لم يشعر بمثل هذا الدفء حينما كان مع زوجته وابنتيه في منزله الصغير ذي الحديقة الخاصة في تشورينكان. كان لديه دائماً ما يشبه

كتلة من الأوساخ المجمّدة العالقة في قلبه، كتلة صلبة وباردة تصحبه دائماً. بل إنه لم يكُن يشعر حتى ببرودتها. بالنسبة له كانت هذه هي **درجة الحرارة العادية**. ومع ذلك، أذابت نظرة فوكا-إري، رغم أنها لم تزدْ عن لحظة، تلك النواة الثلجية. وقد أحدَثَت ذلك الألم الخفيف. شعر بالدفء والألم معاً، ولولا أنه قبل بالألم، لما شعر بالدفء. كان نوعاً من المفاضلة.

في بقعة صغيرة ومشمسة، أحسَّ يوشيكاوا بالألم والدفء في آنٍ واحد معاً. في هدوء ودون أن يحرِّك أي عضلة. كان يوماً شتوياً هادئاً وجميلاً. وكان الناس يمرّون عبر الشارع تحت أشعة الشمس الجميلة وكأنهم يتنزهون، ولكن الشمس كانت تتحرّك بثبات جهة الغرب، حتى توارت خلف المبنى، ثم سرعان ما اختفت بقعة الشمس الصغيرة التي كان يجلس فيها. تلاشى دفء ما بعد الظهيرة، فيما كانت تتجمَّع من حوله برودة الليل.

تنهد يوشيكاوا بعمق ثم نزع نفسه بصعوبة بعيداً عن الحائط. بقي في جسمه بعض الخدر، ولكنه ليس بالقدر الذي يحُول بينه وبين الحركة داخل الغرفة. وأخيراً نهض على قدميه، ومدَّ أطرافه، وحرَّك رقبته القصيرة الممتلئة بشكلٍ دائري كي يتخلَّص من التشنجات. راح يقبض يده ثم يبسطها مرة تلو أخرى. ثم نزل على الحصير وأدّى تمارينه المعتادة. كانت جميع مفاصله يُسمع لها صرير، فيما بدأت عضلاته تستعيد ببطء مرونتها الطبيعية.

حان الآن وقت عودة الناس من أعمالهم ومدارسهم. قال في نفسه، **يجب أن أواصل مراقبتهم. ليست المسألة هل أريد ذلك أو لا أريده، أو هل ذلك هو الصواب الذي يجب عمله أو لا. ولكن مَن بدأ شيئاً، فعليه أن يكمله.**

جلس يوشيكاوا مرة أخرى خلف الكاميرا. كان الظلام قد حلَّ تماماً الآن في الخارج، وأضيئت أنوار المدخل. قال في نفسه، **لا بد أنها تعمل بجهاز توقيت**. كان الناس يدخلون إلى المبنى وكأنهم طيور بلا أسماء تعود إلى أعشاشها الرثة. لم يكن تنغو كاوانا من بينهم، ولكن يوشيكاوا أدركَ أنه سيعود عمّا قريب. لن يظلّ يرعى والده المريض إلى الأبد. سوف يعود إلى طوكيو على الأرجح قبل بداية الأسبوع الجديد، حتى يمكنه العودة إلى عمله. في غضون بضعة أيام، أو ربما اليوم أو غداً.

ربما أكون مجرّد مخلوق صغير وبائس أو حشرة ملتصقة بالجانب الآخر من صخرة رطبة. ليكن ذلك، سأكون أوّل مَن يعترف به. ولكني حشرة مثابرة وحاذقة وعنيدة وصبرها بلا حدود. لا أيأس بسهولة. وحينما أعثر على خيط، فإنني أتابعه حتى النهاية. سوف أتسلّق أعلى الأسوار. يجب أن أستعيد الكتلة الباردة التي بداخلي. هذا هو ما أحتاج إليه الآن.

فرك يوشيكاوا يديه معاً أمام الكاميرا، ثم تفحَّصهما حتى يتأكّد أنّ جميع أصابعه العشرة تعمل بشكل سليم.

هناك أشياء كثيرة يستطيعها الأشخاص العاديون، ولكني لا أستطيعها. لا أشكّ في ذلك. مثل لعب كرة المضرب والتزلج والعمل ضمن فريق وامتلاك أسرة سعيدة. لكن على الجانب الآخر، توجد بعض الأشياء التي أستطيعها أنا، ويعجز عنها كثيرون. أشياء قليلة للغاية، ولكني أؤدّيها على أكمل وجه. لا أنتظر تصفيقاً من أحد ولا مالاً. ولكني أحبّ أن يرى العالم ما أستطيع عمله.

في التاسعة والنصف أنهى يوشيكاوا عملية الرصد لهذا اليوم. قام بتسخين علبة من حساء الدجاج على موقد محمول وراح يحتسيها

بعناية بالملعقة. أكلَ رغيفين باردين، مسح تفاحة ثم قشَّرها. قضى حاجته وغسل أسنانه، وفرَش منامته، وتجرَّد من ثيابه عدا ملابسه الداخلية، ثم انزلق داخلها. شدّ المنامة حتى رقبته وتكوَّر داخلها وكأنه حشرة.

وهكذا انتهى يوم يوشيكاوا. لم يكن يوماً مثمراً. كلّ ما استطاع أن يقوم به هو رصده فوكا-إري وهي تغادر المبنى ومعها كلّ متعلّقاتها. لم يعرف إلى أين كانت وجهتها. هزّ رأسه وهو داخل منامته. لم يكن يهمّه إلى أين ذهبت. بعد فترة بدأ الدفء يسري في جسده المتجمّد، وغاب عقله وغطَّ في نوم عميق. وعادت تلك الكتلة الصغيرة المتجمّدة مرة أخرى تشغل حيزاً واضحاً داخل روحه.

لم يحدُث الكثير في اليوم التالي. بعد يومين حلَّ يوم السبت، وكان يوماً دافئاً وهادئاً. ينام فيه معظم الأشخاص خلال الصباح، ومع ذلك بقي يوشيكاوا جالساً بجوار النافذة، يستمع إلى الأخبار والنشرات المرورية وتقارير الطقس عبر مذياع صغير.

قُبيل العاشرة طار غراب ضخم وحطّ على السلّم الأمامي الخالي للمبنى. نظر الغراب حوله نظرة فاحصة، وحرَّك رأسه بضع مرات وكأنه يومئ بها. كان يحرِّك منقاره الكبير لأعلى وأسفل، فيما يلمَع ريشه الأسود الفاحم في ضوء الشمس. ما إن أوقف ساعي البريد دراجته النارية حمراء اللون حتى بسط الغراب جناحيه على مضض وطار. وبينما كان يطير بعيداً، زعق مرّة واحدة. بعد أن انتهى ساعي البريد من فرز الرسائل البريدية في صناديق البريد، غرّد سرب من العصافير. دارَت حول المدخل ولكنها لم تجد شيئاً ذات أهمية فطارت بعيداً. بعد ذلك حان دور قِط مخطّط. كان يحمل في رقبته

طوقاً طارداً للبراغيث وربما كان مملوكاً لأحد الجيران. لم يكن يوشيكاوا قد رأى القط من قبل. بالَ القط في حوض زهرة جافة، ثم راح يتشمَّم بوله، وعلى ما يبدو تأفَّف من الرائحة، وشدَّ شعيرات أنفه، وكأنه قد تململ. رفع ذيله ثم تلاشى وراء المبنى.

في الصباح غادر العديد من السكان المبنى. كانت هيئتهم توحي أنهم في طريقهم إمّا لقضاء يوم للنزهة، وإمّا للتسوق داخل الحي - هذا أو ذاك. أصبح يوشيكاوا يعرف معظمهم بوجوههم الآن، لكنه لم يكُن يهتم أدنى اهتمام بشخصياتهم أو بحياتهم الخاصة. لم يحاول حتى أن يتخيَّل ذلك.

لا بدّ أنّ حياتكم مهمة جداً لكلّ منكم. ولا بد أنها ثمينة للغاية لديكم. أتفهم ذلك. ولكنها لا تساوي شيئاً بالنسبة لي. فأنتم جميعاً عندي مجرد دُمى ورقية ضعيفة تمرّ عبر المسرح. هناك شيء واحد فقط أطلبه من كلٍّ منكم - ابقوا دمى ورقية ولا تتدخلوا في عملي.

«أليس هذا صحيحاً، يا مسز بير(*)؟» كان قد أطلق هذا اللقب على المرأة التي تمرّ الآن، لأنها تشبه ثمرة الكمثرى بمؤخرتها الكبيرة. «أنت مجرد دمية ورقية. أنت لست حقيقية. هل تدركين ذلك؟ رغم أنك بدينة بما لا يليق بدمية ورقية».

وبينما كان يفكّر في ذلك، كان كلّ شيء في المشهد الذي أمامه قد بدأ يبدو عبثياً. ربما كان المشهد الذي أمامه لم يحدث من الأصل. وربما كان هو نفسه المخدوع بهؤلاء الأشخاص الوهميين الذين لا وجود حقيقي لهم. أصبح يوشيكاوا أكثر قلقاً. لا بدّ أنّ مكوثه في هذه الشقة الخالية، يوماً بعد يوم، ورصده حركة الناس،

(*) يقصد كلمة Pear التي تعني الكمثرى أو الإجاص. (المترجم)

قد نالَ منه، ولا بدّ أنه سوف يلحق الضرر بأعصابه. قرَّر أن يُصرِّح بما يدور في رأسه من أفكار، حتى يُخرج نفسه من هذه الأجواء الكئيبة.

«صباح الخير، يا صاحب الأذنين الطويلتين» قال وهو ينظر عبر عدسة الكاميرا مخاطباً رجلاً عجوزاً نحيف القوام وطويل القامة. كانت أذنا الرجل العجوز تبرزان من تحت شعره الأشيب وكأنهما قرنين. «هل أنت خارجٌ للنزهة؟ المشي مفيد لصحتك. وطقس اليوم لطيف، وسوف تقضي وقتاً طيباً. كنت أودّ أن أتمشى وأمدِّد أطرافي قليلاً، ولكني عالق هنا لمراقبة هذا المدخل المشؤوم يوماً بعد يوم».

كان الرجل العجوز يرتدي سترة من ماركة كارديجان وبنطالاً من الصوف، وكان صاحب هيئة جذابة. كان سيبدو في أكمل صورة إنْ اصطحب كلباً وفياً أبيض اللون كي يتمشى معه، ولكن الحيوانات الأليفة لم يكُن مسموحاً بها في المبنى. ما إن تلاشى هذا العجوز، حتى غمر يوشيكاوا فجأة الشعور بالعجز. حدّث نفسه، **في النهاية سيكون ذلك مضيعة للوقت. إنّ حدسي عديم القيمة، والساعات التي قضيتها في هذه الغرفة الخالية لن تقودني إلى شيء. لن ينالني منها سوى حرق الأعصاب، التي تبلى وكأنها رأس تمثال جيزو الصلعاء التي يحكِها الأطفال كلّما مرّوا به جلباً للحظ السعيد.**

بعد الثانية عشرة تناول يوشيكاوا تفاحة وبعض الجبن والبسكويت وكرة من الأرز المحشوّ بالبرقوق المخلّل. بعدئذٍ أسند ظهره إلى الحائط فأخذه النوم. كان نوماً قصيراً، لم تتخلّله أحلام، ولكنه حينما استيقظ لم يتذكّر أين كان. وجد ذاكرته خاوية تماماً، وكأنها صندوق فارغ. لا يوجد في الصندوق سوى الفراغ. حدّق يوشيكاوا في

الفراغ. فلم يجده مجرّد فراغ، وإنما غرفة معتمة وخاوية وباردة ولا توجد بها قطعة أثاث واحدة. لم يتعرّف على المكان. رأى لُباب تفاحة فوق صحيفة مفتوحة بجانبه. اختلط الأمر على يوشيكاوا. **لماذا أنا موجود في هذا المكان الغريب؟**

وأخيراً استعاد وعيه، وتذكّر ما كان يفعله: إنه يراقب المدخل المؤدّي إلى شقة تنغو. **هذا صحيح. ولذلك جئت بهذه الكاميرا ذات العدسة الأحادية المقرِّبة.** تذكّر الرجل العجوز صاحب الشعر الأشيب والأذنين الطويلتين وقد خرج يتمشى وحده. عادت الذاكرة شيئاً فشيئاً إلى الصندوق الفارغ، وكأنها طيور تعود إلى أعشاشها وقت الشفق. اتضحت له حقيقتان مؤكدتان:

1 إريكو فوكادا غادرت المبنى.

2 تنغو كاوانا لم يعُد إلى شقته بعد.

لم يكن هناك أحدٌ في شقة تنغو كاوانا الموجودة بالطابق الثالث. كانت الستائر مسدلة، والصمت يغلِّف فراغها المهجور. وبخلاف كومبرسور الثلاجة الذي كان يعمل من حين إلى آخر، لم يكن ثمة ما يقطع هذا الصمت. سمح يوشيكاوا لخياله أن يهيم خلال هذا المشهد. كان تخيّله غرفة مهجورة يشبه إلى حدٍّ كبير تخيل العالم بعد الموت. وفجأة تذكر محصِّل الاشتراكات وهوسه بطَرق الأبواب. أبقى المدخل تحت مراقبة مستمرة ومع ذلك لم يرَ أيّ شيء يقول إن هذا الشخص الغامض قد غادر المبنى. **هل يمكن أن يكون ساكناً هنا؟ أو ربما كان شخصاً يعيش هنا ولكنه تظاهر بأنه محصِّلاً للاشتراكات في 'إن إتش كيه' حتى يزعج السكان الآخرين؟ إذا صحّ**

الاحتمال الأخير، فأيّ غاية تُرجى من ذلك؟ كانت هذه نظرية مُمْرِضة للغاية، ولكن أيّ شيء غير ذلك يمكن أن يفسر هذا الموقف الغريب؟ لم يكن يوشيكاوا يدري شيئاً عن ذلك.

ظهر تنغو كاوانا عند مدخل المبنى قُبيل الرابعة في تلك الظهيرة. كان يرتدي معطفاً قديماً وقد انثنت ياقته، وقبّعة بيسبول زرقاء اللون، ويحمل حقيبة سفر تتدلى من كتفه. لم يتوقف عند المدخل، ولم ينظر حوله، بل مضى مباشرة إلى الداخل. كان ذهن يوشيكاوا لا يزال تشوبه بعض الضبابية، لكنه لم يكن ليخطئ صاحب هذا البنيان الضخم.

تمتم يوشيكاوا بصوت عالٍ: «مرحباً بعودتك، يا سيد كاوانا»، ثم التقطَ ثلاث صور بالكاميرا. «كيف حال والدك؟ لا بد أنك مرهق. من فضلك استرح. ما أحلى الرجوع إلى المنزل حتى لو كان في هذا المكان البائس، أليس كذلك. بالمناسبة، إريكو فوكادا غادرت في أثناء غيابك ومعها كلّ متعلقاتها».

لكن صوته لم يصل إلى أذن تنغو. كان يتمتم لنفسه. نظر يوشيكاوا في ساعته ودوّن ملاحظة في دفتره. **في الساعة 3:56 مساء، عادَ تنغو كاوانا إلى المنزل.**

وفي اللحظة نفسها التي ظهر فيها تنغو عند المدخل، انفتح باب في مكان ما على مصراعيه، وشعر يوشيكاوا بعودته إلى الواقع. وكأنّ ريحاً سريعة تندفع إلى فراغ، فعادت أعصابه في الحال إلى حدَّتها، وغمرت جسمه حيوية جديدة. أصبح مرة أخرى جزءاً مفيداً من العالم الخارجي. سمع صوت تكّة أسعدته حينما عادت الأمور إلى نِصابها.

تسارَع تدفّق الدم لديه، وتدفق الأدرينالين عبر جسده بالقدر المناسب. **حسناً، هذا ما ينبغي أن يكون. وهكذا يُفترض أن أكون، وهكذا يُفترض أن يكون العالم.**

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة مساء حينما ظهر تنغو عند المدخل مرة أخرى. زادَت سرعة الرياح بعد غروب الشمس، فيما انخفضت درجة الحرارة. كان تنغو يرتدي سترة ذات رقبة مدورة تحت معطف ثقيل وبنطال جينز حالَ لونه. خرج من المبنى ووقف أمام المدخل، ثم نظر حوله، لكنه لم يرَ أي شيء. كان ينظر حيث يختبئ يوشيكاوا، ولكنه لم يلحَظ الراصد. قال يوشيكاوا في نفسه، **إنه ليس إريكو فوكادا. فهي تمتلك قدرات خاصة. يمكنها أن ترى ما لا يستطيع غيرها رؤيته. ولكنك يا تنغو، في جميع الأحوال، شخص عادي. لا يمكنك أن تراني وأنا جالس هنا.**

عندما رأى أنّ شيئاً لم يتغير في الخارج، شدّ تنغو سحّاب معطفه حتى رقبته، ودسَّ يديه في جيبَي معطفه، ومضى صوب الطريق الرئيس. ارتدى يوشيكاوا على عجلٍ قبّعته، ولفّ الوشاح حول رقبته، ثم لبس حذاءه، وخرج كي يتبع تنغو.

مشى تنغو بخطى بطيئة في الشارع واستدار في أثناء ذلك بضع مرات كي ينظر وراءه، ولكن يوشيكاوا كان حذراً فلَم يَرَه تنغو. كان يبدو أنّ ثمة ما يشغل بال تنغو. لعلّه كان يفكّر في مغادرة فوكا-إري لشقته. كان على ما يبدو متّجهاً صوب المحطة. ربما كان ينوي أن يركب القطار ويذهب إلى مكان ما؟ وعندئذٍ سيكون تعقّبه أمراً صعباً. فالإضاءة في المحطة جيدة، وفي ليلة السبت لن يوجد بها ركاب

كثيرون. وسوف يكون يوشيكاوا لافتاً للنظر بشدّة. في هذه الحالة، سيكون من الفطنة أن يتراجع.

ولكن تنغو لم يكن متجهاً نحو المحطة. مشى مدّة ثم انعطف إلى شارعٍ خالٍ من المارة تقريباً وتوقف أمام حانة اسمها بارلي هيد. كان المظهر الخارجي للحانة يوحي بأنها مخصَّصة للشباب. نظر تنغو في ساعته، وراح يفكِّر لبضع ثوان، ثم مضى إلى الداخل. قال يوشيكاوا في نفسه، بارلي هيد. هزّ رأسه. **يا له من اسم حانة سخيف.**

توارى يوشيكاوا في ظلّ أحد أعمدة الهاتف وهو ينظر حوله. بدا أن تنغو سوف يتناول فيها بعض الطعام والشراب، وأنّ ذلك سوف يستغرق ما لا يقلّ عن نصف ساعة. كانت أسوأ السيناريوهات هي أن يضطر يوشيكاوا للبقاء في مكانه لساعة. نظر حوله كي يجد مكاناً قريباً ومناسباً يمكّنه من أن يقضي فيه الوقت وهو يرصد الداخلين والخارجين من الحانة. لسوء الحظ، لم يجد في المكان سوى متجر لتوزيع الحليب وقاعة اجتماعات وتاجر أرز بالجملة، وجميعها كانت مغلقة. قال في نفسه، **يا للعجب، لم أذق طعم الراحة يوماً.** كانت الرياح تهبّ قوية من جهة الشمال الغربي فتسوق السحاب فيمر سريعاً. بدا دفء النهار الآن وكأنه حلم قد تلاشى. لم يكن يوشيكاوا يستطيب فكرة الوقوف في البرد القارس ما بين ثلاثين دقيقة إلى ساعة، وهو لا يفعل شيئاً.

قال يوشيكاوا في نفسه، **ربما يجب عليّ أن أكتفي بهذا القدر. تنغو يتناول الطعام هنا وحسب. ليس من الضروري أن أتحمّل عناء مراقبته هنا.** فكّر يوشيكاوا في أن يبحث هو نفسه عن مكان يتناول فيه وجبة طعام ساخنة، ثم يعود إلى الشقة. وسوف يعود تنغو إلى شقته

بعد مدة قصيرة. كان ذلك خياراً جذاباً للغاية. تخيّل يوشيكاوا نفسه في مطعم صغير هادئ، وهو يستمتع بوعاء ساخن من الأوياكودون - أرز يقدَّم مع الدجاج والبيض. لم يكن قد تناول أيّ طعام يُذكر خلال الأيام القليلة الماضية. وسوف ينعشه أيضاً بعضٌ من شراب الساكي الدافئ. وفي هذا البرد، خطوة واحدة في الخارج سوف تكون كفيلة بجعله يستفيق سريعاً من أثر الشراب.

ولكنه تنبّه إلى سيناريو آخر. ربما يلتقي تنغو شخصاً ما في بارلي هيد. عندما ترك تنغو شقته، مضى مباشرة إلى هناك، ونظر في ساعته قبل أن يدخل. ربما كان ثمة مَن ينتظره بالداخل، أو ربما يكون في طريقه إليه. إذا كان الأمر هكذا، فيجب على يوشيكاوا أن يعرف مَن هو هذا الشخص. حتى لو تجمَّدت أذناه، فلا بد أن يقف حتى يرى ويعرف مَن الذي دخل إلى الحانة. وطَّد نفسه على ذلك، ومحا صورة الأوياكودون والساكي الدافئ من ذهنه.

ربما تكون فوكا-إري هي الشخص الذي سيلتقيه. أو ربما أوْمَامِه. استعادَ يوشيكاوا توازنه. **في النهاية، المثابرة هي نقطة قوتي.** إذا وُجدَ بصيص أمل، فإنه يستميت في التعلّق بها. قد يقصفه المطر، وقد تدفعه الريح، وقد تحرقه أشعة الشمس وقد يُضرب ضرباً مبرحاً، ولكنه لا يُفوت الفرصة. بمجرد أن تُفوت الفرصة، فأنت لا تدري متى سوف تسنح لك مرة أخرى. كان يدرك جيداً أنّ في العالم ما هو أشدّ إيلاماً، وهي فكرة لطالما أعانته على احتمال معاناته.

استندَ يوشيكاوا إلى الحائط، وتوارى وراء عمود الهاتف ولوحة إعلانية للحزب الشيوعي الياباني، حيث بقي واقفاً لساعة يرقب في يقظة تامة الباب الخارجي للحانة. تلفَّع بالوشاح الأخضر حتى غطى أنفه ووضع يديه في جيبيّ معطفه. وفيما عدا أنه كان يُخرج من جيبه

ما بين حين وآخر منديلاً ورقياً كي ينظّف أنفه، كان يقف في مكانه لا يحرِّك ساكناً. كان صوت إعلانات الإذاعة الداخلية في محطة كوينجي يصل إلى مسمعه من وقت إلى آخر بفعل الرياح. وكان بعض المارة من الناس حينما تقع أبصارهم على يوشيكاوا يقف رابضاً وسط العتمة، يرتبكون ويهرولون. ومع ذلك، ولأنّ الظلام قد حلّ، لم يكونوا يتبيّنون ملامحه. كان هيكله الممتلئ يبدو في الظلام وكأنه تمثال، يُثير الخوف لدى المارة ويجعلهم يفرّون فزعاً.

ماذا يأكل تنغو ويشرب هناك؟ كلّما فكر في ذلك، زادَ إحساسه بالجوع وبالبرودة. ولكنه لم يستطعْ أن يصرف نفسه عن التفكير في ذلك. **سوف يرضيني أي طعام، لا أشترط أن يكون شراب الساكي الدافئ أو الأوياكودون. لا أريد الآن سوى مكان دافئ ووجبة طعام عادية.**

لم يكن لدى يوشيكاوا أيّ خيار. ولم يكن لديه أي مسار آخر يسلكه، ويجنِّبه الوقوف وسط هذا البرد القارس والرياح الباردة حتى ينتهي تنغو من طعامه. لاحَ بخاطر يوشيكاوا منزله في تشورينكان، ومائدة الطعام هناك. لا بدّ أن طعاماً ساخناً كان يقدَّم على هذه المائدة كل يوم، لكنه لم يستطعْ أن يتذكّره. **ماذا كنت أتناول من الطعام يا ترى؟** بدا له ذلك وكأنه شيء جرى منذ قديم الزمان. في زمن بعيد، وعلى بعد 15 دقيقة سيراً على الأقدام من محطة تشورينكان على خطّ قطار أوداكيو، كان يوجد منزل حديث البناء ومائدة عشاء تحيطها أجواء من الدفء والترحاب. وكانت توجد في البيت فتاتان صغيرتان تعزفان البيانو، وجروٌ صغير يلهو في حديقة صغيرة فوق العشب.

خرج تنغو من الحانة بعد خمس وثلاثين دقيقة. لا بأس. كان يمكن أن تكون المدة أطول بكثير، طمأن يوشيكاوا نفسه. مرّت عليه الدقائق الخمسة والثلاثون ثقيلة، لكنها حتماً كانت أفضل من ساعة ونصف من الانتظار الرهيب. تجمَّد جسمه من البرد، ولكن أذنيه على الأقل لم تتجمّدا. وبينما كان تنغو في الحانة، لم يدخل أو يخرج من بارلي هيد أحد يسترعي انتباهه. لم يدخل سوى رجلٍ في صحبة امرأة، فيما لم يخرج أحد. لا بدّ أنّ تنغو قد تناول بعض الشراب ووجبة خفيفة. مشى يوشيكاوا في إثره، محافظاً على المسافة الفاصلة نفسها التي كانت من قبل. سلَكَ تنغو الشارع نفسه، وعلى الأرجح كان متوجّهاً إلى شقته.

ولكن تنغو انحرف عن هذا الطريق وتوجّه إلى طريقٍ لم يمشِ عليه يوشيكاوا من قبل. بدا أنّ تنغو ليس في طريق العودة إلى شقته. كان يوشيكاوا مقتنعاً بأنه لا يزال مشوَّش الذهن، وربما أكثر من ذي قبل. لم يكن ينظر وراءه هذه المرة. كان يوشيكاوا يحفظ معالم الطريق التي يمرّ بها، ويدقِّق في علامات الشارع، حتى يمكنه السير فيه لاحقاً. لم يكن يوشيكاوا على معرفة بهذه المنطقة، ولكن الزحام الشديد في حركة المرور، التي كانت تشبه نهراً متدفقاً، قد جعله يخمِّن أنهما ربما يقتربان من الطريق الدائري. ما لبث تنغو أن زادَ من سرعة خطواته. لعلَّه يقترب من وجهته.

لا بأس. يبدو أنه يتّجه إلى مكانٍ ما. لقد كان تعقّبي له مفيداً على كلّ حال.

اجتازَ تنغو مسرعاً شارعاً سكنياً. كانت ليلة سبت، وثمة ريح باردة، ولذلك بقي الجميع داخل منازلهم أمام أجهزة التلفزيون،

يستمتعون بمشروباتهم الساخنة. وكان الشارع خالياً في واقع الأمر.

واصل يوشيكاوا تتبّعه تنغو، محافظاً على مسافة كافية بينهما. كان تنغو من هؤلاء الأشخاص الذين يسهُل تتبّعهم؛ فهو طويل القامة وذو بنيان ضخم، ولا يمكن أن تفقده حتى لو كان في غمار حشدٍ من الناس. كان يمضي في طريقه ولا ينحرف عنه، ودائماً يطأطئ رأسه قليلاً، وكأنه يفكّر. كان في جوهره شخصاً بسيطاً وصادقاً، وليس من النمط الذي يخفي أو يداري شيئاً. قال يوشيكاوا في نفسه، إنه يختلف عني تماماً.

كانت زوجة يوشيكاوا تحبّ هي الأخرى إخفاءَ الأشياء. لا، لم يكن ذلك يعني أنها تحبّ إخفاء الأشياء، ولكنها لم تكن تستطيع تجنّب ذلك. إذا سألتها كم الساعة، فربما لن تُجيبك بالوقت الصحيح. أمّا يوشيكاوا فلم يكن كذلك. كان لا يخفي الأشياء إلّا حينما تقتضي الضرورة، وحينما يتعلق الأمر بالعمل. إذا سأله شخص كم الساعة، ولم يجد سبباً يدفعه لأن يقول غير الصدق، فإنه سيُجيب بالوقت الصحيح، وسيكون لطيفاً في جوابه. إنه لا يشبه زوجته. لقد كذبت عليه حتى في عُمرها، فاقتطعت أربع سنوات. اكتشف عمرها الحقيقي حينما تقدَّما بالوثائق لتسجيل زواجهما، بَيْدَ أنه تظاهر بعدم ملاحظته ذلك. لم يستطع يوشيكاوا أن يفهم السبب الذي يجعلها تكذب في شيء سوف يُعرَف على أيّ حال. ومن يهمّه إذا كانت زوجته تكبره بسبع سنوات؟

مع ابتعادهما عن المحطة أكثر فأكثر، كان عدَد المارة في الشارع يقلّ. وفي النهاية، انعطف تنغو نحو حديقة صغيرة، لا تضمّ سوى ملعبٍ صغير في حي سكني. كانت الحديقة خالية. فكَّر يوشيكاوا، من الطبيعي أن تكون خالية. مَن الذي يحب أن يقضي بعض وقته

وسط ملعب في ليلة ديسمبرية باردة وشديدة الرياح؟ مرَّ تنغو أسفل الضوء البارد لمصباح بخار الزئبق وتوجَّه مباشرة نحو الزلاقة. وطأها بقدميه ثم صعد إلى أعلاها.

اختبأ يوشيكاوا وراء كشك الهاتف مبقياً عينيه على تنغو. زلّاقة؟ قطّب يوشيكاوا وجهه. أيّ شيء ذلك الذي يجعل شخصاً ناضجاً يصعَد إلى أعلى زلاقة في ليلة قارسة البرودة مثل الليلة؟ لم يكن الملعب قريباً من شقة تنغو. لا بد أنّ ثمة سبباً جعله ينحرف عن طريقه كي يأتي إلى هنا. لم يكُن ملعباً يبعث على الإعجاب. كان ضيقاً ورَثّاً. وبالإضافة إلى الزلاقة كانت توجد أرجوحتان وقضبان صغيرة للتسلق وحوض رملي. كان هناك مصباح بخار وحيد يعمل بالزئبق ويبدو وكأنه قديم جداً، وشجرة زيلكوفا واحدة تساقطت أوراقها. وكان يوجد به مرحاض عمومي مُقفل، وقد أصبح بمثابة الجدارية المثالية لكتابة الشعارات. لم يكن يوجد ما يسرّ القلب في هذه الحديقة، أو يستثير الخيال. ربما تستحقّ القدوم إليها في ظهيرة منعشة في أحد أيام شهر مايو. أمّا في ليلة ديسمبرية شديدة الرياح؟ فهذا جنون.

هل كان تنغو ينوي مقابَلة أحدٍ هنا؟ وهل كان ينتظر قدوم أحدٍ ما؟ لم يكن يوشيكاوا يعتقد ذلك. لم تصدُر عن تنغو أيّ علامات توحي بأنه في انتظار أحد. وحينما دخل الحديقة، تجاهَل جميع الألعاب الأخرى. كان يبدو أنّ الشيء الوحيد الذي يشغل ذهنه هو الزلاقة. لقد جاء تنغو إلى هنا كي يصعد تلك الزلاقة.

ربما كان يحبّ دائماً الجلوس أعلى الزلاقات حينما يتعين عليه أن يفكّر في شيء ما. وربما كانت أعلى نقطة في الزلاقة الموجودة في حديقة ليلاً هي المكان المثالي للتفكير في حبكة الرواية التي كان

يكتبها، أو في المسائل الرياضية. ربما كانت قدرته على التفكير تتحسَّن كلّما أظلم الليل، واشتدّت برودة الرياح، وساءت حالة الحديقة. كان ما يفكر فيه الروائيون (أو الرياضيون) أو طريقتهم في التفكير تتجاوز أي شيء يمكن أن يتخيّله يوشيكاوا. أخبَرَه عقله العملي أنه يتعيّن عليه البقاء حيثما هو، كي يراقب تنغو. كانت ساعته تُشير إلى تمام الثامنة مساء.

كان تنغو يجلس أعلى الزلاقة، وكأنه يطوي بنيانه الضخم. كان ينظر إلى أعلى في السماء. ويحرِّك رأسه هنا وهناك ومن اتجاه إلى آخر، ثم يستقرّ نظره على مكانٍ واحد، ويحدِّق لأعلى ويثبت رأسه.

استحضر يوشيكاوا أغنية بوب قديمة من أغاني الحب التي كتبها كيو ساكاموتو. وكانت تقول في مطلعها: **انظر في السماء ليلاً/ انظر إلى النجوم الصغيرة**. لم يكن يعرف كيف تمضي بقية الأغنية ولم يكن يهمه حقاً أن يعرف. كانت العاطفة والإحساس بالعدالة هما نقطتا ضعف يوشيكاوا. هل كان تنغو يشعر بجَيَشان العاطفة وهو أعلى الزلاقة ينظر إلى النجوم؟

حاول يوشيكاوا أن ينظر في السماء بنفسه، فلم يرَ أيّ نجوم. لم تكن كوينجي الواقعة في محافظة سوجينامي في طوكيو، هي المكان الأمثل للنظر إلى السماء ليلاً. كانت لوحات النيون والأضواء الموجودة بامتداد الشارع تصبغ السماء كلّها بلونٍ غريب. قد يستطيع بعض الناس، إذا ما دقَّقوا النظر، أن يروا عدداً قليلاً من النجوم، ولكن ذلك يتطلّب قدرة إبصار فائقة وتركيز غير عادي. وفوق ذلك، كان السحاب في تلك الليلة يمرّ سريعاً عبر السماء. وكان تنغو لا يزال جالساً أعلى الزلاقة في سكون، فيما يرنو بعينيه إلى نقطة ثابتة في السماء.

حدّث يوشيكاوا نفسه، **يا له من شخص مثيرٍ للغثيان**. أيّ شيء

ذلك الذي يمكن أن يجعل شخصاً يجلس أعلى زلاقة، وينظر في السماء، ويتأمل الأشياء في ليلة شتوية عاصفة كهذه؟ لم يكن ذلك يعني أنه يحقّ له أن يوجّه أيّ لوم إلى تنغو. كان يوشيكاوا قد أخذ على عاتقه أن يراقب تنغو سراً في جميع الأحوال. إنّ تنغو مواطن حرّ وله كلّ الحق في النظر إلى ما يريد، وحيثما يريد، على مدار السنة بأكملها.

لكن البرد اللعين قارس. كان بحاجة إلى أن يقضي حاجته منذ مدة، ولكنه قرَّر أن يحبس البول. وكان المرحاض مقفلاً، ولم يكن وارداً حتى في مثل هذا المكان الخالي أن يقضي حاجته بجوار كشك الهاتف. قال في نفسه وهو يخبط قدميه في الأرض استجلاباً للدفء، هيا. ألا يمكنك النهوض وترك المكان؟ ربما استغرقكَ التفكير، وربما غمرتك العاطفة، واستغرقتك ملاحظاتك الفلكية، ولكن لا بد أنك أنت أيضاً يا تنغو قد تجمَّدت من البرودة. حان وقت رجوعك إلى منزلك حيث الدفء، ألا تظن ذلك؟ لا أحد منا لديه مَن ينتظره، ولكن يبقى ذلك الجحيم أفضل بكثير من أن نجلس هنا ونُعرِّض مؤخرتينا لهذا البرد القارس.

لم يكن يبدو أن تنغو على وشك النهوض، رغم ذلك. توقف أخيراً عن التحديق في السماء، ووجَّه انتباهه إلى المبنى السكني الذي أمامه. كان مبنى جديداً، يتكون من ستة طوابق، ونصف نوافذه تقريباً مضاءة. راح تنغو يحدق في المبنى. وفعل يوشيكاوا الشيء نفسه ولكنه لم يجد ما يلفت انتباهه. كان مبنى عادياً. لم يكن فريداً من نوعه ولكنه كان مبنى راقياً رغم ذلك. له تصميم راقٍ ويزدان بقرميد خارجيّ فاخر. كان المدخل جميلاً وحسن الإضاءة. ويختلف تماماً عن ذلك المبنى الرديء المتداعي الذي كان تنغو يُسميه منزلاً.

حينما كان تنغو يحدِّق في المبنى، هل كان يتمنى لو عاش في مثله؟ لم يكن يوشيكاوا يعتقد ذلك. فحسبما يعرف يوشيكاوا، فإنّ تنغو لم يكن من ذلك النوع الذي يهتمّ بمكان مسكنه. تماماً مثلما لا يكترث كثيراً بملبسه. والأرجح أنه كان سعيداً بشقّته الرثة. سقف فوق رأسك ومكان يقيكَ البرد، كان ذلك يكفيه. لا بد أنّ شيئاً آخر هو ما يشغَل تفكيره وهو على الزلاقة.

بعد أن نظرَ تنغو إلى جميع النوافذ في المبنى، عاد ينظر مرة أخرى إلى السماء. وتبعه يوشيكاوا. كانت أفرع شجرة زيلكوفا والأسلاك الكهربائية والمباني الأخرى تعيق الرؤية لدى يوشيكاوا حيثما يختبئ. لم يكن يرى سوى نصف السماء. ولم تكن النقطة المحدّدة التي يرنو إليها تنغو في السماء واضحة لديه على الإطلاق. كانت هناك غيوم لا تُحصى تندفع بلا توقّف عبر السماء وكأنها جيش عرمرم ينقضّ عليها.

في النهاية، نهض تنغو وهبط الزلاقة في صمت، وكأنه طيار هبط تواً بعد رحلة طيران انفرادية صعبة خلال الليل. اجتاز الملعب ثم غادره. اعترى يوشيكاوا بعض التردّد، ثم قرَّر ألّا يتبعه. كان تنغو على الأرجح سيعود إلى منزله. وفوق ذلك، كان يوشيكاوا محتقناً ويرغب بشدّة في التبول. بعد أن رأى تنغو يتلاشى، دخل إلى الملعب، واندفع خلف المرحاض العمومي، وفي الظلام حيث لا يمكن لأحدٍ أن يراه، قضى حاجته في زاوية بها بعض الشجيرات فيما كانت مثانته توشك على الانفجار.

وأخيراً انتهى من قضاء حاجته -استغرق ذلك وقتاً طويلاً كان يكفي أن يعبُر خلاله قطار بضائع طويل جسراً- وشدّ سحّاب بنطاله وأغمض عينيه، ثم أخرج تنهيدة عميقة. كانت ساعته تشير إلى

8:17. لقد مكث تنغو أعلى الزلاقة 15 دقيقة. تأكَّد يوشيكاوا مرة أخرى أن تنغو قد غادر المكان ثم اتجه نحو الزلاقة. صعد السلم برجليه القصيرتين المتقوّستين، وجلس أعلى الزلاقة شديدة البرودة، ونظر إلى أعلى. ما الذي كان يحدِّق فيه بهذا الاهتمام يا ترى؟

كان يوشيكاوا يتمتع بقدرة إبصار جيدة للغاية. كان الاستغماتيزم في عينيه يسبِّب له بعض الاختلال في الرؤية، ولكنه عموماً كان يستطيع أن يمارس حياته اليومية من دون نظارة. ومع ذلك، ومهما دقَّق النظر، لم يكن يستطيع أن يرى نجمة واحدة. ما لفت انتباهه بدلاً من ذلك هو القمر الكبير في السماء، الذي كان مكتملاً بمقدار الثلثين. كانت حوافه الخارجية الداكنة ذات اللون الدامي تظهر بوضوح من بين الغيوم. إنه القمر الشتوي المعروف. يبدو بارداً وشاحباً وممتلئاً بأسرار وتلميحات قديمة. كانت عيونه جامدة وكأنها عيون الموتى، ويتدلى في السماء في صمت.

ازدرد يوشيكاوا ريقه. ولمدة من الوقت، فاته أن يتنفّس. وعبر فجوة وسط الغيوم، رأى قمراً آخر، يبتعد قليلاً عن الأول. كان أصغر كثيراً من القمر الأصلي، وغير منتظم الشكل، ولونه أخضر، وكأنما تنمو على سطحه الطحالب. ولكنه كان قطعاً قمراً. لا يوجد نجم بهذا الحجم الكبير. ولا يمكن أن يكون قمراً صناعياً. ولكنه كان هناك، ملتصقاً بالسماء ليلاً.

أغمض يوشيكاوا عينيه، ثم فتحهما مرة أخرى بعد بضع ثوان. لا بدّ أن زَيغاً ما قد أصاب بصره. لا يمكن لمثل هذا الشيء أن يوجد. ولكنه مهما فتح عينيه وأغمضهما، كان يجد القمر الصغير قد اتّخذ مكانه من السماء. قد تحجبه غيوم عابرة من وقت إلى آخر، ولكن بمجرّد مرورها، يجده موجوداً في المكان ذاته.

هذا هو ما كان ينظر إليه تنغو. لقد جاء تنغو كاوانا إلى هذا الملعب لرؤية هذا المشهد، أو ربما للتحقّق من أنه لا يزال موجوداً. كان يعرف منذ مدّة بأن هناك قمرين. بلا أدنى شك. لم يبدُ أنه فوجئ لرؤيتهما. تنهَّد يوشيكاوا بشدَّة وهو أعلى الزلاقة. وتساءل، أي جنون لحق بهذا العالم؟ أيّ عالم هذا الذي أوقعتُ نفسي فيه؟ ولكن لم يأتِه جواب. وبينما كان يمرّ بهما عددٌ لا حصر له من الغيوم المتسارعة، كان القمران، الكبير والصغير، يتدليان في السماء وكأنهما لغزٌ من الألغاز.

قال في نفسه، هناك شيء واحد يمكنني أن أجزم به. هذا ليس هو العالم الذي أتيت منه. فالأرض التي أعرفها لا يوجد بها إلّا قمر واحد. وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. والآن أصبح للأرض قمران.

اعترى يوشيكاوا شعور بأنه رأى هذا المشهد من قبل. وفكّر، لقد رأيت ذلك من قبل. اعتصر ذهنه، وراح يفتش بدقة في ذاكرته. قطّب جبينه وبرزت أسنانه، وراح يحفر في البحر المظلم الموجود في قاع عقله. وأخيراً تذكر. في الشرنقة الهوائية.

نظر حوله، فلم يرَ سوى العالم نفسه الذي يراه دائماً. كانت الستائر الدانتيل الأبيض مسدلة في نوافذ المبنى المطلّة على الشارع، وقد ظهرت خلفها أضواء هادئة. لا شيء غير مألوف. الاختلاف الوحيد هو عدد الأقمار.

هبط الزلاقة بحذر، وغادر الملعب مسرعاً كما لو كان يفرّ من أعين القمرين. تساءل، هل أصابني الجنون؟ لا، هذا لن يكون. لن أُصاب بالجنون. إن ذهني مثل مسمار جديد من الصلب - قوي

ومنتبه ومنظم. وقد تمّ دقُّه بزاوية سليمة في قلب الواقع. لا يوجد لديّ أيّ خلل. ما زال عقلي سليماً تماماً.

لكن العالم هو الذي أصابه الجنون.

ويجب أن أعرف السبب.

الفصل العشرون

أَوْمَامِه
أحد مظاهر التحوّل في حياتي

خفّت حدة الرياح يوم الأحد. كان يوماً دافئاً وهادئاً، ومغايراً تماماً لليلة التي سبقته. خلع الناس معاطفهم الثقيلة كي يستمتعوا بضوء الشمس. لكن أَوْمَامِه رغم ذلك لم تستمتع بالطقس الجميل، فقد أمضت نهارها حبيسة غرفتها وخلف الستائر المسدلة.

وبينما كانت تستمع إلى **سينفونييتا** ياناتشيك، بعد أن خفّضت درجة الصوت، قامت ببعض تمارين تمديد العضلات قبل أن تنتقل إلى جهاز التمارين الرياضية كي تُجري بعض تمارين المقاومة. كانت تضيف تدريجياً تمارين جديدة لبرنامجها اليومي حتى أصبحت تستغرق ساعتين تقريباً الآن حتى تنتهي من برنامجها. بعد ذلك، كانت تطهو الطعام وتنظّف الشقة ثم تضطجع على الأريكة كي تقرأ في رواية **البحث عن الزمن المفقود**. كانت قد بدأت مؤخراً في الجزء الثالث **طريق جرمانت**. كانت تبذل قصارى جهدها كي تظلّ مشغولة. لم تكن تشاهد التلفزيون سوى مرتين في اليوم، وفيهما تشاهد النشرتين الإخباريتين اللتين تقدّمهما شبكة 'إن إتش كيه'، الأولى عند انتصاف النهار والثانية في السابعة مساء. كما الحال دائماً، لم يكن هناك شيء

جلل يحدث - لا، بل كانت تجري في العالم كثير من الأحداث الكبرى. كان هناك أناس يفقدون حياتهم في شتى أنحاء العالم، وكثير منهم بطرق فاجعة، مثل حوادث القطارات وغرق العبّارات وتحطّم الطائرات. فهذه حرب أهلية تتواصل بلا نهاية في الأفق المنظور، وهذه عملية اغتيال، وتلك مذبحة عرقية رهيبة. وهناك تقلبات للطقس تسبّبت في موجات من الجفاف والفيضانات والمجاعات. كانت أَوْمَامِه تتعاطف بشدّة مع كلّ هؤلاء الذين يتعرّضون لهذه المآسي والكوارث، ولكن مع ذلك، لم يكن لأيّ من تلك الأحداث أي تأثير مباشر عليها.

كانت تسمع صياح أطفال الحي وهم يلهون في الملعب المقابل للشارع. وكان يمكنها أيضاً أن تسمع صوت الغربان المتجمّعة فوق السقف، حينما (تنعق فيما بينها بالقيل والقال). كان الهواء قد أصبح مشبعاً برائحة قدوم الشتاء.

انتبهت فجأة إلى أنها منذ قدومها إلى هذه الشقة لم تشعُر بأيّ رغبة جنسية. ولم ترغب ولو مرة واحدة في ممارسة الجنس. بل ولم تمارس العادة السرية. ربما يرجع ذلك للحمل وما يسبّبه من تغيّرات هرمونية في جسمها. لكن أَوْمَامِه رغم ذلك، كانت تشعر بالارتياح. لم يكن هذا المكان بالذي يمكن لرغبتها الجنسية أن تجد فيه متنفساً، إذا ما قررت ممارسة الجنس مع أحد. سرّها أيضاً أنّ الدورة الشهرية لم تعُد تأتها. لم تكن دورتها الشهرية تأتي كثيفة، ومع ذلك شعرت وكأنها قد ألقت عن كاهلها عبئاً ثقيلاً كان عليها أن تحمله للأبد. لم تعُد من الأشياء التي تشغل بالها.

طالَ شعرها خلال الأشهر الثلاثة التي مكثتها في الشقة. كان بالكاد يلامس كتفيها في سبتمبر، ولكنه أصبح الآن يلامس لوحَي

كتفيها. وخلال طفولتها كانت والدتها هي مَن تتعهده دائماً بالتقصير، ومنذ صغرها، ولأنّ الرياضة كانت شغفها الأول، لم تدَعه يطول مطلقاً. شعرت الآن بأنه قد طالَ أكثر ممّا ينبغي، ولكن لا يمكنها أن تقصّه بنفسها بشكلٍ جيد. قامت بتقصير خصلاتها واكتفَت بذلك. كانت تُرجِّل شعرها خلال النهار وتسدله في الليل. وبعد ذلك، وعلى أنغام الموسيقى، كانت تُمسِّده بيدها مائة مرة، وهو شيء لا يستطيعه أحد إلّا إذا كان لديه وقت فراغ كبير.

كانت في العادة لا تضع أيّ مساحيق تجميل، ولم تعُد الآن على وجه الخصوص بحاجة إلى ذلك. ولكن لأنها كانت تريد الحفاظ على برنامجها اليومي ثابتاً بقدر المستطاع، كانت تحرص على الاعتناء ببشرتها. فكانت تدلِّك بشرتها بالكريمات والمستحضرات، وتضع قناع وجه قبل النوم. ولأنها كانت في الأصل تتمتّع بصحة جيدة، لم تكن بشرتها بحاجة إلّا إلى قدر بسيط من العناية كي تبدو جميلة ومتألقة. أو لعلّ ذلك أيضاً كان عرَضاً جانبياً للحمل؟ فقد سمعت أنّ الحوامل يتمتعن ببشرة جميلة. وفي كلتا الحالتين، كانت حينما تجلس أمام المرآة، وتُسدل شعرها، وتَتفحّص وجهها، ترى أنها أصبحت أجمل ممّا كانت في أيّ وقت مضى. أو أنها على الأقل اكتسبت رزانة امرأة ناضجة. على الأغلب.

لم تشعر أَوْمَامِه يوماً بأنها جميلة. ولم يخبرها أحدٌ يوماً بأنها كذلك. كانت والدتها تعاملها وكأنها طفلة دميمة الخِلقة. واعتادت أن تقول لها: «ليتك كنت أجمل»، قاصدة أنها لو كانت طفلة أجمل وألطف، لكان بوسعهما معاً أن يجتذبا المزيد من المهتدين. ولذلك كانت أَوْمَامِه دائماً ما تتحاشى النظر إلى نفسها في المرآة. وحينما لا تجد بُدّاً، كانت تنظر سريعاً إلى انعكاس صورتها.

أخبرتها تاماكي أوتسوكا ذات يوم أنّ ملامحها قد أعجبتها. وقالت لها، ملامحك مقبولة جداً. بل لعلّها جذابة جداً. يجب أن تشعري بالمزيد من الثقة. كانت هذه الكلمات تُدخل السرور على قلبها. ولأن أَوْمَامِه كانت على أعتاب مرحلة البلوغ، فقد طيَّبت خاطرها هذه الكلمات اللطيفة من صديقتها. وبدأت تقول في نفسها، قد لا أكون دميمة مثلما اعتادت والدتي أن تقول. ولكن حتى تاماكي لم تصفها مطلقاً بأنها جميلة.

لكن أَوْمَامِه، الآن، وللمرة الأولى في حياتها، أصبحت ترى في وجهها مسحة من الجمال. أصبح بوسعها أن تجلس أمام المرآة مدّة أطول وتُعاين وجهها بدقّة أكبر. لم يكن ذلك لنرجسية فيها. ولكنها كانت تعاينه من كلّ زواياه كما لو كان وجه أحد آخر. هل أصبحتُ جميلة حقاً؟ أو لعلّ طريقتها في تقييم الأشياء هي ما تغيرت، وليس وجهها نفسه؟ هذا ما لم تستطعْ أَوْمَامِه أن تجزم به.

كانت أحياناً تُظهر عُبوساً شديداً أمام المرآة. وحينئذٍ يبدو وجهها العابس كما كان دائماً، حيث تتمدَّد عضلاته في جميع الاتجاهات، وتبدو قسماته متمايزة. وتفيض منه جميع الانفعالات الممكنة. لم تكن جميلة ولا قبيحة. تبدو من زاوية شيطانية، ومن زاوية ثانية تبعث على الضحك. ومن زاوية أخرى كان وجهها يبدو وكأنه مزيج عشوائي. وحينما كانت تتوقف عن عبوسها، ترتخي عضلات وجهها شيئاً فشيئاً، وكأنها تموّجات صغيرة تتلاشى على سطح الماء، وتعود إليها ملامحها المعتادة. وعندئذٍ تكتشف أَوْمَامِه نسخة جديدة من نفسها وإنْ كانت بها بعض الاختلافات.

اعتادت تاماكي أن تقول لها: «يجب أن تكون ابتسامتك طبيعية. حينما تبتسمين تصبح ملامحك جذابة، لذلك من العار ألّا تُكثرين من

الابتسام». ولكن أَوْمَامِه لم تستطعْ قط أن تبتسم بسهولة، أو من حين إلى آخر حينما يكون ذلك في حضور الناس. وحينما كانت تتصنع الابتسامة، تبدو ابتسامتها ساخرة، ما يجعل الآخرين أكثر توتراً وأقل ارتياحاً. أمّا تاماكي فكانت تختلف عنها؛ فابتسامتها طبيعية وتخلق حالة من البهجة. ولذلك كان هؤلاء الذين يلتقونها للمرة الأولى يشعرون نحوها على الفور بالودّ. ورغم ذلك، فقد دفعت خيبة الأمل واليأس تاماكي إلى الانتحار، تاركة وراءها أَوْمَامِه، التي لا تستطيع أن تُظهر ابتسامة ودودة.

كان يوم أحدٍ هادئ. حفّزت أشعة الشمس الدافئة أناساً كثيرين على الذهاب إلى الحديقة المقابلة للطريق. كان الآباء والأمهات يقفون حول المكان فيما يلهو أبناؤهم في الملعب الرملي أو على الأرجوحة أو الزلاقة. أمّا كبار السن فكانوا يجلسون على المقاعد ويشاهدون الأطفال باهتمام. خرجَت أَوْمَامِه إلى شرفتها، وجلسَت على الكرسي، وراحت تراقب بفتور ما يجري عبر فجوة في الستارة. كان المشهد يسوده الهدوء. والوقت يمضي إلى الأمام. لم يكن هناك أحدٌ عُرضة للموت، ولم يكن هناك أحد يتعقّب قاتلة. ولم يكُن هناك أحدٌ لديه مسدس آلي محشو بالطلقات وملفوف في جورب داخل أحد الأدراج.

هل أستطيع أن أصبح مرة أخرى جزءاً من هذا العالم العادي والهادئ؟ سألت أَوْمَامِه نفسها. وهل سيأتي يوم أصحَب هذا الصغير من يده، وأمضي به إلى الحديقة، وأتركه يلهو على الأرجوحة والزلاقات؟ هل سأعيش حياتي من دون انشغال بمَن سأقتل أو بمَن سيقتلني؟ هل هذا ممكن في عالم 1Q84؟ أو ربما لا يكون ذلك ممكناً إلّا في عالم آخر؟ والسؤال الأهم، هل سيكون تنغو معي؟

توقفت أَوْمَامِه عن النظر إلى الحديقة وعادت إلى الداخل. أغلقت الباب الزجاجي وأسدلت الستائر. لم تعُد تسمع الآن أصوات الأطفال، وغمرها حزن عميق. أصبحت منقطعة عن كلّ شيء، وحبيسة مكان مقفَل. **سوف أتوقف عن مراقبة الملعب خلال النهار. لن يأتي تنغو في ساعات النهار.** لقد كان يبحث عن رؤية واضحة للقمرين.

بعد تناولها عشاء خفيفاً وغسلها الأطباق، ارتدت أَوْمَامِه ملابس ثقيلة وخرجت إلى الشرفة مرة أخرى. وضعت بطانية فوق حجرها وغاصَت في الكرسي. كانت ليلة سكنت فيها الرياح. وتراكمت في السماء غيوم من تلك التي يحبّها رسامو الألوان المائية، والتي تعدّ اختباراً لمدى دقة ريشة الرسام. كان القمر الأكبر، الذي لم تحجبه الغيوم، مشرقاً ومكتملاً حتى الثلثين، ويغمر الأرض بضوئه الساطع. في هذا الوقت من المساء، ومن مكانها الذي تجلس فيه، لم تستطعْ أَوْمَامِه أن ترى القمر الثاني، الأصغر بين القمرين. حجبته إحدى البنايات، ولكن أَوْمَامِه كانت تدرك أنه **موجود خلفها**. كانت تستشعر وجوده. ولم يكن يداخلها شكّ في أنه سوف يظهر لها عمّا قريب.

منذ أن اختبأت، أصبح بمقدورها أن تُبعد أفكاراً معينة عن ذهنها. وأصبح بوسعها الوصول إلى حالة من الصفاء الذهني ولا سيما حينما تجلس في الشرفة وتحدّق في الملعب. كانت تُبقي عينيها مثبتتين على الزلاقة، ولكن دون أن ينشغل بالها بأيّ شيء آخر - قد ينشغل عقلها بهذا الشيء أو ذاك، ولكن ذلك كان غالباً ما يجري تحت السطح. لم تكن تدري شيئاً عمّا يفعله عقلها تحت السطح. وعبر فترات زمنية منتظمة كانت تجد شيئاً يطفو على سطح الماء، وكأنه سلاحف بحرية وخنازير بحر تطلّ بوجوهها عبر السطح كي تتنفس.

وحينما يحدث ذلك، تدرك أنها كانت تفكر في شيء ما حتى ذلك الحين. وبعدئذٍ يعود وعيها ويغوص مرة أخرى تحت الماء، بعد أن امتلأت رئتاها بالأوكسجين المنعش. وهنا كان وعيها يغيب مرة أخرى، فلا تفكر في شيء. وتصبح جهازَ رصدٍ، ملفوفاً في شرنقة طرية، حينما تُثبت عينيها على الزلاقة.

كانت تنظر إلى الحديقة، ولكنها لا تبصر شيئاً في الوقت نفسه. إذا مرّ شيءٌ جديد بمجال رؤيتها، فسوف يستجيب ذهنها على الفور. ولكن لا جديد حتى الآن. كانت الرياح ساكنة. والأفرع الداكنة لشجرة زيلكوفا لا تتحرك، وكأنها مجسّات حادّة موجّهة نحو السماء. وكان السكون يخيِّم على العالم. نظرت في ساعتها، فوجدتها قد تجاوزت الثامنة. قد ينتهي اليوم كما ينتهي كلّ يوم، دون أن يقع أيّ شيء غير عادي. كانت ليلة أحدٍ هادئة تماماً.

لكن في تمام الساعة 8:23 خرج العالم عن سكونه.

فجأة انتبهت إلى وجود أحدٍ ما أعلى الزلاقة. كان وهو جالس يُولي وجهه شطر جهة ما من السماء. انقبض قلب أَوْمَامِه حتى بات في حجم قبضة يد طفل، وبقي بهذا الحجم حتى خشيت ألّا يعود للعمل مرة أخرى. ولكنه سرعان ما عاد إلى حجمه الطبيعي وبدأ ينبض مرة أخرى. بصوتٍ رتيب بدأ يضخ دماً جديداً إلى جميع أرجاء جسمها. وبدأ ذهنها أيضاً يشقّ طريقه سريعاً إلى سطح الماء، فيهتز ويتأهب، للقيام بعمل ما.

قالت في نفسها، إنه تنغو.

ولكن حينما اتّضحت لها الرؤية، أدركت أنه ليس هو. كان الجالس هناك قصير القامة، ويبدو وكأنه طفل، وله رأس كبير مربع،

ويرتدي قبّعة مشغولة من الصوف. كانت القبعة تضيق وتتسع بما يتواءم مع الشكل الغريب لرأسه. وكان قد تلفّع بوشاح أخضر حول رقبته ويرتدي معطفاً أزرق. كان الوشاح أطول ممّا ينبغي، وكانت أزرار معطفه مشدودة حول بطنه، التي توشك أن تنفجر. أدركت أَوْمَامِه أنّ هذا هو **الطفل** الذي رأته الليلة الماضية خارجاً من الحديقة. ولكنه ليس طفلاً. إنه في منتصف عمره تقريباً، وصاحب قامة قصيرة، وجسم مكتنز، وأطراف قصيرة. وكان رأسه منبعجاً وكبيراً على نحوٍ غير مألوف.

تذكرت أَوْمَامِه ما قاله تامارو عن ذاك الرجل صاحب الرأس الكبير الذي يبدو وكأنه دمية فوكوسوكي الجالبة للحظ السعيد، والذي أسمياه الرأس المفلطح. إنه هو الذي كان يحوم حول بيت الصفصاف في أزابو، وتحرّى حول دار الأمان. هذا الرجل الجالس أعلى الزلاقة الآن يوافق تماماً الوصف الذي أخبرها به تامارو في تلك الليلة. هذا الرجل الغريب لم يتوقّف عن تحرياته، وها هو الآن يزحف نحوها. **يجب أن أحمل المسدس. لماذا أتركه في غرفة النوم؟** أخذت أَوْمَامِه نفَساً عميقاً، وانتظرت حتى تهدأ أعصابها وتهدأ الفوضى التي اعترت قلبها. **يجب ألّا أفزع. لا حاجة الآن إلى المسدس.**

لم يكن الرجل، رغم أيّ شيء، يراقب المبنى الذي توجد فيه. كان يجلس أعلى الزلاقة، ويحدّق في السماء كما فعل تنغو في المكان نفسه. وكان يبدو مستغرقاً في أفكاره. وطوال مدة جلوسه لم يحرِّك عضلة واحدة، وكأنما قد نسي كيف يفعل ذلك. لم يولِ وجهه قط شطر غرفتها. ولذلك التبس الأمر على أَوْمَامِه. **ماذا يحدث؟ هذا الرجل جاء إلى هنا كي يبحث عني. وربما يكون منتمياً إلى ساكي جاكه. لا شك أنه بارع. أعني، أنه استطاع أن يتعقّبني من أزابو**

حتى هنا. لكنه يبدو الآن مستكيناً ومكشوفاً وشارد الذهن وهو يحدق في السماء.

نهضت أَوْمَامِه على قدميها بهدوء، وفتحت الباب الزجاجي قليلاً، ثم انسلّت إلى الداخل، وجلست أمام الهاتف. وبيدين مرتعشتين، بدأت تتصل برقم تامارو. يجب أن تبلغه - بأنها ترى الرأس المفلطح من شرفتها، وأنه يجلس أعلى زلاقة في الملعب المقابل للشارع. وسوف يقوم تامارو بما ينبغي عمله، ولا بد أنه سوف يتعامل مع الموقف ببراعة. ولكنها توقفت بعد أن طلبت الأرقام الأربعة الأولى، فيما كانت السماعة بيدها، وعضّت على شفتها.

فكرت أَوْمَامِه، من السابق لأوانه أن أخمّن كل ذلك. لا يزال هناك الكثير الذي لا نعرفه عن هذا الرجل. إذا اعتبره تامارو خطراً وتعامل معه على هذا الأساس، فسوف يظلّ كل ما لا نعرفه عنه مجهولاً. ومن يتأمّل فيما يفعله الرجل، يجده يفعل بالضبط ما فعله تنغو في اليوم السابق. يجلس على الزلاقة نفسها، ويتّخذ الوضعية نفسها، وينظر إلى الجهة نفسها من السماء، كما لو كان يقلّد تنغو. لا بد أنه هو الآخر يرى قمرين. قد تكون هناك صلة ما بين هذا الرجل وتنغو. وربما لم يعرف بعد أنني مختبئة داخل شقة في هذا المبنى، ولذلك يجلس مكانه مستكيناً وظَهره لي.

كلّما أمعنت أَوْمَامِه التفكير، زادت اقتناعاً بصواب هذه الفرضية. إذا صحّ ذلك، فقد يقودني تتبّع هذا الرجل إلى مكان تنغو. وبدلاً من أن يجدني، قد يصبح هو دليلي الذي أتبعه. انقبض قلبها أكثر لهذه الفكرة، وأخذ يدقّ. ووضعت السماعة.

استقرّ رأيها وقالت في نفسها، سوف أخبر تامارو فيما بعد. هناك شيء يجب أن أقوم به أولاً. شيء به بعض المجازفة، لأنّ

المطارَد سيتحوّل إلى مطارِد. هذا الرجل بارع بالتأكيد. ولكن لا يمكنني أن أدَع هذه الفرصة الذهبية تفلت من يدي. قد تكون فرصتي الأخيرة. توحي هيئته بأنه في حالة من الذهول، على الأقل في اللحظة الحالية.

أسرعت إلى غرفة النوم، وفتحت درج الخزانة، وأخرجت المسدس. حرّرت زر الأمان، وأرسلت رصاصة إلى غرفة الإطلاق، ثم أعادت ضبطه. دسّت المسدس في الجزء الخلفي من بنطال الجينز الذي ترتديه وخرجت إلى الشرفة مرة أخرى. كان الرأس المفلطح لا يزال جالساً يحدّق في السماء. وكان رأسه المنبعج لا يزال ثابتاً. **يبدو أنه مفتون بما يشاهده في السماء. أدركت أَوْمَامِه كيف كان شعوره. يا له من مشهد آسرٍ فعلاً.**

عادت أَوْمَامِه إلى الداخل حيث ارتدت جاكيت وقبعة بيسبول. وارتدت أيضاً نظارة ذات إطار أسود بسيط، حتى تُضفي على وجهها ملمحاً مغايراً. لفّت وشاحاً رمادياً حول عنقها ووضعت حافظة النقود ومفتاح الشقة في جيبها. هبطت الدرج وغادرت المبنى. لم يصدر عن نعل حذائها الرياضي أيّ صوت حينما بدأت تمشي عبر الطريق المرصوف. لقد انقضت مدة منذ آخر مرة شعرت فيها بأنها تمشي على أرض صلبة وثابتة، وقد شجّعها هذا الشعور.

بينما كانت في طريقها كانت تنظر نحو الزلاقة كي تتأكّد أنّ الرأس المفلطح لا يزال في مكانه. انخفضت درجة الحرارة بشكلٍ ملحوظ بعد مغيب الشمس، ولكن بقيت الرياح ساكنة. وجدت برودة الجو منعشة في واقع الأمر. اجتازت أَوْمَامِه في صمت مدخل الحديقة فيما تنبعث من فمها تلك الأنفاس البيضاء. لم يُظهر الرأس المفلطح أيّ علامة توحي بأنه انتبه إلى وجودها. بقيت نظرته في السماء ثابتة

ومباشرة. لم تكن أَوْمَامِه وهي في مكانها تستطيع رؤية القمرين، ولكنها كانت تُدرك أنّ نظرته تنتهي عندهما، كبيرهما، وصغيرهما. ولا غروّ أن يتضاما التماساً للدفء في هذا البرد القارس وهذه السماء الصافية.

مرّت بجوار الحديقة، وعندما وصلت إلى الزاوية التالية، استدارت وعادت من حيث أتت. اختبأت في الظلام وراحت ترقُّب الشخص الجالس أعلى الزلاقة. وجدت المسدس المخبأ في ظهرها صلباً وبارداً كما الموت، فهدّأ ذلك من روعها.

انتظرت خمس دقائق. نهض الرأس المفلطح ببطء على قدميه، ونظّف معطفه، وحدَّق مرة أخرى في السماء. ثم، وكما لو كان قد حزَمَ أمره، هبط سلّم الزلاقة. غادر الحديقة ومضى صوب المحطة. لم يكن تتبّعه أمراً صعباً. كان عدد المارة في شارع سكني ليلة الأحد قليلاً، ولم تفقد أثره رغم حفاظها على مسافة كافية بينهما. وفوق ذلك، لم تكُن تُداخله ذرّة شكّ في أنّ أحداً ما يراقبه. لم ينظر وراءه مطلقاً، وظلّ يمشي بوتيرة ثابتة، الوتيرة نفسها التي يمشي بها الأشخاص حينما يكونون شاردي الأذهان. يا للسخرية، فكرّت أَوْمَامِه. **إن مشكلة المطارِد هي أنه لا يتخيل أبداً أنه هو نفسه مطارَد.**

أدركت بعد فترة أنّ الرأس المفلطح لم يكن في طريقه إلى محطة كوينجي. خلال فترة مكوثها في الشقة، كانت دائمة النظر في خريطة طوكيو بأحيائها الثلاثة والعشرين، وتستكشف المنطقة مرة تلو مرة حتى حفظتها عن ظهر قلب بما يتيح لها أن تعرف الاتجاه الذي عليها أن تسلكه عند الطوارئ. ورغم أنه كان متجهاً في أوّل الأمر صوب المحطة، فقد أدركت أنه في طريقه إلى وجهة أخرى حينما انعطف عند

ناصية ما. لاحظَت أنّ الرأس المفلطح لم يكن يعرف المنطقة. فقد توقّف مرتين عند أحد التقاطعات، ونظر حوله وكأنه لا يدري أين يذهب، وكان يدقّق النظر في لوحات العناوين المعلقة على أعمدة الهاتف. إنه قطعاً ليس من قاطني هذه المنطقة.

وأخيراً زاد صاحب الرأس وتيرة خطواته. خمّنت أَوْمَامِه أنه عادَ إلى منطقته التي يألفها. مشى بمحاذاة مدرسة ابتدائية، وعبر شارعاً ضيقاً ثم دخل إلى مبنى سكني قديم يتكوّن من ثلاثة طوابق.

انتظرت أَوْمَامِه لخمس دقائق بعد أن تلاشى الرجل داخله. كان آخر ما تريده هو أن تصطدم به عند المدخل. كانت توجد أفاريز خرسانية في المدخل، ومصباح مستدير يغمر المدخل بضوء مائلٍ إلى الصفرة. نظرت حولها فلم تجد أيّ لوحة تُشير إلى اسم المبنى. ربما ليس له اسم. فقد تمّ بناؤه قبل بضع سنوات. حفظت العنوان الموضح على عمود الهاتف المجاور.

بعد خمس دقائق مشَت صوب المدخل. مرّت مسرعة من تحت الضوء المصفر وفتحت الباب سريعاً. لم يكن هناك أحد في الردهة الصغيرة للمدخل. كانت خالية وخاوية من أيّ دفء. وكان مصباح الفلورسنت المتهالك يُصدر طنيناً فوق رأسها، فيما يصل إلى سمعها من مكان ما صوت جهاز تلفزيون، وكذلك صراخٌ عالٍ لطفل يثير غضب والدته.

أخرجت أَوْمَامِه مفتاح الشقة من جيب سترتها وراحت تهزّه بخفة في يديها حتى إذا ما رآها أحد يظنّ وكأنها تعيش في المنزل. تفحّصت الأسماء الموضحة على صناديق البريد. ربما يكون أحدهم هو الرأس المفلطح. لم تكن متفائلة ولكنها وجدت ذلك يستحق المحاولة. كان

المبنى صغيراً، ولا يسكنه كثيرون. حينما لاحَ لها اسم **كاوانا** على أحد الصناديق، تلاشت كلّ الأصوات من حولها.

وقفت مشدوهة أمام صندوق البريد. بدا الهواء رقيقاً للغاية وشعرت بصعوبة في التنفس. أخذَت شفتاها، المفتوحتين قليلاً، ترتعشان. مضى بعض الوقت وهي واقفة. أدركَت مدى حمق ذلك وخطورته. قد يظهر الرأس المفلطح في أيّ لحظة. ومع ذلك، لم تستطعْ أن تدفع نفسها بعيداً عن صندوق البريد. شُلّت قدرتها على التفكير لدى رؤيتها بطاقة صغيرة تحمل اسم **كاوانا**، وتسمّرت مكانها.

لم يكُن لديها أيّ دليل ملموس على أن هذا الساكن المسمى كاوانا هو تنغو كاوانا. لم يكُن اسم **كاوانا** اسماً شائعاً، ولكنه قطعاً ليس بغرابة اسم أَوْمَامِه. ولكن إذا كانت هناك صلة ما تجمع الرأس المفلطح، كما خمّنت، بتنغو، فإنّ هناك احتمالاً قوياً بأنّ **كاوانا** هذا ما هو إلّا تنغو كاوانا. كانت شقته تحمل الرقم 303، ومن عجائب المصادفات أنه هو الرقم نفسه الذي تحمله شقتها التي تقيم فيها حالياً.

عضّت أَوْمَامِه بشدّة على شفتها وقالت في نفسها، **ماذا عليّ أن أفعل إذاً؟** ظلّ ذهنها يدور في دائرة مغلقة ولم يعثُر على مخرج. **ماذا يجب أن أفعل؟** حسناً، لا يمكنها أن تبقى متسمِّرة أمام صندوق البريد إلى الأبد. حزمت أمرها وصعدت الدرج الخراساني حتى وصلت إلى الطابق الثالث. كانت توجد في أرضية الدرج الكئيب تشقّقات رقيقة نجمَت عن سنوات من الاستخدام. وكانت تسمع صرير حذائها الرياضي وهي تمشي.

كانت أَوْمَامِه تقف الآن خارج شقة 303. باب عادي من الصلب مع بطاقة طُبع عليها اسم **كاوانا**. الاسم الأخير فقط. كان المقطعان

اللذان يتألف منهما الاسم يبدوان غير متجانسين. وفي الوقت نفسه، يخبّئان لغزاً. وقفت أَوْمَامِه هناك، وقد أرهفت سمعها، وشحذت حواسها. ومع ذلك لم تستطعْ سماع أيّ صوت آتٍ من خلف الباب، ولم تعرف حتى ما إذا كان هناك ضوء بالداخل. رأت جرساً بجوار الباب.

ارتبكت أَوْمَامِه. وعضّت على شفتها وأخذت تفكر في الخطوة التالية. سألت نفسها، **هل أدقّ الجرس؟ قد يكون ذلك فخاً جهنمياً؟ ربما كان الرأس المفلطح يختبئ وراء الباب، وكأنه قزمٌ شرير في غابة معتمة، وينتظرني بابتسامة شريرة على وجهه. لقد تعمَّد أن يظهر نفسه لي أعلى الزلاقة لاستدراجي إلى هنا. ولأنه يعي تماماً أني أبحث عن تنغو، فقد استخدمه كطُعم. يا له من داهية وضيع يعرف نقطة ضعفي. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنه بها أن يجعلني أفتح بابي.**

تأكّدت أنه لا أحد آخر حولها وسحبت المسدس من بنطالها الجينز. حرّرت الأمان ودسّت المسدس في جيب سترتها حتى تستطيع الوصول إليه بسهولة. قبضت على المسدس بيدها اليمنى، ووضعت إصبعها على الزناد، فيما ضغطت بيدها اليسرى على جرس الباب.

دق جرس الباب داخل الشقة. دقات بطيئة، لا تنسجم مع دقات قلبها المتسارعة. قبضت على المسدس بشدّة، وهي تنتظر أن يُفتح الباب. لكنه لم يُفتح. ولا يبدو أن هناك أي أحد ينظر إليها خلسة عبر العين السحرية. انتظرت لحظة، ثم دقّت الجرس مرة أخرى. كان صوت الجرس عالياً بما يكفي لجعل جميع الناس في محافظة سوجينامي يرفعون رؤوسهم ويرهفون آذانهم. بدأت يدها اليمنى الممسكة بمقبض المسدس تتعرّق. ولكن أحداً لم يفتح الباب.

حزمت أمرها، يجدر بي أن أغادر. إنّ كاوانا الذي يعيش في الشقة 303، أيّاً كان مَن هو، ليس موجوداً بالداخل. وأما الرأس المفلطح الذي ينذر بالشرّ فلا بد أنه يكمن في مكان ما داخل هذا المبنى. هناك خطر داهم في البقاء هنا أطول من ذلك. هبطت الدرج مسرعة، وألقت نظرة خاطفة على صندوق البريد لدى مرورها به، وغادرت المبنى. برأس مطأطأة، مضت مسرعَة نحو الشارع تحت الضوء المصفر. كانت تنظر وراءها حتى تتأكد أنه لا يوجد أحد يتبعها.

كانت هناك أمور كثيرة عليها أن تفكِّر بها، وكانت هناك قرارات عليها أن تتّخذها. تحسَّست جيبها وأعادت ضبط الأمان في المسدس. ثم، وبعيداً عن أيّ أعينٍ متطفلة، دسّت المسدس في الجزء الخلفي من بنطالها. قالت في نفسها، لا ينبغي أن أنساق وراء أمنياتي. قد يكون كاوانا الساكن هنا هو تنغو. وقد لا يكون. حينما ينساق المرء وراء أمنياته، يبدأ عقله في العمل ذاتياً. وحينما تتحطّم آمالك يتملّكك الإحباط، والإحباط يولِّد الشعور بالعجز. وعندئذٍ تصبح غير مكترث وتتخلى عن حذرك. وفكرت، وهذا هو آخر شيء يمكنني احتماله الآن.

لا أدري ما مقدار ما يعرفه عني الرأس المفلطح. ولكن الحقيقة أنه يقترب مني. يقترب بما يكفي لأن يمدّ يده ويلمسني. يجب أن أتماسك وأتأهّب. فأنا أتعامل مع شخص شديد الخطورة. أهون خطأ قد يكون مميتاً. يجب أن أبتعد الآن عن هذا المبنى. إنه يختبئ فيه، ويخطِّط كيف يُمسك بي، وكأنه عنكبوت سام ومصاص دماء ينسج خيوطه في الظلام.

حينما عادت أَدْرَاجها إلى شقَّتها أصبح ذهنها أكثر ترتيباً. لم تعُد ترى سوى مسارٍ واحد عليها أن تسلكه.

في هذه المرة طلبت رقم تامارو كاملاً. تركته يرن اثنتي عشرة مرة، ثم وضعت السماعة. خلعت قبّعتها ومعطفها، وأعادت المسدس إلى الدرج، ثم شربت كوبين من الماء. غلت بعض الماء وأعدّت شاياً. استرقت النظر عبر فجوة في الستارة إلى الحديقة المواجهة للشارع، حتى تتحقّق من أنه لا أحد هناك. وقفت أمام مرآة الحمام ومشّطت شعرها. كانت أصابعها لا تزال لا تعمل بشكل جيد. لا تزال بها بعض التوتر. وبينما كانت تصب الماء الساخن في إبريق الشاي رنّ الهاتف. كان تامارو بطبيعة الحال.

قالت: «رأيت للتو الرأس المفلطح».

قال بعد صمت: «حينما تقولين أنك رأيته للتو، هل تقصدين أنك لا ترينه الآن؟».

قالت أَوْمَامِه: «هذا صحيح. قبل مدّة قصيرة كان في الحديقة المواجهة للمبنى الذي أعيش فيه. لكنه لم يعُد موجوداً الآن».

«منذ كم دقيقة تعنين بمدة قصيرة؟».

«منذ حوالي أربعين دقيقة».

«ولماذا لم تتصلي قبل أربعين دقيقة؟».

«كان عليّ أن أتبعه في الحال ولم يكن لديّ وقت».

زفر تامارو زفرة بطيئة، وكأنما يعتصر أنفاسه: «تتبعينه؟».

«لم أكُن أريد أن أفقد أثره».

«أظنّ أني طلبتُ منكِ ألّا تخرجي أبداً».

انتقت أَوْمَامِه كلماتها بعناية: «لكنني لا أستطيع الاكتفاء بالجلوس حينما يقترب مني الخطر. وحتى لو كنت قد اتصلت بك من فوري، هل كنت تستطيع الوصول إلى هنا في الحال؟».

أصدر تامارو صوتاً خافتاً من مؤخّرة حنجرته: «لذلك تتبعتِ الرأس المفلطح».

«يبدو أنه لم يكن يدري أن أحداً يتبعه».

حذّرها تامارو: «قد يتظاهر الأشخاص المحترفون بذلك».

كان تامارو محقاً. قد تكون حيلة متقنة. لكن ذلك لا يعني أنها سوف تُقرّ له بخطئها: «أنا واثق أنّ لديك القدرة على ذلك، وأن الرأس المفلطح لا يمتلك قدراتك. قد يكون بارعاً، ولكنه لا يضاهيك في شيء».

أضافت: «قد يكون لديه معاونين».

«لا. إنه يعمَل بمفرده بالتأكيد». صمَتَ تامارو للحظة ثم قال: «حسناً. هل عرفت وجهته؟».

أخبرته أَوْمَامِه بعنوان المبنى وبوصفه الخارجي. لم تكُن تعرف أيّ شقة كان يسكنها. سجّل تامارو العنوان، وسأل أَوْمَامِه بعض الأسئلة فأجابت عنها بأقصى دقّة ممكنة.

قال تامارو: «قلت إنك عندما شاهدته أول مرة كان في الحديقة التي يفصلها عنك الشارع».

«صحيح».

«ماذا كان يفعل هناك؟».

أخبرته أَوْمَامِه - كيف كان الرجل يجلس أعلى الزلاقة ويحدق في السماء ليلاً. لم تأتِ على ذكر حكاية القمرين. كان ذلك مجرد توقع منها.

سألها تامارو: «يحدّق في السماء؟» كان بوسع أَوْمَامِه أن تسمع صوت انتقال التروس داخل عقله.

«في السماء، أو القمر، أو النجوم. لا أدري في أيٍّ منها كان يحدق».

«وترك نفسه أعلى الزلاقة هكذا مكشوفاً ومستكيناً».

«نعم».

سألها تامارو: «ألا تجدين ذلك غريباً؟» جاء صوته جاداً وجافاً، مذكِّراً إياها بنبات صحراوي يمكنه أن يعيش سنة كاملة على يوم واحدٍ من المطر: «هذا الرجل قد عثر عليك وكان يتعقّبك. لم يكن يفصله عنك سوى خطوة واحدة. إنه بارع للغاية. أمّا أن يجلس أعلى الزلاقة ويحدق في السماء ليلاً، دون أن يعير شقتك أدنى اهتمام. فهذا لا يبدو معقولاً».

«أوافقك أنّ ذلك غير منطقي. مهما يكن، لم أستطعْ أن أدَعه يذهب هكذا».

تنهد تامارو، وقال: «ومع ذلك ما زلتُ أعتبره خطراً».

لم تعلّق أَوْمَامِه بشيء.

سألها تامارو: «وهل ساعدكِ تعقّبه في اكتشاف أيّ شيء؟».

قالت: «لا. لكن هناك شيئاً واحداً قد لفت انتباهي».

«وهو؟».

«عندما نظرتُ إلى صناديق البريد، عرفت أن شخصاً ما يُدعى كاوانا يعيش هناك في الطابق الثالث».

«وبالتالي؟».

«هل سمعتَ عن **الشرنقة الهوائية**؟ الرواية التي حققت رواجاً كبيراً في الصيف الماضي؟».

«أنا أطالع الصحف كما تعرفين. مؤلّفتها هي إريكو فوكادا، وهي ابنة أحد أتباع ساكي جاكه. لقد اختفت وهناك شكوك بأنّ التنظيم

يقف وراء اختطافها. وقد حقَّقت الشرطة في ذلك. لكني لم أقرأ الرواية بعد».

«إريكو فوكادا ليست مجرّد ابنة لأحد الأتباع. والدها كان هو الزعيم، رئيس ساكي جاكه. إنها ابنة الرجل الذي أرسلتُه إلى الجانب الآخر. وقد اختار المحرِّر في دار النشر تنغو كاوانا كي يكون كاتباً خفياً، ويُعيد كتابة **الشرنقة الهوائية**. والرواية في واقع الأمر هي نتاج مشترك للاثنين».

خيم صمتٌ طويل. كان طويلاً بما يكفي لأن يمضي إلى آخر غرفة طويلة وضيقة كي يكشف عن كلمة في قاموس، ثم يمشي عائداً إلى الهاتف مرة أخرى. وأخيراً قطع تامارو الصمت.

«ليس لديكِ أي دليل على أنّ كاوانا الذي يعيش في هذا المبنى هو تنغو كاوانا».

أقرت أَوْمَامِه: «حتى الآن، لا. ولكن إذا كان هو الشخص نفسه، فسيكون كلّ ذلك منطقياً».

قال تامارو: «بعض الأجزاء متشابكة. ولكن كيف يمكنكِ أن تعرفي أن تنغو كاوانا هذا هو الكاتب الخفي **للشرنقة الهوائية**؟ هذا أمر لا يمكن أن يُعلَن بشكلٍ صريح. كان سوف يتسبّب في فضيحة كبرى».

«سمعت ذلك من الزعيم نفسه. قُبيل وفاته مباشرة، أخبَرَني بذلك».

أصبح صوت تامارو جامداً قليلاً: «ألا ترين أنه كان عليكِ أن تُخبريني بذلك من قبل؟».

«لم أكُن أعتقد وقتها أنه أمرٌ مهمّ إلى هذا الحدّ».

خيّم الصمت مرة أخرى لبعض الوقت. لم يكن بوسع أَوْمَامِه أن

تعرف فيما يفكر تامارو، لكنها كانت تعرف أنه لا يحب الحجج والأعذار.

قال أخيراً: «حسناً. لنؤجل ذلك الآن. ودعينا نركّز على جوهر الموضوع. ما تحاولين قوله هو أنّ الرأس المفلطح كان يراقب تنغو كاوانا هذا. وباستخدامه كخيط، كان يتعقبك ويريد أن يتعرّف على مكانك».

«هذا ما أعتقده».

قال تامارو: «لكني لا أفهم ذلك. لماذا يمكن أن يصبح تنغو كاوانا خيطاً يقوده للوصول إليك؟ ليس هناك أيّ صلة بينك وبين كاوانا، هل هناك؟ فيما عدا أنك تعاملتِ مع والد إريكو فوكادا، وأن تنغو هو الكاتب الخفي لروايتها».

قالت أَوْمَامِه، وقد أصبح صوتها رتيباً: «هناك صلة».

«هناك علاقة مباشرة بينك وبين تنغو كاوانا. هل هذا ما تودّين قوله؟».

«كنت أنا وهو في صفٍّ دراسي واحد في المدرسة الابتدائية. وأعتقد أنه والد طفلي. ولكني لا أستطيع أن أوضح أكثر من ذلك. إنها مسألة، لا أدري كيف أقول ذلك، شخصية للغاية».

على الطرف الآخر من الهاتف سمعت قلم حبر ينقر على سطح مكتب. كان هذا هو الصوت الوحيد الذي استطاعت أن تسمعه.

أعاد تامارو كلامه: «شخصية»، بصوتٍ بدا وكأنه قد لمح مخلوقاً غريباً فوق صخرة ملقاة في حديقة.

قالت أَوْمَامِه: «أنا آسفة».

قال تامارو: «أفهم. إنها مسألة شخصية للغاية. لن أسأل أيّ أسئلة أخرى. إذاً، ماذا تريدين مني تحديداً؟».

«حسناً، الشيء الأول الذي أودّ أن أعرفه هو هل كاوانا الذي يعيش في هذا المبنى هو فعلاً تنغو كاوانا. لو أنّ ذلك كان ممكناً، لتأكّدتُ بنفسي، ولكنها ستكون مخاطرة كبيرة إذا ذهبت إلى هناك مرة أخرى».

«موافق».

«وربما يكون الرأس المفلطح مختبئاً داخل هذا المبنى، ويدبِّر أمراً. إذا كان قد أوشك على معرفة مكاني، فيجب أن نفعل شيئاً».

«إنه يعرف بالفعل جانباً من العلاقة التي تربطك بالسيدة. لقد بذل جهداً كبيراً حتى أمسك بهذه الخيوط وهو يحاول أن يجمعها معاً. ولا يمكننا تجاهله».

قالت أَوْمَامِه: «الذيّ طلب آخر منك».

«تفضلي».

«إذا كان تنغو كاوانا هو مَن يعيش هناك حقاً، فلا أريد أن يصيبه أيّ أذى. وإذا كان لا مفرّ من هذا الأذى، فأودّ أن أكون مكانه».

بقي تامارو صامتاً مرة أخرى. لم تسمَع نقرات القلم هذه المرة. بل لم تكن هناك أي أصوات على الإطلاق. كان يفكر وسط عالم خالٍ من أيّ صوت.

قال تامارو: «أعتقد أنّ بإمكاني أن أنفِّذ لك المطلبين الأول والثاني. فكلاهما جزء من عملي. ولكني لا أعدكِ بأيّ شيء في الثالث. فهو يتضمّن أموراً شخصية وفيه الكثير ممّا لا أفهمه. ومن واقع تجربتي، فإنّ التعامل مع ثلاثة مطالب في وقت ليس عملاً سهلاً. أحببتِ ذلك أو كرهتيه، في نهاية المطاف عليكِ أن تضعي أولويات».

«لا بأس. يمكنك أن ترتِّب هذه الأولويات كيفما تشاء. ما أريده

فقط هو أن تضع في اعتبارك أنني ما دمتُ موجودة على قيد الحياة، فلا بدّ أن أقابل تنغو. لديّ ما يجب أن أخبره به».

قال تامارو: «سآخذ ذلك بعين الاعتبار. وما دام هناك متّسع في ذهني، فسوف أفعل».

«أشكرك».

«يجب أن أبلغ السيدة بما قلتِهِ لي. هذه مسألة حساسة نوعاً ما، ولا يمكنني أن أقرِّر فيها شيئاً بمفردي. سوف أُنهي المكالمة الآن. اسمعي، لا تغادري المبنى بعد الآن. أَقفلي الباب وامكثي بالداخل. إذا غادرتِ المبنى، فقد تُسبِّبين لنا المتاعب. وربما تَسبب خروجك في ذلك بالفعل».

«لكن خروجي ساعدني في معرفة بعض الأشياء عنه».

قال تامارو وقد بدا عليه الاقتناع: «معكِ حق. ممّا قلته لي، يبدو أنكِ قد أديتِ عملاً ممتازاً. أعترف لكِ بذلك. ولكن لا تتخلّي عن حذركِ. نحن لا نعرف حتى الآن ماذا يخبئ لنا. وبناء على ما جرى، يبدو أنّ هناك جهة تدعَمه. أما زلتِ تحتفظين بذلك الشيء الذي أعطيته لك؟».

«بالطبع».

«اجعليه في متناولك».

«سأفعل».

سادَ صمتٌ قصير، ثم انتهى الاتصال.

غمرت أَوْمَامِه نفسها في حوض الاستحمام الذي ملأته حتى الحافة، وبينما كانت تتهيّأ للاستحمام، انصرف تفكيرها إلى تنغو الذي قد يكون موجوداً داخل إحدى شقق هذا المبنى القديم. تخيَّلت صورة

الباب غير الجذاب المصنوع من الصلب، واللوحة المخصَّصة للاسم، واسم كاوانا المطبوع على اللوحة. **ماذا يوجد وراء هذا الباب؟ وأيّ حياة كان يعيشها هناك؟**

راحت تتحسَّس ثدييها وتفركهما وهي في الماء الدافئ. وجدت حلمتاها قد أصبحتا أكبر وأصلب، وأكثر حساسية. فكَّرت، **ليت هاتين اليدين كانتا لتنغو**. تخيّلت يديه الكبيرتين والدافئتين. إنهما قويتان، ولكنهما قطعاً لطيفتان. إذا قبض بيديه على نهديها، فكم سيكون ذلك مبهجاً ومريحاً لها. لاحظت أَوْمَامِه أيضاً أن ثدييها قد أصبحا الآن أكبر قليلاً. لا خداع في ذلك. لقد كبرا قطعاً بكلّ تأكيد، وأصبحت ثناياهما أكثر طراوة. **ربما يكون الحمل هو السبب. أو ربما كَبُرا هكذا وحسب، ولا صلة للحمل بذلك. إنهما أحد مظاهر التحوّل في حياتي.**

وضعت يديها على بطنها. كانت لا تزال منتفخة قليلاً، ولسبب ما، لم تشعر بأيّ غثيان في الصباح. ولكن كان هناك شيء صغير يختبئ داخلها. كانت تعرفه. فكرت، **مهلاً. لعلّهم لا يستهدفون حياتي، وإنما حياة هذا الصغير؟ هل يسعون للوصول إليه وكذلك إليّ، انتقاماً لقتلي زعيمهم؟** ارتعدت من هذه الفكرة. باتت أَوْمَامِه أكثر عزماً وتصميماً الآن على رؤية تنغو. **كان يجب عليهما معاً أن يوفرا الحماية للصغير. لقد فقدتُ الكثير من الأشياء الثمينة خلال حياتي. ولكني سوف أتشبّث بهذا الشيء.**

أوت إلى الفراش وراحت تقرأ لبعض الوقت، ولكنها لم تستطعْ النوم. أغلقت الكتاب، وتكوّرت ببطء كي تحمي بطنها. وضعت خدها على الوسادة، وراحت تفكر في القمر الساطع شتاءً فوق الحديقة، والقمر المخضرّ الذي يوجد بجواره. **مازا ودوهتا**. الضوء

المختلط للقمرين الذي يغمر الفروع الجافة لشجرة زيلكوفا. في هذه اللحظة ذاتها، لا بد أن تامارو يضع خطةً ما، ولا بد أنّ عقله يدور الآن بأقصى سرعة ممكنة. يمكنها أن تراه، عاقداً حاجبيه، فيما تسمع نقرات قلمه العالية فوق سطح المكتب. في نهاية المطاف، وكأنما استحوذ عليها هذا الإيقاع الرتيب المتواصل، لفّ النوم دثاره الناعم حولها.

الفصل الحادي والعشرون

تنغو

في مكانٍ ما داخل رأسه

كان الهاتف يرنّ. وكانت عقارب ساعة المنبه تُشير إلى 2:04. يوم الاثنين، 2:04 صباحاً. كان الوقت لا يزال ليلاً وكان تنغو يغطّ في نوم عميق. نوم هادئ لا تشُوبه أحلام.

ظنّ في أول الأمر أنها فوكا-إري. فهي الوحيدة التي يمكنها أن تتصل في هذه الساعة المتأخرة. أو لعله كوماتسو. يفتقر كوماتسو إلى الحسّ السليم فيما يخصّ الوقت. ولكن رنة الهاتف وعلى نحوٍ ما لم تبدُ أنها لكوماتسو. كانت أكثر إلحاحاً وذات نبرة رسمية. وفوق ذلك، كان قد رأى كوماتسو قبل بضع ساعات.

كان أحد خياراته أن يتجاهل الاتصال ويعاود النوم - وهو خيار تنغو الأول. ولكن رنّات الهاتف تواصلت. ربما تستمر هذه الرنات طوال الليل. غادر فراشه وهو يهزّ ساقيه، ورفع السماعة.

«مرحباً»، قال تنغو، بصوتٍ لا يزال به أثر النوم. بدا وكأن رأسه مليئة بخسّ مجمّد. لا بد أن هناك أشخاصاً لا يعرفون أنّ الخسّ لا ينبغي أن يُجمّد؛ لأنه حالما يتمّ تجميده يفقد كلّ القرمشة التي فيه، وهي بكلّ تأكيد أفضل ما يميّز الخسّ.

عندما وضع السماعة على أذنه، تناهى إلى سمعه صوت رياح. رياح متقلّبة تندفع عبر وادٍ ضيّق، فتُثير فراء غزال جميل تنحني لتشرب من جدولٍ صافٍ. ولكنه لم يكن صوت رياح، وإنما أنفاس شخص ما، وقد ضخَّمها الهاتف.

أعاد تنغو، «مرحباً». هل هي معاكَسة بالهاتف؟ أو قد تكون جودة الاتصال رديئة.

ردّ الشخص الموجود على الطرف الآخر: «مرحباً». كان صوتاً لامرأة سمعَه من قبل. لم تكن فوكا-إري. ولم تكن صديقته التي تكبره سناً.

قال تنغو «مرحباً. أنا كاوانا».

قال الشخص: «تنغو». وأخيراً سمع كلّ منهما الآخر، رغم أنه لم يعرف بعد مَن هي صاحبة الصوت.

«من أنتِ؟».

قالت المرأة: «كومي أداتشي».

قال تنغو: «آه، مرحباً». كومي أداتشي هي الممرّضة الشابة التي تسكن تلك الشقة التي سمع فيها نعيب البومة. «ماذا جرى؟».

«هل كنت نائماً؟».

قال تنغو: «نعم. وأنتِ؟».

كان سؤاله لا معنى له. فالنائمون لا يمكنهم إجراء مكالمات هاتفية. قال في نفسه، **لماذا تلفّظت بهذا السؤال الأحمق؟ لا بد أنه الخسّ المجمّد يفعل فعله داخل رأسي.**

قالت: «أنا الآن في عملي». نظّفَت حنجرتها: «السيد كاوانا تُوفي لتوّه».

أعادَ تنغو الكلام دون أن يفقه منه شيئاً: «السيد كاوانا توفي لتوه. هل هناك مَن يقول له إنه هو نفسه قد توفي لتوه؟».

قالت كومي وهي تُعيد صياغة كلامها: «والدك لفَظ أنفاسه الأخيرة لتوه».

نقل تنغو السماعة من يُمناه إلى يسراه من دون جدوى. وقال: «لفَظ أنفاسه الأخيرة».

«غفوت بعض الوقت في استراحة الممرضات عندما رنّ الجرس، بعد الواحدة مباشرة. كان جرس غرفة والدك. لقد كان في غيبوبة طويلة، ولا يمكن أن يكون هو مَن رنّ الجرس، ولذلك استغربتُ الأمر، وذهبتُ كي أتحقّق بنفسي. حينما وصلت إلى هناك كانت أنفاسه قد توقفت، وكذلك قلبه. أيقظتُ الطبيب المناوب وحاولنا إنعاشه، ولكن من دون جدوى».

«هل تقولين إنّ والدي هو من ضَغط على زرّ الاستدعاء؟».

«على الأغلب. لم يكن هناك أيّ أحد آخر يمكن أن يفعل ذلك».

قال تنغو: «ما هو سبب الوفاة؟».

«لا يمكنني فعلاً أن أحدِّد ذلك، وإن كان يبدو أنه لم يعانِ. وجهه كان هادئاً للغاية. كان أشبه بيوم ساكن الهواء في أواخر الخريف، حينما تسقط فيه ورقة واحدة من شجرة. ولكن قد لا تكون هذه بالطريقة الجيدة للتعبير عمّا جرى».

قال تنغو: «لا، لا بأس. أعتقد أنها طريقة جيدة للتعبير عن ذلك».

«تنغو، هل يمكنك المجيء إلى هنا اليوم؟».

«أعتقد ذلك». كان من المقرّر أن يستأنف حصصه في المدرسة اليوم، الاثنين، ولكن يمكنه الاعتذار عنها لسببٍ من هذا القبيل.

«سوف أستقلّ أول قطار سريع. يجب أن أصل قبل العاشرة».

«سأكون ممتنّة لو فعلت. هناك إجراءات رسمية كثيرة يجب إتمامها».

قال تنغو: «إجراءات رسمية. هل هناك شيء محدّد يجب أن أحضره معي؟».

«هل أنت القريب الوحيد للسيد كاوانا؟».

«نعم، بكل تأكيد».

«إذاً أحضر معك ختمك المسجَّل. فقد تحتاج إليه. هل لديك شهادة تسجيل للختم؟».

«أعتقد أنّ لدي نسخة احتياطية».

«أحضرها أيضاً، ربما نحتاج إليها. لا أظنّك قد تحتاج أيّ شيء آخر. والدك رتّب لكلّ شيء مسبقاً».

«رتب لكلّ شيء؟».

«أقصد حينما كان لا يزال في وعيه، قدَّم تعليمات مفصَّلة لكلّ شيء - المال الخاص بالجنازة، والملابس التي سوف يرتديها في النعش، وأين يُدفن رماده. كان دقيقاً جداً في هذه الترتيبات. أظنّ أنه يمكنني القول إنه شخص عملي للغاية».

قال تنغو وهو يفرك صدغه: «إنه كذلك بالفعل».

«سأنتهي من نوبة عملي في السابعة صباحاً ثم أذهب إلى المنزل للنوم. ولكن زميلتيّ تمورا وأومورا سوف توجدان في الصباح وسوف توضحان لكَ كلّ الخطوات».

قال تنغو: «أشكرك على كلّ ما فعلتيه».

قالت كومي أداتشي: «لا شكرَ على واجب». وبعدئذٍ وكما لو كانت قد تذكّرت فجأة، أخذت نبرة صوتها طابعاً رسمياً وقالت: «تقبَّل بالغ عزائي في هذه الخسارة».

قال تنغو: «أشكرك».

أدرك تنغو أنه لن يمكنه العودة إلى النوم، ولذلك أعدَّ لنفسه بعض القهوة. استفاق قليلاً بسبب القهوة. ولأنه كان يشعر بالجوع، فقد صنعَ شطيرة من طماطم وجبن كانت بالثلاجة. كان كمَن يتناول طعاماً في الظلام، يمكنه أن يشعر بقوام الطعام ولكنه لا يجد سوى قليلٍ من المذاق. وبعدئذٍ أخرجَ جدول مواعيد القطارات وتحقَّق من الوقت الخاص بأوّل قطار إلى تاتياما. كان قد عاد قبل يومين فقط من بلدة القطط، بعد ظهيرة السبت، وها هو الآن عائدٌ إليها مرة أخرى. لكنه في هذه المرة، قد لا يمكث سوى ليلة أو ليلتين.

في الرابعة صباحاً، غسل وجهه في الحمام وحلق ذقنه. استخدم فرشاة كي يهذِّب خصلات شعره التي تغطي جبهته، ولكن كما هو حاله دائماً، كان نجاحه في ذلك لا يكتمل. قال في نفسه، لا يهم كيف تبدو، سوف تأخذ الشكل المرغوب بعد قليل.

لم يشعر تنغو بصدمة شديدة لوفاة والده. كان قد أمضى أسبوعين كاملين بجانب والده فاقد الوعي. وشعر بالفعل أنّ والده قد رضي بموته الوشيك. عجز الأطباء عن معرفة السبب في الغيبوبة، ولكن تنغو كان يعرف. كان والده ببساطة قد قرَّر أن يموت، أو غير ذلك، قد تخلى عن إرادة العيش لأكثر من ذلك. ومستعيراً عبارة كومي، «ورقة واحدة في شجرة»، أطفأ نور الوعي، وعطّل جميع الحواس، وراح ينتظر تغيّر الفصول.

من محطّة تشيكورا استقلّ سيارة أجرة ووصل إلى المصحة المجاورة للشاطئ في العاشرة والنصف. كما كان اليوم السابق، الأحد، كان يوماً هادئاً من أيام أوائل الشتاء. كانت أشعة الشمس الدافئة تغمر العشب الذابل في الحديقة، كما لو كانت تكافئه، فيما كانت توجد قطة كاليكو لم يرَها تنغو من قبل، تتشمّس وتنظّف ذيلها. جاءت الممرضتان تمورا وأومورا إلى المدخل لتحيته. بهدوء، عبّرت كلّ منهما عن تعازيها له، وشكرهما تنغو.

كان جثمان والده محفوظاً في غرفة صغيرة تقع في زاوية متوارية من المصحة. أرشدت الممرضة تمورا تنغو إلى هناك. كان والده ممدّداً بوجهه لأعلى فوق عربة المرضى، وقد غُطي بملاءة بيضاء. وبسبب مصباح الفلورسنت الأبيض المثبت في السقف، بدت الحوائط البيضاء للغرفة المربعة الخالية من النوافذ أكثر سطوعاً. وفوق خزانة يبلغ ارتفاعها حتى مستوى الخصر وُضعت مزهرية من الزجاج وبها ثلاث أقحوانات بيضاء، وقد وُضعت على الأرجح في مكانها ذلك الصباح. وعلى الحائط كانت توجد ساعة دائرية الشكل. كانت ساعة قديمة يعلوها الغبار، ولكنها تشير إلى الوقت الصحيح. لعلها كانت بمثابة شاهد من نوع ما. أما عدا ذلك، فلم يكن بالغرفة أيّ أثاث أو ديكور. لا بدّ أنّ جثامين كثيرة لهؤلاء المسنين قد مرّت من هنا، تدخلها في صمت وتغادرها في صمت. وتخيّم على الغرفة أجواء عادية ولكنها مهيبة وكأنها حقيقة غَفل الناسُ عنها.

لم يبدُ أنّ وجه والده قد اختلف كثيراً عمّا كان عليه وهو على قيد الحياة. حتى مع الاقتراب منه، لا يبدو أنه ميت. كان لون بشرته مقبولاً، وربما لأن أحداً ما قد تلطف به وحلق له ذقنه، فقد بدت ذقنه وشفته العليا ناعمتَي الملمس على غير العادة. لم يبدُ أنّ ثمة فرقاً كبيراً

بين ذلك وما كان عليه وهو على قيد الحياة وفي نوم عميق، فيما عدا أنّ أنابيب التغذية والقسطرات لم تعُد لها ضرورة الآن. لكن ورغم ذلك، إذا تركت الجثمان هكذا، فسوف يبدأ في التحلّل في غضون أيام قلائل، وعندئذٍ سوف تجد فرقاً كبيراً بين الحياة والموت. ولكن الجثمان سوف يتمّ حرقه قبل حدوث ذلك.

جاء الطبيب الذي تحدّث معه تنغو عدة مرات من قبل، وعبَّر عن مواساته، ثم شرح له ما أدّى إلى وفاة والده. كان الطبيب لطيفاً جداً، ودقيقاً للغاية في شرحه، ولكن كلّ ما قاله قد أفضى إلى خلاصةٍ واحدة وهي: **سبب الوفاة غير معروف**. لم تكشف الفحوصات الطبية التي أجريت له مكمن المرض وطبيعته. كان أقصى ما يستطيع الطبيب قوله هو أنّ والد تنغو تُوفي بفعل الشيخوخة - ولكنه كان لا يزال في منتصف الستينيات، وهذه سنّ مبكرة جداً لإصدار هذا التشخيص.

قال الطبيب متلعثماً بعض الشيء: «بصفتي الطبيب المعالج، فأنا الشخص الذي يملأ شهادة الوفاة. أنا أفكّر في وصف سبب الوفاة بأنه «أزمة قلبية نجمت عن غيبوبة ممتدة»، إذا كنت لا تمانع؟».

«ولكن سبب الوفاة لم يكُن فعلاً «أزمة قلبية نجمت عن غيبوبة طويلة». هل هذا هو ما تقصده؟».

بدا الطبيب مُحرَجاً بعض الشيء: «هذا صحيح، حتى آخر لحظة لم نجد أيّ خلل في قلبه».

«ولكنك لم تستطعْ أن تجد أيّ خلل في أيٍّ من أجهزته الأخرى».

قال الطبيب على مضض: «هذا صحيح».

«لكن الشهادة تتطلب سبباً واضحاً للوفاة؟».

«صحيح».

«هذا ليس اختصاصي، ولكن قلبه الآن متوقف، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد. قلبه متوقف».

«وهو ما يُعتبر فشلاً لهذا العضو، أليس كذلك؟».

فكّر الطبيب في ذلك: «إذا اعتبرنا نبضات القلب طبيعية، فإنه نعم، نوع من الفشل للعضو، كما تقول».

«إذاً من فضلك اكتب كما يلي: «أزمة قلبية نجمت عن غيبوبة ممتدة،» أليس كذلك؟ لا مانع لدي».

بدا الطبيب مرتاحاً. وقال: «يمكنني إصدار شهادة الوفاة خلال ثلاثين دقيقة». شكره تنغو. غادر الطبيب الغرفة، تاركاً وراءه الممرضة تمورا صاحبة النظارة.

سألت الممرضة تمورا تنغو: «هل أتركك وحدك مع والدك؟» ولأنه كان سؤالاً لا بد لها أن تسأله، وهو إجراء معتاد - فقد جاء السؤال خالياً من أيّ مشاعر.

قال تنغو: «لا، لا حاجة بي إلى ذلك. أشكرك». حتى إذا تُرك وحده مع والده، فلم يكُن لديه ما يريد قوله له. كما كان الحال وهو على قيد الحياة. أمَا وقد مات الآن، فقد تلاشت فجأة كلّ أنواع الموضوعات التي كان تنغو يريد أن يحدِّثه فيها.

سألته الممرضة تامارو: «يجب عليّ إذاً أن أذهب إلى مكانٍ آخر كي أنظر في بعض الترتيبات. هل لديك مانع؟».

قال تنغو: «لا مانع».

قبل أن تغادر الممرضة تمورا، واجهت الجثمان وضمّت يديها وراحت تتمتم ببعض الصلوات. فعَلَ تنغو الشيء نفسه. يُظهر الناس في العادة كلّ توقير للموتى. فقد أتمّ الشخص بموته في النهاية عملاً بطولياً وإنجازاً شخصياً. وبعدئذٍ غادر الاثنان الغرفة الصغيرة الخالية

من النوافذ وذهبا إلى الكافتيريا. لم يكُن هناك أحدٌ آخر غيرهما. كانت أشعة الشمس الساطعة تتسرّب عبر النافذة الكبيرة المطلّة على الحديقة. دخل تنغو إلى هذه المنطقة المضيئة وتنفَّس الصعداء. لم يكُن هناك أيّ أثر للموتى هناك. فهذا هو عالم الأحياء، بغضّ النظر عمّا قد يعتريه من الشكوك والاختلال.

صبّت الممرضة تمورا بعض الشاي الأخضر الساخن في فنجان ومرَّرته له. جلسا متقابلين وراحا يشربان الشاي في صمت مدّة من الوقت.

سألت الممرضة تمورا: «هل ستقضي الليلة في مكانٍ ما؟».

«سأقضي الليلة في البلدة، ولكني لم أقُم بأيّ حجز حتى الآن».

«إذا كنت لا تمانع، فلماذا لا تقيم في غرفة والدك؟ لا أحد يستخدمها، ويمكنك أن توفِّر تكاليف الفندق. إذا كان ذلك لا يزعجك».

قال تنغو بقليل من الدهشة: «لا يزعجني. ولكن ألا يوجد ما يمنع ذلك؟».

«لا مانع لدينا. إذا كنت لا ترى بأساً في ذلك، فنحن موافقون. سوف أطلب منهم لاحقاً أن يرتِّبوا لك السرير».

قال تنغو وهو يعود إلى موضوع وفاة والده: «إذاً، ماذا يُفترض أن أفعل الآن؟».

«فور استلامك شهادة الوفاة من الطبيب المعالج، اذهبْ إلى مبنى البلدية واطلب تصريحاً بحرق جثمان، ثم ابدأ الإجراءات اللازمة لرفع الاسم من القيد العائلي. هذه هي الأمور الأساسية التي يجب عليك القيام بها الآن. ستكون هناك أمور أخرى عليك إتمامها أيضاً مثل

المعاش التقاعدي، وتغيير اسم صاحب حساب التوفير الذي لديه في البنك، ولكن عليك أن تتحدَّث مع المحامي بشأنها».

دُهش تنغو لذلك: «المحامي؟».

«سيد كاوانا - والدك تحدَّث مع محامٍ عن إجراءات ما بعد الوفاة. لا تدَع كلمة محامي تخيفك. مصحّتنا بها كثير من المرضى المسنين، وبما أنّ العديد منهم ليسوا ذوي أهلية قانونية، فقد اتفقنا مع مكتب محاماة على تقديم الاستشارات لهم، وذلك حتى نُجنِّب الأشخاص المشكلات القانونية المرتبطة بتقسيم التركات. وهذا المكتب يقوم أيضاً بكتابة الوصايا وتقديم الشهود. ولا يتقاضى أتعاباً كبيرة».

«هل كان لدى والدي وصية؟».

«لا أستطيع أن أجزم بذلك. عليك أن تتحدَّث إلى المحامي».

«فهمت. هل يمكنني رؤيته قريباً؟».

«لقد اتصلنا به، وسوف يكون هنا في الثالثة. هل هذا يناسبك؟ يبدو أننا نتعجَّل الأمور، ولكني أعرف أنك مشغول، ولذلك أرجو ألّا تمانع في أننا بدأنا ذلك».

أظهَرَ تنغو تقديره لكفاءتها: «أنا أقدِّر لك ذلك». ولسببٍ ما، كانت جميع النساء اللائي يعرفهن وممَّن هن في منتصف العمر يتمتعن بدرجة عالية من الكفاءة.

«ولكن قبل ذلك، لا بد من الذهاب إلى مبنى البلدية كي ترفع اسمه من القيد العائلي، واطلب تصريحاً بالحرق. لا يمكنكَ عمل أيّ شيء قبل إتمام ذلك».

«حسناً، إذاً يجب أن أذهب إلى إتشيكاوا. لأنها هي محلّ

الإقامة الرسمي والدائم لوالدي. إذا ذهبتُ إلى هناك، فلن أستطيع العودة قبل الثالثة».

هزَّت الممرضة رأسها. «لا، بعد قدومه إلى هنا بمدة قصيرة قام والدك بتغيير محلّ إقامته الرسمية من إتشيكاوا إلى تشيكورا. وقال إنّ ذلك سوف يجعل الأمر أسهل حينما يحين أَجَله».

قال تنغو مندهشاً: «لقد كان متهيئاً تماماً». يبدو وكأنه كان يعلم منذ البداية أن هذا هو المكان الذي سيموت فيه.

وافقت الممرضة: «كان يعلم. لا أحد غيره فعلَ ذلك من قبل. الجميع هنا يظنّون أنهم سوف يمكثون مدة قصيرة ثم يغادرون. ومع ذلك..»، استهلت ذلك ثم توقفت، وبهدوء ضمّت يديها معاً لتوحي ببقية ما كانت ستقوله. «على أيّ حال، لستَ بحاجة إلى الذهاب إلى إتشيكاوا».

اصطُحب تنغو إلى غرفة والده، الغرفة التي أمضى فيها أشهره الأخيرة. كانت قد جُرِّدت من الأغطية والشراشف، ولم يبقَ بها سوى مرتبة مُخطَّطة. كان هناك مصباحٌ عادي فوق المنضدة المجاورة للسرير، وخمس شماعات ملابس فارغة داخل خزانة صغيرة. لم يكن هناك كتاب واحد فوق رف الكتب، وكانت جميع متعلقاته الشخصية قد أزيلت. ولكن تنغو لم يكُن يتذكَّر ما هي المتعلقات الشخصية التي كانت موجودة في الأصل. وضع حقيبته أرضاً وراح ينظر حوله.

كانت رائحة الدواء لا تزال عالقة بالغرفة، وكان المرء لا يزال قادراً على اكتشاف أنفاس مريض تطفو في الهواء. فتح تنغو النافذة كي يسمح بدخول هواء جديد. تطايرت الستارة التي حال لونها بفعل الشمس أمام تيار الهواء وكأنها تنورة فتاة تلهو. قال في نفسه، كم

سيكون رائعاً لو أنّ أَوْمَامِه كانت هنا، لتقبض على يدي، دون أن تنطق بكلمة.

استقلّ حافلة إلى بلدية تشيكورا، حيث قدَّم شهادة الوفاة، واستخرج تصريحاً بالحرق. حينما تمرّ أربعٌ وعشرون ساعة على الوفاة، يصبح حرق الجثمان ممكناً. تقدَّم أيضاً بطلبٍ لرفع اسم والده من السجل العائلي، وحصل على شهادة بهذا الغرض. استغرقت الإجراءات بعض الوقت، ولكنها كانت خلافاً لتوقعاته بسيطة، ولم يتخلّلها ما يثير لديه تأنيب الضمير أو محاسبة النفس. لم يختلف الأمر كثيراً عن الإبلاغ عن سيارة مسروقة. استعانت الممرضة تمورا بناسخ مكتب المصحّة كي يصنع ثلاث نسخ من الوثائق التي استلمها.

قالت تمورا: «في الثانية والنصف، قبل قدوم المحامي، سوف يأتي إلى هنا شخص ما من زنكوشا، دار جنازات. من فضلك أعطِهِ نسخة من تصريح الحرق. وهو سوف يتكفَّل بالبقية. حينما كان والدكَ لا يزال على قيد الحياة، تحدَّث إلى متعهِّد جنازات ورتّب كل شيء. وخصَّص لها أيضاً ما يكفي من المال لتغطية نفقاتها، لذلك ليس عليك أن تقوم بأيّ شيء. إلّا إذا كان لديك اعتراض على شيء».

قال تنغو «لا، لا اعتراض».

لم يخلِّف والده أيّ متعلقات وراءه. بعض الثياب القديمة، وعدد قليل من الكتب، كان هذا هو كلّ شيء.

قالت الممرضة تمورا: «هل تريد الاحتفاظ بشيء للذكرى؟ لكن لا يوجد سوى منبه وساعة قديمة ونظارة قراءة».

قال تنغو: «لا أريد شيئاً. تصرَّفي فيها كيفما تشائين».

في الثانية والنصف بالضبط وصلَ متعهِّد الجنازات، وكان يرتدي بدلة سوداء ويمشي في صمت. كان نحيفاً، وفي الخمسينيات من عمره، ولديه أصابع طويلة وعينان كبيرتان وثؤلول أسود بجانب أنفه. بدا أنه كان يقضي أوقاتاً طويلة في الخارج، لأن وجهه كلّه كان مسمراً حتى أطراف أذنيه بفعل الشمس. لم يكُن تنغو يدري لماذا، ولكنه لم يرَ في حياته متعهِّد جنازات بدين. شرح الرجل الإجراءات الرئيسة الخاصة بالجنازة. كان مهذباً للغاية ويتحدث بروية وبطء، وكأنما يريد أن يقول إنهم سوف يأخذون كلّ الوقت الذي يحتاجونه.

«حينما كان والدك حياً، قال إنه يريد جنازة متواضعة للغاية. كان يريد تابوتاً بسيطاً يؤدي الغرض على أن يتمّ حرقه فيه. لم يكن يريد أيّ مراسم، ولا تلاوة لأيّ نصوص مقدّسة، ولا أيّ اسم ديني بعد الوفاة، أو زهور، أو تأبين. ولم يكن يريد قبراً. طلب مني أن يوضَع رماده بطريقة بسيطة في أيّ منشأة عمومية مناسبة. ما لم يكن لديك اعتراض..».

توقّف عن الكلام ثم نظر بعينيه الكبيرتين نظرة استعطاف إلى تنغو.

قال تنغو وهو ينظر مباشرة إلى هاتين العينين: «ما دامت هذه هي رغبة والدي، فلا اعتراض لديّ».

أومأ متعهِّد الجنازات، وأطرق بعينيه إلى أسفل: «اليوم ستكون ليلة النظرة الأخيرة حيث يُسجى الجثمان في دار الجنازات لليلة واحدة. ولذلك سوف يتعيّن علينا نقل الجثمان إلى هناك. وسوف يُحرق غداً في الواحدة والنصف ظهراً في محرقة قريبة. أرجو أن يكون ذلك مُرضِياً لك؟».

«ليس لديّ أيّ اعتراض».

«هل ستحضر عملية الحرق؟».

قال تنغو: «نعم».

«بعض الأشخاص لا يحبّون الحضور، والأمر كله متروك لك».

قال تنغو «سوف أحضر».

قال الرجل وقد بدا عليه بعض الارتياح: «حسناً. اعذرني على إزعاجك بهذا الآن، ولكن هذا هو المبلغ نفسه الذي عرضته على والدك وهو على قيد الحياة. سأكون ممتناً لو تفضَّلت بالموافقة عليه».

أخرج متعهد الجنازات، بأصابعه الطويلة التي تشبه سيقان الحشرات، بيان أسعار من ملفّ وناوله إلى تنغو. لم يكن تنغو يعرف شيئاً تقريباً عن الجنازات، ولكن كان بوسعه أن يدرك أن هذه التكلفة غير باهظة. لم يُبدِ أيّ اعتراض، واستعار قلماً ووقَّع به الاتفاق.

جاء المحامي قُبيل الثالثة، ودارت بينه وبين متعهد الجنازات دردشة سريعة - حديثاً مقتضباً بين متخصّصين. لم يستطع تنغو أن يتابع حديثهم بالفعل. وبدا أنهما يعرفان بعضهما بعضاً. كانت البلدة صغيرة. وربما يعرف جميع سكانها بعضهم بعضاً.

بالقرب من المشرحة كان يوجد باب خلفي متوارٍ عن الأنظار، وقد وقفت أمامه مباشرة سيارة صغيرة تابعة لدار الجنازات. وفيما عدا نافذة السائق، كانت جميع نوافذها معتمة، أمّا السيارة فكانت شديدة السواد وتخلو من أيّ علامات أو مقولات. نقلَ متعهد الجنازات النحيف ومساعده ذو الشعر الأبيض والد تنغو إلى عربة المستشفى ثم دفعاها نحو السيارة. كانت السيارة قد أُعيد تجهيزها لتصبح ذات سقف أعلى وتُضاف لها قضبانٌ داخلية يُدفع عليها الجثمان. أغلقا الباب الخلفي للسيارة بضربة قوية مكتومة الصوت قبل أن يستدير متعهد الجنازات إلى تنغو وينحني، وتغادر السيارة حاملة الجثمان.

كان تنغو والمحامي والممرضتان تمورا وأُومورا جميعاً يقفون في مواجهة الباب الخلفي للسيارة السوداء، وقد ضموا أكفهم وراحوا يبتهلون بالصلاة.

انتحى تنغو والمحامي زاوية من الكافتيريا وأخذا يتحدّثان. كان يبدو أنّ المحامي في منتصف الأربعينيات من عمره، وكان بديناً بشكلٍ واضح، وعلى النقيض التام من متعهد الجنازات. وكانت ذقنه توشك أن تختفي، وبرغم برودة الشتاء غطّت جبهته طبقة خفيفة ولامعة من العرق. قال تنغو في نفسه، **لا بد أنه يتعرَّق بشدة في الصيف**. كانت بدلته الرمادية المصنوعة من الصوف تنبعث منها رائحة النفتالين. وكانت لديه جبهة ضيقة، يعلوها شعر أسود كثيف وناعم. لم يكن هناك تناغم بين جسمه البدين وشعره الكثيف. كان جفناه ثقيلين ومتورمين، فيما كانت عيناه ضيقتين، ولكنهما كانتا تُشعان بالودّ.

قال المحامي بعد أن نظَّف حنجرته: «والدك عهد إلي بوصيته. كلمة وصية تعني شيئاً مهماً، ولكن هذه ليست من تلك الوصايا التي يردُ ذكرها في الروايات البوليسية. في واقع الأمر هي أقرب إلى مذكّرة بسيطة. اسمح لي أن أوجز لك مضمونها. تُحدِّد الوصية في أولها ترتيبات الجنازة. وأعتقد أن متعهّد الجنازات قد شرح لك ذلك؟».

«نعم لقد فعل. إنها جنازة بسيطة».

قال المحامي: «حسناً. هذه هي رغبة والدك، أن يتمّ كلّ شيء بأبسط طريقة ممكنة. سيتمّ تغطية نفقات الجنازة من المبلغ الذي خصَّصه لذلك، أمّا النفقات الطبية وغيرها فسوف يتمّ تغطيتها من وديعة التأمين التي دفعها والدك لدى دخوله هذه المصحة. لن تدفع أيّ شيء من جيبك الخاص».

«لم يكن يريد أن يصبح مديناً لأيّ أحد، أليس كذلك؟».

«بالضبط. كلّ شيء تمّ دفع تكلفته مسبقاً. والدك لديه أيضاً بعض المال في حساب توفير لدى مكتب بريد تشيكورا، وسوف تَرِثُه بصفتك ابنه. سوف يكون عليك تغييره باسمك. ولعمل ذلك، سوف تحتاج دليلاً على أنّ اسم والدك قد رُفع من القيد العائلي، وأن تقدِّم نسخة من القيد العائلي لك، وشهادة تسجيل للختم. يجب عليك التوجه مباشرة إلى مكتب بريد تشيكورا كي توقِّع المستندات اللازمة بنفسك. هذه الإجراءات تستغرق بعض الوقت. كما تعلم، البنوك اليابانية ومكتب البريد يهتمون اهتماماً شديداً بملء جميع الاستمارات المطلوبة».

أخرج المحامي منديلاً كبيراً أبيض اللون من جيب معطفه وراح يمسح العرق عن جبينه.

«هذا كلّ ما يجب أن أقوله لك بخصوص الميراث. لم يكن لديه أيّ أصول أخرى عدا حساب التوفير في البريد -لا وثائق تأمين، ولا أسهم، ولا عقارات، ولا مجوهرات، ولا تحف فنية- لا شيء من هذا النوع. يمكنني القول إن الأمر واضح للغاية ويخلو من أي تعقيدات».

أومأ تنغو بصمت. هكذا هو والده. ولكن فكرة استحواذه على حساب التوفير البريدي قد أثارت لدى تنغو بعض مشاعر الاكتئاب. شعرَ وكأنه يستلم كومة من الأغطية الرطبة الثقيلة. إذا أمكنَ ذلك، فإنه يفضِّل ألّا يقبله. لكنه لا يستطيع أن يقول ذلك.

«لقد عهد إليّ والدك أيضاً بظرف. وقد جئتُ به معي، وأودّ أن أعطيه لك الآن».

كان الظرف السميك ذو اللون البنيّ مغلقاً بشريط لاصق. أخرجه المحامي البدين من حقيبة سوداء ووضَعَه على الطاولة. «التقيتُ بالسيد كاوانا فور وصوله إلى هنا، وأعطاني هذا الظرف. كان عندئذٍ لا يزال في وعيه. كان يعتريه بعض التشوّش الذهني ما بين حين وآخر، ولكنه في العموم كان قادراً على التصرف بشكلٍ جيد. طلب مني أن أعطي هذا الظرف لوريثه الشرعي بعد وفاته».

أعاد تنغو العبارة وقد بدت عليه بعض علامات الدهشة: «وريثه الشرعي».

«نعم. هذه هي العبارة التي استخدمها. والدكَ لم يحدِّد شخصاً بعينه، ولكنك عملياً سوف تكون الوريث الشرعي الوحيد».

«على حدّ علمي».

قال المحامي وهو يشير إلى الظرف الموضوع على الطاولة: «إذاً وحسب التعليمات، تفضّل. هل يمكنك أن توقّع إيصالاً بذلك، إذا سمحت؟».

وقّع تنغو الإيصال. بدا الظرف البني الموضوع على الطاولة مبهماً ومثيراً للضجر. لم يُكتب عليه أيّ شيء، لا على وجهه ولا على ظهره.

قال تنغو للمحامي: «هناك شيء واحد أودّ أن أسألك عنه. هل ذكَرَ والدي اسمي؟ أو استخدم كلمة ابن؟».

عندما فكّر المحامي في هذا الأمر، أخرج منديله مرة أخرى وراح يمسح جبينه. هزّ رأسه قليلاً: «لا، السيد كاوانا كان دائماً يستخدم عبارة **الوريث الشرعي**. لم يستخدم أيّ كلمات أخرى. أتذكر هذا لأني اعتبرته أمراً غريباً».

بقي تنغو صامتاً. رفع المحامي صوته وبادر بالكلام وكأنه يحاول أن يُبسّط الأمور.

«لكن عليك أن تفهم أنّ السيد كاوانا كان يدرك أنك وريثه الشرعي الوحيد. كل ما هنالك هو أنه لم يذكر اسمك عندما تحدثنا. هل يضايقك ذلك؟».

قال تنغو: «لا ليس بالضبط. والدي كان دائماً غريب الطباع».

ابتسم المحامي، وكأنه شعر بالارتياح لذلك، وأومأ إيماءة خفيفة. سلَّم تنغو نسخة جديدة من القيد العائلي: «إذا كنت لا تمانع، ونظراً إلى أنه كان يعاني هذا النوع من المرض، فأرجو منك أن تنظر في هذا القيد العائلي حتى نتأكّد من أنّ إجراءاتنا لا تشوبها أيّ مخالفات قانونية. بحسب السجلّ، فأنت ابن كاوانا الوحيد. توفيت والدتك بعد عام ونصف من الولادة. والدك لم يتزوج ثانية، وتولى تربيتك بنفسه. وقد توفي بالفعل والدا أبيك وأشقاؤه. ولذلك فأنت بلا شكّ الوريث الشرعي الوحيد للسيد كاوانا».

بعد أن نهضَ المحامي واقفاً، وقدّم تعازيه وغادر، بقي تنغو جالساً، يحملق في الظرف الموضوع على الطاولة. إذاً والده هو أبوه الحقيقي، ووالدته قد ماتت بالفعل. هذا ما قاله المحامي. لذلك لا بد أنه صحيح، أو على الأقل، حقيقة، بالمعنى القانوني. لكن يبدو أنه كلما انكشفت المزيد من الوقائع، انحسرت الحقيقة أكثر وأكثر. لماذا يحدث ذلك؟

عاد تنغو إلى غرفة والده، وجلس إلى المنضدة، وراح يحاول فتح الظرف المغلق. ربما يحتوي الظرف على ما يبدّد بعضاً من الغموض. كان فتحه صعباً. لم يكُن بالغرفة مقصّ أو سكين لفتح الصناديق، ولذلك كان عليه أن يُزيل الشريط اللاصق بأظافره. عندما

تمكّن أخيراً من فتح الظرف، وجد أنّ محتوياته موضوعة في عدة مظاريف أخرى، وقد أُغلق كلّ منها بإحكام. هذا هو بالضبط ما كان يتوقّعه من والده.

كان أحد الأظرف يحتوي على 500 ألف ين نقداً، وتحديداً خمسين ورقة جديدة من فئة العشرة آلاف، ملفوفة في طبقات من ورق رقيق. ومعها قصاصة كُتب عليها «مال للظروف الطارئة». هذا خطّ والده قطعاً، حروف صغيرة، ودون اختصارات. هذا المال يجب أن يُستخدم في حالة ظهور نفقات غير متوقّعة. كان والده يتوقّع أنّ وريثه الشرعي لن يكون لديه من المال ما يكفي لتغطية هذه النفقات.

أمّا الظرف الأسمك فكان محشواً بقصاصات صحفية والعديد من شهادات التقدير، وهي جميعها تخصّ تنغو. كانت تضمّ شهادته حينما فاز بمسابقة الرياضيات في المدرسة الابتدائية، وتقريراً نشرته إحدى الصحف المحلية حول الموضوع. وصورة لتنغو وهو بجانب درع المسابقة. وجائزة النظرة الفنية التي حصلَ عليها تنغو لتحقيقه أفضل الدرجات في صفّه. كان يحقّق أفضل الدرجات في جميع المواد. وكانت توجد مقالات أخرى تُظهر مدى عبقرية ونبوغ الطفل تنغو. وكذلك صورة تنغو وهو يرتدي زيّ لعبة الجودو للمبتدئين، ويبتسم ابتسامة عريضة حاملاً راية المركز الثاني. دُهشَ تنغو بالفعل لرؤيته هذه الأشياء. كان والده قد تركَ المسكن الذي وفَّرَته له 'إن إتش كيه' بعد تقاعده عن العمل فيها، وانتقل إلى شقة أخرى في إتشيكاوا، قبل أن ينتهي مآله إلى مصحة في تشيكورا. ربما لأنه كان كثير التنقل، لم تكن لديه أيّ ممتلكات تقريباً. كان الأب والابن قد أمضيا في الأساس سنوات معاً عاشا خلالها وكأنهما غريبان. ومع ذلك، بقي والده يحتفظ بهذه التذكارات التي تسجّل أيام الطفل المعجزة تنغو.

احتوى الظرف التالي سجلّات مختلفة تتعلق بوالده حينما كان محصِّلاً لدى شركة 'إن إتش كيه'. سِجلّ يُظهره حينما فازَ بجائزة أفضل محصِّل في السنة. وعدّة شهادات أخرى. وصورة فوتوغرافية يظهر فيها على ما يبدو مع زميل خلال رحلة نظَّمتها الشركة. وبطاقة هوية قديمة. وإيصالات سداد لنظام التقاعد والتأمين الصحي...

ورغم أنّ والده ظلّ يعمل بإخلاص وتفانٍ لدى 'إن إتش كيه' لأكثر من ثلاثين عاماً، فإنّ السجلات المرتبطة بهذه الفترة كانت قليلة بشكلٍ يبعث على الاستغراب، ولا تُقارن في شيء مع إنجازات تنغو في المدرسة الابتدائية. قد يرى المجتمع أنّ حياة والده بأسرها تُعادل صفراً تقريباً، ولكنها بالنسبة إلى تنغو، لم تكن كذلك. وبالإضافة إلى دفتر ادّخار بريدي، فقد ترك والده وراءه غموضاً كبيراً.

لم يتضمَّن الظرف أيّ شيء يخصّ حياة والده قبل انضمامه إلى 'إن إتش كيه'. وكأنّ حياة والده لم تبدأ إلّا حينما أصبح محصِّل اشتراكات لدى الشبكة.

فتح الظرف الأخير، وكان رقيقاً، ووجد فيه صورة واحدة بالأسود والأبيض. هذا هو كلّ ما فيه. كانت صورة قديمة، ورغم أنّ تباينها لم يكُن قد تلاشى، فقد غطى الصورة بأكملها غشاء رقيق، وكأنما قد طالَها بعض البلل. كانت صورة عائلية - لأبٍ وأمّ وطفل صغير. بدا الطفل أقلّ من سنة. وكانت الأم، التي ترتدي الكيمونو، تحتضن الطفل بحبّ. وخلفهم كانت توجد بوابة ضريح ديني. وكان يبدو من الثياب التي يلبسونها أنهم في فصل الشتاء. ولأنهم كانوا يزورون ضريحاً، فقد كانت على الأرجح السنة الجديدة. كانت الأم تبتسم وهي تحدِّق بعينين نصف مغمضتين، كما لو أنّ الإضاءة كانت شديدة السطوع. أمّا الأب فكان يرتدي معطفاً داكناً، أوسع قليلاً عن

جسمه، وتظهر بين عينيه خطوطُ تجهّم، وكأنما يقول إنه لا يأخذ أيّ شيء على عواهنه. أما الطفل فكان يبدو مرتبكاً بسبب اتّساع العالم وبرودته.

كان الأب الشاب في الصورة هو والد تنغو. كان يبدو أصغر كثيراً، رغم أنّ ملامحه كانت توحي بأنه صاحب شخصية ناضحة، وكان نحيلاً ولديه عينان غائرتان. كان وجهه وجه فلاح فقير متحدِّر من قرية نائية، ويتّسم بالعناد والتشكّك. كان شعره قصيراً، أمّا كتفاه فيبدوان متهدلين قليلاً. لا بد أنّ هذا الشخص هو والده. وهذا يعني أنّ الطفل لا بد أن يكون تنغو، وأن الأم التي تحمل الطفل لا بد أن تكون هي والدة تنغو. كانت والدته أطول قليلاً من والده، وذات قوام حسن. بدا والده في أواخر الثلاثينيات، فيما بدت والدته في منتصف العشرينيات.

لم يكن تنغو قد رأى هذه الصورة من قبل. ولم يكن قد رأى أيّ صورة يمكن أن تُسمى صورة عائلية. ولم يكن قد رأى أيّ صورة لنفسه وهو صغير. لم يكن بوسعهم أن يتحمّلوا ثمن كاميرا للتصوير، هكذا أوضح له والده ذات مرة، ولم تُتَح لهم فرصة لالتقاط أيّ صور عائلية. وهو تبرير قَبِلَه تنغو يومها. ولكنه أدرك الآن أنها كانت كذبة. فقد التقطوا صورة عائلية. ورغم أنّ ثيابهم لم تكن فاخرة، فإنّ أقلّ ما يُقال أنها كانت مقبولة. ولا يبدو من الصورة أنهم كانوا يعانون فقراً مدقعاً يجعلهم لا يستطيعون تحمّل ثمن كاميرا. كانت الصورة قد التُقطت بعد مدة ليست طويلة من ولادة تنغو، في الفترة ما بين 1954 و1955. قلَب الصورة على وجهها، فلم يجد أيّ تاريخ أو إشارة إلى مكان التقاطها.

أمعن تنغو النظر في وجه المرأة. كان وجهها في الصورة صغيراً،

وخارج البؤرة قليلاً. لو كانت لديه عدسة مقرِّبة! لكان بوسعه أن يتبيَّن المزيد من تفاصيل الوجه. ومع ذلك، كان بإمكانه أن يرى معظم ملامحها. كان لها وجه بيضوي الشكل، وأنف صغير، وشفتان ممتلئتان. ليست ذات وجه جميل بأيّ حال، ومع ذلك يمكن القول إنه جذاب، ومن ذلك النوع الذي يترك انطباعاً حسناً. وبالمقارنة مع وجه والده ذي الملامح الريفية، كانت تبدو هي أكثر تهذيباً وذكاء. سُرّ تنغو بذلك. كان شعرها مُصففاً بشكلٍ جميل، ولكن لأنها كانت ترتدي الكيمونو، لم يستطِع أن يعرف الكثير عن قوامها.

وحسبما يبدوان في هذه الصورة على الأقل، لم يكُن باستطاعة أحد أن يعتبرهما زوجين متكافئين تماماً. كان ثمة فرق كبير بينهما في السن. حاول تنغو أن يتصور والديه يتقابلان ويُغرمان بعضهما ببعض، ثم ينجبانه، فلم يستطعْ ذلك. لا يمكنكَ أن تستشفّ هذا المعنى على الإطلاق من صورة فوتوغرافية. لذلك إذا لم يجمَعهما رباط عاطفي، فلا بد أنّ ثمة ظروفاً أخرى قد دفعتهما لذلك. لا ربما ما جمعهما كان أقلّ إثارة ممّا توحي به كلمة «ظروف». فالحياة قد لا تعدو أن تكون سلسلة من الأحداث العبثية، بل الساذجة، ولا شيء سوى ذلك.

حاول تنغو أن يتبيَّن هل الأم التي تظهر في هذه الصورة هي نفسها تلك المرأة الغامضة التي كانت تظهر له في أحلام يقظته، أو في الذكريات الضبابية عن طفولته. لكنه أدركَ أنه ليس لديه أيّ ذكريات عن وجه المرأة على الإطلاق. فالمرأة التي في ذاكرته خلعت سترتها، وتركت حمالات قميص نومها تنزلق عن كتفيها، ثم سمحت لرجل لا يعرفه أن يلعق ثديها. وكانت أنفاسها تصبح أعمق، وكأنها تئنّ أنيناً. هذا هو كلّ ما يذكره - رجل ما يلعق ثدي أمه. الثدي الذي كان ينبغي

أن يكون له وحده سلَبَه شخص آخر. لا شكّ أنّ رضيعاً سوف يعتبر ذلك خطراً كبيراً. لم يحوِّل ناظريه قط نحو وجه الرجل.

أعاد تنغو الصورة إلى الظرف، وراح يفكِّر في ما تعنيه. لقد بقي والده معتزاً بهذه الصورة حتى مماته، ما قد يعني أنه لا يزال يعتز بوالدة تنغو. لم يكن تنغو يتذكر أي شيء عن والدته، فقد ماتت بسبب المرض وهو في سنّ صغيرة يتعذّر معها أن يحتفظ بأيّ ذكريات. وفقاً للتحقيق الذي أجراه المحامي، كان تنغو هو الابن الوحيد لأمه وأبيه، محصِّل الاشتراكات في شركة 'إن إتش كيه'، وهي حقيقة دُوِّنت في القيد العائلي. ولكن الوثائق الرسمية لم تكُن ضمانة على أنّ هذا الرجل هو الأب البيولوجي لتنغو.

كان والده قد قال لتنغو قبل أن يدخل في غيبوبته: «ليس لديّ ابن».

سأله تنغو: «إذاً، ماذا أكون أنا؟».

وجاء ردّ والده مقتضباً وقاطعاً: «أنتَ لا شيء».

كانت لهجة والده قد أقنعت تنغو أنه لا يمتّ بصلة دمٍ لهذا الرجل. وقد شعر عندئذٍ بالتحرُّر من أغلال ثقيلة. لكنه، ومع مرور الوقت، لم يعُد مقتنعاً تماماً بصحّة ما قاله والده.

أعاد تنغو، أنا لا شيء.

وفجأة انتبه إلى أنّ والدته الشابة في الصورة القديمة قد ذكَّرته بصديقته التي تكبره سناً. والتي كان اسمها كيوكو ياسودا. وكي يهدّئ عصف هذه الفكرة داخل رأسه، ضغط بأصابعه بشدة على منتصف جبهته. أخرج الصورة من جديد وراح يحدق فيها. كانت ذات أنف صغير وشفتين ممتلئتين وذقن مدببة نوعاً ما. كانت تصفّف شعرها على

نحوٍ مغاير تماماً، ولكن ملامحها كانت تشبه إلى حدٍّ ما ملامح كيوكو ياسودا. ولكن ماذا يمكن أن يعنيه ذلك؟

ولماذا قرَّر والده أن يعطي هذه الصورة إلى تنغو بعد وفاته؟ فيما لم يقدِّم لتنغو أي معلومة تُذكر عن والدته وهو على قيد الحياة. بل إنه أخفى وجود هذه الصورة العائلية. ثمة شيء واحد كان تنغو يعرفه وهو أنّ والده لم يكن ينوي مطلقاً أن يفسِّر له هذا الوضع. لا عندما كان على قيد الحياة، ولا حتى الآن بعد وفاته. وكأنّ لسان حال والده يقول له، **انظر هذه الصورة، سأسلِّمها لك، ولكن الأمر عائد إليك وحدك كي تعرف أو لا تعرف.**

استلقى تنغو على المرتبة وراح يحدِّق في السقف. كان من الخشب الرقائقي المدهون باللون الأبيض، مسطحاً ويخلو من أيّ حبيبات خشبية أو عقد، ولا تظهر به سوى العديد من الفواصل التي تظهر مع التقاء الألواح. إنه المشهد نفسه الذي لا بد أنّ عينيّ والده الغائرتين كانتا تريانه خلال الأشهر القليلة الأخيرة من حياته. أو ربما لم تكن هاتان العينان تريان أي شيء. على أيّ حال فقد كانت عيناه تنظران هناك، إلى السقف، بغضّ النظر عمّا إن كانتا تريانه أو لا تريانه.

أغمضَ تنغو عينيه وحاول أن يتخيَّل نفسه يمضي بطيئاً نحو الموت. ولكن الموت لدى شخص موفور الصحة وفي الثلاثين من عمره، يصبح شيئاً بعيداً، بل ويتجاوز الخيال. بدلاً من ذلك، راح يشاهد ظلال الشفق وهي تنتقل عبر الجدار فيما كانت أنفاسه تخرج بطيئة. حاول أن يتوقّف عن التفكير في أيّ شيء. لم يجد تنغو صعوبة في التوقف عن التفكير تماماً. كان التعب قد نالَ منه، ولم يعُد يمكنه

الاحتفاظ بأيّ فكرة داخل رأسه. كان يرغب في بعض النوم إذا أمكَن، ولكنه كان متعباً حدّ الإنهاك، ولن يأتيه النوم بسهولة.

قبل السادسة مساء بقليل جاءته الممرضة أومورا وأخبرته أنّ العشاء يُقدَّم الآن في الكافتيريا. لم يكن لدى تنغو شهية للطعام، ولكن الممرضة ذات القامة الهيفاء والصدر الممتلئ لم تكن لتتركه وحده. قالت له، يجب أن تتناول بعض الطعام، ولو حتى القليل منه. كان ذلك بمثابة أمر صريح. كانت بارعة فيما يخصّ توجيه الأشخاص حول كيفية الحفاظ على صحتهم. ولم يكُن تنغو من هؤلاء الذين يمكنهم أن يقاوموا ذلك - ولا سيما حينما يكون الطرف الآخر امرأة تكبُره سناً.

هبطا الدرج نزولاً إلى الكافتيريا ووجدا كومي أداتشي في انتظارهما. لم يكن هناك أيّ أثر للممرضة تمورا. تناول تنغو العشاء على الطاولة نفسها التي كانت تجلس بها كومي والممرضة أومورا. تناول تنغو سلاطة وخضاراً مطهواً وحساء ميسو بالمحار مع البصل الأخضر، وقد التهمها مع شاي أخضر ساخن.

سألته كومي: «متى سيكون حرق الجثمان؟».

قال تنغو: «في الواحدة من بعد ظهر الغد. حينما ينتهي ذلك، ربما أعود مباشرة إلى طوكيو. لا بدّ لي من العودة إلى العمل».

«هل سيكون معكَ أيّ أحد آخر خلال الحرق؟».

«لا، لا أحد. سأكون وحدي».

قالت كومي: «هل تمانع إذا رافقتك؟».

سألها تنغو ببعض الدهشة: «في حرق والدي؟».

«نعم. فقد أحببته كثيراً في واقع الأمر».

وضع تنغو أعواد الأكل لاإرادياً ونظر إليها. هل كانت تتحدث فعلاً عن والده؟ وسألها: «وماذا أحببتِ فيه؟».

قالت: «كان صاحب ضمير حيّ ولم يكُن يتكلم أكثر ممّا يقتضيه الموقف. وهو في ذلك كان يشبه والدي الذي تُوفي».

قال تنغو: «أها».

«والدي كان صياداً. مات قبل بلوغه الخمسين».

«هل مات في البحر؟».

«لا، مات بسرطان الرئة. كان يدخّن كثيراً. لا أدري لماذا، ولكن جميع الصيادين يدخنون بشراهة. كان يبدو وكأن الدخان ينبعث من جسمه كله».

فكر تنغو في الأمر هنيهة: «ربما كان من الأفضل لو كان والدي صياداً هو الآخر».

«لماذا تظن ذلك؟».

قال تنغو: «لا أدري حقاً. ولكن خطر لي وحسب أنّ ذلك كان أفضل له من أن يكون محصّلاً للاشتراكات في 'إن إتش كيه'».

«لو كان والدك صياداً، هل كان تقبّلك له سيكون أسهل؟».

«أظن أنّ ذلك كان سيجعل أموراً كثيرة أكثر بساطة».

تخيَّل تنغو نفسه طفلاً، وفي الصباح الباكر من يوم ليس عليه أن يذهب فيه إلى المدرسة، ينطلق على متن قارب صيد مع والده. تهبّ عليه رياح المحيط الهادئ القوية ويلطم رذاذ الملح وجهه. ويسمع الطنين الرتيب لمحرّك الديزل. ويشمّ الرائحة العالقة لشِبَاك الصيد. والعمل الشاق والخطير. خطأ واحد يمكن أن يكلّفك حياتك. ولكن بالمقارنة مع جرجرة والده له في جميع أنحاء إتشيكاوا لتحصيل

الاشتراكات، فإنّ حياته كانت غالباً ستصبح حياة طبيعية وأكثر إشباعاً.

قالت الممرضة أومورا وهي تأكل السمك الذي أُعدّ بنكهة الصويا: «ولكن تحصيل الاشتراكات لا يمكن أن يكون عملاً سهلاً، أليس كذلك؟».

قال تنغو: «على الأغلب ليس سهلاً». على الأقل كان يدرك أنه ليس بالعمل الذي يمكنه أن يؤديه.

سألته كومي: «والدك كان يُتقن عمله حقاً، أليس كذلك؟».

قال تنغو: «أظنّه كذلك، نعم».

قالت كومي: «لقد أراني شهادات التقدير».

قالت الممرضة أومورا وقد وضعَت فجأة أعواد الأكل هي الأخرى: «آه! اللعنة. لقد نسيت تماماً. اللعنة! كيف أنسى شيئاً بهذه الأهمية؟ هل يمكنك الانتظار هنا دقيقة؟ هناك شيء يجب أن أُسلِّمك إياه، ولا بد أن يتمّ ذلك اليوم».

مسحت الممرضة أومورا فمها بمنديل، ونهضت، ثم خرجت مسرعة من الكافتيريا، تاركة نصف طعامها لم يؤكل.

قالت كومي وقد أمالت رأسها: «أيّ شيء ذلك الذي له هذه الأهمية؟».

لم يكُن تنغو يدري.

بينما كان في انتظار عودة الممرضة أومورا، واصل تنغو تناول طعامه. لم يكن هناك كثيرون غيرهم يتناولون العشاء في الكافتيريا. كان هناك ثلاثة رجال مسنين يجلسون أمام إحدى الطاولات، ولكنهم لم يكونوا يتحدثون بشيء. وأمام طاولة أخرى كان هناك رجل يرتدي معطفاً أبيض يجلس وحده، وقد وخط رأسه بعض الشيب اللامع،

ويقرأ صحيفة مسائية في أثناء تناوله الطعام، فيما ارتسمت على وجهه ملامح نظرة جادة.

وأخيراً جاءت الممرضة أومورا تتهادى. كانت تحمل كيس تسوّق خاصّ بأحد مراكز التسوّق. أخرجت منه بعض الملابس المطوية بعناية. قالت الممرضة ذات القوام الضخم: «أعطاني السيد كاوانا هذه الثياب منذ سنة أو أكثر، حينما كان لا يزال في وعيه. قال إنه يودّ أن يلبسها حينما يوضع في التابوت. ولذلك أرسلتُها إلى المغسلة وقمتُ بحفظها بالنفتالين».

لم يكن هناك شكّ في أنه الزي الرسمي لمحصِّلي الرسوم العاملين لدى شبكة 'إن إتش كيه'. كان البنطال قد تمّ كيّه بعناية. شمّ تنغو رائحة النفتالين. واعتراه الذهول مدّة.

قالت الممرضة أومورا: «السيد كاوانا أخبرني أنه يودّ أن يحُرق جثمانه وهو بهذا الزي». أعادت طيّ الزي بعناية وأعادته إلى كيس التسوق. «وها أنا أسلِّمه لك الآن. وعليك أن تسلِّمه غداً إلى العاملين في دار الجنازات وتأكّد من أنهم سوف يُلبِسونه هذا الزي».

قال تنغو بوهن: «ألا توجد مشكلة في إلباسه هذا؟ هذا الزي الرسمي كان معه على سبيل الإعارة، وحينما تقاعدَ كان يجب أن يردّه إلى 'إن إتش كيه'».

قالت كومي: «لا تقلق بشأن ذلك. ما دمنا لم نتحدث بشيء، فمَن سيعرف؟ كما أن قطعة ثياب قديمة لن تضع 'إن إتش كيه' في مأزق».

وافقت الممرضة أومورا. «السيد كاوانا ظلّ يجوب الشوارع، من الصباح حتى الليل، لأكثر من ثلاثين سنة من أجل 'إن إتش كيه'. أنا

متأكّدة من أنّ ذلك لم يكُن دائماً ممتعاً. مَن يهتم بقطعة زيّ واحدة؟ وأنت لا تستخدمه في عمل مسيء أو شيء من هذا القبيل».

قالت كومي: «معك حق. لا أزال أحتفظ بزي المدرسة حينما كنت في المدرسة الثانوية».

قال تنغو: «لكن زيّ محصلي الاشتراكات في 'إن إتش كيه' وزي المدرسة الثانوية لا يستويان تماماً».

قالت الممرضة أومورا: «لقد تذكرت أني أيضاً لا أزال أحتفظ بالزيّ المدرسي القديم في مكان ما في خزانة ملابسي».

قالت كومي وهي تحاول إغاظتها: «هل تقصدين أنك تلبسينه أحياناً لزوجك؟ ومعه جورب بوبي أبيض؟».

قالت الممرضة أومورا وقد وضعت ذقنها في يديها على الطاولة ورسمت على وجهها ملامح الجدية: «مممم - فكرة جيدة. ربما يستثيره ذلك أكثر ويُحمّسه».

قالت كومي: «بغض النظر..». ثم استدارت إلى تنغو. «السيد كاوانا كان يريد بالتأكيد أن يُحرق جثمانه وهو بهذا الزي. أعتقد أنّ علينا مساعدته في تحقيق رغبته. أليس كذلك؟».

أخذ تنغو الكيس الذي يحتوي على الزيّ وعاد إلى الغرفة. رافقته كومي أداتشي ورتّبت له السرير. وجدَ شراشف جديدة، لا تزال تفوح منها رائحة النشا، وغطاءً جديداً، وملاءة سرير جديدة، ووسادة جديدة. حينما تمّ ترتيب كلّ هذا، بدا السرير الذي كان والده ينام عليه وقد تغيَّر تماماً. انصرف تفكير تنغو لاإرادياً إلى منطقة العانة ذات الشعر الكثيف والناعم لدى كومي.

قالت كومي وهي تُمسِّد التجاعيد في الملاءة: «والدك بقي في الغيبوبة مدة طويلة. ولكني لا أعتقد أنه كان فاقداً الوعي تماماً».

سألها تنغو: «وما الذي يجعلكِ تقولين ذلك؟».

«كان يبعث أحياناً رسائل إلى شخص ما».

كان تنغو واقفاً بجوار النافذة ينظر إلى الخارج، لكنه استدار ونظر إلى كومي. «رسائل؟».

«كان ينقرُ على إطار السرير. كان يرفع يده عن السرير ثم يخبط بها على الإطار، وكأنما يرسل رسالة بشفرة مورس. شيء من هذا القبيل».

نقرت كومي بقبضتها على إطار السرير الخشبي نقرات خفيفة.

«ألا تظن أنّ هذه تبدو وكأنها إشارة؟».

«هذه ليست إشارة».

«ما هي إذاً؟».

قال تنغو بصوت جاف: «إنه يطرق باباً. باب شقة».

ضيَّقت حدقتيها وقالت: «أعتقد أن تفسيرك منطقي. كان يبدو وكأنّ أحداً ما يطرق باباً. إذاً أنت تودّ القول إنه حتى بعد فقدانه الوعي ظلّ يقوم بجولات تحصيل الاشتراكات؟».

قال تنغو: «ربما. في مكان ما داخل رأسه».

قالت كومي مندهشة: «هذه تشبه قصة الجندي الميت الذي لا يزال يمسك ببوقه».

لم يكن لدى تنغو ما يعلّق به، فبقي صامتاً.

«لا بدّ أنّ والدك كان يحبّ عمله بشدّة. الطواف على المنازل لتحصيل اشتراكات 'إن إتش كيه'».

قال تنغو: «لا أظن أنها مسألة حبّ أو كراهية».

«ماذا تكون إذاً؟».

«إنه الشيء الوحيد الذي كان يُجيده».

قالت كومي: «مممم. فهمت». فكرتْ في ذلك وقالت: «لكن ربما تكون هذه هي أفضل طريقة يعيش المرء بها حياته».

قال تنغو وهو ينظر نحو شجر الصنوبر الذي كان بمثابة مصدّات للرياح: «ربما هي كذلك. ربما تكون فعلاً كذلك».

«وأنتَ ما هو الشيء الذي تجيد عمله؟».

قال تنغو وهو ينظر إليها محدقاً: «لا أدري. صدقيني ليس لديّ أدنى فكرة».

الفصل الثاني والعشرون

يوشيكاوا

هاتان العينان ترمقانه بنظرة إشفاق

ظهر تنغو عند مدخل المبنى السكني مساء الأحد، في السادسة والربع. وحالما خرج من المبنى توقّف وراح ينظر حوله، كما لو كان يبحث عن شيء. يميناً أولاً، ثم يساراً. ويساراً ثم يميناً. ونظر إلى أعلى حيث السماء، ثم إلى أسفل حيث موطئ قدميه. ولكن بالنسبة له لم يجد أيّ شيء غير مألوف.

لم يتبعه يوشيكاوا هذه المرة. لم يكُن تنغو يحمل شيئاً معه. وكان يدسّ يديه في جيوب جاكيت لا تظهر به أيّ ثنايا. كان يرتدي سترة برقبة وجاكيت أخضر زيتوني، فيما كان شعره مُشعَّثاً. وكان يبرز من أحد جيوب الجاكيت كتابٌ سميك. أدرك يوشيكاوا أنه على الأغلب في طريقه إلى تناول العشاء في مطعم ما. قال في نفسه، حسناً، دعه يذهب حيثما يريد.

كان على تنغو أن يُلقي العديد من المحاضرات يوم الاثنين. اكتشف يوشيكاوا ذلك عبر اتِّصال أجراه بمدرسته. قالت له موظفة بالمدرسة إنّ السيد كاوانا سوف يستأنف محاضراته المعتادة مع بداية الأسبوع. حسناً. من الغد إذاً سيعود تنغو إلى جدوله الطبيعي. ولأنه

يعرفه، فإنه لن يبتعد على الأرجح هذا المساء. (لو كان يوشيكاوا قد تبعه هذه الليلة، لاكتشف أنّ تنغو كان في طريقه لمقابلة كوماتسو في الحانة الموجودة في يوتسوا).

وقبل الثامنة بقليل، ارتدى يوشيكاوا معطفه ولفّ وشاحه حول رقبته ولبس قبعته المشغولة من الصوف، ونظر حوله ثم مضى مسرعاً خارج المبنى. لم يكُن تنغو قد عاد حتى تلك اللحظة. لو أنه كان يتناول الطعام فعلاً في مكانٍ ما في الحي، فقد استغرق أطول ممّا ينبغي. ولو كان يوشيكاوا سيئ الحظ، فربما يصطدم به في طريق عودته. ولكنه كان مستعداً للمجازفة، لأنه كان لديه ما يتحتّم عليه عمله الآن، وفي هذا الوقت من الليل.

اعتمد على ذاكرته عن الطريق وهو ينعطف عدّة مرات، ويمرّ بعددٍ قليل من معالم لم تكن مألوفة لديه تماماً، ورغم أنه تردَّد بضع مرات، لم يكن يعرف خلالها أيّ اتجاه يسلكه، فقد وصل في نهاية المطاف إلى الملعب. كانت حدَّة الرياح الشمالية التي سادَت في السابق قد هدأت، وأصبح الطقس دافئاً مقارنة بإحدى ليالي ديسمبر، ولكن الحديقة كما هو متوقع، كانت خالية. تأكّد يوشيكاوا من أنه لا يوجد أحد سواه في الحديقة، ثم صعد الزلاقة. جلس أعلى الزلاقة، واتكأ على الدرابزين، وراح يرنو إلى السماء. وجد القمرين ساطعين، في المكان نفسه تقريباً الذي اتخذاه الليلة السابقة. قمر ساطع، اكتمل ثلثاه. ولا توجد أيّ غيوم بالقرب منه، وبجواره، يوجد قمر صغير شائه الشكل.

فكَّر يوشيكاوا، **لا خطأ إذاً**. أخرج زفيراً ثم هزّ رأسه. لم يكن يحلم أو يهذي. يوجد بالفعل قمران، أحدهما كبير والآخر صغير، ويمكن رؤيتهما هناك فوق شجرة زيلكوفا. كان يبدو أنّ القمرين لم

يتحرّكا من مكانهما منذ الليلة السابقة، وأنهما كانا في انتظاره حتى يعود إلى الزلاقة. كانا يعرفان أنه سيعود. وكما لو كان مُعدّاً سلفاً، جاء الصمت من حولهما موحياً. كان القمران يريدان من يوشيكاوا أن يشاطرهما هذا الصمت. حذّراه، **ليس مسموحاً لكَ أن تبوح بذلك لأيّ أحد**. رفعا إصبع السبابة الذي غطاه غبار خفيف أمام شَفتيهما، حتى يضمنا أنه لن يبوح بشيء.

وبينما كان يوشيكاوا جالساً هناك، كان يحرِّك عضلات وجهه بشكلٍ مستمر، كي يتأكَّد من أن ذلك الشعور الذي يعتريه ليس به شيء غير عادي أو غير طبيعي. فلم يجد شيئاً غير طبيعي في ذلك. في جميع الأحوال، هذا هو وجهه الطبيعي.

كان يوشيكاوا يعتبر نفسه دائماً شخصاً واقعياً، وهو كذلك بالفعل. لم يكن من هواة التفسيرات الغيبية. إذا كان ثمة شيء موجود بالفعل، فعليك أن تُسلم بوجوده كواقع، بغض النظر عمّا إذا كان معقولاً أو منطقياً. كانت هذه هي طريقته الأساسية في التفكير. المبادئ والمنطق ليسا هما مَن أنجب الواقع. بل الواقع جاء أولاً، ثم تبعته المبادئ والمنطق. ولذلك فقد قرَّر أن يسلِّم بهذا الواقع أولاً: وهو أنّ هناك قمرين في السماء.

سوف يرجئ التفكير في هذه المسألة لوقت لاحق. جلس هناك، وراح يحاول أن يوقف تفكيره، واستغرق تماماً في النظر إلى القمرين. حاول أن يعتاد المشهد. **يجب عليّ أن أقبل بهذين القمرين كما هما**، قال لنفسه. لم يستطعْ أن يفسر كيف لهذا الشيء أن يحدث، ولكن ذلك لم يعد سؤالاً يجب أن ينشغل به في هذه اللحظة. ولكن السؤال يجب أن يكون كيف يتعامل معه. هذا هو السؤال الحقيقي.

وحتى يتسنى له ذلك، كان عليه أن يُسلِّم بحقيقة ما يراه، من دون ارتياب في مدى منطقيته.

مكثَ يوشيكاوا هناك خمس عشرة دقيقة. جلس متكئاً على درابزين الزلاقة، يكاد لا يحرك ساكناً. كان يشبه غواصاً يحاول التأقلم مع تغيّرٍ طرأ على ضغط الماء؛ فسمح للضوء المنبعث من القمرين أن يغمره ويتسرَّب إلى تحت جلده. أدرك يوشيكاوا بغريزته أنَّ ذلك مهمّاً.

وأخيراً نهض هذا الشخص صاحب الجسم الضئيل والرأس المنبعج، وهبط الزلاقة، وقد استغرق في أفكارٍ يتعذَّر وصفها، ومضى عائداً إلى المبنى السكني. بدت له الأشياء وقد اختلفت قليلاً عمّا كانت عليه حينما جاء. قال في نفسه، **ربما يكون ضوء القمر هو السبب. إنّ ضوءه يبدل تدريجياً المظهر الذي تبدو عليه الأشياء.** ولذلك، فقد أخطأ في الطريق عدة مرات. وقبل أن يدخل إلى المبنى نظر إلى الطابق الثالث كي يتأكد من أن الأضواء في شقة تنغو لا تزال مطفأة. كان تنغو لا يزال في الخارج. لا يبدو أنه خرج على الأرجح لتناول بعض الطعام في مكان قريب. ربما ذهب لمقابلة شخص ما؟ ولعلّ هذا الشخص هو أَوْمَامِه. أو فوكا-إري. وتساءل، **هل أفلتُّ فرصة ذهبية من بين يديّ؟** ولكن لم يعُد عليه أن يشغل باله كثيراً بذلك. وغدت مجازفة كبيرة منه أن يتتبّع تنغو في كلّ مرة يخرج فيها. لم يكن على تنغو إلّا أن يلمحه مرة واحدة حتى تنهار العملية برمّتها.

عاد يوشيكاوا إلى غرفته وخلع معطفه، ووشاحه وقبعته. فتح علبة لحم محفوظ وبسط بعضها على رغيف خبز، ثم أكلها وهو واقف في المطبخ. شرب علبة قهوة جاهزة بعد أن قام بتدفئتها قليلاً. لم يجدْ مذاقاً لأيّ من ذلك. كان يشعر بقوام الطعام في فمه، ولكنه لا يجد له

أيّ مذاق. لم يستطعْ أن يحدِّد ما إذا كان ذلك لعيبٍ في الطعام والشراب، أو لخللٍ في حاسّة التذوق لديه. ربما يُعزى ذلك لهذين القمرين. سمع صوتاً ضعيفاً لجرس بابٍ يأتيه من مكان ما. انقطع صوت الجرس، ثم رنّ مرة أخرى. لم يهتم بذلك. لم يكن جرس بابه، ولكنه جرس باب آخر، جرس بعيد، في طابق آخر.

انتهى من الساندويتش، وشرب القهوة، ثم راح يدخِّن سيجارة على مهل كي يُعيد ذهنه إلى أرض الواقع. أعادَ التحقّق ممّا كان عليه أن يؤديه هنا، وجلس خلف الكاميرا بالقرب من النافذة. قام بتشغيل المدفأة الكهربائية وأدفأ يديه أمام الضوء البرتقالي. كان ذلك مساء الأحد، ولم تكن الساعة قد بلغت التاسعة بعد. كانت الحركة من وإلى المبنى قليلة، ولكن يوشيكاوا كان مصمِّماً على معرفة متى عاد تنغو.

وبعد لحظة من ذلك، خرجت من المدخل امرأة ترتدي معطفاً ثقيلاً أسود اللون، وكانت امرأة لم يرَها من قبل. كانت تضع وشاحاً رماديا يغطي فمَها، وترتدي نظارة سوداء وقبعة بيسبول، المظهر المثالي للتخفّي من الأعين المتلصِّصة. كانت يداها خاويتين وتمشي مسرِعَة وبخطى واسعة. بوحي من الغريزة، قام يوشيكاوا بتشغيل الكاميرا والتقط لها ثلاث صور سريعة. كان عليه أن يكتشف إلى أين وجهَتها، ولكن لم يكَد ينهض على قدميه، حتى وجد المرأة قد وصلت إلى الطريق واختفت تحت جنح الظلام. قطّب يوشيكاوا وجهه وتراجع عن الفكرة. بحسب مشيتها السريعة، حينما يرتدي حذاءه ويبدأ في تعقبها، سيكون من الصعب اللّحاق بها.

قام من فوره بإعادة تشغيل ما رآه في ذهنه. هذه المرأة يبلغ طولها خمسة أقدام وست بوصات، وكانت ترتدي بنطال جينز ضيق وحذاء

رياضياً أبيض اللون. وكانت جميع ملابسها تبدو جديدة تماماً. وقدَّر عمرها بين أواسط العشرينيات حتى الثلاثينيات. كانت تُدخل شعرها تحت ياقة المعطف، ولذلك لم يستطعْ أن يحدِّد طوله. كما أنّ المعطف جعل من الصعوبة عليه أن يحدِّد شكل قوامها، ولكن قياساً على ساقيها، لا بد أنها كانت رشيقة القوام. قوامها الحسن وخطواتها السريعة كانت تُشير إلى أنها شابة وتتمتّع بصحة موفورة. لا بد أنها تمارس الرياضة. كانت جميع هذه الصفات تنطبق على أَوْمَامِه التي يعرف عنها بعض المعلومات، وإن كان لا يمكنه أن يُكثر من التخمينات. ومع ذلك، كان يبدو أنها شديدة الحذر. يمكنك أن تُدرك ذلك من درجة التوتر التي تعتري جسدها كله، حتى بدت وكأنها ممثلة يعترضها مصوِّرو الباباراتزي.

فكر، لنفترض الآن أن هذه كانت أَوْمَامِه.

جاءت إلى هنا كي ترى تنغو، ولكن تنغو كان في مكان ما خارج المنزل. وكانت الأنوار في شقّته مطفأة. جاءت كي تراه، ولكنها حينما طرقت الباب ولم يُجِبْها أحد، يئست وغادرت. ربما كانت هي الشخص الذي كان يدقّ جرس الباب. ولكن ثمة شيء لا يُعقل في ذلك التخمين. إنّ أَوْمَامِه مطارَدة، ولا بد أنها تحاول البقاء بعيداً عن الأنظار. لماذا لم تهاتف تنغو قبل مجيئها كي تضمن وجوده في البيت؟ وبهذا لم تكُن لتعرِّض نفسها لخطر لا لزوم له.

فكّر يوشيكاوا في كلّ ذلك فيما كان يجلس أمام الكاميرا، ولكنه لم يخرج بأيّ فرضية معقولة. لم تكُن تصرفات المرأة، التي تتخفى بهذا الأسلوب المكشوف، وتغادر مكان اختبائها، تتماشى مع ما يعرفه يوشيكاوا عن أَوْمَامِه. كان يعرف أنها أكثر حذراً وحرصاً. تشوّشت أفكاره بسبب كلّ ذلك.

على أية حال، فقد قرَّر أن يذهب إلى الاستديو غداً كي يقوم بتحميض الفيلم الذي صوّره. سوف تظهر هذه المرأة الغامضة في الصور.

واصل عملية المراقبة بالكاميرا حتى تجاوزت الساعة العاشرة، ولكن أحداً لم يدخل إلى المبنى أو يخرج منه بعد مغادرة المرأة. بقي المدخل هادئاً وخالياً وكأنه مسرح أصبح فارغاً بعد عرض مسرحي لم يحظَ سوى بحضور ضئيل. حارَ يوشيكاوا في أمرِ تنغو. بحسب علمه فإنه نادراً ما يبقى خارج المنزل حتى هذا الوقت المتأخر، ولديه محاضرات غداً. ربما عاد بالفعل إلى البيت حينما كان يوشيكاوا في الخارج، وقد أوى إلى فراشه منذ مدة؟

بعد العاشرة أحسّ يوشيكاوا بمدى الإنهاك الذي أصابه. كان بالكاد يستطيع أن يفتح عينيه. لم يكن ذلك أمراً مألوفاً لديه، فقد اعتاد السهر حتى ساعة متأخرة من الليل. ولكن النوم كان في هذه الليلة يُطْبق عليه من أعلى، وكأنه غطاء حجري لتابوت قديم.

فكر، **ربما أطلتُ النظر في هذين القمرين أكثر ممّا ينبغي، وامتص جسمي قدراً كبيراً من ضوئهما**. بقي أثر صورتيهما الغامضة في عينيه. وأصابت ظلالهما الداكنة الجزء الطري من دماغه بالخدار، وكأنهما نحلة تلسع يرقة وتُخدِّرها، ثم تضع البيض على سطح جسمها. وتستخدم النحلة اليرقة التي شُلّت حركتها كمصدر سهلٍ للغذاء فتلتهمها فور مولدها. قطّب يوشيكاوا جبينه ثم هزّ رأسه ليُخرج هذه الصورة المشؤومة من ذهنه.

قرَّر، **حسناً. لن أنتظر هنا إلى الأبد حتى يعود تنغو. لا أحد غيره يدري متى سيرجع، وسوف ينام فور رجوعه. ليس لديه أيّ مكان آخر يذهب إليه عدا هذه الشقّة. على الأغلب.**

خلع بنطاله وسترته بفتور، ولبس قميصاً بأكمام طويلة وسروالاً داخلياً، ثم انزلق في منامته. تكوّر على فراشه وما لبث أن استغرق في النوم. دخل في نوم عميق، يكاد يكون غيبوبة. وحينما كان يوشك أن يستغرق في النوم، خُيِّل إليه أنه سمع طرقة على الباب. ولكن وعيه كان قد انتقل عندئذٍ إلى عالمٍ آخر ولم يعُد بمقدوره أن يميز هذا الشيء عن ذاك. حينما حاول، شعر بجسمه يصرّ صريراً. ولذلك أبقى عينيه مغمضتين، ولم يحاول فهم ما قد يعنيه هذا الصوت، ثم عاد مرة أخرى وغرق في نوم عميق كان يشبه طيناً موحلاً.

عاد تنغو بعد حوالي ثلاثين دقيقة من استغراق يوشيكاوا في النوم وبعد أن كان قد التقى كوماتسو. غسل أسنانه وعلّق سترته التي تفوح منها رائحة دخان السجائر، ثم لبس بيجامة، وأوى إلى فراشه. حتى جاءه اتصال هاتفي في الثانية صباحاً يحمل له نبأ وفاة والده.

حينما استيقظ يوشيكاوا، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحاً، صباح الاثنين، فيما كان تنغو بالفعل على متن القطار السريع المتجه إلى تاتياما، ويغطّ في نوم عميق كي يعوّض الساعات التي فاتته. كان يوشيكاوا يجلس خلف الكاميرا، ينتظر أن يرصد تنغو وهو في طريقه إلى مدرسته، ولكنه بالطبع لم يظهر قط. في الواحدة بعد الظهر استيأس يوشيكاوا. وذهب إلى هاتف عمومي قريب واتصل بالمدرسة كي يتبيّن هل تنغو يُلقي محاضراته المعتادة اليوم أو لا.

«السيد كاوانا لديه ظروف عائلية طارئة، وقد ألغيت محاضراته اليوم». قالت السيدة التي ردّت عليه عبر الهاتف. شكرها يوشيكاوا ثم وضع السماعة.

ظروف عائلية طارئة؟ العائلة الوحيدة التي لدى تنغو هي والده.

لا بدّ أن والده قد مات. إذا كان الأمر كذلك، فإنّ تنغو سوف يغادر طوكيو مرة أخرى. **ربما غادَرَها بالفعل أثناء نومي. ماذا أصابني؟ لقد نمت طويلاً وفقدتُ أثره.**

قال يوشيكاوا في نفسه، **على أيّ حال، لقد أصبح تنغو الآن وحيداً في هذا العالم.** كان في الأصل يعيش وحيداً، والآن زادَت وحدته. أصبح وحيداً للغاية. قبل أن يبلغ الثانية، ماتت والدته خنقاً في منتجع للينابيع الساخنة في إقليم ناجانو. لم يُلقَ القبض على قاتلها. كانت قد تركَت زوجها، وبرفقتها تنغو، وفرَّت مع شاب. فرّت من زوجها، تعبير عتيق للغاية. لا أحد يستخدمه الآن، ولكنه الأدقّ في مواقف بعينها. لم تتّضح الأسباب التي دفعت الشاب لقتلها. بل لم يتّضح حتى إن كان هو مَن قتلها. فقد ماتت ليلاً مخنوقة بحزام رداء الاستحمام، في غرفة في فندق. اختفى الرجل الذي كانت برفقته. كان من الصعب ألّا يدخل دائرة الاتهام. وحينما علم والد تنغو بالخبر، جاء من إتشيكاوا واستلم ابنه الرضيع.

فكر يوشيكاوا، ربما كان عليّ أن أخبر تنغو بهذا. من حقّه أن يعرف. ولكنه قال إنه لا يحبّ سماع أيّ شيء عن والدته من أمثالي، ولذلك لم أخبره. حسناً، ماذا ستفعل؟ هذه ليست مشكلتي، ولكنها مشكلته هو.

على أيّ حال، سواء كان تنغو هنا أو لم يكن، يجب أن أواصل مراقبة هذا المبنى، قال يوشيكاوا لنفسه. **في الليلة الماضية جاءت تلك المرأة الغامضة التي تشبه كثيراً أَوْمَامِه. لا يوجد دليل على أنها هي، ولكن هناك احتمال قوي بأنها هي. هكذا يخبرني رأسي المنبعج. وإذا كانت هي أَوْمَامِه فسوف تعود لزيارته قريباً. فهي لم تعلم بعد بوفاة والده.** كانت هذه هي استنتاجات يوشيكاوا

وهو يفكِّر في الموقف. لا بدّ أنّ تنغو قد تلقى نبأ وفاة والده أثناء الليل، وغادر باكراً هذا الصباح. ولا بد أن هناك سبباً ما قد حال دون أن يتصلا ببعضهما عبر الهاتف. وهذا يعني أنها سوف تعود حتماً إلى هنا. لا بد أن هناك شيئاً بالغ الأهمية سوف يدفعها للقدوم مرة أخرى، رغم المخاطر. وفي هذه المرة سوف يقتفي أثرها ويعرف وجهتها.

وربما يفسّر له ذلك السبب وراء وجود القمرين. كان ظهور القمرين أمراً مثيراً لدى يوشيكاوا وكان يتُوق لمعرفة هذا اللغز. ولكن أهميته في الحقيقة كانت أهمية ثانوية. إنّ مهمته هي أن يعرف أين تختبئ أَوْمَامِه، وأن يسلّمها، سليمة معافاة، إلى الثنائي البغيض لدى ساكي جاكه. قرّر، حتى يحدث ذلك، **وسواء كان هناك قمران أو قمر واحد، يجب أن أكون واقعياً. فهذه دائماً هي نقطة قوّتي التي تميّزني.**

قصد يوشيكاوا الاستديو الموجود بالقرب من المحطة، وسلّم أفلاماً تتضمّن أكثر من 536 لقطة. حينما كان يستلم الصور، كان يذهب إلى مطعم قريب وينظر فيها وفقاً لتسلسلها الزمني فيما يتناول الدجاج بالكاري. كانت معظمها صوراً لأناسٍ بات يعرفهم الآن. لكن ثمة أشخاصاً ثلاثة كانوا موضع اهتمامه الأكبر: فوكا-إري وتنغو وتلك المرأة الغامضة التي ظهرت الليلة الماضية.

كانت عينا فوكا-إري تُصيبانه بالتوتر. حتى في الصورة كانت تحدِّق مباشرة في وجهه. فكر يوشيكاوا، **ليس لديّ شك. لقد أدركت أنها مراقَبة.** ولعلّها أدركت أيضاً أن هناك كاميرا مخبأة، وأنه يلتقط صوراً. كانت عيناها الصافيتان تخترقان كلّ شيء، ولم يرُقهما ما كان

يفعله يوشيكاوا. وكانت تلك النظرة الثاقبة تنفذ بقسوة إلى أعماق قلبه. لم يكن هناك أيّ عذر يبرر له العمل الذي ينخرط فيه. لكنها في الوقت ذاته، لم تكُن تدينه أو تزدريه. وبمعنى من المعاني، فقد صفحت عنه هاتان العينان الرائعتان. قرَّر يوشيكاوا بعد أن أعاد التفكير في ذلك، **لا ليس صفحاً**. فهاتان العينان كانتا ترمقانه بنظرة إشفاق. أدركَت مدى قبح ما يؤدّيه يوشيكاوا، ولكنها شعرت نحوه بالإشفاق.

حينما نظر في عينيها، شعر بوخزة ألمٍ بين أضلعه، كما لو أنّ إبرة مخيط سميكة قد غُرزت فيها. شعر بأنّه مخادعٌ ودميم. قال في نفسه، **وماذا في ذلك؟ أنا فعلاً مخادع ودميم**. اخترقت قلبه نظرة الإشفاق الطبيعية التي في عينيها. أصبح يفضِّل أن يُفتضح أمره وأن يُدان ويحتقر على الملأ. والأفضل أن يُضرب بلا رحمة بمضرب كرة بيسبول حتى يفقد وعيه. يمكنه أن يحتمل كلّ هذا. ولكنه لا يحتمل هذه النظرة.

بالمقارنة معها، كان التعامل مع تنغو أهون عليه. في الصورة، كان واقفاً في المدخل، ينظر هو الآخر في اتجاهه. وكما فعلت فوكا-إري، كان يُمعن النظر في ما يحيط به من أشياء. ولكن لم يكن بعينيه شيء. إنّ هاتين العينين الصافيتين اللتين لا تدريان شيئاً لا يمكنهما رؤية الكاميرا المخبأة خلف الستائر، أو يوشيكاوا.

تحوّل يوشيكاوا إلى صور المرأة الغامضة. وجد لها صوراً ثلاثة. قبعة بيسبول ونظارة ذات إطار أسود ووشاح رمادي يغطي حتى أنفها. كان التعرّف على ملامحها محالاً. فالإضاءة خافتة في جميع الصور، وقبعة البيسبول تحجب جزءاً من وجهها. رغم ذلك فإنّ صورتها تطابق تماماً الصورة الذهنية التي لديه عن أَوْمَامِه. أمسَكَ

بالصور، وراح يستعرضها بالترتيب وكأنه يتفحّص لعبة بوكر، مرة تلو مرة. وكلما أطالَ النظر إليها، زادَ اقتناعاً بأنها هي أَوْمَامِه.

استدعى النادلة وسألها عن طبق التحلية اليوم. كان فطيرة بالخوخ. طلب يوشيكاوا فطيرة واحدة وفنجان قهوة.

إذا لم تكن هذه هي أَوْمَامِه، فغالباً لن أراها في حياتي إذاً، هكذا حدّث نفسه فيما كان ينتظر الفطيرة.

وجد فطيرة الخوخ ألذّ وأشهى ممّا توقع. خوخ كثير العصير تحيط به قشرة مقرمشة ورقيقة. خوخ معلّب، لا شك في ذلك، ولكن لا بأس بها في مثل هذا المطعم. أكل يوشيكاوا الفطيرة حتى آخرها، وشرب القهوة حتى الثمالة، ثم غادر المطعم وهو شاعر بالرضا. اشترى من الطعام ما يكفيه ثلاثة أيام من متجر سوبر ماركت، ثم رجع إلى الشقة ونقطة الرصد أمام الكاميرا.

وبينما كان يتابع رصده للمدخل، ويتكئ بظهره إلى الحائط، في بقعة مشمسة، غشيه النعاس بضع مرات. لم يضايقه ذلك. كان واثقاً أنه لن يفوته شيء مهم وهو نائم. كان تنغو خارج طوكيو لحضور جنازة والده، ولم يكن يتوقع عودة فوكا-إري. فهي تعرف أنه يواصل عملية المراقبة. ولا يوجد سوى احتمال ضئيل لقدوم **المرأة الغامضة** في وَضَح النهار. سوف تأخذ حذرها، وتنتظر حتى يحلّ الظلام قبل أيّ تحرّك.

ولكن حتى بعد مغيب الشمس لم تظهر **المرأة الغامضة**. جاءت المجموعة نفسها من الأشخاص وذهبوا، بعضهم يحمل أكياس تسوّق وبعضهم خرج في نزهة مسائية، فيما بدا هؤلاء العائدون من أعمالهم منهكين ومتعبين أكثر ممّا كانوا لدى خروجهم في الصباح. شاهدهم

يوشيكاوا وهم يغدون ويروحون ولكنه لم يلتقط أيّ صور. لم يجد حاجة إلى ذلك. كان اهتمام يوشيكاوا منصبّاً على ثلاثة فقط. وأيّ أحد سواهم ليس سوى عابر سبيل مجهول الاسم. ولكن لتمضية الوقت كان يوشيكاوا يدعوهم بألقاب هو مَن يبتكرها.

«مرحباً بك أيها الرئيس ماو». (كان شَعر الرجل يشبه شَعر ماوتسي تونغ). «لا بد أنك شَقيت اليوم في عملك».

«طقس اليوم دافئ، أليس كذلك، يا صاحب الأذنين الطويلتين، طقس مثالي للمشي».

«مساء الخير، يا عديم الذقن. هل أنتَ ذاهب للتسوق مرة أخرى؟ ماذا لديك على العشاء؟».

تابع يوشيكاوا المراقبة حتى الحادية عشرة. تثاءب وأنهى عمله. بعد أن نظّف أسنانه بالفرشاة، أخرج لسانه ونظر إليه في المرآة. لم يكن قد تفحّص لسانه منذ مدة. كان ينمو عليه شيء أشبه ما يكون بالطحلب، لونه أخضر فاتح وكأنه طحلب حقيقي. تفحص هذا الطحلب بعناية تحت الضوء. انزعج لذلك. أصبح الطحلب يغطي لسانه كله ولم يكن يبدو أنه سوف يزول بسهولة. قال في نفسه، **إذا بقيت هكذا، فسأتحول إلى طحلب متوحش. سوف يبدأ الطحلب الأخضر من لساني، ثم ينتشر هنا وهناك حتى يغطي جلدي وأصبح أشبه بسلحفاة في مستنقع مياه.** كان مجرد التفكير في ذلك يقضّ المضجع.

تنهد، وبصوت غير مسموع قرّر ألّا يَقلق بشأن لسانه. أطفأ الأنوار، وتجرّد من ثيابه ببطء في الظلام، ثم اندسّ في منامته. أقفل سحّاب المنامة وتكوّر وكأنه حشرة.

كان الوقت ليلاً حينما استيقظ. استدار في فراشه كي يتعرّف على الوقت، فلم يجد الساعة حيثما يجب أن تكون. أصابه ذلك بالارتباك. كانت لديه عادة راسخة وهي أن ينظر في الساعة قبل أن يأوي إلى فراشه. فلماذا إذاً لا يجدها مكانها؟ كان ثمة بصيص من ضوء خافت يدخل عبر فجوة في الستارة، فلا يضيء سوى زاوية واحدة في الغرفة. وأمّا كلّ ما هو عدا ذلك في الغرفة فكان غارقاً في ظلامٍ دامس.

شعر يوشيكاوا بقلبه تتسارع دقاته، وينبض بقوة كي يضخّ الأدرينالين عبر عروقه. اتّسعت فتحتا أنفه، واضطربت أنفاسه، وكأنما قد استيقظ وسط حلم واضح ومثير.

ولكنه لم يكن يحلم. ثمة شيء كان يحدث بالفعل. ثمة شخص كان واقفاً بجانبه مباشرة. شعر يوشيكاوا بذلك. لمحَ شبحاً، أشدّ قتامة من الظلام، يحدّق في وجهه. تيبّس عموده الفقري. وفي لمح البصر، استجمع قواه الذهنية وحاول تلقائياً أن يفتح سحّاب المنامة.

وفي لمح البصر، لفّ الشخص ذراعه حول حنجرة يوشيكاوا. لم يمهله حتى يصرخ. شعر يوشيكاوا بأنّ عضلات الرجل القوية قد التفّت حول عنقه. وبقبضة تشبه الملزمة، ضغط هذا الذراع على حنجرته واعتصرها بلا رحمة. لم ينبس الرجل بكلمة. بل إن يوشيكاوا لم يسمع حتى أنفاسه. كان يتلوّى ويتمعج داخل منامته، ويمزّق الحشوة الداخلية المصنوعة من الحرير، فيما يركل بكلتا قدميه. حاول أن يصرخ، ولكنه حتى إذا استطاع، فلن يفيده ذلك في شيء. وبمجرد أن هوى الرجل على الحصيرة لم يتزحزح قيد أنملة، فيما عدا ذراعه، الذي كان يزيد تدريجياً مقدار القوة التي يستخدمها.

كانت حركة ذراعه فعالة ومحسوبة. كان يشدّد الضغط على

القصبة الهوائية ليوشيكاوا، فتضعف قدرته على التنفّس أكثر وأكثر.

في غمرة هذا الموقف البائس، كان ما يدور برأس يوشيكاوا هو ما يلي: **كيف دخل الرجل إلى هنا؟** الباب كان مقفلاً، والسلسلة الداخلية مثبتة في مكانها، ومزلاج النافذة مغلق. **إذاً كيف دخل إلى هنا؟ لو أنه كسر القفل، لأحدثَ صوتاً. هذا الشخص محترف. وإذا دعت الظروف، فلن يتردَّد في إزهاق روحي. يبدو أنه مدرَّب تدريباً عالياً. هل أرسَلَه ساكي جاكه؟ هل قرَّروا أخيراً أن يتخلّصوا مني؟ هل قرَّروا أني لم أعُد مفيداً لهم، وأني أصبحت عقبة يجب التخلّص منها؟ إذا كان الأمر كذلك، فهم مخطئون. لم تعُد تفصلني عن الوصول إلى أَوْمَامِه سوى خطوةٍ واحدة.** حاول يوشيكاوا أن يتكلم، وأن يُخبر الرجل بذلك. كان يريد أن يترجاه، **اسمعني من فضلك.** ولكن صوته لم يخرج. لم يكن هناك هواء يكفي لهزّ أحباله الصوتيه، وأصبح لسانه الموجود في آخر فمه وكأنه صخرة صلبة.

انسدَّت الآن قصبته الهوائية تماماً. كانت رئتاه تحاولان باستماتة الحصول على بعض الأوكسجين، ولكنهما لم تعثرا على أيّ أوكسجين، وشعر بأنّ جسمه وذهنه قد انفصلا بعضهما عن بعض. ظلّ جسمه يتلوى من الألم داخل المنامة، ولكن ذهنه كان هائماً في الهواء الثقيل اللزج. وفجأة فقدَ الشعور بذراعيه وساقيه. لماذا؟ تساءل ذهنه المضمحل. **لماذا يجب أن أموت في هذا المكان القبيح وبهذه الطريقة البشعة؟** لم يجد جواباً. جَثَمَ على الغرفة ظلام غير واضح المعالم من السقف حتى غلّف كلّ شيء.

حينما استعاد وعيه، لم يجد يوشيكاوا نفسه داخل منامته. ولم يكُن يشعر بذراعيه أو ساقيه. كلّ ما كان يعرفه هو أنه كان معصوب

العينين ويظهر على خدّه أثر حصيرة التاتامي. لم يعُد يشعر بأي خنق. وراحت رئته تهتزّ بصوت مسموع وكأنها منفاخ يسحب هواءً جديداً. هواء شتوي بارد. صنع الأوكسجين دماً جديداً، وضخ قلبه سائله الأحمر الدافئ إلى جميع النهايات العصبية بأقصى سرعة ممكنة. سعلَ بصعوبة وانتبه إلى أنفاسه. بدأ إحساسه بأطرافه يعود إليه شيئاً فشيئاً. وأصبح قلبه يدقّ بقوة في أذنيه. قال يوشيكاوا لنفسه في الظلام، ما زلت حياً.

كان يوشيكاوا يرقد منبطحاً على حصيرة التاتامي. وقد قُيِّد ذراعاه خلف ظهره، بشيء يبدو وكأنه قماش ناعم. ورُبط كاحلاه أيضاً بطريقة مُحكَمَة وبارعة. يمكنه أن يتقلّب من هذا الجانب إلى ذاك، ولكن هذا هو كلّ شيء. شعر يوشيكاوا بالذهول لكونه لا يزال حياً ولا يزال يتنفس. فكّر، إذاً، **لم يكن هذا هو الموت**. لقد كادت أن تكون ميتة بشعة، ولكنها لم تكن الموت ذاته. بقي بعض الألم الحادّ في جانبَي حنجرته وكأنه ورم. كان قد بالَ في سرواله وابتلّت ملابسه الداخلية وأصبحَت رطبة. لم يجد ما ينفِّر في ذلك الإحساس. بل لقد رحَّب به في واقع الأمر. فقد كان إحساسه بالألم والبرودة دليلاً على أنه لا يزال حياً.

سمع صوت الرجل يقول: «لن تموت بهذه السهولة». وكأنه كان يقرأ ما يدور في ذهن يوشيكاوا.

الفصل الثالث والعشرون

أَوْمَامِه

كان ضوءاً لا ريب فيه

كان الليل قد انتصف، وتحوَّل اليوم من الأحد إلى الاثنين، ومع ذلك لم يأتِها النوم.

انتهت أَوْمَامِه من حمّامها، ولبست بيجامتها، وانسلّت إلى فراشها، وأطفأت الأنوار. لن يُجدي شيئاً سَهَرَها ليلاً. كانت قد تركت الأمر كله لتامارو في الوقت الحالي. الأنفع لها أن تحظى بقسط من النوم ثم تفكِّر مرة أخرى في الصباح بذهن صافٍ. ولكنها كانت في يقظة شديدة، وكان جسمها يريد أن يبقى يقظاً ويتحرّك. لم يكن يبدو أنها سوف تدخل في النوم في أيّ وقت قريب.

تخلّت عن فكرة النوم، وغادرت الفراش، ولبست رداءً فوق البيجامة. غلَت بعض الماء، وأعدَّت شاياً أخضر، وجلست أمام طاولة العشاء، وراحت ترتشفه ببطء. خطرت لها فكرة، ولكن ما هي بالضبط، لم تستطعْ أن تقول. كانت ذات شكل سميك ومراوغ، وتشبه سحباً ممطرة في الأفق البعيد. كان يمكنها أن تتبيّن شكلها ولكنها لا

تستطيع أن ترى محيطها. كان ثمة انفصال ما بين الشكل والمحيط. مشت نحو النافذة وفي يدها الكوب، وأطلّت على الملعب عبر فجوة في الستائر.

لم يكن فيه أحد، بطبيعة الحال. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحاً الآن، وحوض الرمال والأراجيح والزلاقة كلها خالية. كانت ليلة هادئة تماماً. سكنت فيها الرياح، وخلت السماء من الغيوم، ولم يكن بها سوى قمرين يسبحان فوق الفروع المتجمّدة للأشجار. كان مكان القمرين قد تبدّل مع دوران الأرض، ولكنهما بقيا رغم ذلك ظاهرين.

وقفت أَوْمَامِه هناك، وراحت تفكّر في المبنى السكني الذي يوجد به الرأس المفلطح، وبطاقة الاسم الموضوعة على باب الشقة رقم 303. كانت بطاقة بيضاء وقد طُبِعَ عليها اسم كاوانا. لم تكُن البطاقة جديدة، على الإطلاق. وكانت حوافها منثنية، وتظهر عليها آثار رطوبة خفيفة. يبدو أنّ البطاقة كانت موضوعة في التجويف منذ مدّة.

سوف يكشف لها تامارو هل تنغو كاوانا هو مَن يعيش هناك حقاً، أو أنه شخص آخر يحمل اسم العائلة ذاته. على أقصى تقدير، سيعود إليها على الأرجح بحلول الغد. فهو ليس الشخص الذي يضيّع الوقت. وعندئذٍ سوف تتأكد. فكرت، بناء على النتيجة، فقد أرى تنغو قريباً. جعلها هذا الاحتمال تشعر بصعوبة في التنفس، وكأنما قد نفدَ الهواء المحيط بها فجأة.

ولكن الأمور قد لا تسير بهذه السهولة. حتى لو تبيَّن أن الشخص الذي يسكن في الشقة 303 هو تنغو كاوانا، فلا بد أنّ الرأس المفلطح يختبئ في مكان ما من المبنى نفسه. وهو يخطّط لشيء ما - لا تدري

ما هو، ولكنه لا يمكن أن يكون شيئاً حسناً. لا بد أنه يحيك خطّة متقنة ويتربَّص بهما ويبذل كلّ جهده كي يمنعهما من اللقاء معاً.

قالت أَوْمَامِه لنفسها، لا، لا داعي للقلق. يمكنني أن أثق بتامارو. إنه أكثر دقة وقدرة وخبرة من أيّ أحد آخر أعرفه. إذا تركتُ له الأمر، فسوف يُبعد الرأس المفلطح عني. والرأس المفلطح ليس خطراً عليّ وحدي، ولكنه خطر أيضاً على تامارو، إنه مصدر خطورة يجب التخلّص منه.

ولكن ماذا لو أنّ تامارو رأى أنه ليس من المستحسَن لي ولتنغو أن نتقابل، فماذا سأفعل عندئذٍ؟ إذا حدث ذلك، فسوف يقضي تامارو حتماً على أيّ إمكانية للقاء بيني وبين تنغو. صحيح أنّ تامارو تربطه بي علاقة وديّة للغاية، ولكن أولويته هي ما ينفع الأرملة ويُبعدها عن طريق الأذى. وتلك هي وظيفته الحقيقية - إنه لا يفعل كلّ ذلك من أجلي.

أثار ذلك قلقَها. الجمع بينها وبين تنغو، والسماح لهما برؤية بعضهما بعضاً مرة أخرى - تُرى أين ذلك على سلم أولويات تامارو؟ لا يمكنها أن تعرف ذلك. ربما كان حديثها إلى تاماروا عن تنغو خطأ فادحاً. أمَا كان يجب أن أتولى كلّ شيء بنفسي؟

ولكن ما جرى جرى. لقد أخبرت تامارو بكلّ شيء. ليس بيدي شيء الآن. ولا بد أنّ الرأس المفلطح يتربّص بي، وسيكون انتحاراً أن أرقص رقصة الفالس بمفردي. الوقت يمضي ولا يمكنني إيقاف الأحداث في وضعية الانتظار ريثما أرى الاتجاه الذي قد تسلكه. مصارحة تامارو بكلّ شيء، ووضع كلّ شيء في يديه، كانت هي الخيار الأفضل في ذلك الوقت.

قررت أَوْمَامِه التوقف عن الانشغال بتنغو وكذلك التوقف عن النظر إلى القمرين. فقد أثار ضوء القمر لديها فوضى ذهنية. وغيّر موجات المد والجزر في الخلجان، وأثار الاضطراب في الغابة. شربت آخر رشفة من شايها الأخضر، وتركت النافذة، ومضت إلى المطبخ، حيث شطفت الكوب. اشتاقت نفسها إلى رشفة من البراندي، لكنها كانت تعرف أنها لا ينبغي أن تتناول أيّ كحول في أثناء فترة الحمل.

جلست على الأريكة، وأضاءت مصباح القراءة الصغير المجاور لها، وبدأت تُعيد قراءة **الشرنقة الهوائية**. كانت قد قرأت الرواية عشر مرات على الأقل. لم يكن الكتاب كثير الصفحات، ولذلك باتت تحفظه تقريباً. لكنها أرادت قراءته مرة أخرى، ببطء واهتمام. تصوّرت أنها تستطيع ذلك، لأنها لم تكن توشك على النوم. وربما يكون بها شيء قد فاتها.

كانت **الشرنقة الهوائية** أشبه بكتاب يحمل شفرة سرية، ولا بد أنّ إريكو فوكادا روَت هذه القصة لإيصال رسالة ما. أمّا تنغو الذي أعاد كتابتها، فأخرج عملاً أفضل في صياغته وأوقع في تأثيره. لقد شكّلا معاً ثنائياً لتأليف رواية أكثر جاذبية. وكما قال الزعيم، كان جهداً تعاونياً. وإذا صدق الزعيم فيما قال، فإنّ رواية **الشرنقة الهوائية** حينما غدت من الأفضل مبيعاً وكشفت بعض أسرار التنظيم، زالت عن الناس الصغار قوتهم، ولم تعُد الأصوات تتكلم. ولذلك، جفَّت البئر، وانقطع التدفق. هذا هو التأثير الكبير الذي أحدَثَته الرواية.

كانت تقرأ كلّ سطر بعناية.

حينما أشارت الساعة إلى 2:30، كانت قد انتهت بالفعل من ثلثَي الرواية. أغلقت الكتاب وحاولت أن تعبِّر بالكلمات عن المشاعر القوية التي انتابتها. ورغم أنها لن تصل إلى حدّ تسميتها إلهاماً، فقد تشكَّلت لديها صورة محدّدة وواضحة في ذهنها.

لم يُؤتَ بي إلى هنا عن طريق الصدفة.

هذا ما قالته الصورة لها.

أنا هنا لأنني يجب أن أكون هنا.

فكرت، حتى الآن كنت أعتقد أنني أُستدرجت إلى هذا العالم 1Q84 على غير إرادتي. ثمة شيء ما ضغط على زرّ التحويل، فتحوّل القطار الذي كنت على متنه عن الخط الرئيس ودخلَ إلى هذا العالم الغريب الجديد. وفجأة أدركت أني هنا - في عالم يوجد به قمران، ويسكنه الناس الصغار. وله مدخل، ولكنه بلا مخرج.

هكذا شرح الأمر لي الزعيم قبيل موته. **إنّ القطار هو القصة التي كتبها تنغو، وقد أصبحتُ عالقة داخل تلك الحكاية. وهذا هو ما يفسِّر بالضبط سبب وجودي هنا الآن، وأجدني فيه عنصراً سلبياً، وأبدو مرتبكة وعاجزة وأتخبّط وسط ضباب كثيف.**

ولكن هذه ليست الصورة الكاملة، قالت أَوْمَامِه لنفسها.

أنا لستُ مجرّد كائن سلبي عِلِق هنا لأنّ أحداً آخر أراد ذلك. قد يكون ذلك صحيحاً بشكل جزئي. ولكني أيضاً اخترتُ أن أكون هنا.

اخترت أن أكون هنا بإرادتي الحرة.

كانت على يقين من ذلك.

يوجد سبب واضح لوجودي هنا. سبب واحد: وهو أن أقابل

تنغو مرة أخرى. إذا نظرت إلى ذلك من الناحية الأخرى، فإنّ هذا هو السبب الوحيد لوجود هذا العالم بداخلي. ربما ينطوي ذلك على تناقض، مثل صورة تعبِّر عن اللانهاية في مرآتين متواجهتين. أنا جزء من هذا العالم، وهذا العالم جزء مني.

لم يكن هناك سبيل أمام أَوْمَامِه لمعرفة نوع الحكاية في القصة الجديدة لتنغو. على الأرجح كان يوجد قمران في هذا العالم، وكان يرتاده ناس صغار. كان ذلك هو القدر الذي يمكنها أن تتكهّن به. خمّنت، **قد تكون هذه هي قصة تنغو، ولكنها قصتي أنا أيضاً**. هذا هو ما فهمته.

أدركتُ ذلك حينما وصلتُ إلى المشهد الذي تقوم فيه الفتاة، بطلة الرواية، بنسج شرنقة هوائية كلّ ليلة في المخزن مع الناس الصغار. بينما كانت تقرأ هذا الوصف التفصيلي والواضح، شعرت بشيء دافئ وطيني في بطنها، نوع من الدفء الذائب والمصحوب بعُمق غريب. ورغم صغره، كان هناك مصدرٌ تتصاعد منه حرارة شديدة. ما مصدر هذه الحرارة، وماذا تعني، كان أمراً واضحاً بالنسبة لها - ليست بحاجة إلى التفكير في ذلك. **إنه الصغير**. إنّ الحرارة التي تصدر عنه هي ردّ فعل على المشهد الذي تقوم خلاله البطلة والناس الصغار بنسج الشرنقة الهوائية.

وضعت أَوْمَامِه الكتاب على الطاولة بجانبها، وفتحت الزرّ الأعلى في بيجامتها، ثم أراحت يدها على بطنها. كانت تشعر بالحرارة المنبعثة، وخُيِّل إليها وكأن ضوءاً برتقالياً خافتاً ينبعث من داخلها. أطفأت مصباح القراءة، وراحت تحدِّق بشدّة في تلك البقعة وسط غرفة النوم المعتمة، فرأت التماعة خافتة كانت بالكاد تراها.

ولكنه كان ضوءاً لا ريب فيه. لستُ وحدي. نحن متّصلان، ونعايش القصة نفسها في آنٍ واحد.

وإذا كانت هذه القصة هي قصتي، كما هي قصة تنغو في الوقت نفسه، فينبغي أن أكون أنا أيضاً قادرة على كتابة حبكة القصة. وينبغي أن أكون قادرة على التعليق على أحداثها، بل وربما حتى إعادة كتابة بعضها. والأهم من ذلك يجب أن أكون قادرة على أن أقرِّر وجهة التحوّلات التي سوف تحدث فيها، أليس كذلك؟

فكرت في مدى إمكانية ذلك.

حسناً، ولكن كيف أفعل ذلك؟

لم تكن أَوْمَامِه تعرف كيف، ولكنها كانت تعرف أنه أمرٌ ممكن. في هذه المرحلة كانت مجرد فرضية. في الظلام الساكن زمّت شفتيها واستغرقت في التفكير. كان الأمر بالغ الأهمية، وكان عليها أن تصبّ كلّ تركيزها عليه.

نحن الاثنين نمثّل فريقاً. وكما شكَّل تنغو وإريكو فوكادا فريقاً رائعاً حينما كتبا الشرنقة الهوائية، فأنا وتنغو نمثّل فريقاً في هذه القصة الجديدة. إرادتنا -أو ربما شيء من قبيل إرادتنا الكامنة- أصبحت واحدة، أوجدت هذه القصة المعقّدة وها هي تدفع أحداثها إلى الأمام. هذه العملية على الأرجح تجري في مكان عميق وغير مرئي. حتى لو لم نكُن معاً جسدياً، فإننا متّصلان، وكأننا شخص واحد. نحن مَن يؤلف القصة، وفي الوقت نفسه القصة هي ما تحرّكنا. أليس كذلك؟

ولكن لدي سؤال. سؤال مهم جداً.

في هذه القصة التي نكتبها، أيّ أهمية يمكن أن تكون لوجود هذا الصغير؟ أيّ دور سوف يؤدّيه؟

في داخل رحمي أشعر بحرارة خفيفة ولكنها محسوسة وينبعث منه ضوء برتقالي خافت، تماماً مثل الشرنقة الهوائية. هل رحمي يؤدّي دور الشرنقة الهوائية؟ هل أنا مازا، والصغير هو دوهتا؟ هل إرادة الناس الصغار تدخّلت في كلّ ذلك - في كوني حاملاً بطفل تنغو، حتى وإن كنا لم نمارس الجنس معاً بأي حال؟ هل انتزعوا رحمي كي يستخدموه كشرنقة هوائية؟ هل استخدموني كوسيلة لإخراج دوهتا جديد؟

لا، ليس هذا هو ما يحدث. كانت متأكِّدة من ذلك. هذا غير ممكن.

لقد فقَدَ الناس الصغار قوتهم. هكذا قال الزعيم. إنّ الشهرة التي حققتها رواية الشرنقة الهواء قد حالت دونهم ودون ما اعتادوا عمله. ولذلك لا بد أنهم لا يعلمون شيئاً عن هذا الحمل. ولكن مَن، أو ما هي القوة التي أوجدت هذا الحمل؟ ولماذا؟

لم تكن أَوْمَامِه تدري شيئاً عن ذلك.

ما كانت أَوْمَامِه تعرفه هو أنّ هذا الصغير هو شيء كوّنته هي وتنغو. وأنّ حياته ثمينة ولا تقدَّر بثمن. وضعت يدها على بطنها مرة أخرى، وضغطت برفق على محيط هذا الوهج البرتقالي الخافت. سمحت للدفء الذي استشعرته أن يتسرَّب ببطء إلى داخل جسمها كله. قالت لنفسها، يجب أن أحمي هذا الصغير، مهما كلّفني ذلك. لا أحد سوف ينتزعه مني أبداً، أو يُلحِق به أذى. يجب علينا نحن الاثنين أن نحافظ عليه. ووسط هذه العتمة، حزمت أمرها.

مضت إلى غرفة النوم، وخلعت رداءها، ثم أوَت إلى الفراش. استلقَت على ظهرها، وراحت تتحسَّس مرة أخرى بطنها فشعرت

بالدفء المنبعث منها. تبدَّد شعورها بالقلق. وباتت تعرف ما ينبغي عمله. قالت لنفسها، **يجب أن أكون أقوى. يجب أن يصبح ذهني وجسدي شيئاً واحداً**. وأخيراً أتاها النوم، في صمت، وكأنه دخان، يحتضنها. وكان القمران لا يزالان يسبحان معاً في السماء.

الفصل الرابع والعشرون

تنغو
سأغادر بلدة القطط

أُلبِسَ جثمان والد تنغو زيّ محصِّل الاشتراكات في 'إن إتش كيه' وكان قد تمّ كيّه بعناية، ثم وُضع داخل نعش متواضع. لعلّه كان أرخص النعوش المتوفرة، فقد كان تابوتاً صغيراً وموحشاً. وبدا أنه أكثر قوة قليلاً من صناديق كعك كاستيلا. كان المتوفَى ضئيل الجسم، ومع ذلك لم يكُن به أيّ فراغ. كان التابوت مصنوعاً من خشب رقائقي، ولا تظهر عليه سوى قليل من الزخرفة. سأل متعهد الجنائز كي يتأكد: «هل هذا التابوت جيد؟» فأجابه تنغو: «إنه جيد». كان هذا التابوت قد اختاره والده من الكتالوج، وقد قام بدفع ثمنه مسبقاً. إذا كان المتوفَى لم يجد بأساً به، فكذلك تنغو.

حينما أُلبس والده زيّ محصِّل الاشتراكات في 'إن إتش كيه'، وسُجِّي في النعش البسيط، لم يكن يبدو أنه ميت. بل بدا وكأنه يأخذ قيلولة أثناء استراحة من العمل، وسرعان ما سينهض ويرتدي قبعته ويخرج لتحصيل بقية الاشتراكات. بدا الزيّ، الذي خِيط فيه شعار 'إن إتش كيه' مُحكَماً عليه للغاية. وكأنه وُلد في هذا الزي، وسوف يغادر

هذا العالم بالهيئة نفسها حينما تلتهمه النيران. وحينما رآه تنغو يَلبسه فعلاً، لم يستطع أن يتصوّر والده يرتدي أيّ شيء سواه. تماماً كما هم محاربو فاغنر الذين لا يتمّ إلباسهم إلّا دروعهم حينما يوضعون في المحرقة.

في صباح الثلاثاء، وفي حضور تنغو وكومي أداتشي، أُغلق غطاء التابوت، وسُمِّر، ثم وضع داخل عربة نقل الموتى. لم تكن عربة فخمة، وإنما هي ذاتها السيارة تويوتا التي استُخدمت في نقل جثمانه إلى دار الجنازات. وحتى هذه العربة لا بد أنها كانت أرخص السيارات المتوفرة. كانت **الفخامة** هي آخر كلمة يمكن أن تستخدمها في وصفها. لم يكن هناك بالتأكيد عزف لموسيقى «غروب الآلهة»(*). لكن تنغو لم يجد أيّ شيء يشكو منه، ولم يبدُ أنّ كومي ترى مشكلة في ذلك. الشيء الأهم هو أن شخصاً ما قد تلاشى من على وجه الأرض، وأن هؤلاء الذين تركهم وراءه يجب أن يفهموا ما يستتبعه ذلك. استقلّ الاثنان سيارة أجرة وتبعا العربة السوداء.

تركت السيارة الطريق الساحلي، وانعطفت إلى طريق قصيرة وسط التلال، حتى وصلت إلى المحرقة. كان المبنى جديداً نسبياً ولكنه خالٍ تماماً من أيّ سمات تميّزه. يبدو وكأنه مصنع أو إدارة حكومية. كانت الحديقة جميلة وتحظى بعناية كبيرة، رغم أنّ المدخنة الطويلة التي ترتفع بشكلٍ مهيب في السماء كانت توحي بأنّ هذه المنشأة تؤدّي مهمة خاصة. لا بدّ أنّ المحرقة لم تكن مزدحمة كثيراً

(*) الإشارة هنا إلى أوبرا Götterdämmerung أو «غروب الآلهة» وهي أحد الأعمال الموسيقية البارزة للمؤلف الموسيقي والكاتب المسرحي الألماني ريتشارد فاغنر. (المترجم)

في ذلك اليوم، لأنهم أخذوا التابوت فور وصوله. وُضع التابوت بلطف داخل المحرقة، ثم أُغلق الغطاء الثقيل، الذي يبدو وكأنه غطاء غواصة. استدارَ الرجل العجوز الذي يتولى المهمة، وكان يرتدي قفازاً، وانحنى إلى تنغو، ثم ضغط زرّ الإشعال. استدارت كومي نحو الغطاء المغلَق وضمّت يديها معاً وراحت تبتهل بالدعاء، وحذا تنغو حذوها.

خلال الحرق الذي استغرق ساعة، كان تنغو وكومي ينتظران في قاعة المبنى. اشترت كومي كوبين من القهوة الساخنة من آلة لبيع القهوة وراحا يرتشفانها في صمتٍ وهما يجلسان جنباً إلى جنب على أريكة، ويواجهان نافذة زجاجية كبيرة. في الخارج كانت توجد حديقة واسعة، وقد جفَّت الآن بسبب الشتاء، وتساقطت الأوراق عن شجرها. كان يوجد طائران أسودان على أحد الأغصان. لم يعرف تنغو ما نوع الطائرين. كان لديهما ذيلان طويلان، ورغم صغرهما، فقد كانا يُصدران صياحاً عالياً وحاداً. حينما يصيحان، كان الذيلان ينتصبان على طرفيهما. أمّا فوق الأشجار كانت السماء الشتوية الزرقاء خالية من الغيوم. كانت كومي ترتدي تحت معطفها ذي اللون السمني والمصنوع من الصوف، ثوباً قصيراً أسود اللون. وكان تنغو يرتدي سترة سوداء ذات قبة مدوّرة تحت جاكيت رمادي غامق. أمّا حذاءه فكان بنياً داكناً. كانت هذه هي أكثر ملابسه ذات الطابع الرسمي التي يمتلكها.

قالت كومي: «والدي أيضاً حُرق هنا. يومها كان جميع الحاضرين يدخّنون بشراهة، وكانت توجد سحابة دخان ترتفع حتى السقف. ربما كان ذلك متوقّعاً، لأنهم جميعاً كانوا صيادين».

تخيّل تنغو ذلك. مجموعة من الرجال الذين لوّحتهم الشمس ويقفون غير مرتاحين في بذّاتهم الداكنة، وينفثون الدخان، حداداً على رجل ماتَ بسرطان الرئة. أمّا الآن، كان تنغو وكومي هما الوحيدان في القاعة فيما يخيّم على المكان سكون تام. وعدا زقزقة الطيور التي كانت تُسمع من حين إلى آخر من بعض الأشجار، لم يكن هناك أيّ شيء آخر يقطع هذا الصمت، لا موسيقى، ولا أصوات. وكان ضوء الشمس الهادئ يتدفّق عبر النافذة الزجاجية الكبيرة فيصنع بركة مياه هادئة عند أقدامهما. كان الوقت يتدفق ببطء، وكأنه نهر يقترب من مصبّه.

قال تنغو بعد صمت طويل: «أشكرك على قدومك معي».

مدّت كومي يدها ووضعتها فوق يده: «يصعب أن يكون المرء وحده في ذلك. والأفضل أن يكون برفقتك أحدٌ ما».

قال تنغو: «لعلّكِ محقة».

قالت: «لا شك أنّ موت أيّ إنسان، بغضّ النظر عن الملابسات، شيءٌ فظيع. فمعه تنشأ حفرة في العالم، ويصبح علينا أن نُظهر الاحترام اللائق، وإذا لم نفعل، فلن تُسدّ الحفرة مرة أخرى».

أومأ تنغو.

تابعت كومي: «ولا يمكن ترك الحفرة مفتوحة. وإلّا فقد يسقط بها أحدٌ ما».

قال تنغو: «ولكن أحياناً يكون لدى بعض الموتى أسرار. وإذا قُمنا بسدّ الحفرة، فلن نعرف هذه الأسرار أبداً».

قالت: «أظن أنّ ذلك ضروري أيضاً».

«كيف؟».

«هناك أسرار لا يمكن للمرء أن يتركها وراءه».

«ولِمَ لا؟».

تركت كومي يده وحدّقت في وجهه مباشرة: «هناك أسرار لا يفهمها حقاً سوى الميت. أسرار لا يمكنك مهما حاولتَ أن تجد لها تفسيراً. وهذه هي الأسرار التي يجب على الميت أن يحملها معه إلى قبره. وكأنها مقتنيات ثمينة».

نظر تنغو في صمت لأسفل حيث بركة الضوء الموجودة عند قدميه. كانت الأرضية المغطاة بالمشمع تلمع هي الأخرى. وكان يرى أمامه حذاءه البالي وحذاء كومي الأسود البسيط. كان الحذاءان أمامه مباشرة ومع ذلك بدا وكأن أميالاً تفصله عنهما.

«لا بد أنك أنت أيضاً يا تنغو، لديكَ أشياءُ لا يمكنك أن تفسّرها للآخرين؟».

ردّ تنغو: «ربما ذلك».

لم تعلّق كومي بشيء، ووضعت ساقيها النحيلتين المكسوّتين بجورب أسود فوق بعضهما.

سألها تنغو: «قلت لي إنك متّ مرة من قبل، أليس كذلك؟».

«مممم. متُّ مرة بالفعل. في ليلة كنت فيها وحيدة وهطلت فيها أمطار باردة».

«هل تتذكرينها؟».

«أعتقد ذلك. لقد تراءى لي ذلك في الحلم عدة مرات. حلم حقيقي للغاية، ودائم التكرار. لذلك أظنّه حدث بالفعل».

«هل كان يشبه التناسخ؟».

«التناسخ؟».

«أي أن تولدين مرة أخرى. تناسخ الأرواح».

فكّرت كومي لبعض الوقت: «لا أدري. ربما كان كذلك. وربما لا».

«بعد موتك، هل تمّ حرقك هكذا؟».

هزّت كومي رأسها: «لا أتذكر إلى هذا الحدّ، لأنّ الحرق يحدث بعد الوفاة. ما أتذكّره هو **اللحظة التي متُّ فيها**. هناك شخص ما خنقني. رجل لم أرَه من قبل».

«هل تتذكّرين وجهه؟».

«بالتأكيد. رأيته مرات عديدة في أحلامي. سوف أعرفه على الفور إذا قابلته في الشارع».

«وماذا ستفعلين إذا رأيته في الحقيقة؟».

حكّت كومي أنفها، وكأنما كي تتأكّد من أنه لا يزال موجوداً. «لقد فكّرت في ذلك أيضاً، ماذا سأفعل إن قابلته في الشارع. ربما سأهرب. أو ربما سأتبعه حتى لا يلحظني. ما لم أوضع فعلاً في هذا الموقف، فلن أعرف ماذا سوف أفعل».

«إذا تبعتِه، فماذا ستفعلين بعد ذلك؟».

«لا أدري. ولكن ربما يحتفظ هذا الرجل ببعض الأسرار المهمّة عني. وإذا أحسنتُ التصرف، فربما يكشفها لي».

«أيّ نوع من الأسرار؟».

«مثلاً، السبب وراء وجودي هنا».

«ولكن هذا الرجل قد يقتلك مرة أخرى».

قالت كومي بشفتين مضمومتين قليلاً: «ربما. أعرف أنها مخاطرة. ربما يكون الهروب هو أفضل اختيار. ولكن الأسرار

تجتذبني. مثلما هو الحال حينما يوجد مدخل مظلم ولا تملك القطط إلّا أن تختلس النظر إليه».

انتهت عملية الحرق، وجرياً على التقاليد، اختار تنغو وكومي بعض العظام المتبقية من رفات والده ووُضعت في جرة صغيرة. سُلّمت الجرة إلى تنغو. لم يكن يدري ماذا عليه أن يفعل بها، وإن كان يُدرك أنه لا يمكنه تركها. ولذلك حمل الجرة بين يديه فيما استقلّ هو وكومي سيارة أجرة إلى المحطة.

أخبرته كومي في السيارة: «سوف أعتني بأيّ أمور أخرى متبقية». وبعد لحظة أضافت: «إذا كنت ترغب، يمكنني أن أتولى دفن هذه العظام أيضاً».

قال تنغو وقد بدت على وجهه سمات الدهشة. «أيمكنكِ ذلك؟».

قالت كومي: «ولمَ لا. بعض الجنازات لا يحضُرها أيّ أحد من عائلة الميت».

قال تنغو: «ستُسْدين إليّ معروفاً كبيراً بذلك». سلّمها الجرة، وهو يشعر ببعض الذنب، ولكنه في الحقيقة شعر بارتياح. وقال في نفسه، **قد لا أرى هذه العظام مرة أخرى. كل ما تبقى سوف يصبح ذكريات، وفي النهاية، سوف تتلاشى هي الأخرى وكأنها غبار.**

«أنا من سكان هذه المنطقة، وأظن أني أستطيع عملَ ذلك. من الأفضل أن تعود إلى طوكيو على الفور. نحن جميعاً هنا نحبّك كثيراً، ولكن هذا ليس بالمكان الذي يجب أن تمكُث فيه طويلاً».

تفكر تنغو، **سأغادر بلدة القطط.**

قال تنغو: «أشكركِ على كلّ ما فعلتِه».

«هل تمانع إذا قدَّمت لك بعض النصائح يا تنغو؟ أدرك أن هذا ليس من حقي».

«بالطبع لا أمانع».

«ربما يكون والدك قد أخذَ معه سراً ما إلى الجانب الآخر. ويبدو أنّ هذا يسبِّب لك بعض الارتباك. أظنّ أنني أتفهّم شعورك. ولكن يَحسُن بك ألّا تختلس النظر بعد الآن إلى هذا المدخل المظلم. اترك ذلك للقطط. إذا فعلتَ ذلك، فلن تصل أبداً إلى أيّ شيء. الأجدر بكَ أن تشغَل نفسك بالمستقبل».

قال تنغو: «يجب سدّ الحفرة».

قالت كومي: «بالضبط. والشيء نفسه تقوله البومة. هل تذكر البومة؟».

«بالطبع».

البومة هي الملاك الحارس للغابة، وهي تحيط علماً بكلّ شيء، وتمنحنا حكمة الليل.

«ألا تزال تلك البومة تُصدر نعيبها في الغابة؟».

قالت كومي: «البومة لن تبرح مكانها. سوف تمكُث هناك زمناً طويلاً».

ودَّعته كومي عند القطار المتجه إلى تاتياما، وكأنها كانت بحاجة لأن ترى وتتأكد بعينيها، أنه قد ركب القطار وغادر البلدة. وقفت على الرصيف وبقيت تُلوّح له، حتى لم يعُد يراها على الإطلاق.

حينما عادَ تنغو إلى شقته في كوينجي، كانت الساعة هي السابعة من مساء الثلاثاء. أضاء تنغو الأنوار، وجلس إلى طاولة الطعام، ثم

نظرَ حوله في الغرفة. بدا المكان كما كان حينما غادره في ساعة مبكرة من صباح اليوم السابق. كانت الستائر مسدَلَة، ووجد على سطح مكتبه أوراق القصّة التي كان يعكف على كتابتها. وكذلك وجد الأقلام الرصاص الستة المبراة بعناية كما هي في حامل الأقلام، والأطباق النظيفة مرصوصة فوق حوض الماء في المطبخ. كان الزمن يمضي في سكون، فيما كان التقويم المعلَّق على الحائط يشير إلى أنّ هذا هو آخر شهور السنة. بدَت الغرفة أكثر سكوناً من أيّ وقت مضى. **سكون أكثر ممّا ينبغي.** بدا أنّ هناك شيئاً زائداً عن الحدّ في هذا السكون. رغم أنّ ذلك قد يكون مجرد خيال يتوهّمه. ربما لأنه قد شهد لتوّه شخصاً يتلاشى أمام عينيه. ربما لم يتمّ سدّ الحفرة بشكل كامل.

شرب كوباً من الماء وتحمَّم بماء دافئ. غسل شعره بالشامبو، ونظّف أذنيه وقلَّم أظافره. أخرج قطعة ملابس داخلية وقميصاً من الدُرج ولبسهما. كان عليه التخلّص من جميع الروائح التي علقت به، روائح بلدة القطط. **نحن جميعاً هنا نحبك كثيراً، ولكن ليس هذا بالمكان الذي يجب أن تمكثَ فيه طويلاً،** هكذا قالت له كومي أداتشي.

لم يجد لديه شهية لطعام، ولا رغبة في عمل أو فتح كتاب. لم يَرُق له الاستماع إلى موسيقى. كان منهكاً، ولكن أعصابه كانت شديدة التوتر، ولذلك أدرك أنه حتى لو استلقى على السرير فلن يحصل على أيّ قسط من النوم. يبدو أنّ هناك شيئاً غريباً وراء هذا السكون.

قال تنغو في نفسه، **ليت فوكا-إري كانت هنا. لا يهمني تلك الأمور السخيفة والعبثية التي قد تتحدّث عنها. أو حتى عجزها الرهيب عن تنغيم الكلام وإظهار نبرة الاستفهام عند السؤال - أنا**

راضٍ بكلّ ذلك. لم أسمع صوتها منذ مدة وأصبحتُ أفتقدها. ولكن تنغو كان يدرك أنها لن تعود مرة أخرى إلى شقته. لماذا؟ هذا ما لا يستطيع معرفته بالضبط. لكنه كان يعلم أنها لن تأتي مرة أخرى أبداً. على الأرجح.

كان يرغب في التحدّث إلى أيّ أحد. كانت صديقته التي تكبره سناً خياراً جيداً، ولكن لم يعُد بإمكانه الوصول إليها. لقد ضاعَت إلى غير رجعة.

طلب رقم هاتف مكتب كوماتسو، رقمه المباشر، ولكن أحداً لم يُجبه هناك. بعد خمس عشرة رنة، كفّ عن المحاولة.

حاول أن يفكر في أيّ أحد آخر يمكنه الاتصال به، فلم يجد. فكّر في الاتصال بكومي، ثم أدرك أنه ليس لديه رقمها.

انصرف ذهنه للتفكير في حفرة مظلمة في مكانٍ ما من العالم، حفرة لم تُسدّ بعد. لم تكُن حفرة كبيرة، ولكنها شديدة العمق. إذا نظرت في تلك الحفرة وتحدَّثت بصوت عالٍ، هل سيكون بإمكاني أن أتحدّث إلى والدي؟ هل سيُخبرني الميت بالحقيقة؟

كانت كومي قد قالت له: «إذا فعلتَ ذلك، فلن تصلَ إلى أيّ شيء أبداً. الأجدر بك أن تشغل نفسك بالمستقبل».

لا أوافقها الرأي. ليس هذا هو كلّ ما في الأمر. قد لا تقودني معرفة السرّ إلى أيّ شيء، ولكن يجب أن أعرف لماذا لن أصل إلى أيّ شيء. إذا أدركتُ السبب حقاً، فربما استطعتُ الوصول إلى شيء ما.

قال تنغو مخاطباً الحفرة المظلمة، لم يعُد يهمني بعد الآن إذا كنتَ والدي الحقيقي أو لا. كلاهما سيّان عندي الآن. في الحالتين

أنت أخذتَ معك جزءاً مني إلى القبر، وأنا باقٍ هنا ومعي جزء منك. هذه هي الحقيقة التي لن تتغيّر، سواء جمَعَتنا صلة دم أم لا. لقد فات أوان ذلك، وقد تبدّل العالم.

ظنّ أنه سمع نعيب بومة في الخارج، ثم تبيَّن له أنّ أذنيه كانتا تخدَعانه فحسب.

الفصل الخامس والعشرون

يوشيكاوا

في البرد وفي غير البرد، الإله موجود(*)

جاءه صوت الرجل من ورائه: «لن تموت بهذه السهولة». ثم وكأنه كان يقرأ أفكار يوشيكاوا: «كل ما هنالك أنك فقدت وعيك للحظة. رغم أنك كنت فعلاً على حافة الموت».

كان صوتاً لم يسمعه من قبل. صوت جامد وخالٍ من أيّ تعبير. ليس عالياً جداً ولا منخفضاً، لا هو بالخشن جداً ولا هو بالناعم جداً. إنه صوت من تلك النوعية التي تعلن عن وصول الطائرات وإقلاعها أو تقرأ تقارير سوق الأسهم.

فكّر يوشيكاوا بشكل عشوائي: أيّ يوم من الأسبوع هذا؟ لا بد أنها ليلة الاثنين. لا، من الناحية العملية ربما يكون الثلاثاء في واقع الأمر.

(*) ينسب تامارو هذه المقولة إلى عالم النفس الشهير كارل يونج قائلاً إنه قد نقشها بيده على حجر فوق مدخل بيته الذي شيّده بنفسه، ولكن بما أنّ أحداث الرواية تدور في عالم 1Q84 الموازي لعالم 1984، فقد طرأ ما يشبه التحريف أو اللعب بالكلمات على المقولة الأصلية التي نقشها كارل يونج على مدخل البيت لتتحوّل من Called or not called, God is present إلى Cold or not cold, God is present في العالم الموازي. (المترجم)

قال الرجل: «يوشيكاوا. لعلّك لا تمانع إذا ناديتك يوشيكاوا، أليس كذلك؟».

لم يردّ يوشيكاوا. ساد صمتٌ لعشرين ثانية أو نحو ذلك. ثم، ومن دون سابق إنذار، سدَّد الرجل لكمة خاطفة ومباغتة إلى كُليته اليسرى. كانت لكمة مكتومة الصوت، ولكنها قوية. سرى ألمٌ حارق في سائر جسده. انقبضَت جميع أعضائه الداخلية، وحين هدأت حدة الألم قليلاً وجد أنه لا يستطيع أن يتنفس. وأخيراً أخرج حشرجة جافة.

قال الرجل: «سألتكَ بأدب، وأنتظرُ منكَ الرّد. إذا كنت لا تستطيع الكلام، فأومئ أو هُزّ رأسك. يكفيني ذلك. هذا هو ما يعنيه أن تكون مهذباً. هل يمكنني أن أناديك يوشيكاوا؟».

أومأ يوشيكاوا عدة مرات.

«يوشيكاوا. يا له من اسم يسهُل تذكره. لقد فتَّشت في محفظتك. وجدت رخصة قيادة وبطاقات تعريفية. مدير بدوام كامل، مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون. يا له من مسمّى وظيفي جميل، أليس كذلك؟ ماذا يفعل مدير مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون بصور يلتقطها بكاميرا مخبّأة في هذا المكان؟».

بقي يوشيكاوا صامتاً. لم يكُن يستطيع أن يُخرج الكلمات بسهولة.

قال الرجل: «الأفضل لكَ أن تردّ. اعتبِرْ هذا تحذيراً. إذا انفجرت كُليتك، فسوف تسبّب لك ألماً حارقاً بقية حياتك».

وأخيراً تمكَّن يوشيكاوا من الكلام: «أنا أراقب السكان». جاء

صوته مضطرباً ومتقطعاً. بالنسبة له، وهو معصوب العينين، لم يكُن يبدو أنه صوته.

«تقصد تنغو كاوانا».

أومأ يوشيكاوا.

«تنغو كاوانا الكاتب الخفيّ للشرنقة الهوائية».

أومأ يوشيكاوا مرة أخرى، ثم انتابته نوبة سعال. كان الرجل يعرف كلّ هذا بالفعل.

سأله الرجل: «مَن كلَّفك بعمل ذلك؟».

«ساكي جاكه».

قال الرجل: «هذا ما يمكنني استنتاجه يا يوشيكاوا. سؤالي هو ما الذي يجعل ساكي جاكه يراقب حركة تنغو في هذا الوقت المتأخِّر؟! تنغو كاوانا لا يمكن أن يكون بهذه الأهمية بالنسبة لهم».

تسارَعَ تفكير يوشيكاوا، محاولاً أن يعرف مَن يكون هذا الرجل، وما مقدار ما يعرفه. لم يعرف مَن يكون الرجل، لكن من الواضح أن ساكي جاكه لم يُرسله. هل هذا شيء سارّ أو لا، هذا ما لم يكن يوشيكاوا يعرفه.

قال الرجل: «هناك سؤال ينتظرك». وضغط بإصبعه على الكُلية اليسرى ليوشيكاوا. ضغط بشدّة.

قال يوشيكاوا وهو يئنّ: «تربطه صلة ما بامرأة».

«أليس لهذه المرأة اسم؟».

«أَوْمَامِه».

سأله الرجل: «ولماذا يتعقّبون أَوْمَامِه؟».

«ألحقت الأذى بالزعيم، رئيس ساكي جاكه».

قال الرجل: «ألحقت الأذى»، كما لو كان يتحقَّق من العبارة.

«تقصد أنها قتلته، أليس كذلك؟ حتى يكون كلامك أوضح».

قال يوشيكاوا: «هذا صحيح». أدرك أنه لا يستطيع إخفاء أيّ شيء عن هذا الرجل. عاجلاً أم آجلاً سوف يضطرّ للكلام.

«لا يزال الأمر سراً داخل المجمع».

«كم عدد الذين يعرفون هذا السرّ في ساكي جاكه؟».

«عدد قليل».

«وأنتَ من بينهم».

أومأ يوشيكاوا.

«إذاً لا بد أنك تشغل منصباً كبيراً».

«لا»، قال يوشيكاوا، وهو يهزّ رأسه، ويشعر بألم اللكمات التي وُجِّهت إلى كليته. «أنا مجرّد رسول. وعرفت ذلك بمحض الصدفة».

«في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ. أهذا ما تقوله؟».

«أعتقد ذلك».

«بالمناسبة، يا يوشيكاوا، هل تعمَل وحدك؟».

أومأ يوشيكاوا.

«هذا غريب. أيّ عملية مراقبة تتطلّب فريقاً في العادة. وحتى يمكنك أن تؤدّي عملاً جيداً، سوف تحتاج إلى شخص يوفّر لك احتياجاتك. ثلاثة أشخاص على الأقل. وهناك صلة وثيقة بينك وبين مؤسسة ما. لذلك يبدو لي أمراً غير طبيعي أن تفعل كلّ ذلك وحدك. بعبارة أخرى، ردّك هذا لا يسرني بالمرة».

قال يوشيكاوا: «لستُ من أتباع هذه الديانة». كانت أنفاسه قد هدأت وأصبح بإمكانه أخيراً أن يتكلم بطريقة شبه عادية. «هم مَن

استأجروني. وهم مَن يطلبوني حينما يرون أنّ الاستعانة بطرف خارجي أنسب لهم».

«كمديرٍ بدوام كامل لمؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون؟».

«هذه مجرد واجهة. هذه مؤسسة لا وجودَ لها. لقد أنشأها ساكي جاكه في الأصل لأغراض ضريبية. أنا متعهّد فردي، ولا علاقة لي بطائفتهم. فأنا أعمل معهم وحسب».

«مرتزق من نوع ما».

«لا، لست مرتزقاً. أنا أجمَع لهم المعلومات بناء على طلبهم. إذا كانت هناك حاجة إلى عمل ينطوي على عنف، فإنهم يوكلونه لآخرين».

«إذاً، هناك شخص في ساكي جاكه طلبَ منك يا يوشيكاوا، مراقبةَ تنغو والتحقّق من علاقته بأَوْمَامِه».

«هذا صحيح».

قال الرجل: «كلا. هذا جواب خاطئ. لو كانوا في ساكي جاكه متيقّنين من أنّ هناك صلة ما بين أَوْمَامِه وتنغو كاوانا، فما كانوا ليرسلوك وحدكَ لمراقبتهما. كانوا سوف يستعينون بفريقٍ من أتباعهم. فهذا يُقلّل من احتمال وقوع الأخطاء، وإذا دعت الحاجة يمكنهم اللجوء إلى القوة».

«ما أقوله لك هو الحقيقة. ما أفعله هو ما أمرني به مَن هُم فوقي. أمّا لماذا يريدون مني أن أفعل ذلك وحدي، فلست أدري».

كان صوت يوشيكاوا لا يزال مضطرباً ومتقطعاً.

فكر يوشيكاوا، إذا تبيَّن له أنّ ساكي جاكه لم يعرفوا بعد بالصلة

بين أَوْمَامِه وتنغو، فقد يضربني ضرباً شديداً الآن. وإذا أنا اختفيت من الصورة، فلن يكون هناك أحد على علم بهذه الصلة.

قال الرجل بنبرة جامدة: «لا تعجبني الإجابات غير الصحيحة. وأعتقد أنكَ من بين الناس جميعاً تُدرك ذلك جيداً. لا مانع لدي من أن أوجّه لَكمة أخرى لكليتكِ، ولكني إذا ضربتك بقوة فسوف تؤلمني يدي وسوف أُتلف كليتك، وأنا لم آتِ إلى هنا كي أتلف كليتك. لستُ أحمل لك أيّ عداء شخصي. لديّ هدف وحيد، وهو الحصول على جواب صحيح. ولذلك سأجرّب معك طريقة أخرى. سوف أُنزلك إلى قاع البحر».

قال يوشيكاوا في نفسه، «قاع البحر؟ عمّ يتحدث هذا الرجل؟».

أخرج الرجل شيئاً من جيبه. سُمع صوت خشخشة وكأنّ مادة من البلاستيك تحتك فيما بينها، وعندئذٍ غطى شيء ما رأس يوشيكاوا. إنه كيس من البلاستيك، من النوع السميك الذي يُستخدم في الثلاجات. ثم لُفّ حول رقبته شريطٌ سميك وكبير من المطاط. أدرك يوشيكاوا، **هذا الرجل يريد خنقي**. حاول أن يتنفس فلم يجد في فمه سوى البلاستيك. سُدّت فتحتا أنفه. صرخت رئته طلباً للهواء، فلم تجدا أيّ هواء. أصبح الكيس ملفوفاً بإحكام حول وجهه وكأنه قناع الموت. سرعان ما بدأت جميع عضلاته تختلج بعنف. حاول أن يمدّ يديه ويمزق الكيس، فلم تتحرّك يداه. كانتا مقيّدتين بشدّة خلف ظهره. انتفخ دماغه وكأنه بالون يوشك على الانفجار. حاول أن يصرخ، فلم يَصدر عنه أيّ صوت. كان بحاجة إلى الهواء. ملأ لسانُه فمَه فيما كان وعيه يتلاشى.

وأخيراً أُزيل الشريط المطاطي عن رقبته، ورُفع الكيس عن

رأسه. راح يوشيكاوا يشهق بشدّة أمام الرجل. ظلّ بضع دقائق منحنياً إلى الأمام ويتنفس بقوّة، وكأنه حيوان يركض وراء شيء بعيدٍ عن مناله.

سأل الرجل يوشيكاوا بعد أن هدأت أنفاسه: «كيف رأيتَ قاع البحر؟» جاء صوته، كما كان من قبل، خالياً من أيّ تعبير. «لقد بلغتَ القاع السحيق. أتصوّر أنك رأيتَ ما لم تره من قبل. عشتَ تجربة ثمينة».

لم يستطِعْ يوشيكاوا أن يجيبه. لم يطاوعه صوته.

«كما قلت مرات ومرات يا يوشيكاوا، إنني أبحث عن الإجابة الصحيحة. لذلك سأسألك مرة أخرى: هل طلب منكَ أحد في ساكي جاكه أن تتعقَّب تنغو كاوانا وتتحرّى حول علاقته بأَوْمَامِه؟ هذه نقطة مهمة. حياة شخص ما في خطر. فكِّر جيداً قبل الإجابة. سأعرف إن كنت تكذب».

تمكن يوشيكاوا أن يُتأتئ: «لا علم لساكي جاكه بهذه العلاقة».

«حسناً، هذه هي الإجابة الصحيحة. ساكي جاكه لا علمَ لهم حتى الآن بالعلاقة بين أَوْمَامِه وتنغو كاوانا. وأنتَ لم تُخبرهم بعد. هل هذا صحيح؟».

أومأ يوشيكاوا.

«لو أنك أجبت بشكلٍ صحيح منذ البداية، لما كان عليك أن تنزل إلى قاع البحر. إنه فظيع جداً، أليس كذلك؟».

أومأ يوشيكاوا.

قال الرجل وكأنه يتحدّث عن بديهيات: «أعرف ذلك. جرَّبته ذات مرة. فقط هؤلاء الذين جرّبوا ذلك يعرفون كم هو رهيب. لا يمكنكَ التعميم بسهولة فيما يتعلق بالألم. لكلّ نوع من الألم

خصائصه. ولإعادة صياغة مقولة تولستوي الشهيرة، كلّ أنواع السعادة تتشابَه، ولكن كلّ ألم يؤلم بطريقته الخاصة. لن أبالغ إذا قلت أنك تذوّقته. ألا توافقني؟».

أومأ يوشيكاوا. وكان لا يزال يلهث قليلاً.

تابع الرجل: «إذاً دعنا نكون صريحين وصادقين تماماً بعضنا مع بعض. هل هذه فكرة جيدة، يا يوشيكاوا؟».

أومأ يوشيكاوا.

«سوف أرسلك في نزهة أخرى إلى قاع البحر إذا قدَّمتَ أيّ إجابة خاطئة أخرى. نزهة أطول وأكثر استجماماً هذه المرة. سوف نجرِّب عمقاً أكبر. إذا فعلنا ذلك من دون إتقان، فقد لا تعود. لا أظنّك ترغب في الذهاب إلى هناك. ما رأيك يا يوشيكاوا؟».

هزّ يوشيكاوا رأسه.

قال الرجل: «يبدو أنّ هناك شيئاً مشتركاً يجمعنا. نحن الاثنين ذئبان منفردان. أو ربما كلبان انفصلا عن القطيع؟ مارقان وغير منسجمين مع المجتمع. شخصان يحملان كراهية غريزية للمؤسسات، أو لا تقبلهما أيّ مؤسسات. لا يهمّنا سوى إنجاز العمل - ونتّخذ قرارات من تلقاء أنفسنا، ونقوم بأعمال من تلقاء أنفسنا، ونتحمّل المسؤولية. تأتينا الأوامر من أعلى، ولكننا بلا زملاء أو مرؤوسين. لا نعتمد إلّا على دماغنا وقدراتنا. هل أنا مصيبٌ في ذلك؟».

أومأ يوشيكاوا.

تابع الرجل: «هذه نقطة قوتنا، ولكنها قد تصبح أحياناً نقطة ضعفنا مثلاً، في هذه العملية كنتَ متلهّفاً على تحقيق النجاح أكثر ممّا ينبغي. وأردتَ أن تحلّ اللغز بنفسك، من دون إبلاغ ساكي جاكه.

أردتَ أن تقدِّم لهم كلّ شيء على طبق أنيق وتنال الثناء كله. ولذلك لم تأخذ حذرك، أليس كذلك؟».

أومأ يوشيكاوا مرة أخرى.

«ما الذي أوصلك إلى هذا الحد؟».

«لأن الزعيم مات بسبب خطأ مني».

«كيف ذلك؟».

«أنا الشخص الذي أجرى التحريات حول أَوْمَامِه. تحرّيت عنها قبل السماح لها برؤية الزعيم. لم أجد لديها أيّ شيء يُثير الشكوك».

«ولكنها وصلت إلى الزعيم كي تقتله، ووجَّهت له ضربة مميتة فعلاً. لقد فشلتَ في مهمتك إذاً وأدركتَ أنه سيكون عليك يوماً ما أن تبرِّر هذا الفشل. وأنت على أيّ حال مجرّد دخيل يمكنهم التخلّص منه. وتعرف أكثر ممّا في مصلحتك. وحتى تنجو بنفسك، أدركتَ أنّ عليك أن تسلِّمهم رأس أَوْمَامِه. هل أنا على صواب؟».

أومأ يوشيكاوا.

قال الرجل: «يؤسفني ذلك».

فكر يوشيكاوا برأسه المنبعج: «**يؤسفكَ ذلك؟**» ثم خطر له أن يسأل: «هل أنت الشخص الذي خطَّط لقتل الزعيم؟».

لم يردّ الرجل. لكن يوشيكاوا اعتبر أنّ صمته ليس بالضرورة إنكاراً.

سأله يوشيكاوا: «ماذا ستفعل بي؟».

تامارو: «في الواقع. وحتى أكون صادقاً، لم أقرِّر بعد. سوف آخذ وقتي وأفكّر. الأمر كلّه يتوقف على أدائك. ما زال لديّ بعض الأسئلة التي أريد أجوبة لها».

أومأ يوشيكاوا.

«أودّ منك أن تُخبرني برقم هاتف لجهة الاتصال الخاصة بك في ساكي جاكه. لا بدّ أنك تقدّم تقاريرك إلى أحد ما هناك».

تردّد يوشيكاوا للحظة، ولكنه ما لبث أن أخبره بالرقم. ولأنّ حياته كانت في خطر، لم يكن من الوارد لديه أن يخفي عنه الرقم.

سجّل تامارو الرقم.

«ما اسمه؟».

قال يوشيكاوا كاذباً: «لا علمَ لي باسمه». ولم يهتم تامارو لذلك.

«هل هم أشخاص شرسون؟».

«يمكنني أن أقول ذلك».

«ولكنهم ليسوا محترفين حقيقيين».

«إنهم ماهرون، وينفّذون أوامر رؤسائهم، من دون نقاش أو أسئلة. ولكنهم ليسوا محترفين حقيقيين».

سأل تامارو: «ما مقدار ما يعرفونه عن أَوْمَامِه؟ هل يعرفون أين تختبئ؟».

هزّ يوشيكاوا رأسه: «حتى الآن لا يعرفون، ولذلك بقيت هنا أرصد تنغو كاوانا. لو كنت قد توصلت إلى مكان اختباء أَوْمَامِه، لكنت قد نقلت عملياتي إلى مكان اختبائها منذ مدة».

قال تامارو: «كلامك منطقي. بالمناسبة، كيف اكتشفتَ الصلة بين أَوْمَامِه وتنغو كاوانا؟».

«بمجهودي».

«كيف ذلك؟».

«نظرتُ في ماضيها، من الألف إلى الياء. عدتُ إلى طفولتها حينما كانت في المدرسة الابتدائية في إتشيكاوا. وتنغو كاوانا هو

أيضاً من إتشيكاوا، لذلك تساءلت هل يمكن أن تربطهما صلة. ولمعرفة ذلك ذهبتُ إلى المدرسة الابتدائية، وتأكّدت من أنهما كانا في صف واحد لمدّة عامين».

دمدم تامارو بصوتٍ منخفض خرج من آخر حنجرته وكأنه قطة: «أفهم ذلك. يا لكَ من محقِّق عنيد، يا يوشيكاوا، يجب أن أعترف. لا بد أنك أنفقتَ وقتاً وجهداً. رائع».

لم يقُل يوشيكاوا شيئاً. لم يكن لديه سؤال.

قال تامارو: «كي أكرِّر سؤالي: في الوقت الحالي هل أنتَ الوحيد الذي يعرف بالعلاقة بين أَوْمَامِه وتنغو كاوانا؟».

«أنت تعرف بها».

«باستثنائي أنا. هؤلاء الذين تتواصل معهم».

أومأ يوشيكاوا: «أنا الوحيد الذي يعرف ذلك، نعم».

«هل أنت صادق؟».

«نعم».

«بالمناسبة، هل تعلم أنّ أَوْمَامِه حامل؟».

قال يوشيكاوا: «حامل؟» وقد أظهر الدهشة في صوته. «لمَن هذا الطفل؟».

لم يُجبه تامارو عن سؤاله. «ألا تعرف حقاً؟».

«لا، لم أكُن أعرف. صدّقني».

فكَّر تامارو بصمت في ردوده للحظة، ثم تحدث.

«حسناً. يبدو أنك لم تكن تعرف ذلك. سأصدِّقك. هناك موضوع آخر: كنت تحوم حول بيت الصفصاف في أزابو منذ مدة. هل هذا صحيح؟».

أومأ يوشيكاوا.

«لماذا؟».

«السيدة صاحبة البيت كانت تذهب إلى النادي الرياضي وكانت أَوْمَامِه هي مدرّبتها الشخصية. يبدو أنّ هناك علاقة شخصية وثيقة بينهما. وهذه السيدة خصَّصت أيضاً منزلاً آمناً للنساء المعنّفات داخل ممتلكاتها. الإجراءات الأمنية هناك كانت مشدّدة للغاية. وفي رأيي، كانت مشدَّدة أكثر ممّا ينبغي. لذلك افترضت أنّ أَوْمَامِه ربما تختبئ في هذا المنزل الآمن».

«وماذا حدث بعد ذلك؟».

«قرَّرتُ أن هذه ليست هي المشكلة. السيدة تمتلك الكثير من المال والسلطة. وإذا أرادَت إخفاء أَوْمَامِه، فلن تخبّئها بهذا القُرب الشديد منها. سوف تضعها في مكان ما بعيداً. ولذلك صرفتُ النظر عن قصر أزابو وحوَّلت اهتمامي إلى تنغو كاوانا».

دمدم تامارو بصوت منخفض مرة أخرى: «لديك حدس ممتاز. كما أنك منطقي للغاية، ناهيك عن أنك صبور. من الخسارة أن تكون مجرّد مرسال. هل كنت دائماً تمارس هذا النوع من العمل؟».

قال يوشيكاوا: «كنت محامياً».

«أفهم ذلك. لا بد أنك كنت جيداً للغاية. ولكني أتصور أنك انجرفت بعيداً، وأخفقت في أعمال، فسقطتَ أرضاً. تكاليف الحياة أصبحت باهظة الآن، وأنت تعمل بلا مقابل تقريباً كمرسال لهذه الجماعة الدينية الجديدة. ألستُ على صواب في ذلك؟».

أومأ يوشيكاوا: «نعم، هذا يلخِّص الوضع».

قال تامارو: «لا يمكنك أن تفعل شيئاً بإزاء ذلك. بالنسبة إلى الأشخاص المارقين من أمثالنا، ليس من السهل أن تعيش حياة يومية طبيعية. قد يبدو أننا نسير بشكلٍ جيد لمدّة من الوقت، ولكن بعد ذلك

سوف نتعثّر حتماً. هذه هي الطريقة التي يعمل بها العالم». طرقع تامارو مفاصله، فأصدرت صوتاً حاداً يُنذر بالسوء. «إذاً ساكي جاكه لديهم علم ببيت الصفصاف؟».

أجاب يوشيكاوا صادقاً: «لم أخبر أحداً. حينما توقّعت أن هناك شيئاً مريباً في البيت، كان ذلك مجرّد تخمين لا أكثر. كان الأمن مشدّداً للغاية ولم أستطِعْ التحقق».

قال تامارو: «حسناً».

«أنت أحد المسؤولين عن الأمن، أليس كذلك؟».

لم يُجبه تامارو.

قال تامارو: «لقد صدقتَ حتى الآن في أجوبتك. بشكل عام، على الأقل. حينما تغرق في قاع البحر، سوف تفقد القدرة على الكذب. إذا حاولت الكذب الآن، فسوف يظهر ذلك في صوتك. هذا ما سوف يصنعه الخوف بك».

قال يوشيكاوا: «لستُ أكذب».

قال تامارو: «يُسعدني سماع ذلك. لا أحد يرغب في المزيد من الألم. بالمناسبة، هل سمعتَ عن كارل يونغ؟».

قطب يوشيكاوا وجهه وهو معصوب العينين بشكلٍ غريزي وفكر: «كارل يونغ؟ ماذا يريد أن يقول هذا الرجل؟».

«كارل يونغ الطبيب النفسي؟».

«بالضبط».

قال يوشيكاوا بحذر: «لا أعرف عنه سوى القليل. ولد في سويسرا في نهاية القرن التاسع عشر. كان تلميذاً لفرويد، ولكنه اختلف معه. إنه صاحب مصطلح «اللاشعور الجمعي»، هذا هو كلّ ما أعرفه عنه».

قال تامارو «هذا يكفي وزيادة».

انتظر يوشيكاوا منه أن يتابع.

قال تامارو «كان كارل يونغ يمتلك منزلاً جميلاً في منطقة هادئة على ضفاف بحيرة زيورخ، وكان يعيش حياة مترفة مع عائلته. لكنه كان بحاجة إلى مكان يمكنه أن يكون فيه وحده حتى يتأمّل في المسائل المهمة. وجد قطعة أرض صغيرة تقع على جانب من البحيرة في منطقة تسمى بولينجن وشيّد فوقها بيتاً صغيراً. لم يكن فيلا أو أيّ شيء فخم. رصّ بنفسه الحجارة حجراً فوق آخر حتى شيّد منزلاً دائرياً له سقف عالٍ. كان يأتي بالحجارة من محجر قريب. في تلك الأيام في سويسرا كان عليكَ أن تحصل على رخصة بناء بالحجارة حتى يمكنك أن تبني أيّ شيء من الحجر، لذلك تجشّم يونغ عناء استخراج هذه الرخصة. بل لقد انضم إلى اتحاد البنائين بالحجارة. كان بناء البيت، وعمل ذلك بيديه، أمراً بالغ الأهمية بالنسبة له. كما يبدو أن وفاة والدته كانت عاملاً مهماً دفعه إلى بناء هذا المنزل».

توقف تامارو برهة.

«سُمّي هذا المنزل «البرج». صمّمه بحيث يشبه أكواخ القرية التي رآها في رحلته إلى أفريقيا. كان من داخله يضمّ مساحة كبيرة مفتوحة يعمل فيها كلّ شيء. كان مسكناً بسيطاً للغاية. رأى أنّ هذا هو كلّ ما يحتاجه المرء للعيش. لم يكن بالمنزل كهرباء أو غاز أو مياه جارية. كان يحصل على المياه من الجبال القريبة. لكنه اكتشف لاحقاً أنّ هذا البيت كان مجرَّد نموذج أولي لا أكثر. مع مرور الوقت، وجد أنه من الضروري تقسيم المنزل من الداخل وبناء طابق ثاني، وبعد ذلك ألحقَ به عدّة أجنحة. رسم بنفسه لوحات على الحائط. كانت اللوحات تشير إلى التطوّر والانفصال في الشعور الفردي. كان البيت كله يشبه ماندالا

ثلاثية الأبعاد. استغرق بناء المنزل بأكمله اثنتي عشرة سنة. وبالنسبة إلى الباحثين المهتمين بكارل يونغ، فإنه مبنى مثير للاهتمام. هل سمعتَ عن ذلك من قبل؟».

هزّ يوشيكاوا رأسه.

«لا يزال المنزل موجوداً على ضفاف البحيرة في زيورخ. أحفاد يونغ هم المسؤولون عنه. ولكنه للأسف ليس مفتوحاً للجمهور، لذلك لا يمكن لأحدٍ أن يراه من الداخل. ولكن بعض الشائعات تقول إنّ هناك حجراً عند المدخل الأصلي للبرج نقش عليه يونغ بعض الكلمات بيده: 'في البرد وفي غير البرد، الإله موجود'. هذا ما نقشَه على الحجر بنفسه».

توقف تامارو مرة أخرى.

قال بهدوء، منغماً كلامه مرة أخرى: «في البرد وفي غير البرد، الإله موجود».

«هل تعرف ماذا يعني ذلك؟».

هزّ يوشيكاوا رأسه. «لا، لا أدري».

«أستطيع أن أتخيّل. أنا نفسي لست متأكداً ممّا تعنيه. هناك تلميح عميق، شيء يصعب تفسيره. ولكن فكِّر في الأمر كما يلي: في هذا البيت الذي بناه كارل يونغ، ووضع الحجر بيديه، عند المدخل، وجد أن عليه أن ينقش بالإزميل هذه الكلمات بيديه. لا أدري لماذا، ولكني قد انجذبتُ إلى هذه الكلمات منذ مدة طويلة. أجد صعوبة في فهمها، ولكن هذه الصعوبة تجعلها أكثر عُمقاً. لا أعرف الكثير عن الرّب. لقد نشأت في ملجأ أيتام كاثوليكي وتعرّضت هناك لتجارب بشعة، ولذلك لم يتكوّن لدي انطباعٌ حسن عن الرّب. كانت أجواء

الملجأ دائماً باردة، حتى في الصيف. فهي إمّا شديدة البرودة أو باردة للغاية. هذا أو ذاك. إذا كان هناك إلهٌ، فلا يمكنني القول إنه عاملني بإحسان. لكن رغم كلّ ذلك، فإن كلمات يونغ هذه تتسرّب إلى حنايا روحي. وأحياناً أجدني أغمض عينيّ وأقوم بترديدها، فتُحدث داخلي سكينة غريبة. «في البرد وفي غير البرد، الإله موجود». المعذرة، ولكن هل يمكنك أن تقول ذلك بصوتٍ عال؟».

«في البرد وفي غير البرد، الإله موجود»، ردّد يوشيكاوا بصوت متهدِّج، دون أن يدري فعلاً ما الذي يقوله.

«لا أستطيع سماعك جيداً».

«في البرد وفي غير البرد، الإله موجود». في هذه المرة قالها يوشيكاوا بأعلى قدرٍ لديه من الوضوح.

أغمض تامارو عينيه، وهو مستمتعٌ بوَقْع هذه الكلمات. في النهاية، وكما لو أنه قد حزم أمره، أخذَ نفساً عميقاً ثم أخرجه. فتح عينيه ونظر في يديه. كان يرتدي قفازاً من المطّاط حتى لا يترك وراءه أيّ بصمات.

قال تامارو: «يؤسفني ذلك». كانت نبرة صوته جادّة. أخرج كيس البلاستيك مرة أخرى، ووضعه على رأس يوشيكاوا، ولفّ الشريط السميك المصنوع من المطاط حول رقبته. كانت حركته سريعة وحاسمة. كادَ يوشيكاوا أن يعترض، ولكن كلماته لم تخرج، ولم تبلغ آذان أحد. فكر يوشيكاوا وهو داخل كيس البلاستيك. لماذا يفعل ذلك؟ أخبرته بكلّ ما أعرف. لماذا عليه إذاً أن يقتلني؟

في رأسه، التي كانت على وشك الانفجار، راح يفكّر في بيته الصغير في تشورينكان، وفي ابنتيه الصغيرتين. وفي كلب كان لديهم. كان كلباً ضئيلاً وقصيراً لم يحبه يوشيكاوا قطّ. وكذلك لم يحبّه

الكلب. لم يكن كلباً شديد الذكاء، وكان لا يكفّ عن النباح. كان يمضغ السجاد ويبول على الأرضيات الجديدة في المدخل. كان يختلف تماماً عن ذاك الكلب الهجين الذكي الذي كان لديه وهو طفل. ومع ذلك، كانت آخر الأفكار التي دارت برأس يوشيكاوا في هذه الحياة هي عن ذلك الكلب الصغير السخيف وهو يركض حول الحديقة في الباحة الخلفية للمنزل.

كان تامارو يشاهد يوشيكاوا، وقد تكوَّر جسمه بشدّة، وراح يتلوى ألماً على حصيرة التاتامي وكأنه سمكة ضخمة أُخرِجَت من الماء. كانت ذراعا يوشيكاوا وساقاه مقيدين، ولذلك مهما قاوَم، لم يكن لأحد من الجيران أن يسمع أيّ شيء. كان تامارو يُدرك جيداً مدى بشاعة هذه الميتة. ولكنها كانت الطريقة الأكثر كفاءة والأنظف لقتل شخص ما. لا صريخ، ولا دماء. كان تامارو ينظر إلى العقرب الثاني في ساعته. بعد ثلاث دقائق لم يعُد يوشيكاوا يتلوى. اعترَت جسده رجفة خفيفة، وكأنه يستجيب لشيء ما، ثم توقّفت الرجفة. نظر تامارو في ساعة يده ثلاث دقائق أخرى. أمسكَ بمعصم يوشيكاوا متحسِّساً نبضه وتأكَّد من أن جميع علامات الحياة قد تلاشت. خرجت دفقة ضعيفة من البول. كان يوشيكاوا قد فقدَ السيطرة على مثانته مرة أخرى، وفي هذه المرة أفرَغَها تماماً. وهو أمر يمكن تفهّمه، بالنظر إلى مقدار المعاناة التي تعرَّض لها.

أزال تامارو الشريط المطاطي ونزع عنه كيس البلاستيك. كان فمه قد امتصّ جزءاً من الكيس. وكانت عينا يوشيكاوا جاحظتين، وفمه مفتوحاً وملتوياً إلى جنب وهو ميت. ظهرت أسنانه المتّسخة وغير المنتظمة، وبرز لسانه بطحلبه الأخضر. كان تعبيراً من ذلك النوع الذي قد يرسمه مضغ الطعام بصوتٍ عالٍ على الوجه. أما رأس

يوشيكاوا الذي كان منبعجاً بطبيعته فقد زادت اعوجاجاً. أصبحت أكثر افتقاراً للتناسق. لا بد أنه قد عانى معاناة رهيبة.

قال تامارو: «يؤسفني ذلك. لم أفعل ما فعلت لأنني أريده».

استخدم تامارو أصابعه لإرخاء عضلات وجه يوشيكاوا، وضبط وضعية الفك حتى جعل وجهه مقبولاً. استخدمَ منشفة مطبخ لمسح اللعاب الذي سال من فم يوشيكاوا. استغرق في ذلك بعض الوقت، ولكن وجهه بدأ يبدو أفضل قليلاً. على الأقل لن يشيح أحد بوجهه حينما ينظر إليه. ولكنه لم يستطعْ، ومهما حاول، أن يغمض عيني يوشيكاوا.

قال تامارو بهدوء وهو يحدِّق في هذا الرأس الكبير والمنبعج: «لقد أجاد شكسبير الوصف حينما قال شيئاً من قبيل: إذا متنا اليوم، فليس علينا أن نموت غداً. لذلك دعونا نتطلّع لما هو أفضل في كلّ واحد منا».

هل قال ذلك في مسرحية هنري الرابع؟ أو ربما ريتشارد الثالث؟ لم يستطعْ تامارو أن يتذكر. لكن ذلك لا يهمّ بالنسبة له، كما أنه كان يشكّ في أن يوشيكاوا يرغب في معرفة المصدر الدقيق. ففكّ تامارو ذراعيه وساقيه. كان قد استخدم حبلاً ناعماً، يشبه المنشفة، حينما ربطه بطريقة لا تترك أيّ أثر. أخذ الحبل، وكيس البلاستيك، والشريط المطاطي المتين ووضعها في كيس من البلاستيك جلبه معه لهذا الغرض. فتّش في متعلقات يوشيكاوا وجمع كلّ الصور التي التقطها. وضع الكاميرا والحامل الثلاثي في الكيس كذلك. إذا عُرف أنّ يوشيكاوا كان يقوم بعملية مراقبة، فسوف يُثير ذلك العديد من الأسئلة. سوف يتساءل الناس عمّن كان يراقب، وهناك احتمال قوي أن يطفو اسم تنغو كاوانا على السطح في ذلك الحين. أخذ أيضاً دفتر

ملاحظات يوشيكاوا، وكان يمتلئ بالملاحظات والتفاصيل. كان حريصاً على أخذ أيّ شيء ذي أهمية. لم يترك وراءه سوى المنامة وأدوات الطعام وبعض الملابس الإضافية، وجثة يوشيكاوا التي تبعث على الشفقة. وفي النهاية، أخذ تامارو إحدى البطاقات التعريفية الخاصة بعمل يوشيكاوا، تلك التي تقول إنه مدير بدوام كامل في مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون، ووضعَها في جيبه.

قال تامارو مرة أخرى وهو يغادر: «يؤسفني ذلك جداً».

دخل تامارو إلى كشكٍ لهاتف عمومي بالقرب من المحطة، وأدخل بطاقة هاتف في الفتحة، ثم طلب الرقم الذي أعطاه له يوشيكاوا. كان الرقم محلياً في طوكيو، إقليم شيبويا. رنّ الهاتف ست مرات قبل أن يردّ عليه أحد.

تجاوز تامارو المقدّمات وأبلغه عنوان الشقة ورقمها في كوينجي.

وسأله: «هل سجّلته؟».

«هل يمكنك أن تُعيده مرة أخرى؟».

أعاده عليه تامارو. وسجّله الرجل وقرأه مرة أخرى.

قال تامارو: «يوشيكاوا موجود هناك. هل تعرف يوشيكاوا؟».

«يوشيكاوا».

تجاهل تامارو ما قاله الرجل وتابع كلامه: «يوشيكاوا هناك، وهو لسوء الحظ لم يعُد يتنفس. لا يبدو أنها وفاة طبيعية. توجد العديد من البطاقات التعريفية التي كُتب عليها مدير بدوام كامل، مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون التي يضعها في حافظة البطاقات. إذا وجدت الشرطة هذه البطاقات، فسوف

يكتشفون في النهاية صلته بكُم. وهذا حسبما أتخيّل ليس في مصلحتكم. الأفضل أن تتخلّصوا من كلّ شيء في أسرع وقت ممكن. وهذا هو ما تجيدون عمله».

سأله الرجل: «مَن أنت؟».

قال تامارو: «دعنا نقل إنني مخبرٌ من نوعٍ ما. أنا لست مغرماً بالشرطة. مثلك تماماً».

«أليست وفاة طبيعية؟».

«حسناً، لم يمُت بسبب الشيخوخة، أو بطريقة مريحة».

سكت الرجل للحظة. «وماذا كان يفعل هذا المدعو يوشيكاوا هناك؟».

«لا أدري. عليكَ أن تسأله عن التفاصيل، وهو، كما أوضحت، ليس في وضعية تسمح له بالردّ».

توقّف الرجل الموجود في الطرف الآخر من الخط للحظات ثم قال: «هل أنتَ على صلة بالمرأة التي جاءت إلى فندق أوكورا؟».

«ليس هذا بالسؤال الذي يمكن أن تنتظر إجابته».

«أنا أحد الشخصين اللذين التقياها. أخبِرْها بذلك وسوف تفهم. لديّ رسالة لها».

«أنا أستمعُ لكَ».

قال الرجل: «نحن لا ننوي إيذاءها».

«ما أفهمه هو أنكم تبذلون قصارى جهدكم كي تتعقّبوها».

«صحيح. إننا نحاول أن نعرف مكانها منذ مدة».

قال تامارو: «لكنك تقول لي إنكم لا تنوون إيذاءها. كيف يكون ذلك؟».

سادَ صمتٌ قصير قبل الردّ.

«في لحظة ما تغيّر الوضع. لقد حزن الجميع حزناً شديداً لوفاة الزعيم. ولكن ذلك انتهى الآن. فالزعيم كان مريضاً، وبمعنى من المعاني، كان يأمَل في نهاية لمعاناته. لذلك نحن لم نعُد ننوي ملاحقة أَوْمَامِه أكثر من ذلك بخصوص هذه المسألة. بدلاً من ذلك، فإننا نودّ فقط أن نتحدث معها».

«عمّ تتحدثون؟».

«في الموضوعات التي تهمّنا نحن وهي».

«هذا هو ما تريدونه أنتم وحسب. ربما تكونون بحاجة إلى الحديث معها، ولكن ربما هي نفسها لا تريد ذلك».

قال: «يجب أن يكون هناك مجال للنقاش. لدينا ما يمكن أن نقدِّمه لها. الحرية، مثلاً، والسلامة. المعرفة والمعلومات. ألا يمكن أن نجد مكاناً محايداً لمناقشة هذه الأشياء؟ اخترْ المكان. سوف نذهب إلى أيّ مكان تحدّده. وأنا أضمن سلامتها، مئة في المئة، وليست هي وحدها، ولكن سلامة جميع الذين شاركوها. ليس عليها أن تهرب أكثر من ذلك. أعتقد أن ذلك طلبٌ معقول لكلا الطرفين».

قال تامارو: «هذا هو ما تقوله. لكن لا يوجد ما يجعلني أثق بك».

قال الرجل بتفهّم: «على أيّ حال، سأكون ممتناً لو أبلغت أَوْمَامِه. الوقت من ذهب، ونحن ما زلنا مستعدين لأن نلتقيكم في منتصف الطريق. إذا كنتم بحاجة إلى دليل آخر على مصداقيتنا، فسوف نقدّمه. يمكنك الاتصال هنا في أيّ وقت والتحدّث معنا».

«هل يمكنك أن تقدِّم لي بعض التفاصيل. ما الذي يجعلها مهمّة إلى هذا الحدّ لديكم؟ ماذا جرى كي يحدث هذا التحوّل؟».

أخذَ الرجل نَفَساً قصيراً قبل أن يردّ: «يجب علينا أن نواصل

الاستماع إلى الأصوات. وهي بالنسبة لنا مثل بئر بلا قرار. ولا يمكننا أن نفقدها مهما جرى. هذا هو كلّ ما أستطيع قوله لك في هذا الوقت».

«وتحتاج إلى أَوْمَامِه كي تحافظ على هذه البئر».

«هذا أمر يصعب شرحه. لكنهما مرتبطان، وهذا هو كلّ ما أستطيع قوله».

«ماذا عن إريكو فوكادا؟ هل تحتاج إليها الآن؟».

«لا، لم نعُد بحاجة إليها. لا يهمنا الآن أين هي، أو ماذا تفعل. مهمّتها انتهت».

«أي مهمة؟».

قال الرجل بعد صمت: «هذه مسائل حسّاسة. أنا آسف، ولكني لا أستطيع حالياً الكشف عن أيّ شيء أكثر من ذلك».

قال تامارو «أقترح عليكم أن تدقّقوا النظر في موقفكم. في هذه المباراة التي نلعبها، ضربة البداية لي. يمكننا الاتصال بكم في أيّ وقت نريد، ولكنكم لا تستطيعون ذلك. أنتم لا تعرفون حتى مَن نحن. أليس كذلك؟».

«معك حقّ. لديكم هذه الميزة. نحن لا نعرف مَن أنتم. ولكن ليس هذا بالشيء الذي نتحدث فيه عبر الهاتف. لقد تحدّثتُ بأكثر ممّا هو مسموحٌ لي بالفعل».

سكت تامارو لبعض الوقت وقال: «حسناً. سوف ننظر في اقتراحكم. علينا أن نتحدّث فيما بيننا أولاً. وسوف أتواصل معك على الأرجح في وقت لاحق».

قال الرجل: «سوف أنتظر مكالمتك. كما قلت من قبل، قد يكون ذلك في مصلحة الطرفين».

«ماذا لو تجاهَلنا اقتراحكم أو رفضناه؟».

«سوف يكون علينا أن نتصرف بطريقتنا. لدينا قدر معين من القوة، وللأسف، قد تنفلت الأمور وتصل إلى درجة العنف. وقد يتسبَّب ذلك في مشكلات للجميع. ومهما كنت، فلن تخرج من ذلك سالماً. ولا أرى أنّ ذلك يمكن أن يكون نتيجة مثالية لأيٍّ منا».

«قد تكون محقاً. ولكن الوصول إلى تلك النقطة ربما يستغرق وقتاً، وكما قلتَ، الوقت من ذهب».

سعلَ الرجل سعلة خفيفة: «ربما يستغرق وقتاً. ولكن ربما لن يكون وقتاً طويلاً».

«لن تعرف إلّا إذا جرّبت».

قال الرجل: «بالضبط. هناك شيء آخر مهمّ أودّ أن ألفت انتباهك إليه. وحتى أستعير كلامك، في هذه المباراة ضربة البداية لك. ولكن لا يبدو لي أنك على دراية بالقواعد الأساسية للعبة».

«هذا شيء آخر لا يمكنكَ أن تعرفه إلّا إذا حاولتَه بالفعل».

«إذا كنت تحاول ذلك ولا تنجح، فهذا عار».

قال تامارو: «بالنسبة إلى كلّ منا».

ساد صمتٌ قصير وموحٍ.

تساءل تامارو: «كيف تنوي التصرّف مع يوشيكاوا؟».

«سوف نهتم بأمره في أقرب وقت ممكن. الليلة».

«الشقة مفتوحة».

قال الرجل: «نشكركَ بشدّة».

«بالمناسبة، هل ستحزنون حزناً شديداً لوفاة يوشيكاوا؟».

«نحن نحزن بشدّة لوفاة أيّ أحد».

«يجب أن تحزنوا عليه. كان بارعاً وقديراً بطريقته الخاصة».

وأضاف: «لكن ليس قديراً بما يكفي. هل هذا ما تقوله؟».

«لا يوجد مَن تكفيه قدرته كي يعيش للأبد».

قال الرجل: «هذا رأيك إذاً».

«نعم، هذا رأيي. ألا تظن ذلك أيضاً؟».

قال الرجل، دون أن يُجيب عن سؤاله، بصوت جامد: «سوف أنتظر مكالمتك».

وضع تامارو سماعة الهاتف في صمت. لم تكن ثمة حاجة إلى المزيد من الكلام. إذا أراد أن يتحدّث أكثر من ذلك، فسوف يتّصل بهم. غادر كشك الهاتف ومضى إلى حيث يوقف سيارته، وكانت عربة قديمة من طراز تويوتا كورولا ذات لون أزرق غامق، ولا توجد بها أيّ علامات مميزة. قادَها لمدة 15 دقيقة، ثم أوقفها قرب حديقة خالية، وتأكَّد من أنه لا يوجد أحد يراقبه، ثم قذف بكيس البلاستيك وبه الحبل والشريط المطاطي في علبة قمامة. ومعهم القفاز الطبي.

قال تامارو بصوت خفيض حينما قام بتشغيل محرّك السيارة ووضع حزام الأمان: «إنهم يحزنون بشدّة لوفاة أي أحد». وراح يفكر، حسناً - هذا هو المهم. يجب أن نحزن لوفاة أيّ شخص. حتى ولو لمدة قصيرة.

الفصل السادس والعشرون

أَوْمَامِه

يا لها من رومانسية

رنّ الهاتف مباشرة بعد انتصاف نهار الثلاثاء. كانت أَوْمَامِه تجلس على حصيرة اليوغا، بساقين منفرجتين، وتقوم بتمديد عضلاتها الحرقفية. كان تمريناً أشقّ ممّا يوحي به ظاهره. بدأ قميصها ينضح بعرق خفيف. توقفت، ومسحت وجهها بمنشفة، ثم ردّت على الهاتف.

جاءها صوت تامارو كدأبه متغاضياً عن أيّ نوع من التحيّات:

«الرأس المفلطح لم يعُد موجوداً في تلك الشقة».

«ليس هناك الآن؟».

«لا ليس هناك. استطعتُ إقناعه».

«استطعتَ إقناعه»، أعادت أَوْمَامِه عبارته. تخيّلت أَوْمَامِه أنّ تامارو يعني بذلك أنه قد استطاع بطريقة ما أن يتخلص من الرأس المفلطح بالقوة.

«والشخص المدعو كاوانا الذي يعيش في هذا المبنى هو تنغو كاوانا الذي تبحثين عنه».

اتّسع العالم من حول أَوْمَامِه ثم ضاق، وكأنه قلبها.

سألها تامارو: «هل تسمعين؟».

«نعم».

«لكن تنغو كاوانا ليس في شقته الآن. لقد غادرها منذ بضعة أيام».

«هل هو بخير؟».

«إنه ليس في طوكيو الآن، لكنه بخير بكلّ تأكيد. استأجر الرأس المفلطح شقة في المبنى الذي يسكنه تنغو، وكان ينتظر قدومكِ إلى هناك لرؤية تنغو. كان يثبّت كاميرا مخبّأة يرصد بها مدخل المبنى».

«هل التقطَ لي أيّ صور؟».

«التقط لكِ ثلاث صور. كانت ليلاً، وكنت تلبسين قبعة ونظارة وتتلفعين بوشاح، لذلك يتعذّر التعرف على تفاصيل وجهك في الصور. لكنها أنتِ. لو كنت قد ذهبت إلى هناك مرة أخرى، لتعقّدت الأمور».

«إذاً لقد اخترتُ الصواب حينما تركت لك الأمر برمّته؟».

«إذا كان لنا أن نتحدّث عن صواب وخطأ هنا».

قالت أَوْمَامِه: «المهم أنه لم يعُد مصدر قلق لي».

«لن يأتيكِ أيّ ضرر منه بعد الآن».

«لأنكَ استطعتَ إقناعه».

قال تامارو: «كان عليّ أن أقوم بتسوية بعض الأمور في أثناء كلامنا، ولكن في النهاية نعم. حصلتُ على جميع الصور. كانت غاية الرأس المفلطح أن ينتظركِ حتى تظهرين وكان تنغو مجرّد طُعم يستخدمه كي يُمسكَ بك. لذلك لا أظن أنّ لديهم الآن أي سبب يدفعهم لإيذاء تنغو. إنه بخير».

قالت أَوْمَامِه: «هذا أمر مطمئن».

«تنغو يقوم بتدريس الرياضيات في مدرسة تأهيلية في يويوجي. وهو على ما يبدو معلّم ممتاز، لكنه لا يعمل إلّا بضعة أيام في الأسبوع، ولذلك لا يجني مالاً كثيراً. إنه لا يزال أعزب، ويعيش حياة بسيطة في تلك الشقة المتواضعة».

عندما أغمضت أَوْمَامِه عينيها كان بوسعها أن تسمع دقّات قلبها في أذنيها. بدا أن الحدّ الفاصل بين ذاتها والعالم قد زال.

«وهو إلى جانب تدريس الرياضيات في المدرسة، يكتب رواية. رواية طويلة. كانت كتابته **للشرنقة الهوائية** مجرّد عمل جانبي. لديه طموحاته الأدبية الخاصة، وهو أمر طيب. أن يمتلك المرء قدراً معيناً من الطموح يعينه على النمو».

«كيف اكتشفتَ كلّ ذلك؟».

«إنه غير موجود في الشقة الآن، وقد سمحتُ لنفسي بالدخول إليها. كانت مُقفلة، ولكن ليس بما يمكن أن أعتبره قفلاً. أشعر بالأسف لأنني انتهكتُ خصوصياته، ولكن كان عليّ أن أتحرى. إنه يعيش بمفرده، ومع ذلك يحافظ على نظافة شقته. حتى إنه ينظف موقد الغاز. ثلاجته نظيفة للغاية من داخلها، لا يوجد بها كرنب عطن أو أيّ شيء مدسوس في آخرها. ويقوم أيضاً بكيّ بعض ملابسه. لن يكون شريك حياة سيئ بالنسبة إليكِ. أقصد، ما دام أنه ليس مثليّ الجنس».

«وماذا اكتشفتَ غير ذلك؟».

«لقد اتصلتُ بالمدرسة وسألتُ عن جدول محاضراته. أخبرتني الموظّفة التي ردّت على الهاتف أنّ والد تنغو توفي في وقت متأخر من

ليلة الأحد في مستشفى بمحافظة تشيبا. واضطرّ إلى مغادرة طوكيو للمشاركة في الجنازة، وألغيت محاضراته ليوم الاثنين. لم تكن تعرف متى أو أين ستُقام الجنازة. محاضرته القادمة يوم الخميس، ويبدو أنه سوف يعود في ذلك الحين».

تذكرت أَوْمَامِه أنّ والد تنغو كان يعمل محصِّلاً للاشتراكات في شركة 'إن إتش كيه'. وأن تنغو كان يرافق والده في أيام الآحاد في جولات تحصيل رسوم الاشتراكات. وقد تقاطعت سُبُلهما عدّة مرات في شوارع إتشيكاوا. لم تستطِعْ أن تتذكر ملامح والده بشكلٍ جيد. لكنه كان نحيفاً وضئيل الجسم ويرتدي الزي الرسمي لمحصلي الاشتراكات. ولم يكن يشبه تنغو في أي شيء.

«بما أن الرأس المفلطح لم يعُد له أيّ وجود، هل يوجد خطر في الذهاب إلى هناك ومقابلة تنغو؟».

سارع تامارو بالردّ: «لا يُستحسن ذلك. استطعتُ إقناع الرأس المفلطح، ولكن لا يزال عليّ التواصل مع ساكي جاكه كي أطلب منهم إتمام آخر مهمة. لا يزال هناك شيء واحد لا أريد له أن يقع في أيدي الشرطة. إذا تمّ اكتشافه، فإنّ سكان المبنى سوف يدقّقون في التفاصيل، وقد يتورّط صديقك في ذلك أيضاً. سيكون من الصعب أن أُواري كلّ شيء بنفسي. إذا ضبطتني الشرطة وأنا أُخرج هذا الشيء في منتصف الليل وتمّ استجوابي، فلا أدري ماذا سأقول. أما ساكي جاكه فلديهم أتباع وموارد، وهذا شيء اعتادوه. ولا بدّ أنهم فعلوه من قبل مع شيء شبيه حينما نقلوه من فندق أوكورا. هل تفهمين ما أقصد؟».

كانت أَوْمَامِه تترجم في عقلها تعبيرات تامارو إلى مفردات أوضح. «إذاً هذا الإقناع قد أخذ شكلاً خشناً نوعاً ما، حسبما أرى».

نخر تامارو نخيراً خفيفاً. «أشعرُ بالضيق لذلك، ولكن هذا الرجل كان يعرف أكثر ممّا في مصلحته».

«هل كان ساكي جاكه على علم بما يفعله الرأس المفلطح في تلك الشقة؟».

«كان يعمل لحسابهم، ولكنه في هذه الجزئية كان يتصرّف من تلقاء نفسه. ولم يكُن قد أطلع رؤساءه بعد على ما كان يفعله. لحسن حظّنا».

«ولكنهم الآن سوف يعرفون أنه كان يوشك أن يحقّق شيئاً».

«صحيح. ولذلك من الأفضل ألّا تقربي هذا المكان لفترة. لا بدّ أنّ اسم تنغو كاوانا وعنوانه سوف يظهر ضمن قائمة الاحتمالات. أستبعد أن يكونوا قد علموا الآن بعلاقتك الشخصية مع تنغو. ولكنهم حينما يبحثون عن سبب وجود الرأس المفلطح في تلك الشقة، فسوف يطفو اسم تنغو على السطح. إنها مسألة وقت ليس إلّا».

«إذا كنّا محظوظين، فسوف يستغرقون بعض الوقت حتى يكتشفوا هذه العلاقة. ربما لن يربطوا على الفور بين وفاة الرأس المفلطح وتنغو».

قال تامارو: «إذا كنا محظوظين. لو أنهم ليسوا بالدقة التي أحسب أنهم عليها. ولكني لا أُعوّل مطلقاً على الحظ. ولذلك نجوت كلّ هذه السنين».

«لذلك يجب ألّا أقرب هذا المبنى».

قال تامارو: «بالضبط. لقد نجونا بأعجوبة، ولا يمكن أن نكون أكثر حذراً».

«لا أدري إن كان الرأس المفلطح قد اكتشف أني أختبئ في هذه الشقة».

«لو أنه قد اكتشف ذلك، لكنتِ الآن في مكان لا يمكننا الوصول إليه».

«ولكنه اقترب بشدة».

«نعم. ولكنها كانت مجرد صدفة، لا أكثر».

«ولذلك جلس على الزلاقة هكذا مكشوفاً تماماً».

قال تامارو: «صحيح. لم يكُن يدري أنكِ ترصدينه. لم يتوقّع ذلك أبداً. وهذا كان خطأه المميت. هذا ما قلته، أليس كذلك؟ هناك خيط دقيق للغاية يفصل بين الحياة والموت؟».

مضت بضع ثوانٍ من الصمت. كان صمتاً ثقيلاً يجلبه موت الإنسان، أيّ إنسان.

«قد يكون الرأس المفلطح قد انتهى، ولكن الجماعة لا تزال تتعقّبني».

قال تامارو: «لا أستطيع الجزم بذلك. في البداية كانوا يريدون الإمساك بكِ لمعرفة الجهة التي تقف وراء مقتل زعيمهم. إنهم يدركون أنك لا تستطيعين أن تفعلي ذلك من تلقاء نفسك. كان واضحاً لديهم أنك تتلقين دعماً ما. لو كانوا قد أمسكوا بك، لأخضعوكِ لاستجواب قاسٍ».

«ولذلك فأنا بحاجة إلى مسدس».

قال تامارو: «الرأس المفلطح كان يدرك كلّ ذلك جيداً. كان يُدرك أنّ الجماعة تتعقبكِ كي تستجوبك وتعاقبكِ. ولكن بطريقة أو بأخرى طرأ تحوّل كبير على الموقف. بعد مغادرة الرأس المفلطح للمسرح، تحدّثت مع أحد أعضاء الجماعة. وقال إنهم لن يُلحقوا بكِ أيّ أذى. وطلب مني أن أوصل لك هذه الرسالة. قد يكون فخاً، لكنه

بدا بالنسبة لي صادقاً. قال إن الزعيم كان يرجو الموت بالفعل، وإنّ وفاته كانت نوعاً من تدمير الذات. لذلك لم يعودوا بحاجة إلى عقابكِ».

قالت أوْمَامِه بنبرة جافة: «إنه محقّ. كان الزعيم يعرف منذ البداية أنني ذاهبة إلى هناك لقتله. وأراد مني أن أقتله».

«لم تكشفك الإجراءات الأمنية، لكن الزعيم هو مَن فعل».

«صحيح. لا أعرف السبب، لكنه كان يعلم كلّ شيء مسبقاً. كان ينتظرني».

صمتَ تامارو لفترة، ثم قال: «وماذا جرى؟».

قالت: «أبرمنا اتفاقاً».

قال تامارو وقد ارتفع صوته قليلاً: «هذه هي أوّل مرة أسمع بذلك».

«لم تسنح الفرصة لإخبارِكَ».

«قولي لي أيّ صفقة تلك».

«قمت بتدليك عضلاته لنحو ساعة، وكان أثناء ذلك يتكلم. كانت لديه معرفة بتنغو. وعلى نحوٍ ما كان يعرف العلاقة التي تربطني بتنغو. طلب مني أن أقتله. كان يريد التحرّر من الألم الشديد الذي يشعر به. أخبرني أنني إذا منحته الموت، فسوف يُبقي على حياة تنغو. ولذلك حزمتُ أمري وقتلته. وحتى لو لم أقتله، فقد كان يوشك على الموت، وحينما كنت أفكر في الفظائع التي ارتكبها، كنت أجدني أميل أكثر للإبقاء عليه كي تستمرّ معاناته».

«لكنكِ لم تُبلغي السيدة بأيّ شيء عن هذه الصفقة».

قالت: «لقد ذهبت إلى هناك لقتل الزعيم، ونفّذت مهمتي. أما

حكايتي مع تنغو فهي مسألة شخصية».

قال تامارو وقد بدا أنه لم يقتنع تماماً: «حسناً. أنتِ بالتأكيد نفذت مهمّتك، لا شك في ذلك. أمّا مسألة تنغو كاوانا فهي بالفعل مسألة شخصية. ولكنك قبل ذلك أو بعده، أصبحتِ حاملاً؟ هذا ليس شيئاً يمكن تجاهله بسهولة».

«لا قبل ولا بعد. لقد حملت في تلك الليلة، ليلة العاصفة الرعدية الممطرة التي ضربت المدينة. في الليلة نفسها التي أنهيتُ فيها حياة الزعيم. كما قلت من قبل، من دون أيّ ممارسة جنسية».

تنهّد تامارو: «عندما أمعن التفكير في ذلك، فليس أمامي إلّا أن أصدّقك أو لا أصدقك، هذه أو تلك. لقد كنتِ دائماً جديرة بالثقة وأودّ أن أصدِّقكِ، ولكنني لا أستطيع فهم المنطق. مع العلم أني شخصياً لا أؤمن إلّا بالمنطق الاستدلالي».

صمتت أَوْمَامِه.

تابع تامارو: «هل توجد علاقة سببية بين قتل الزعيم وهذا الحمل الغامض؟».

«لا يمكنني فعلاً أن أقول ذلك».

«هل يمكن أن يكون الجنين الذي بداخلك هو طفل الزعيم؟ وأنه استطاع بطريقة ما، لا أدري ما هي، أن يجعلك تحملين؟ إذا صحّ ذلك، فيمكنني أن أفهم لماذا يحاولون الإمساك بك. إنهم بحاجة إلى خليفة للزعيم».

شدّت أَوْمَامِه قبضتها على الهاتف وهزّت رأسها. «هذا مستحيل. هذا هو طفل تنغو. وأنا واثقة من ذلك».

«وهذا شيء آخر يجب أن أصدّقك فيه أو لا أصدقك».

«ليس لدي أيّ تفسير أكثر من ذلك».

تنهد تامارو مرة أخرى: «حسناً. سوف أقبل بما تقولينه الآن - وبأنّ هذا الطفل هو لك ولتنغو، وأنك واثقة من ذلك. وإن كنتُ لا أرى منطقاً في ذلك. في البداية كانوا يريدون الإمساك بكِ حتى يُنزلوا بكِ أشدّ العقاب، ولكن في لحظة ما تغيَّر الأمر. وهم الآن بحاجة إليك. يقولون إنهم سوف يضمنون سلامتك، وأن لديهم ما يقدِّمونه لك، ويريدون مقابلتكِ لمناقشة ذلك مباشرة. ماذا جرى حتى يحدث هذا التحوّل المفاجئ؟».

قالت أَوْمَامِه: «إنهم ليسوا بحاجة إليّ. ولكنهم بحاجة إلى ما في بطني. في لحظة ما أدرَكوا ذلك».

قال أحد الناس الصغار من مكان ما: «هاها».

قال تامارو: «الأحداث تمضي بسرعة تتجاوز قدرتي على الفهم». نخر نخيراً خفيفاً من آخر حنجرته. «وما زلت لا أرى المنطق وراء ذلك».

قالت أَوْمَامِه في نفسها، حسناً، لقد تلاشى المنطق منذ ظهور القمرين. هذا هو ما نزع المنطق عن كلّ شيء. لم تقل ذلك بصوتٍ عالٍ.

انضم الناس الصغار الستة الآخرون: «هاها».

قال تامارو: «إنهم بحاجة إلى شخص يمكنه سماع الأصوات. لقد ألحّ الشخص الذي تحدَّثتُ معه عبر الهاتف على ذلك. إذا فقدوا الأصوات، فقد تكون هذه هي نهاية ديانتهم. ماذا يعني بسماع الأصوات، لا أدري. ولكن هذا هو ما قاله. هل هذا يعني أنّ الطفل الذي بداخلك هو الشخص الذي يسمع الأصوات؟».

تحسَّست أَوْمَامِه بطنها برفق. وقالت في نفسها، **مازا ودوهتا. لا يمكن أن يكون القمران قد سمعا عن ذلك.**

قالت أَوْمَامِه وهي تنتقي كلماتها بعناية: «لست متأكدة. لكنني لا أجد أيّ سبب آخر يجعلهم بحاجة إليّ».

«لكن لماذا يمتلك هذا الطفل هذه القدرات الخاصة؟».

قالت أَوْمَامِه: «لا أدري». وقالت في نفسها، **في مقابل حياته، ربما عهِد لي الزعيم بخليفته. ربما كي يحقّق ذلك، في ليلة العاصفة، ربما فتح مؤقتاً بعض الدوائر التي يتقاطع فيها العالمان، واستطاع أن يَجمعني مع تنغو.**

تابع تامارو: «بغض النظر عمّن هو والد هذا الطفل، أو ما هي القدرات التي ربما يمتلكها هذا الطفل أو لا يمتلكها حينما يولد، فأنتِ لا تنوين التفاوض مع هذه الجماعة، هل هذا صحيح؟ وأنك لا يهمّك ما سيعرضونه عليك في المقابل. حتى لو حلّوا لك جميع الألغاز التي تحيِّرك».

قالت أَوْمَامِه: «لن أفعل ذلك أبداً».

«بالرغم من حسن نواياك، فقد يأخذون ما يريدونه بالقوة. وبأيّ وسيلة ممكنة. وفوق ذلك، لديك نقطة ضعف: تنغو كاوانا. قد يكون نقطة ضعفكِ الوحيدة، ولكنها نقطة ضعف كبيرة. حينما يكتشفونها، سوف يكثّفون هجومهم عليها».

كان تامارو محقاً. فقد كان تنغو هو السبب الذي يجعلها تتمسّك بالحياة، وهو أيضاً بمثابة عَقِب أخيل لديها.

تابع تامارو: «هناك خطورة كبيرة في بقائك هناك مدّة أطول. يجب عليكِ الانتقال إلى مكان آمنٍ قبل أن يتبيّنوا الصلة بينك وبين تنغو».

قالت: «ليس هناك مكان آمن في هذا العالم».

تفكّر تامارو في قولها، وقال بهدوء: «أخبريني بما تفكرين فيه».

«أولاً، يجب أن أرى تنغو. وإلى أن يحدث ذلك، لا يمكنني مغادرة هذا المكان. مهما كان الخطر».

«وماذا سوف تفعلين حينما ترينه؟».

«أنا أعرف ما يجب عليّ فعله عندئذٍ».

صمت تامارو للحظة. «هل أنتِ واثقة من ذلك؟».

«لا أدري إن كنتُ سأنجح أو لا، ولكني أعرف ما يجب عليّ فعله. ونعم، أنا واثقة من ذلك».

«لكنك لا تنوين أن تخبريني بما ستفعلين».

«اعذرني، ولكني لا أستطيع. إذا أخبرتُ أيّ أحد بذلك، في هذه اللحظة، فسوف ينكشف الأمر للعالم بأسره».

كان القمران يُصغيان باهتمام. وكذلك كان الناس الصغار. وهذه الغرفة التي توجد داخلها. لم يكُن يمكنها أن تُفصح عمّا في مكنونها. كان عليها أن تُحيط قلبها بجدارٍ سميك حتى لا يتسرّب منه أي شيء.

على الطرف الآخر من المكالمة كان تامارو ينقر بقلمِ حبرٍ على سطح مكتب. كان بوسع أَوْمَامِه أن تسمع الصوت الجافّ والإيقاعي. كان صوتاً منفرداً لا يصاحبه أي صدى.

«حسناً، دعينا نتواصل مع تنغو كاوانا. ولكن قبل ذلك، يجب أن توافق السيدة أولاً. المهمة التي كُلِّفت بها هي أن أنقلكِ، في أقرب وقت، إلى مكان آخر. ولكنك قلت إنك لا تستطيعين ترك هذا المكان حتى ترين تنغو. لن يكون سهلاً أن أفسّر لها ذلك. تفهمين ما أقصد، أليس كذلك؟».

«من الصعب جداً أن تفسِّر اللامنطق بالمنطق».

«بالضبط. مثلما يصعب العثور على لؤلؤ حقيقي في حانة 'محارة روبونجي'. ولكني سأبذل جهدي».

قالت أوْمَامِه: «أشكركَ».

«لا يمكنني أن أفهم السبب وراء إصرارك، مهما فكرت. ومع ذلك، وكلما تحدّثت معك، زاد شعوري بأني قد أقبَل برأيك. ولا أدري لماذا».

بقيت أوْمَامِه على صمتها.

قال تامارو: «السيدة تثقُ بكِ وتؤمن بك، وما دمتِ تصرّين على ذلك بشدّة، فلا أتصوّرها تمنعك من رؤية تنغو. يبدو أن هناك رباط قويّ يجمعك مع تنغو».

قالت: «أقوى من أيّ شيء في العالم».

أعادت الكلام في نفسها، **أقوى من أيّ شيء في العالم**.

«حتى لو كنت قلت لك إنّ ذهابك إلى الشقة سوف يعرِّضك للخطر ورفضتُ الاتصال بتنغو، هل كنت ستذهبين لرؤيته رغم ذلك؟».

«كنت سأذهب إليه قطعاً».

«ولا يمكن لأحدٍ أن يمنعك».

«لا جدوى من المحاولة».

توقف تامارو للحظة. «ما هي الرسالة التي تودّين أن أُبلغها لتنغو؟».

«تعالَ إلى الزلاقة بعد حلول الظلام. سوف يناسبني أيّ وقت بعد حلول الظلام. سأكون في انتظاره. إذا قلتَ له أَوْمَامِه تقول لك ذلك، فسوف يفهم».

«حسناً. سوف أبلغه». تعالَ إلى الزلاقة بعد حلول الظلام.

«وإذا كان لديه ما لا يريد أن يتركه وراءه، فليُحضره معه. ولكن اطلبْ منه أن يكون خالي اليدين».

«إلى أين ستذهبين بتلك المتعلقات؟».

قالت أَوْمَامِه: «بعيداً».

«بعيداً إلى أين؟».

قالت أَوْمَامِه: «لست أدري».

«حسناً. بمجرد حصولي على الإذن من السيدة، سوف أبلِغْ تنغو. وسوف أبذل كلّ جهدي كي أحافظ على سلامتكِ. ولكن الخطر لا يزال قائماً. نحن نتعامل مع أشخاص يائسين. يجب أن تحمي نفسك».

قالت أَوْمَامِه بهدوء: «أدركُ ذلك». كانت لا تزال تضع يديها برفق على بطنها. وقالت في نفسها، ليست نفسي وحدها.

بعد أن وضعت السماعة، ألقت بنفسها على الأريكة. أغمضت عينيها وراحت تفكِّر في تنغو. لم تستطعْ التفكير في أيّ شيء آخر. شعرت بصدرها يضيق، بل بدأ يؤلمها، لكنه كان ألماً من نوع جيد. ألم من النوع الذي يمكنك احتماله. كان تنغو قريباً جداً، وفي متناولها تقريباً. لا يفصله عنها سوى أقل من 10 دقائق سيراً على الأقدام. شعرَت بالدفء بمجرد تفكيرها في ذلك. تنغو لا يزال أعزب، ويدرِّس الرياضيات. ويعيش في شقة صغيرة وبسيطة ولكنها أنيقة. وهو يطهو الطعام لنفسه ويقوم بكيّ ملابسه ويكتب رواية طويلة. وجدت أَوْمَامِه نفسها تحسُد تامارو. ودّت لو كان باستطاعتها

الدخول إلى شقة تنغو بهذه الطريقة، حينما لا يكون موجوداً بها. شقة تنغو بلا تنغو. ودّت لو استطاعت أن تدلف إليها وسط صمت موحش، وتلمس كلّ شيء داخلها، وترى حدّة أقلام الرصاص التي يستخدمها، وتُمسك بفنجان قهوته، وتشمّ رائحة ثيابه. كانت تريد أن تقوم بهذه الخطوة أولاً، قبل أن تقابله وجهاً لوجه.

أمّا إذا تقابلا فجأة، من دون هذا التمهيد، في مكان ليس فيه سواهما، فلن تعرف ماذا ينبغي أن تقول. بدأت تشعر بصعوبة في التنفس، وبذهنها وكأنه أصبح خاوياً. كان رأسها متخماً بأشياء كثيرة للغاية. ولكن الأمر حينما يتعلق بذلك، فربما لا شيء يجب أن يُقال. فكل ما تريد أن تخبره به سوف يفقد معناه حالما تصوغه في شكل كلمات.

لم يكن بوسعها الآن سوى الانتظار، في هدوء وبعينين مفتوحتين. أعدَّت حقيبة حتى يمكنها الخروج سريعاً حالما تلمح تنغو. حشَت حقيبة جلدية سوداء كبيرة الحجم بكلّ ما يمكن أن تحتاجه حتى لا تضطرّ للرجوع إلى هنا. لم تكُن بها متعلقات كثيرة. بعض المال وعدد قليل من غيارات الملابس والمسدس المحشو بالطلقات. وضعت الحقيبة حيث يمكنها الوصول إليها في أيّ لحظة. أخرَجَت بدلتها ماركة جونكو شيمادا من الخزانة، وبعد أن تحقَّقت من خلوّها من التجاعيد، علّقتها على الحائط في غرفة المعيشة. أخرجت أيضاً البلوزة البيضاء الملائمة للبدلة والجورب والحذاء ماركة تشارلز جوردان بكعبه العالي. وكذلك المعطف الربيعي بلونه السمني. إنها الثياب نفسها التي كانت تلبسها حينما هبطت درج الطوارئ الموجود على الطريق السريع رقم 3. كان المعطف خفيفاً بعض الشيء بالنسبة إلى ليلة ديسمبرية، ولكن لم يكن لديها خيار آخر.

بعد تحضيرها لكلّ هذه الأشياء، جلست في الشرفة وراحت ترنو إلى الزلاقة عبر فجوة في الستائر. كان والد تنغو قد تُوفي في ساعة متأخرة من ليلة الأحد. يُشترط أن تنقضي على الأقل أربعٌ وعشرون ساعة على الأقل على وفاة الشخص حتى يصبح حرق جثمانه ممكناً. كانت تعي أنّ هناك قانوناً ينصّ على ذلك. سيكون يوم الثلاثاء هو أقرب وقت يمكن فيه إجراء عملية الحرق. اليوم هو الثلاثاء. وأقرب موعد لعودة تنغو إلى طوكيو قادماً من أيّ مكان بعد انتهاء مراسم الجنازة هو هذا المساء. وحينئذٍ يمكن لتامارو أن يُبلغه الرسالة. وهكذا لن يكون بوسع تنغو القدوم إلى الحديقة قبل ذلك. وفوق ذلك، كان الوقت لا يزال نهاراً.

حدَّثت نفسها، عند وفاته، وضع الزعيم هذا الصغير داخل رحمي. هذا هو الافتراض المعقول. أو ربما يجب أن أقول الحدس. هل هذا يعني أنّ الوصية التي تركها وراءه هي ما تحرّكني، وأنني أمضي إلى الوجهة التي حدَّدها؟

تجهمت أَوْمَامِه. لا أستطيع أن أتّخذ أي قرار. تامارو استنتج أنني حملتُ بالطفل الذي يسمع الأصوات نتيجة خطّة وضعها الزعيم. على الأغلب باعتباري شرنقة هوائية. ولكن لماذا وقع عليّ الاختيار؟ ولماذا يجب أن يكون شريكي هو تنغو؟ وهذا أمر آخر لم تجد له تفسيراً.

قالت في نفسها، أيّاً كان الأمر، فإنّ الأحداث من حولي تمضي إلى الأمام، رغم أني لا أستطيع أن أدرك التشابكات، أو أحدد المبادئ الحاكمة لذلك، أو أرى إلى أين تتجه الأحداث. لقد علِقت في كلّ ذلك. وحتى الآن، هذا هو الحال.

لوَت شفتيها وزادَ تجهّمها.

من الآن فصاعداً، سوف يختلف الأمر. لن أسمح لإرادة أيّ أحد أن تتحكَّم بي بعد الآن. من الآن فصاعداً، سوف أفعل ما أفعله بناء على مبدأ واحد: هو إرادتي. سوف أحمي هذا الصغير، مهما كلَّفني ذلك. هذه حياتي وهذا طفلي. ربما يكون هناك شخص آخر قد هيّأ كلّ ذلك خدمة لغاياته، ولكني لا أشكّ في أنّ هذا الطفل هو لتنغو ولي. لن أسلِّمه إلى أيّ أحد آخر. أبداً. من الآن فصاعداً، أنا المسؤولة عنه. أنا مَن ستُقرِّر ما هو جيد وما هو سيئ وأيّ طريق نسلكه. وكان الأجدر بالناس أن يعوا ذلك.

رنّ الهاتف في اليوم التالي، الأربعاء، في الساعة الثانية بعد الظهر.

قال تامارو: «لقد أعطيته الرسالة»، كدأبه في التغاضي عن أي نوع من التحيات. «إنه في شقته الآن. تحدّثتُ معه هذا الصباح هاتفياً. سوف يكون أعلى الزلاقة الليلة في تمام السابعة».

«هل تذكّرني؟».

«تذكرك جيداً. يبدو أنه كان يبحث عنكِ في كلّ مكان».

تماماً كما قال الزعيم. تنغو يبحث عني. هذا هو كلّ ما أحتاج إلى معرفته. غمر قلب أَوْمَامِه فرحٌ لا يوصف. لم تكن هناك أيّ كلمات أخرى في هذا العالم يمكنها أن تعبِّر عن هذا الإحساس.

«قال إنه سوف يحضر معه شيئاً مهماً، كما طلبتِ. أظنّ أنه يقصد الرواية التي يكتبها».

قالت أَوْمَامِه: «أنا واثقة من ذلك».

«لقد راقبتُ المبنى المتواضع الذي يعيش فيه. كلّ شيء على ما يرام. لم أرصد أيّ أشخاص مريبين يحومون حوله. والشقة التي كان الرأس المفلطح بها لا تزال خالية. كلّ شيء هادئ. جاءوا إلى الشقة وحملوا ذلك الشيء خلال الليل وغادروا على الفور. ربما كانوا يعتقدون أنّ البقاء مدة أطول لن يفيدهم. لقد تحققت من ذلك، ولا أعتقد أنني أغفلت أيّ شيء».

«هذا أمر جيد».

««على الأرجح»، هذه هي الكلمة المناسبة هنا، **على الأقل في الوقت الحالي**. إنّ الوضع يتغيّر الآن. ولا شك أنني لستُ معصوماً. ربما فاتني شيء مهم. وقد يتبين أنّ هؤلاء الأشخاص قد سبقوني بدرجة».

«وهذا يعني أن عليّ أن أحمي نفسي».

«بالضبط».

«أشكركَ على كلّ ما فَعَلت. أنا ممتنة جداً لك».

قال تامارو: «لا أدري ماذا تنوين عمله من الآن فصاعداً، ولكنك إذا ذهبت بعيداً، ولم أركِ مرة أخرى، فسوف أشعر بشيء من الحزن. لديكِ شخصية من نوعٍ نادر، نوع لم أقابله إلّا فيما ندر».

ابتسمت أَوْمَامِه عبر الهاتف: «هذا هو الانطباع الذي كنتُ أودّ أن أتركه لديك».

«السيدة بحاجة إليكِ. ليس لأجل العمل الذي تقومين به، ولكن بشكلٍ شخصي، كرفيقة. وهي تشعرُ بحزنٍ شديد لأنّ عليها أن تودّعك بهذه الطريقة. إنها لا تستطيع الحديث عبر الهاتف الآن. آمل أن تتفهّمي ذلك».

قالت أَوْمَامِه «بالطبع. ربما أجد صعوبة أنا الأخرى إذا تحدَّثت معها».

قال تامارو: «لقد قلتِ إنك ستذهبين بعيداً. إلى أيّ مدى سيكون هذا البُعد؟».

قالت: «مسافة لا يمكن قياسها».

«مثل تلك المسافة التي تفصل قلب شخص ما عن قلب آخر».

أغمضت أَوْمَامِه عينيها وأخذت نفساً عميقاً. كانت على وشك البكاء، لكنها استطاعت أن تتماسَك.

قال تامارو بهدوء: «أرجو أن يمضي كلّ شيء على ما يرام».

قالت أَوْمَامِه: «أنا آسفة، ولكني ربما أضطرّ إلى الاحتفاظ بالمسدس».

«حسناً. إنه هديّتي إليك. إذا أصبح مزعجاً لك، فاقذفيه في خليج طوكيو. سوف يكون ذلك خطوة صغيرة إلى الأمام على طريق نزع السلاح في العالم».

«ربما لن أطلق أيّ رصاصة من هذا المسدس في نهاية المطاف. خلافاً لمبدأ تشيخوف».

قال تامارو: «هذا أمرٌ حسن أيضاً. لا شيء أفضل من عدم إطلاق الرصاص. نحن نقترب من نهاية القرن العشرين. والأمور تختلف عمّا كانت عليه في زمن تشيخوف. لم تعُد هناك عربات تجرّها الخيول، ولم يعُد النساء يرتدين الكورسيه. وبطريقة ما نجا العالم من سيطرة النازية، ومن القنبلة الذرية، والموسيقى الحديثة. بل وحتى طريقة تأليف الروايات قد تغيّرت جذرياً. لذلك لا داعي للقلق. ولكن لديّ سؤال. أنت وتنغو سوف تتقابلان الليلة أعلى الزلاقة في الساعة السابعة».

قالت أَوْمَامِه: «إذا سارَت الأمور على ما يُرام».

«عندما ترينه، ماذا ستفعلان؟».

قالت: «سوف ننظر إلى القمر».

قال تامارو بلطف: «يا لها من رومانسية».

الفصل السابع والعشرون

تنغو
ربما لن يكون العالم كله كافياً

في صباح الأربعاء حينما رنّ الهاتف، كان تنغو لا يزال نائماً. لم يستطعْ النوم حتى مطلع الفجر تقريباً، وكان لا يزال يشعر بأثر الكحول الذي شربه. نهض من فراشه، وفوجئ بضوء النهار الساطع في الخارج.

سمع صوت رجل: «تنغو كاوانا»؟ كان صوتاً لم يسمعه من قبل.

أجاب تنغو: «نعم». جاء صوت الرجل هادئاً ورسمياً، حتى إنه كان متأكّداً من أن هذا الاتصال من أجل مزيد من الأوراق الرسمية التي تخصّ وفاة والده. ولكن ساعة المنبه أظهرت أنّ الساعة لم تبلغ الثامنة صباحاً. وليس هذا بالوقت الذي يمكن أن يتّصل فيه أحد من مجلس البلدية أو دار الجنازات.

«يؤسفني أن أتّصل بك في هذا الوقت المبكر، لكنه شيء عاجل».

«وما هو؟» كان ذهن تنغو لا يزال مشوشاً.

سأله الرجل: «هل تتذكر اسم أَوْمَامِه؟».

أَوْمَامِه؟ تلاشى كلّ أثرٍ لصداع الكحول وتبدَّد أيّ أثر للنعاس. وسرعان ما عاد ذهنه إلى حالته الأصلية، وكأنه مسرح أضيء بعد انقطاع الكهرباء عنه لفترة قصيرة. أعاد تنغو إحكام قبضته على السماعة.

أجاب: «نعم، أتذكره».

«يا له من اسم غريب».

قال تنغو، وقد بدأ يستعيد صوته الطبيعي: «كنا في فصل واحد في المدرسة الابتدائية».

صمت الرجل برهة ثم قال: «يا سيد كاوانا، هل لديكَ رغبة في التحدّث الآن عن أَوْمَامِه؟».

شعر تنغو بأن الرجل يتحدّث بطريقة غريبة. فطريقته في الكلام لافتة، ويبدو وكأنك تستمع إلى سطور ضمن مسرحية مترجمة من المسرح التجريبي.

«إذا لم تكُن لديك أي رغبة، فسيكون ذلك مضيعة للوقت لكلّ منا. وسأنهي هذه المكالمة على الفور».

قال تنغو من فوره: «لديّ رغبة. ولكن عفواً، بأيّ صفة تتحدّث؟».

قال الرجل متجاهلاً سؤاله: «أحمل لك رسالة منها. أَوْمَامِه تتطلّع إلى رؤيتك. ماذا عنك يا سيد كاوانا؟ هل أنتَ أيضاً ترغب في رؤيتها؟».

قال تنغو: «أرغب في ذلك». سعلَ ونظَّف حلقه وأضاف: «أرغب في رؤيتها منذ زمن طويل».

«حسناً. إنها ترغب في رؤيتك وأنت تتطلّع إلى رؤيتها».

انتبه تنغو فجأة إلى مدى برودة الغرفة. فالتقطَ كنزة كانت بجواره ووضعها فوق ثياب نومه.

سأل تنغو: «وماذا ينبغي أن أفعل؟».

قال الرجل: «هل يمكنكَ القدوم إلى الزلاقة بعد حلول الظلام؟».

سأل تنغو: «الزلاقة؟» عمّ يتحدث هذا الرجل؟

«إنها أخبرتني أنني إذا قلتُ لك ذلك، فسوف تفهَم. وهي تودّ منك الصعود لأعلى الزلاقة. وأنا أنقل لك ما قالته أَوْمَامِه بالضبط».

امتدَّت يد تنغو إلى شعره، الذي كان قد أصبح كتلة من الخصلات والتجاعيد بعد النوم. **الزلاقة. حيثما رأيت القمرين. لا بدّ أنها تلك الزلاقة.**

أجاب بنبرة صوت جافة: «أظنّ أنني أفهم».

«حسناً. وإذا كان لديك شيء ثمين تريد أن تأخذه معك، فاحمله معك. حتى تكون مستعدّاً للذهاب بعيداً».

أعاد تنغو بشيء من الدهشة: «**شيء ثمين أودّ أن أحمله معي؟**».

«شيء لا تريد أن تتركه وراءه».

فكر تنغو: «لست واثقاً أنني أفهمك تماماً، ولكن حينما تقول لي الذهاب بعيداً، هل تعني عدم العودة إلى هنا مطلقاً؟».

قال الرجل: «لا أدري. كما قلتُ لك من قبل، أنا مجرّد ناقل لرسالتها».

مرَّر تنغو أصابعه عبر شعره المتشابك وراح يفكر في ذلك. **الذهاب بعيداً؟** «ربما يكون لدي رزمة من الأوراق أريد أخذها معي».

قال الرجل: «لا بأس بذلك. أنتَ حرّ في ما تختار. أما فيما

يخصّ الأمتعة، فقد طُلب مني أن أخبرك أنك يجب أن تأتي خالي اليدين».

أجاب تنغو: «خالي اليدين؟ وماذا عن حقيبة السفر، هل يمكنني حملها؟».

«لا أعتقد ذلك».

كان يصعب تخمين عمر الرجل أو ملامحه أو قوامه بناء على صوته. كان صوت من النوع الذي لا يشي بأيّ سمات ملموسة. أدرك تنغو أنه لن يتذكر هذا الصوت مطلقاً، حالما يضع الرجل السماعة. إنّ السمات الفردية أو المشاعر، إذا وجدت من الأصل، فإنها تختبئ بعيداً عن الأنظار في الأعماق.

قال الرجل: «هذا كلّ ما لديّ لقوله».

سأل تنغو: «هل أَوْمَامِه بخير؟».

قال الرجل وهو ينتقي كلماته بعناية: «جسدياً، هي بخير. رغم أنها الآن عالقة في موقف حرج. يجب عليها أن تنتبه لكلّ خطوة تخطوها. أيّ خطوة خاطئة قد تُنهي كلّ شيء».

أعادَ تنغو بشكل تلقائي: «تنهي كلّ شيء».

قال الرجل: «سيكون من الأفضل ألّا تتأخر. لقد أصبح الوقت عنصراً مهماً».

أعاد تنغو الكلمات في نفسها، **لقد أصبح الوقت عنصراً مهماً. هل هذا الرجل يواجه مشكلة في اختيار كلماته؟ أو ربما أكون متوتراً أكثر ممّا ينبغي؟**

قال تنغو: «يمكنني أن أكون على الزلاقة في الساعة السابعة. إذا لم أستطعْ الحضور الليلة لسبب أو لآخر، فسوف أكون هناك غداً في التوقيت نفسه».

«مفهوم. وهل تعرف عن أيّ زلاقة نتحدّث؟».

«أعتقد ذلك».

نظر تنغو في الساعة. كانت لديه 11 ساعة قبل حلول الموعد.

«سمعتُ أنّ والدك تُوفي يوم الأحد. تقبَّل خالص التعازي».

شكره تنغو بطريقة تلقائية، لكنه تساءل بعد ذلك كيف لهذا الرجل أن يعرف بخبر وفاة والده.

قال تنغو: «هل يمكنك أن تحدِّثني أكثر عن أَوْمَامِه؟ مثلاً، أين تعيش، وماذا تفعل؟».

«إنها تعيش بمفردها. وتعمل كمدرِّبة للياقة البدنية في نادٍ رياضي في هيرو. مدربة من الطراز الأول، ولكن الظروف تغيّرت وأخذت إجازة من وظيفتها. وبمحض الصدفة، فإنها تعيش الآن في مكان ليس بعيداً عنك. في أيّ شيء زيادة على ذلك، أعتقد أنه من الأفضل أن تسمع منها مباشرة».

«حتى لو سألت عن ذلك الوضع الحرج الذي تمرّ به حالياً؟».

لم يردّ الرجل. إما أنه لا يريد الإجابة أو أنه شعر بألّا حاجة لذلك. أيّاً كان السبب، فقد اعتاد تنغو أن يتدفّق عليه مثل هؤلاء الأشخاص.

قال الرجل: «اليوم في السابعة مساء، أعلى الزلاقة».

قال تنغو من فوره: «ثانية واحدة إذا سمحت. لديّ سؤال. هناك شخص ما حذّرني بأنّ هناك مَن يراقبني، وأنه يجب عليّ أن أكون حذراً. اعذرني على السؤال، ولكن هل هذا الشخص كان يقصدك؟».

قال الرجل على الفور: «لا، لا يقصدني. ربما كان هناك شخص آخر يراقبك. ولكن كنْ حذراً، كما قال ذلك الشخص».

«هل هناك صلة ما بين وضعي تحت المراقبة والوضع الحرج الذي تمرّ به أَوْمَامِه؟».

قال الرجل وهو يصحّحه: «وضع متوتر نوعاً ما. نعم، على الأغلب هناك صلة ما».

«هل ذلك ينطوي على خطر؟».

سكت الرجل برهة، وانتقى كلماته بعناية، كما لو كان ينتقي بعض القرون من كومة فاصوليا. «إذا كنت ترى أنّ عدم قدرتك على رؤية أَوْمَامِه مرة أخرى سوف تكون شيئاً خطيراً، فهي كذلك، هناك خطر بالتأكيد».

أعاد تنغو في ذهنه ترتيب هذه العبارات الدائرية التي استخدمها الرجل كي تصبح شيئاً مفهوماً. لم يكن لديه أيّ فكرة عن الظروف أو الملابسات، ولكن كان واضحاً أنّ الموقف محفوف بالمخاطر.

«إذا لم تمضِ الأمور على ما يرام، فقد لا نتمكّن من رؤية بعضنا بعضاً مرة أخرى».

«بالضبط».

قال تنغو: «فهمت. سأكون حذراً».

«آسف على الاتصال في هذا الوقت المبكر. يبدو أني أيقظتك».

دون أن ينتظر رداً، وضع الرجل السماعة. حدَّق تنغو في السماعة السوداء التي بيده. وكما توقع، حالما وضع الرجل السماعة، تلاشى أيّ أثر لصوته من ذاكرة تنغو. نظر تنغو في الساعة مرة أخرى. الثامنة وعشر دقائق. وتساءل، كيف أُمضي كل هذا الوقت من الآن وحتى السابعة مساء؟

استهلّ تنغو يومه بالاستحمام، فغسل شعره وفكّ تشابكاته على أفضل نحوٍ ممكن. ثم وقف أمام المرآة وحلق ذقنه وغسل أسنانه بالفرشاة ثم نظفها بالخيط. شرب بعض عصير الطماطم من الثلاجة وغلى بعض الماء وطحن بعض البن وأعدّ قهوة، ثم حمّص شريحة من الخبز. ضبط المؤقت وسلَق بيضة. كان يركز في كلّ عمل يقوم به، ويستغرق وقتاً أطول من المعتاد. ولكن رغم كلّ ذلك كانت الساعة لا تزال التاسعة والنصف.

الليلة سوف أرى أَوْمَامِه أعلى الزلاقة.

أصابت الفكرة حواسه بالدوار. كانت يداه وساقاه ووجهه جميعهم يريدون الذهاب في اتجاهات مختلفة، ولم يستطعْ أن يضبط مشاعره. مهما حاول أن يفعل، فقد ضعفت قدرته على التركيز. لم يستطعْ القراءة ولا الكتابة. لم يستطعْ أن يجلس ساكناً في مكانٍ واحد. كانت الأشياء الوحيدة التي يبدو أنه يستطيع عملها هي غسيل الأطباق، وغسيل الملابس، وترتيب أدراجه وسريره. أياً كان الذي يفعله، كان يتوقف كلّ خمس دقائق كي ينظر في الساعة. يبدو أن الانشغال بالوقت لا يؤدّي إلّا إلى إبطاء مروره.

أَوْمَامِه تعرف.

وقف أمام حوض الغسيل، وراح يشحذ الساطور الذي لم يكن بحاجة لذلك. **إنها تعلم أني ذهبت إلى الزلاقة عدة مرات. لا بدّ أنها رأتني هناك وأنا جالس أحدّق في السماء. لا شيء عدا ذلك سيكون مفهوماً.** تصوّر نفسه وكيف كان يبدو وهو أعلى الزلاقة التي يغمرها ضوء مصباح بخارِ الزئبق. لم يُداخله أيّ إحساس بأنه مرصود. من أين كانت تراقبه؟

فكر تنغو، لا يهم. ليس هذا بالأمر المهم. **أيّاً كان المكان**

الذي رأتني منه، فقد عرفتني. ملأته هذه الفكرة بالبهجة. كانت تفكّر فيّ مثلما كنت أفكر فيها. كان تنغو لا يكاد يصدّق - أنه في هذا العالم المجنون الذي يشبه المتاهة يمكن لقلبين لفتى وفتاة، أن يظلا متّصلين ولا يعتريهما أيّ تغيير، رغم أنهما لم يريا بعضهما بعضاً منذ عشرين عاماً.

ولكن لماذا لم تنادِني أَوْمَامِه حين رأتني؟ لو فعلَت لكان ذلك أسهل كثيراً. وكيف عرفت أين أعيش؟ وكيف عرفت، أو عرف ذلك الرجل، رقم هاتفي؟ لم يكن يحبّ تلقّي مكالمات هاتفية، ولم يكن رقمه مدرجاً ضمن الدليل. ولم يكن الحصول عليه ممكناً حتى عند الاتصال بالدليل.

كانت هناك أشياء كثيرة مجهولة ويكتنفها الغموض، وكانت الخطوط التي تنسج هذه القصة معقّدة. لم يستطعْ أن يدرك أيّ خطوط تتصل بأيّ خطوط أخرى، وما نوع العلاقة السببية القائمة. ومع ذلك، فقد أحسّ ومنذ ظهور فوكا-إري في حياته، أنه يعيش في مكان يتجاوز فيه عدد الأسئلة عدد الإجوبة. ولكن كان يُداخله شعور طفيف بأنّ هذه الفوضى تتجه ببطء شديد نحو نهايتها.

فكر تنغو، في الساعة السابعة من هذا المساء، سوف تتضح بعض الأسئلة على الأقل. سوف نلتقي أعلى الزلاقة. ليس كفتى وفتاة في العاشرة من عمرهما، ولكن كشاب وشابة مستقلين وناضجين. معلم للرياضيات ومدرب في نادٍ رياضي. فيمَ سوف نتحدث عندئذٍ؟ لا أدري. لكننا سنتحدث - نحن بحاجة إلى ملء الفراغات وتبادل المعلومات. وكما قال الرجل الذي اتصل بي، ربما نذهب إلى مكان ما. ولذلك يجب أن أحمل معي ما يهمني، ما لا أريد أن أتركه ورائي - وأحزمه حتى أكون خالي اليدين.

لن آسف على ترك هذا المكان. أعيش هنا منذ سبع سنين، أُدرس الرياضيات لثلاثة أيام في المدرسة كلّ أسبوع، ولكني لم أشعر ولو للحظة أنه بيتي. مثل جزيرة عائمة تتراقص فوق الماء، كان مجرد مكان مؤقت للاستراحة، وليس أكثر من ذلك. لم تعُد رفيقتي تأتيني هنا. وكذلك ذهبت فوكا-إري التي شاركتني الشقة لفترة قصيرة. لم يكن تنغو يدري أين هاتان المرأتان الآن، أو ماذا تفعلان. لقد اختفتا وتلاشتا من حياته وحسب. إذا ترك المدرسة، فحتماً سوف يحلّ أحدٌ آخر محله. سوف يواصل العالم الدوران، حتى من دونه. إذا أرادت أَوْمَامِه الذهاب معه إلى مكان ما، فليس ثمة ما يحُول بينه وبين ذلك.

ماذا يمكن أن يكون ذلك الشيء المهم الذي يجب أن يحمله معه؟ خمسون ألف ين وبطاقة سحب آلي للنقود، هذه هي كلّ الأموال المتوفره معه. كان هناك أيضاً مليون ين في حساب التوفير. لا، بل أكثر. يوجد بالحساب أيضاً حصّته من حقوق النشر الخاصة بالشرنقة الهوائية. كان ينوي أن يردّها إلى كوماتسو لكنه لم يتمكّن من ذلك. وهناك أيضاً الأوراق المطبوعة من الرواية التي شرع في كتابتها. لا يمكنه أن يتركها وراءه. ليست ذات قيمة حقيقية بالنسبة إلى أيّ أحد آخر، ولكنها شيء ثمين بالنسبة إلى تنغو. وضع المخطوطة في كيس ورقي، ثم دسّه في حقيبة كتف صلبة كان يحملها وهو ذاهب إلى المدرسة. أصبحت الحقيبة ثقيلة بالفعل الآن. دسّ الأقراص المرنة في جيب الجاكيت الجلدي الذي سوف يرتديه. لم يتمكّن من أخذ جهاز معالج الكلمات، ولكنه أضاف دفاتر ملاحظاته وقلم حبر إلى متعلقاته. وتساءل، وماذا غير ذلك؟

تذكر الظرف الذي سلّمه له المحامي في تشيكورا. كان بداخله

دفتر توفير وختم لوالده، ونسخة من القيد العائلي، والصورة العائلية الغامضة (إذا كانت فعلاً صورة عائلية). ربما سيكون من الأفضل أن يأخذ ذلك معه. أمّا تقارير المدرسة الابتدائية وشهادات التقدير التي حصل عليها والده من 'إن إتش كيه' فيمكنه أن يتركها. قرّر ألّا يأخذ أي غيارات ملابس. لم يكن من الممكن وضعها في الحقيبة التي انتفخت الآن، وفوق ذلك، يمكنه شراؤها بحسب الحاجة.

حينما انتهى من حزم كلّ شيء في الحقيبة، لم يعُد لديه أي شيء يفعله. لم تكن هناك أطباق كي يغسلها، ولم تكن هناك قمصان كي يقوم بكيّها. نظر إلى ساعة الحائط مرة أخرى. كانت العاشرة والنصف. فكر أن عليه الاتصال بصديقه كي يحلّ محله في المدرسة، لكنه تذكَّر عندئذٍ أنّ صديقه دائماً ما يكون في مزاج معتلّ إذا اتصل به قبل الظهيرة.

استلقى تنغو على سريره، بكامل ملابسه، وسمح لعقله أن يستكشف جميع الاحتمالات. كانت آخر مرة رأى فيها أَوْمَامِه وهو في العاشرة. والآن أصبح كلاهما في الثلاثين. لقد مرّ كل منهما بتجارب كثيرة خلال هذه الفترة. أشياء جيدة، وأخرى لم تكن جيدة (وعلى الأغلب أكثر قليلاً من الأخيرة). وفكَّر، **تغيرت الملامح والشخصية والمكان الذي نعيش فيه. لم نعُد فتى صغير وفتاة صغيرة.** هل أَوْمَامِه الموجودة هناك هي حقاً أَوْمَامِه التي يبحث عنها؟ وهل هو تنغو كاوانا الذي كانت تبحث عنه؟ تصور تنغو نفسه وأَوْمَامِه أعلى الزلاقة الليلة ينظران بعضهما إلى بعض، وقد خاب أمل كلّ منهما ممّا رآه. ربما لن يجدا شيئاً يتحدّثان فيه. كان ذلك احتمال قوي. بل سيكون غريباً لو لم تَسِر الأمور على هذا النحو.

ربما لا ينبغي أن نلتقي مرة أخرى. حدّق تنغو في السقف. **أمّا**

كان من الأفضل لو احتفظا بهذه الرغبة في رؤية بعضهما بعضاً دفينة داخلهما، ولم يلتقيا مطلقاً؟ بهذه الطريقة، كانا سيعيشان على أمل دائم يحتفظان به في قلبيهما. سيكون أملاً ضئيلاً، ولكنه محفِّز قويّ يُشعِل فيهما الحماس - لهباً صغيراً يحيطانه بأيديهما ويحميانه من الرياح، لهباً يمكن لرياح الواقع العنيفة أن تُطفئه بسهولة.

حدّق تنغو في السقف لنحو ساعة، فيما كان يتنازعه شعوران متضاربان. كان يتحرّق شوقاً للقاء أَوْمَامِه. وفي الوقت نفسه، كان يخشى رؤيتها. الإحساس بخيبة الأمل والصمت غير المريح الذي قد يتبع ذلك جعله يرتجف. كان يشعر بأنّ جسده سوف ينشطر نصفين. لكن لا بد له من رؤيتها. هذا ما كان يريده، وما كان يأمله بشدّة، على مدى العشرين سنة الماضية. مهما كانت خيبة الأمل التي قد تعقب ذلك، كان يُدرك أنه لا يستطيع أن يُدير ظهره لها ويفرّ.

حينما تعب من التحديق في السقف، غشيه النوم وهو على السرير، فيما كان لا يزال مستلقياً ووجهه لأعلى. نام نوماً هادئاً يخلو من الأحلام لأربعين أو خمس وأربعين دقيقة - ذلك النوم العميق والمشبع الذي تحصل عليه بعد التركيز الشديد والإرهاق الذهني. أدرك أن نومه كان متقطعاً خلال الأيام القليلة الماضية، وأنه لم ينَم نوماً جيداً في الليل. قبل أن يحلّ الظلام، كان بحاجة إلى التخلص من التعب المتراكم لديه. يجب أن يكون في راحة واسترخاء حينما يغادر هذا المكان ويمضي إلى الملعب. أدركَ ذلك بشكل غريزي.

وبينما كان يوشك على الاستسلام للنوم، سمع صوت كومي أداتشي، أو خُيِّل إليه أنه سمعه. **عليكَ أن تغادر هذا المكان مع طلوع الصباح يا تنغو، قبل إغلاق المخرج.**

كان الصوت هو صوت كومي، وفي الوقت نفسه صوت البومة التي تنعب في أثناء الليل. في ذاكرته كان الصوتان ممتزجين، ويصعب تمييز أحدهما عن الآخر. كانت الحكمة هي ما يحتاج إليه تنغو أكثر من أيّ شيء آخر - حكمة الليل الراسخة. حكمة لا يمكن العثور عليها إلّا في أعماق النوم.

في السادسة والنصف، علَّق تنغو حقيبته بشكل قُطري عبر كتفيه وغادر شقته. كان يرتدي الثياب نفسها التي ارتداها آخر مرة صعدَ فيها الزلاقة: معطف رمادي واقٍ من المطر وجاكيت جلدي قديم وبنطال من الجينز وحذاء رياضي بني اللون. كانت جميعها بالية ولكنها ملائمة، وكأنها جزء من جسمه. فكّر، **لن أعود إلى هنا مرة أخرى على الأغلب**. واحتياطاً لذلك، أزال البطاقة التي تحمل اسمه عن الباب وكذلك تلك المثبتة على صندوق البريد. **ماذا سيحدث للأشياء الأخرى؟** قرّر ألّا ينشغل بذلك في الوقت الحالي.

وبينما كان يقف عند مدخل المبنى السكني، نظر حوله بحذر. إذا كان عليه أن يصدّق فوكا-إري، فإنه مراقَب. ولكن كما كان الأمر من قبل، لا يوجد أيّ دليل على المراقبة. كلّ شيء كما هو دائماً. والآن وبعد أن غربت الشمس، أصبح الطريق مفتوحاً أمامه. انطلق صوب المحطة بخطى بطيئة. كان يتلفّت وراءه من وقت إلى آخر كيّ يتأكد من أنه لا أحد يتعقبه. وكان يسلك العديد من الشوارع الضيقة التي لم يكن مضطراً لأن يسلكها، ثم يتوقّف وينظر إن كان هناك مَن يتبعه. **يجب أن تكون حذراً**، هكذا حذّره الرجل عبر الهاتف. **من أجلك ومن أجل أَوْمَامِه، التي تواجه موقفاً حرجاً.**

ولكن هل الرجل الذي حدَّثه عبر الهاتف يعرف حقاً أَوْمَامِه؟

سأل تنغو نفسه فجأة. ألا يمكن أن يكون ذلك فخاً ذكياً؟ حالما رسخت لديه هذه الفكرة، لم يستطعْ التخلص من الشعور بعدم الارتياح. إذا كان هذا فخاً بالفعل، فلا بد أن يكون ساكي جاكه وراءه. ولكونه الكاتب الخفي للشرنقة الهوائية، فإنه غالباً، لا بل قطعاً - على قائمتهم السوداء. ولذلك جاءه ذلك الشخص الغريب المدعو يوشيكاوا بحكاية المنحة المشكوك في أمرها. وفوق ذلك، فقد سمح تنغو لفوكا-إري بالاختباء في شقته لمدّة ثلاثة أشهر. كانت هناك أسباب كافية تجعل الجماعة غاضبة منه.

إذا كان الأمر كذلك، فكّر تنغو، وقد أمال رأسه، فلماذا يتجشّمون عناء استخدام أَوْمَامِه كطُعم لإيقاعي في الفخ؟ إنهم يعلمون بالفعل مكاني. وأنا لست هارباً أو متخفياً. إذا كانوا يريدونني في عملٍ ما، فلماذا لا يتّصلون بي مباشرة. لا حاجة إلى إغرائي بالقدوم إلى تلك الزلاقة الموجودة بالملعب. سوف يختلف الأمر لو كان العكس صحيحاً - إذا استخدموني كطُعم للإيقاع بأَوْمَامِه.

لكن لماذا يريدون الإيقاع بأَوْمَامِه؟

لم يستطعْ فَهم ذلك. هل نشأت، عن طريق الصدفة، علاقة ما بين أَوْمَامِه وساكي جاكه؟ وصل تفكير تنغو المنطقي إلى طريق مسدود. ليس أمامه إلّا أن يسأل أَوْمَامِه نفسها، هذا على افتراض أنه قد يقابلها.

على أيّ حال، كما قال الرجل الذي حدَّثه عبر الهاتف، يجب أن يكون حذراً. بحرص شديد، سلك تنغو طريقاً ملتوية كي يتأكّد من أن أحداً لا يتتبعه. وحالما تأكّد له ذلك انطلق مسرعاً نحو الملعب.

وصل إلى الملعب في السابعة إلّا سبع دقائق. كان الجو قد أظلمَ بالفعل، ووجدَ مصباح بخار الزئبق يغمر بضوئه الاصطناعي جميع جنبات الحديقة الصغيرة. كان الطقس لطيفاً ودافئاً خلال فترة الظهيرة، ولكن ما إن غابت الشمس حتى انخفضت درجة الحرارة بشدّة، وهبّت ريح باردة على المكان. وكان طقس الصيف اللطيف الذى سادَ خلال الأيام القليلة الماضية قد تلاشى، وحلّ محله شتاءٌ قارس وقاسٍ. وبدأت أطراف فروع شجرة الزيلكوفا ترتعش وكأنها أصابع عجوز يلوح بعلامة التحذير، فتُحدث صوتاً خشناً وجافاً.

كانت الأنوار مضاءة في العديد من نوافذ المباني المجاورة، لكن الملعب كان خالياً. أصبحت دقات قلب تنغو بطيئة ولكنها ثقيلة. كان يفرك يديه معاً مرّة تلوَ مرة، كي يتأكد أن إحساسه بهما طبيعي. قال في نفسه، **كلّ شيء على ما يرام. أنا جاهز ولا أخشى شيئاً**. حزم أمره وبدأ يصعد الدرج المؤدّي إلى الزلاقة.

حالما صعد إلى أعلى الزلاقة، جلس كما فعل من قبل. كانت أرضية الزلاقة باردة ورطبة قليلاً. اتكأ على الدرابزين ونظر في السماء فيما كان يضع يديه في جيوبه. رأى غيوماً متنوعة الأحجام - كثير منها كبيرة وكثير منها صغيرة. ضيَّق عينيه بحثاً عن القمرين، فلم يرَ أياً منهما في هذه اللحظة؛ إذ كانا متواريين خلف الغيوم. لم تكن الغيوم كثيفة وثقيلة ولكنها كانت بيضاء وناعمة. ومع ذلك، كانت سميكة وكبيرة بما يكفي لحجب القمرين عنه. كانت الغيوم تنزلق ببطء من الشمال في اتجاه الجنوب. لم يكن يبدو أنّ الرياح قوية. أو ربما كانت الغيوم تبدو أعلى ممّا كانت تتراءى له بالفعل؟ على أيّ حال، لم تكن هذه الغيوم في عجلة من أمرها.

نظر تنغو في ساعته. كانت عقاربها تشير إلى السابعة وثلاث دقائق، وتُحصي الوقت بدقّة أكبر. ومع ذلك لم تظهر أَوْمَامِه. أمضى تنغو عدة دقائق يحدِّق في عقارب ساعته كما لو كانت شيئاً ليس مألوفاً لديه. ثم أغمَضَ عينيه. وكما كانت الغيوم، لم يكن هو الآخر في عجلة من أمره. لم يكن يمانع إذا استغرقَ الأمر بعض الوقت. توقّف عن التفكير وأسلمَ نفسه إلى تدفّق الوقت. في هذه اللحظة، كان الشيء الأهم لديه هو التدفق الطبيعي والمنتظم للوقت.

وأثناء إغماضه عينيه، كان يصغي بعناية إلى الأصوات المحيطة به، كما لو كان يبحث عن محطات في مذياع. كان بوسعه أن يسمَع الطنين الذي تصنعه حركة السيارات المتواصلة على الطريق السريع. ذكَّره ذلك بأمواج المحيط الهادئ في المصحّة في تشيكورا. لا بدّ أنّ ذلك قد امتزجَت به صيحات بعض النوارس أيضاً. وكان بوسعه أن يسمع صوت صفير متقطع لشاحنة كبيرة تتوقف، وكذلك صوت كلب ضخم ينبح نباحاً قصيراً وحاداً وكأنه إنذار. ومن بعيد كان ثمة شخص يصيح باسم شخص ما. لم يكن يدري من أين تأتي جميع هذه الأصوات. ومع إبقاء عينيه مغمضتين كلّ هذا الوقت، فَقَدَ كلّ صوتٍ من هذه الأصوات الإحساس بالاتجاه والبُعد. كانت تهبّ ريحٌ شديدة البرودة من وقت إلى آخر، ومع ذلك لم يكُن يشعر بالبرد. كان تنغو قد نسي مؤقتاً كيف يشعر أو يتفاعل مع جميع المثيرات والأحاسيس.

انتبه فجأة إلى وجود شخص ما يجلس بجانبه، ويُمسك بيده اليمنى. وكأنها مخلوق ضئيل يطلب الدفء، انسلّت يدٌ إلى داخل جيب سترته الجلدية وقبضتْ على يده الكبيرة. وحالما انتبه، كان ذلك

قد حدث بالفعل. من دون أيّ مقدمات، انتقل الموقف إلى المرحلة التالية. قال تنغو لنفسه فيما كانت عيناه لا تزالان مغمضتين، يا للغرابة. كيف حدث هذا؟ في لحظة ما أصبح الوقت يتدفّق ببطء شديد حتى كان بالكاد يحتمله. وفجأة قفز إلى الأمام، وتجاوز كلّ ما يقع بين هذا وذاك.

شدّد هذا الشخص من قوة قبضته على يده الكبيرة، وكأنما يودّ أن يتحقّق من وجوده هناك. أحسّ بأصابع طويلة وناعمة، وبها قوة كامنة.

أَوْمَامِه. ولكنه لم يقُلها بصوتٍ عالٍ. لم يفتح عينيه. وإنما ضغط على يدها في المقابل. تذكّر هذه اليد. لم ينسَ لحظة واحدة على مدى عشرين سنة هذا الإحساس. بالطبع، لم تعُد تلك اليد الصغيرة لفتاة في العاشرة من عمرها. على مدى العشرين سنة الماضية، لمست يدُها أشياء كثيرة. وأمسكت بأشياء لا حصرَ لها. وقد زادت قوة قبضتها. ومع ذلك أدرك تنغو في الحال: هذه هي اليد نفسها. كانت الطريقة التي اعتصرَت بها يده والشعور الذي حاولت إيصاله إليه هما نفسهما ولم تتغيّرا في شيء.

في داخله، ذابت عشرون سنة وامتزجت في كيان كليّ معقّد وعالقٍ في دوامة. كلّ الأشياء التي تراكمت لديه على مرّ السنين، وكل ما رآه وكلّ الكلمات التي نطقَ بها وكلّ القيم التي يؤمن بها، كلّ ذلك تمّ دمجه في عمود سميك ومتين في قلبه، كان يدور وكأنه عجلة فخار. تابع تنغو المشهد في صمت، كما لو كان يشاهد دمار كوكب وانبعاثه.

بقيت أَوْمَامِه صامتة هي الأخرى. كلاهما موجودان أعلى الزلاقة

شديدة البرودة وقد أمسكَ كلّ منهما بيد الآخر. مرة أخرى عادا فتى وفتاة في العاشرة من عمرهما. فتىً وحيداً وفتاةً وحيدة. داخل صف دراسي، وبعد انتهاء ساعات المدرسة مباشرة، في بداية فصل الشتاء. لم تكُن لديهما القوة ولا المعرفة كي يعرفا ما يجب أن يقدِّماه بعضهما لبعض وما يجب أن يبحثا عنه. لم يحدُث أنّ أحداً آخر قد أحبَّهما هذا الحب، كما لم يحدث أن أيّاً منهما قد أحبّ أحداً آخر هذا الحب. ولم يكن أي منهما يدري إلى أين سوف يأخذهما هذا الفعل. لقد دخلا عندئذٍ غرفة بلا باب. لا يمكنهم الخروج منها، ولا يمكن لأيّ أحدٍ آخر أن يدخلها. لم يكونا يعرفان ذلك عندئذٍ، ولكن هذا المكان هو المكان الوحيد المكتمل في العالم بأسره. إنه مكان معزول تماماً، ومع ذلك هو المكان الوحيد الذي لا يصل إليه الشعور بالوحدة.

كم مرّ من الوقت؟ خمس دقائق، ربما ، أو لعلّها كانت ساعة؟ أو كان يوماً كاملاً؟ أو ربما كان الوقت قد توقف. ماذا فهم تنغو من الوقت؟ فهم أنّ بإمكانه أن يبقى هكذا إلى الأبد، وأن يظلا جالسين وصامتين أعلى الزلاقة، وأن يظلّ كلّ منهما ممسكاً بيد الآخر. هكذا كان شعوره وهو في سن العاشرة، والآن، وبعد عشرين سنة، داخله الشعور نفسه.

وفهم أيضاً أنه سوف يستغرق وقتاً حتى يتأقلم مع هذا العالم الجديد الذي واجهه. طريقة تفكيره، ورؤيته للأشياء، وطريقة تنفسه، وكيفية تحريك جسمه - سوف يتعين عليه أن يضبط جميع عناصر الحياة ويُعيد التفكير فيها. وحتى يمكنه ذلك، كان عليه أن يجمع الوقت المتاح في هذا العالم معاً. بل، ربما لن يكون العالم كله كافياً.

«تنغو»، همست أَوْمَامِه بصوتٍ لا هو عالٍ ولا منخفض، ولكنه صوتٌ واعد. «افتح عينيك».

فتح تنغو عينيه. وبدأ الوقت يتدفّق تارة أخرى في العالم.

قالت أَوْمَامِه: «ها هو القمر».

الفصل الثامن والعشرون

يوشيكاوا

يوشك جزءٌ من روحه أن يصبح شرنقة هوائية

كان ضوء مصباح الفلوروسنت المثبت في السقف مسلطاً على جثة يوشيكاوا. تمّ إيقاف نظام التدفئة، وفُتحت إحدى النوافذ حتى باتت الغرفة من شدّة البرودة وكأنها مخزن ثلج. كانت العديد من طاولات الاجتماعات قد رُصّت بعضها بجوار بعض في منتصف الغرفة، حيث وُضعت عليها جثة يوشيكاوا ووجهه لأعلى. كان يرتدي بنطالاً شتوياً طويلاً، فيما ألقيت فوقه بطانية قديمة. تحت البطانية، بدت بطنه منتفخة، وكأنها كَثيب نملٍ في حقل. غطّت قطعة صغيرة من القماش عينيه المتسائلتين والمفتوحتين، وهما عينان لم يستطع أحدٌ إغماضهما. وكانت شفتاه منفرجتين قليلاً، وهما شفتان لن تخرج من بينهما كلمة أو نفسٌ مرة أخرى. كان تاج رأسه أكثر استواء وغموضاً ممّا كان عليه وهو على قيد الحياة. أمّا شعره الأسود الكثيف والمجعّد، والذي يشبه شعر العانة، فكان ينمو حول هذا التاج بشكلٍ رديء.

كان حليقُ الرأس يرتدي سترة زرقاء داكنة، فيما كان ذيل الحصان يرتدي معطفاً بنيّاً من الجلد السويدي مع ياقة مبطنة بالفراء.

كانت ثيابهما غير ملائمة لهما، وكأنما قد أخذاها على عَجل من كومة ملابس وضعت أمامهما. كانا في داخل الشقة، ومع ذلك كانت أنفاسهما تخرج بيضاء في البرد. لم تكن الغرفة تضمّ سوى ثلاثتهم. حليق الرأس وذيل الحصان ويوشيكاوا. ولم تكن توجد سوى ثلاث نوافذ من الألومنيوم في حائط واحد، بالقرب من السقف، وقد فُتحت إحداها على مصراعيها للمساعدة في إبقاء درجة الحرارة منخفضة. وفيما عدا الطاولات التي وُضعت عليها الجثة، فقد خلت الغرفة من أيّ أثاث آخر. كانت غرفة تبعث على الضجر وذات طابع عملي. وحتى حينما توضع فيها جثة، وحتى حينما تكون الجثة ليوشيكاوا، فإنها تبدو مكاناً رتيباً وعملياً.

لم يكن أيٌّ منهما يتكلّم. ولم يكن يُسمع في الغرفة أيّ صوت. كان حليق الرأس لديه أمور كثيرة يفكّر فيها، أما ذيل الحصان فلم يكن ينطق بكلمة في جميع الأحوال. كان حليق الرأس مستغرقاً في التفكير، يذرع الغرفة جيئة وذهاباً أمام الطاولة التي تحمل جثة يوشيكاوا. وفيما عدا اللحظة التي يبلغ فيها الحائط ويضطرّ للالتفاف، لم يكن يخفّف مطلقاً من وتيرة خطواته. كان حذاءه الجلدي لا يُصدر أيّ صوت حينما يطأ به السجادة الرخيصة ذات اللون الأصفر المخضرّ. وكالعادة، كان ذيل الحصان ينتظر عند نقطة بالقرب من الباب حيث يقف منتصب القامة وقد باعَدَ بين ساقيه، لا يحرّك ساكناً، ويرنو إلى نقطة في الفراغ. لم تكن تبدو عليه علامات التعب أو الشعور بالبرد على الإطلاق. وكان الدليل الوحيد على أنه لا يزال في عداد الأحياء هو طرفات عينيه السريعة التي تحدث من حين إلى آخر والأنفاس البيضاء التي تخرج من فمه.

في وقت سابق من ذلك اليوم ، تجمَّع عدد من الأشخاص في هذه الغرفة شديدة البرودة لمناقشة الموقف. كان أحد الأعضاء البارزين في ساكي جاكه في رحلة ولذلك استغرق الأمر يوماً واحداً حتى يلتئم الجمع. كان الاجتماع سرياً، وتحدّثوا بصوت منخفض كي لا يسمعهم أحد في الخارج. وخلال كلّ هذا الوقت، كانت جثة يوشيكاوا ممدَّدة على الطاولة، وكأنه عينة في مؤتمر للمعدّات الصناعية. كانت الجثة قد دخلت حالة «التخشّب الموتِي»، ويتعين الانتظار ثلاثة أيام أخرى قبل أن تتغيّر هذه الحالة وتلين الجثة مرة أخرى. ألقى الجميع نظرة سريعة وعابرة على الجثة وهم يناقشون عدة أمور عملية.

وفي أثناء هذا النقاش، لم يُظهروا أي احترام، حتى حينما يشيرون في كلامهم للميت، ولم يكن لديهم أيّ شعور بالأسف على وفاته. ولم يكن الجسد المتخشِّب والممتلئ يذكِّرهم إلّا ببعض العبر ويُعيد التأكيد على بعض تأمّلات الحياة. ولا شيء سوى ذلك. إنّ الزمن الذي يمضي، لا يمكن إعادته. وإذا كان الموت يجلب معه أيّ حلول، فهي حلول لا تخصّ إلّا الميت.

كيف يجب أن يتصرّفوا في جثة يوشيكاوا؟ كانوا يعرفون الجواب قبل أن يبدأوا النقاش. لقد تُوفي يوشيكاوا لأسباب غير طبيعية، وإذا أُكتشف ذلك، فسوف تُجري الشرطة تحقيقاً شاملاً سيكشف حتماً عن علاقته مع ساكي جاكه. لا يمكنهم المجازفة بذلك. بمجرد انتهاء حالة التخشب الموتِي، سوف ينقلون الجثة سراً إلى المحرقة الصناعية الموجودة على أرض المجمع كي يتخلّصوا منها. وسرعان ما ستتحوّل إلى دخان أسود ورماد أبيض. سوف يصعد الدخان إلى السماء، ويُنثر الرماد في الحقول كسماد للخضراوات. كانوا قد نفذوا العملية ذاتها

مرات ومرات، تحت إشراف حليق الرأس. ولأنّ جثة الزعيم كانت ضخمة، فقد استخدموا منشاراً آلياً لتقطيعها. لكنهم لم يكونوا بحاجة إلى ذلك هذه المرة، فقد كانت جثة يوشيكاوا أبعد ما تكون عن الضخامة. شعر حليق الرأس بالامتنان بسبب ذلك. لم يكن يحبّ أيّ أعمال دموية. وسواء كان يتعامل مع موتى أو أحياء، كان يفضّل ألّا تقع عينيه على أي دماء.

سأله رئيسه في العمل بعض الأسئلة. مَن الذي يُحتمل أنه قتل يوشيكاوا؟ وماذا كان يوشيكاوا يفعل في تلك الشقة المستأجرة في كوينجي؟ باعتباره مسؤولاً عن الأمن، كان على حليق الرأس أن يجيب، لكن لم يكن لديه جواب.

قبل فجر الثلاثاء كان قد تلقى مكالمة من ذلك الرجل الغامض (الذي كان، بطبيعة الحال، تامارو) وعرف منه أن جثة يوشيكاوا في الشقة. كانت محادثتهما غير مباشرة وذات طابع عملي. وبمجرد أن وضع السماعة، اتصل حليق الرأس على الفور بمجموعة من الأتباع في طوكيو. ارتدوا زي عمال في شركة لنقل الأثاث المنزلي، وتوجّهوا إلى الشقة في سيارة تويوتا هايس. قبل دخولهم إلى الشقة، تحقّقوا أولاً من أنّ ذلك ليس فخاً منصوباً لهم. أوقفوا السيارة وبحث أحدهم في المنطقة المحيطة عن أيّ شيء يُثير الشكوك. كان عليهم أن يتوخّوا الحذر الشديد. ربما تكون الشرطة تتربّص بهم، وتستعدّ لاعتقالهم حالما تطأ أقدامهم الشقة، وهو شيء يجب عليهم تفاديه مهما كان الثمن.

كانوا قد أحضروا معهم حاوية، من النوع الذي يُستخدم في نقل الأثاث، وبطريقة ما استطاعوا نقل الجثة المتخشّبة بالفعل. ثم أخرجوها من المبنى إلى سرير الشاحنة. كان الوقت متأخراً من

الليل، والجو بارداً، ولحسن حظهم لم يكن هناك أيّ أحد في المكان. استغرق الأمر بعض الوقت حتى انتهوا من تمشيط الشقّة للتأكّد من أنهم لم يتركوا وراءهم أيّ أدلة. استخدموا مصابيح يدوية وفتشوا كلّ ركن في الشقة فلم يعثروا على أيّ شيء يمكن أن يُدينهم، لا شيء سوى بعض الطعام ومدفأة كهربائية صغيرة ومنامة وبعض الضروريات الأساسية الأخرى. كان صندوق القمامة ممتلئاً بالعلب الفارغة والزجاجات البلاستيكية. بدا أنّ يوشيكاوا كان متحصناً هناك للقيام بعملية مراقبة. لاحظَ حليق الرأس بعينيه الحادّتين الانبعاجات الظاهرة في الحصيرة الموجودة بالقرب من النافذة التي تشير إلى وجود حامل ثلاثي لكاميرا، رغم أنه لا وجود للكاميرا ولا للصور الفوتوغرافية. لا بد أنّ الشخص الذي سلب يوشيكاوا حياته هو نفسه مَن استولى على الكاميرا، وكذلك الفيلم. نظراً إلى أنّ يوشيكاوا كان يرتدي ملابسه الداخلية فقط، فلا بد أنّ الاعتداء الذي تعرَّض له تمّ في أثناء النوم. ولا بدّ أنّ المعتدي قد تسلَّل خلسة إلى داخل الشقة. بدا وكأن يوشيكاوا قد عانى بشدة، إذ كانت ملابسه الداخلية مشبَّعة بالبول.

كان حليق الرأس وذيل الحصان هما الشخصان الوحيدان في السيارة التي نقلت الجثمان إلى يماناشي. أمّا الاثنان الآخران فقد بقيا في طوكيو كي يتعاملا مع أيّ حدث يطرأ هناك. تولى ذيل الحصان قيادة السيارة خلال الطريق كله. غادرت السيارة الطريق السريع، وانتقلت إلى طريق تشو، ثم اتجهت غرباً. كان الوقت لا يزال ليلاً وكان الطريق السريع شبه خالي، ومع ذلك التزما بحدّ السرعة. إذا أوقفتهما الشرطة الآن، فسوف ينتهي كل شيء. كانت لوحتا السيارة - الأمامية والخلفية- مسروقتين، وكانت الحاوية الموجودة في آخر

السيارة تحتوي على جثة ميت. لن يجدا أيّ تبرير للخروج من هذا الموقف. بقيا صامتين طوال الطريق.

حينما وصلا إلى المَجمَع مع مطلع الفجر، فحص طبيب ساكي جاكه جثة يوشيكاوا وأكد أنّه مات مختنقاً. ومع ذلك لم تكُن هناك آثار خنق حول الرقبة. خمّن الطبيب أنّ كيساً أو شيئاً لم يترك أيّ أثر قد وُضع على رأس الضحية. لم تكن هناك أيضاً أيّ علامات تُشير إلى أن يدا الضحية وقدميه قد تمّ تقييدهما. ولم يظهر أنه تعرَّض لضرب أو تعذيب. ولم تُظهر تعبيرات وجهه أيّ علامات ألم. إذا كان عليك أن تصفَ آخر تعبير على وجهه، فستقول إنه كان نوعاً من الارتباك الخالص، كما لو أنه قد سأل سؤالاً يعرف أنه لن يجد له جواباً. كان واضحاً أنه قُتل، ولكن الجثة كانت سليمة على نحوٍ لافت، وهو ما وجده الطبيب غريباً. أيّاً كان الذي قتله، فقد قام على الأرجح بتدليك ملامحه بعد وفاته كي يضفي عليها تعبيراً أكثر هدوءاً وأكثر طبيعية.

أوضح حليق الرأس لرئيسه: «أيّاً كان مَن فعل ذلك فهو محترف حقيقي. لم يترك أيّ آثار على الجثة. ربما لم يمنحه حتى فرصة للصراخ. لقد حدث ذلك في منتصف الليل، ولو أنه صرخ من الألم، لسمعه جميع الموجودين داخل المبنى. هذا عمل لا يقوم به إلّا شخص محترف».

ولكن لماذا انتهى أمر يوشيكاوا بأن يكون مصرعه على يد قاتل محترف؟

انتقى حليق الرأس كلماته بعناية: «أعتقد أنّ السيد يوشيكاوا قد داسَ بقدمه على طرفِ شخص ما، شخص لم يكن عليه أن يُغضِبه. قبل أن يدرك حتى ما فعله».

هل هذا هو الشخص نفسه الذي تخلّص من الزعيم؟

قال حليق الرأس: «ليس لديّ أي دليل، ولكن هناك احتمال قوي. وأعتقد أنّ ما تعرض له السيد يوشيكاوا يكاد يكون تعذيباً. لا أعرف ما الذي تعرّض له بالظبط، ولكنه قطعاً تمّ استجوابه بلا رحمة».

وما مقدار ما قاله؟

قال حليق الرأس: «أنا واثق من أنه قال كلّ شيء يعرفه. ليس لديّ ذرّة شك في ذلك. لكن يوشيكاوا لم تكن لديه سوى معرفةٍ محدودة بما يجري. لذلك لا أظنّ أنّ أي شيء ممّا أخبرهم به يمكن أن يضرّنا».

لم يكن حليق الرأس على اطّلاع بكلّ ما يجري داخل ساكي جاكه، وإن كان يعرف أكثر من شخص غريب على المجمع.

سأله رئيسه في العمل، **هل تقصد بمحترف أنّ هذا الشخص مرتبط بالجريمة المنظمة؟**

قال حليق الرأس وهو يهز رأسه: «هذا ليس عمل عصابات الياكوزا أو الجريمة المنظمة. إنهم أقل دهاء وأكثر دموية. لن يستطيعوا القيام بشيء على هذه الدرجة من التعقيد. إن الشخص الذي قتل يوشيكاوا أرادَ أن يُرسل لنا رسالة. وأرادَ أن يُخبرنا أنّ لديه نظاماً متطوراً يدعمه. وأنه يستطيع أن يُنزل العقاب بأيّ أحد. وأنّ علينا ألّا نتدخل في شؤونه».

وهذا يعني؟

هزّ حليق الرأس رأسه: «لا أدري ما يعنيه بالضبط. يوشيكاوا كان يعمل بمفرده. طلبت منه مرات عديدة أن يقدِّم لي تقريراً مرحلياً، لكنه أصرّ على أنه ما زال لا يملك معلومات كافية. أعتقد أنه أرادَ أن يجمع كلّ الحقائق بنفسه أولاً. وهذا هو السبب في كونه هو الشخص

الوحيد الذي كان على علمٍ بما يجري حينما تعرَّض للقتل. كان الزعيم نفسه هو مَن اختار يوشيكاوا في الأصل. وكان أشبه بعميل مستقلّ. لم يكن يحبّ التنظيمات. وبالنظر إلى التسلسل القيادي، لم يكن يحقّ لي أن أصدر له أوامر».

كان حليق الرأس يريد أن يوضح بالضبط إلى أيّ مدى هو مسؤول عمّا جرى. كان ساكي جاكه تنظيماً رسمياً. وجميع التنظيمات لديها قوانينها، ومخالفة هذه القوانين يمكن أن تؤدّي إلى العقاب. ولم يكن يريد أن يُلام على سوء معالجته لهذه المسألة.

مَن الشخص الذي كان يوشيكاوا يراقبه في المبنى السكني؟

«لم نعرف ذلك حتى الآن. غالباً سيكون شخصاً ما يعيش في المبنى أو في المنطقة المجاورة. الأشخاص الذين تركتهم ورائي في طوكيو يتحرّون حول ذلك في أثناء كلامنا، لكنهم لم يقدِّموا أيّ تقارير حتى الآن. سوف يستغرق ذلك بعض الوقت. وربما يكون من الأفضل أن أعود إلى طوكيو وأنظر في المسألة بنفسي».

لم يكن حليق الرأس واثقاً من قدرات هؤلاء الأشخاص الذين تركهم وراءه في طوكيو. كانوا أشخاصاً ورِعين، ولكنهم ليسوا الأبرع والأذكى. كما أنه لم يكشف لهم تفاصيل الموقف. سيكون من الأفضل له أن يتولى مسؤولية ذلك مباشرة. يجب أن يقصدوا مكتب يوشيكاوا، وإن كان الرجل الذي اتصل عبر الهاتف ربما سَبَقَهم إلى ذلك بالفعل. لكن رئيسه لم يسمح له بالعودة إلى طوكيو. حتى تتّضح الأمور، كان عليه هو وذيل الحصان أن يَلزما مكانهما. كان ذلك أمراً عليهما تنفيذه.

هل أَوْمَامِه هي الشخص الذي كان يوشيكاوا يراقبه؟

قال حليق الرأس: «لا، لا يمكن أن تكون أَوْمَامِه. لو أنّ أَوْمَامِه

كانت هناك، لكان قد أبلَغَنا على الفور. كان ذلك يعني أنه أنجزَ مهمته. أظنّه كان يراقب شخصاً ما يرتبط بمكان اختباء أَوْمَامِه. وإلّا سيكون الأمر برمّته غير منطقي».

وبينما كان يوشيكاوا يراقب هذا الشخص، اكتشف أمره أحدُهم وأراد إيقافه؟

قال حليق الرأس: «هذا هو ما أظنّه بالفعل. لقد كان يوشك أن يكشف أمراً خطيراً. ربما أمسَكَ ببعض الخيوط المهمّة. لو كان لديه فريق مراقبة، لأمكنهم أن يحمي بعضهم ظهور بعض ولانتهت الأمور بطريقة أخرى».

لقد تحدّثت مباشرة إلى هذا الرجل الذي اتصل عبر الهاتف. هل يبدو لك أننا سنتمكن من مقابلة أَوْمَامِه والتحدّث معها؟

«لا أستطيع أن أجزم. ومع ذلك، أتصوّر أن أَوْمَامِه إذا لم تكن راغبة في التفاوض معنا، فليس هناك سوى احتمالٍ ضئيل للالتقاء بها. هكذا أظنّ. الأمر كله يتوقف على الطريقة التي تريد أن تتعامل بها مع هذه المسألة».

ينبغي أن يسرّهم أننا مستعدون لغضّ الطرف عمّا جرى للزعيم ولضمان سلامتها.

«إنهم يريدون المزيد من المعلومات. من قبيل لماذا نريد مقابلة أَوْمَامِه؟ ولماذا نسعى إلى هدنة؟ وما الذي نريد أن نتفاوض عليه بالضبط؟».

إنّ مجرد كونهم يريدون المزيد من المعلومات يعني أنهم لا يمتلكون أية معلومات ذات قيمة.

«بالضبط. لكننا أيضاً ليس لدينا أيّ معلومات ذات قيمة عنهم.

ما زلنا لا نعرف حتى السبب الذي جعلهم يتجشّمون كل هذا العناء كي يضعوا خطة لقتل الزعيم».

أيّاً كان الحال، يجب علينا مواصلة البحث عن أَوْمَامِه فيما ننتظر ردّهم. حتى لو كان ذلك يعني أن ندوس بأقدامنا على طرف شخص ما.

توقف حليق الرأس للحظة، ثم قال: «لدينا تنظيم متماسك. ويمكننا أن نشكِّل فريق عمل وننشره في الميدان في وقت وجيز. ولدينا إحساس بالهدف ومعنويات عالية. ونحن مستعدون فعلياً للتضحية بأنفسنا، إذا اقتضى الأمر. ولكن من منظور فني بحت، فنحن لسنا سوى فريق من الهواة. لم نحصل على أيّ تدريب متخصِّص. وبالمقارنة، فهم في الطرف الآخر محترفون بارعون. يعرفون ما يفعلون، ويتصرفون بهدوء، ولا يتردَّدون أبداً. يبدو وكأنهم محاربون مخضرمون. وكما تعلم، فإنّ السيد يوشيكاوا نفسه لم يكن شخصاً أخرق».

ماذا تقترح بالضبط لمتابعة البحث؟

«في الوقت الحالي، أعتقد أن من الأفضل هو متابعة الخيط المهم الذي أمسكَ به السيد يوشيكاوا. مهما كان ذلك».

هل يعني ذلك أنه ليس لدينا أيّ خيوط مهمة يمكن تتبّعها؟

أقرّ حليق الرأس: «نعم».

مهما كانت خطورة ذلك، ومهما كانت التضحيات، يجب علينا العثور على هذه المرأة المدعوة أَوْمَامِه وتأمينها. بأسرع وقت ممكن.

سأله حليق الرأس: «هل هذا ما وجَّهتنا الأصوات إليه؟ أنّ علينا تأمين أَوْمَامِه بأسرع وقت ممكن؟ وبأي وسيلة ضرورية؟».

لم يردّ رئيسه. كانت أيّ معلومات تتجاوز ذلك تفوق رتبة حليق الرأس. لم يكُن حليق الرأس من الرؤوس الكبيرة، وإنّما مجرد جندي مشاة. ولكن حليق الرأس كان يعلم أنّ هذه هي الرسالة الأخيرة التي صدرت عن الأصوات، وعلى الأرجح ستكون آخر «الأصوات» التي تسمعها العذراوات.

وبينما كان حليق الرأس يقترب من جثة يوشيكاوا في الغرفة شديدة البرودة، لمعَت في رأسه فجأة فكرة. توقّف بشكل مفاجئ، وانقبضت أساريره وعقدَ حاجبيه، محاولاً أن يُمسك بها. في اللحظة التي توقّف فيها عن الحركة داخل الغرفة، تحرَّك ذيل الحصان. حركة صغيرة للغاية. أخرج نفساً عميقاً، ونقل ثقله من قدم إلى أخرى.

فكر حليق الرأس، **كوينجي**. انقبضت أساريره بشكلٍ طفيف، وأخذَ يفتش في أعماق ذاكرته المظلمة. بحذرٍ شديد، أمسك بخيطٍ دقيق وأخذ يشدّه نحوه. **هناك شخص آخر متورط في هذه العملية ويعيش في كوينجي. ولكن مَن هو؟**

أخرجَ من جيبه مدوّنة سميكة ومهترئة وراح يُقلّب فيها. تنغو كاوانا. كان عنوانه في كوينجي، سوجينامي. إنه عنوان المبنى نفسه الذي قضى فيه يوشيكاوا. الاختلاف الوحيد هو في رقم الشقتين، والطابق الثالث والطابق الأول.

هل كان يوشيكاوا يرصد تحرّكات تنغو سراً؟ لا شكّ في ذلك. وجودهما في مبنى واحد لا يمكن أن يكون مصادفة.

ولكن، في هذه الحالة، هل كان على يوشيكاوا تتبّع حركة تنغو؟ لم يتذكّر حليق الرأس عنوان تنغو إلّا الآن لأنه لم يعُد مهتماً به. لم يكن تنغو سوى كاتبٍ خفيّ للرواية. ولم يكن ثمة شيء آخر يجب أن

يعرفه عنه. كان اهتمام ساكي جاكه قد أصبح منصباً الآن على معرفة مكان أَوْمَامِه. ورغم ذلك، فقد ركَّز يوشيكاوا كلّ اهتمامه على المعلّم الذي يحاضر في المدرسة التأهيلية، وأقام نقطة مُحكَمَة للمراقبة. وفَقَدَ حياته في سبيل ذلك. لماذا؟

لم يستطِعْ حليق الرأس أن يتبيَّن ذلك. من الواضح أن يوشيكاوا كان يمسك بخيطٍ ما. ولا بد أنه كان يعتقد أنّ البقاء بالقرب من تنغو سيقوده إلى أَوْمَامِه. ولهذا السبب تجشَّم مشقة توفير هذه الشقة ونصب الكاميرا على حامل ثلاثي، ومراقبة تنغو، لبعض الوقت. ولكن ما هي العلاقة التي يمكن أن تربط بين تنغو وأَوْمَامِه؟

دون أن ينطق بكلمة واحدة، غادر حليق الرأس الغرفة، ودخل الغرفة المجاورة - التي كانت مُدفأة، حيث أجرى مكالمة هاتفية مع طوكيو، مع المجموعة الموجودة في ساكوراجاوكا في شيبويا. وأمرَ أحد مرؤوسيه بالعودة على الفور إلى شقة يوشيكاوا في كوينجي ورصد تحرّكات تنغو. إنه رجل ضخم البنية وله شعر قصير، ولا يمكن أن تخطئه عين. إذا غادر المبنى، فيجب أن يتعقباه اثنان منكم، ولكن احرصا على ألّا ينتبه إليكما. لا تدعاه يغيب عن أعينكما لحظة. يجب أن تكتشفا إلى أين هو ذاهب. ومهما كلّف الأمر، يجب ألّا يفلت من المراقبة. وسوف ننضمّ إليكم في أقرب وقت ممكن.

عاد حليق الرأس إلى الغرفة التي توجد بها جثة يوشيكاوا. وأبلغَ ذيل الحصان بأنهما سيغادران على الفور إلى طوكيو. أومأ ذيل الحصان إيماءة خفيفة. لم يطلب توضيحاً. استوعب ما طُلبَ منه وشرعَ في العمل. بعد أن غادرا الغرفة، أقفلَها حليق الرأس حتى لا يتمكَّن أيّ أحد غير مصرَّح له بذلك من الدخول. خرجا من المبنى واختارا، من بين عشر سيارات، سيارة سوداء من طراز نيسان غلوريا.

ركبا السيارة وأدار ذيل الحصان المفتاح، الذي كان موجوداً بها بالفعل، لتشغيل المحرك. بحسب القواعد المعمول بها، فإنّ خزان وقود السيارة ممتلئ. وكالعادة سوف يقودها ذيل الحصان. كانت لوحات ترخيص سيارة نيسان غلوريا قانونية، وسجلّها كان نظيفاً، ولذلك حتى لو تجاوزت الحدّ الأقصى للسرعة قليلاً، فلن يتسبَّب ذلك في مشكلة.

كانا قد أمضيا بعض الوقت على الطريق السريع حينما انتبه حليق الرأس إلى أنه لم يحصل على إذنٍ من رؤسائه للعودة إلى طوكيو. سوف يظلّ ذلك الهاجس يطارده، ولكن أوان ذلك قد فات الآن. يجب ألّا يُضيع لحظة واحدة. سوف يشرح لهم الموقف بعد وصوله إلى طوكيو. قطّب جبينه قليلاً. كانت القيود تُزعجه أحياناً. وكانت القواعد دائماً في ازدياد ولا تنقص مطلقاً. ومع ذلك، كان يُدرك أنه لا يستطيع البقاء خارج النظام. لم يكن ذئباً منفرداً. وإنما كان ترساً واحداً بين العديد من التروس، وينصاع إلى الأوامر التي تأتيه من أعلى.

قام بتشغيل المذياع واستمع إلى نشرة أخبار الثامنة. حينما انتهت النشرة، أوقف حليق الرأس المذياع، وضبط مقعده وأخذ غفوة قصيرة. حينما استيقظ أحسّ بالجوع، **منذ متى لم أتناول طعاماً لذيذاً؟** تساءل، ولكن لم يكن لديه ما يكفي من الوقت للتوقف في إحدى استراحات الطريق وتناول بعض الطعام. كانا في عجلة من أمرهما.

وفي أثناء ذلك، كان تنغو قد التأم شمله بأَوْمَامِه بعد طول فِراق أعلى الزلاقة. لم يكن حليق الرأس وذيل الحصان يدريان أيّ وجهة كان يقصدها تنغو. وفي السماء كان القمران يتدلّيان فوق تنغو وأَوْمَامِه.

كانت جثة يوشيكاوا مسجّاة في ظلمة شديدة البرودة. لم يكن هناك أحد آخر في الغرفة. كانت الأنوار مطفأة، والباب مقفلاً من الخارج. وعبر النوافذ القريبة من السقف، كان يغمرها ضوء القمر الشاحب. لكن زاوية الرؤية جعلت من المستحيل على يوشيكاوا أن يرى القمر. لذلك لم يعرف هل كان هناك قمر واحد أو قمران.

لم يكن بالغرفة ساعة، لذلك لم يكن واضحاً كم هي الساعة. مضَت ساعة أو نحو ذلك على الأغلب منذ غادر حليق الرأس وذيل الحصان. لو أن أحداً آخر كان بالغرفة، لكان قد رأى فجأة أنّ فم يوشيكاوا قد بدأ فجأة يتحرّك. وكان سوف يُصاب بهلعٍ شديد. فما حدث كان مرعباً ولا أحد يتوقعه. كان يوشيكاوا قد مات وأصبح جسده قاسياً كما اللوح. ورغم ذلك، ظلّ فمه يرتعش ارتعاشة خفيفة. ثم وبصوتٍ جاف، انفتح واسعاً.

ولو أنّ أحداً كان بالغرفة، لكان قد توقّع بلا شك أنّ يوشيكاوا سوف ينطق بشيء ما. ببعضٍ من جواهر الحكمة التي لا يستطيع أن ينقلها سوى الموتى. ولأنّ الفزع سوف يتملّكه، كان الشخص سوف ينتظر بأنفاسٍ لاهثة. ما هو السرّ الذي يوشك أن يَكشف عنه؟

لكن لم يَخرج منه أيّ صوت. لم يكن ما خرج منه كلمات ولا أنفاس طويلة، وإنما خرج ستة أناسٍ صغار، يبلغ طول الواحد منهم بوصتين. كانت أجسادهم الصغيرة تلبس ثياباً صغيرة، وكانوا يمشون فوق اللسان الأشبه بالطحلب المخضرّ، ويتسلّقون الأسنان القذرة غير المتّسقة. كانوا يظهرون واحداً تلو الآخر، وكأنهم عمالٌ في مناجم يعودون إلى السطح بعد يوم من العمل الشاق. ولكن على النقيض من عمال المناجم، كانت ثيابهم ووجوههم نظيفة للغاية ولا أثر عليها للغبار أو الاهتراء.

خرج ستة أناس صغار من فم يوشيكاوا وصعدوا إلى الطاولة، حيث هزّ كلّ منهم نفسه حتى نما جسمه تدريجياً. إذا اقتضت الحاجة، يمكنهم أن يقوموا بتعديل حجمهم، لكن أطوالهم لم تكن تتجاوز ياردة واحدة أو تقلّ عن بوصة. وحالما تتراوح أطوالهم ما بين أربعٍ وعشرين بوصة وثمانٍ وعشرين بوصة، كانوا يتوقفون عن الاهتزاز، وبعد ذلك يهبطون بالترتيب من الطاولة إلى الأرض. لم تكن تظهر على وجوه هؤلاء الناس الصغار أيّ تعابير. ولكنهم لم يكونوا يشبهون الأقنعة. كانت لديهم وجوه عادية جداً - أصغر حجماً، ولكنها لا تختلف عن وجوهكم أو وجهي. وفي تلك اللحظة فقط، كانوا لا يشعرون بحاجة إلى إظهار أيّ تعبيرات.

لم يكن يبدو أنهم متعجّلون أو متراخون فيما يؤدّونه. كان لديهم الوقت المناسب بالضبط لإتمام العمل الذي يتعيّن عليهم إتمامه. لم يكن الوقت أطول ولا أقصر ممّا ينبغي أن يكون. ومن دون أيّ إشارة واضحة، جلس ستّتُهم أرضاً في صمت وقد تحلّقوا على شكل دائرة. كانت دائرة صغيرة، ولا يزيد قطرها عن ياردة واحدة.

في صمت، شبّ أحدهم والتقط خيطاً رفيعاً من الهواء. كان الخيط طوله ست بوصات تقريباً، ولونه أبيض شفاف غالباً، أو سمني تقريباً. وضع الخيط على الأرض. ثم قام الشخص التالي بالشيء نفسه، والتقط خيطاً باللون نفسه والطول نفسه. وتبعهما في ذلك ثلاثة آخرون. وحده الأخير هو مَن فعل شيئاً مغايراً. نهض واقفاً، وغادر الدائرة ثم صعد الطاولة ومدّ يده واقتلع شعرة جعداء من رأس يوشيكاوا المنبعج. صاحَبَ انتزاعُ الشعرة صوت طقة صغيرة. كان ذلك هو خيطه البديل. وبيدين متمرّستين نسج الشخص الأول من الناس الصغار تلك الخيوط الهوائية الخمسة في الشعرة التي انتُزعت من رأس يوشيكاوا.

وهكذا صنع الناس الصغار شرنقة هوائية جديدة. لم يكن هناك أحدٌ يتحدّث الآن أو يردِّد إيقاعاً. كانوا يسحبون الخيوط من الهواء ويقتلعون الشعر من رأس يوشيكاوا في صمت، ثم راحوا بإيقاع محدَّد وسَلس، ينسجون في همّة ونشاط شرنقة هوائية. لم تكُن أنفاسهم تخرج بيضاء حتى وهُم داخل الغرفة شديدة البرود. ولو أن أحداً آخر كان هناك ورأى ذلك، لربما وجده غريباً أيضاً. أو لعلّه ما كان ليَلحَظ ذلك، لانشغاله بما يجري من أمور أخرى مفاجئة.

وبغض النظر عن مدى التركيز الذي كان يعمل به الناس الصغار (دون أن يتوقفوا لحظة)، فقد كان إكمال شرنقة هوائية في ليلة واحدة أمراً غير واردٍ. كان ذلك سوف يستغرق ثلاثة أيام على الأقل. ولكن لم يكُن يبدو أنهم متعجّلون. يجب أن يمرّ يومان آخران قبل أن تتجاوز جثة يوشيكاوا مرحلة التخشّب الموتي، ومن ثم يمكن نقلها إلى المحرقة. كانوا يُدركون ذلك جيداً. إذا انتهوا من معظم العمل المطلوب في ليلتين، فسيكون ذلك رائعاً. وكان لديهم من الوقت ما يكفي لإنجاز ما يتعيّن عليهم إنجازه. ولم يشعروا قط بالتعب.

كان يوشيكاوا يرقد ممدّداً على الطاولة، ويغمره ضوء القمر الشاحب. وكان فمه مفتوحاً على آخره، وكذلك كانت عيناه اللتان استعصيتا على الإغماض واللتان غُطيتا بقطعة قماش سميكة. في آخر لحظاتهما، رأت هاتان العينان بيتاً وكلباً صغيراً يركض وسط حديقة صغيرة.

يوشك جزءٌ من روحه أن يصبح شرنقة هوائية.

الفصل التاسع والعشرون

أَوْمَامِه
لن أُفلت يدك من يدي مرة أخرى أبداً

«تنغو، افتح عينيك»، همست أَوْمَامِه. فتح تنغو عينيه. بدأ الوقت يتدفّق مرة أخرى في العالم.

قالت أَوْمَامِه: «ها هو القمر».

رفع تنغو رأسه ونظر في السماء. كان السحاب قد تفرّق وأصبح بوسعه أن يتبيّن القمرين فوق الفروع العارية لشجرة الزيلكوفا. قمر أصفر كبير وآخر أخضر صغير وشائه الشكل. مازا ودوهتا. كان الوهج يلوّن حواف السحاب المار، وكأنه تنورة طويلة انغمست حاشيتها في صبغة ما عن طريق الخطأ.

استدار تنغو الآن ليجد أَوْمَامِه جالسة إلى جواره. لم تعُد تلك الفتاة النحيلة ابنة العاشرة، التي تعاني سوء التغذية وترتدي ثياباً قديمة لا تلائمها، ولم تعُد تلك الفتاة ذات الشعر القصير الذي اعتادت والدتها أن تقصّه لها بطريقة رديئة. لم يبقَ سوى أقل القليل من الفتاة التي كانتها ذات يوم، ولكن تنغو عرَفَها بمجرّد أن لَمَحها. كان واضحاً أنها أَوْمَامِه وليست أحداً سواها. بقيت عيناها، اللتان تفيضان بالتعابير، كما هما، حتى بعد مرور عشرين سنة. عينان قويتان

واضحتان وصافيتان. عينان تعرفان بالضبط ما تتوقان إليه. عينان تدركان جيداً ما يجب أن ترياه، ولا تسمحان لأيّ أحد أن يحجب عنهما الرؤية. كانت هاتان العينان تنظران إليه مباشرة. وتتصلان بقلبه مباشرة.

كانت أَوْمَامِه قد أمضت السنوات العشرين الماضية في مكان يجهله. وخلال هذه السنين، كبرت وغدت امرأة جميلة. على الفور ومن دون تحفّظ، استوعب تنغو كلّ هاتيك الأماكن، وكلّ هذا الزمن، وأصبح كلّ ذلك جزءاً من لحمه ودمه. أصبحت الآن أماكنه. وزمنه.

قال تنغو في نفسه، **يجب أن أقول شيئاً**، ولكن الكلمات لم تطاوعه. حرَّك شفتيه، قليلاً، بحثاً عن كلمات مناسبة في الهواء، فلم يجد شيئاً. لم تخرج من بين شفتيه سوى دواماتٍ من أنفاس بيضاء، وكأنها جزيرة متحرِّكة ومعزولة. وبينما كانت أَوْمَامِه تنظر في عينيه، هزّت رأسها هزّة خفيفة، مرة واحدة فقط. فَهِمَ تنغو ما تعنيه بذلك. **ليس عليك أن تقول أيّ شيء**. ظلّت قابضة على يده وهي داخل جيبه. لم تُفلتها، ولو للحظة.

قالت أَوْمَامِه بهدوء وهي تحدّق في عمق عينيه: «نحن نرى الشيء نفسه». كان ذلك سؤالاً وإقراراً في آنٍ واحد معاً.

قالت أَوْمَامِه: «هناك قمران».

أومأ تنغو. **هناك قمران**. لم يقُل ذلك بصوت عالٍ. ولسببٍ ما لم يخرج صوته. فكَّر في ذلك فقط.

أغمَضَت أَوْمَامِه عينيها. ارتاحت في جلستها وأراحت خدّها على صدره. جاءت أذنها فوق قلبه مباشرة. راحت تستمع لأفكاره. وقالت أَوْمَامِه: «كنت بحاجة إلى معرفة ذلك، وهو أننا في عالمٍ واحد، ونرى الأشياء ذاتها».

لاحظ تنغو فجأة أنّ الدوامة الهوائية التي كان ترتفع داخله قد تلاشت. لم تعُد تحيط به الآن سوى ليلة شتوية هادئة. لم يكن هناك سوى عددٍ ضئيل من النوافذ المضاءة في المبنى السكني المواجه للطريق، ما يعني أنّ هناك أحياءً آخرين غيرهما في هذا العالم. كان أمراً بالغ الغرابة بالنسبة إلى كليهما، بل وحتى ليس منطقياً - أن يكون هناك أناسٌ آخرون موجودون معهم، وأن يعيشوا حياتهم في العالم نفسه.

مالَ تنغو قليلاً نحو أَوْمَامِه واشتمَّ رائحة شعرها. شعرٌ جميلٌ ومسدل. كانت أذناها الصغيرتان ذات اللون الوردي تبرزان من تحته على استحياء وكأنهما مخلوقان ضئيلان.

قالت أَوْمَامِه في نفسها، **كم كان زمناً طويلاً**.

وقال تنغو في نفسه أيضاً، **كم كان زمناً طويلاً**. لكنه ومع ذلك، لاحظَ أن السنوات العشرين التي مرّت لم يعُد بها مضمون الآن. لقد مرَّت في لمح البصر، وتمّ ملؤها في لمح البصر.

أخرج تنغو يده من جيبه ووضعَها حول كتفها. وعبر يده أصبح يشعر بكلّ جسدها. رفع رأسه ونظر إلى القمرين مرة أخرى. وعبر الفجوات التي تخلَّلت السحاب، كان القمران الغريبان لا يزالان يغمران الأرض بمزيجٍ غريبٍ من الألوان. كان السحاب يشقّ طريقه ببطء عبر السماء. وتحت هذا الضوء، شعر تنغو مرة أخرى بقدرة ذهنه على التفكير في الوقت بطريقة نسبية. إنّ عشرين سنة هي زمن طويل. ولكن تنغو كان يدرك أنه إن كان له أن يلتقي أَوْمَامِه بعد عشرين سنة أخرى، فسوف يظلّ شعوره هو نفسه الذي عليه الآن. حتى لو كانا قد تجاوزا الخمسين سنة من عمرهما، فسوف يشعر بالمزيج نفسه من

الحماس والارتباك في حضورها. كان قلبه سوف يمتلئ بالقدر نفسه من الفرح واليقين.

احتفظ تنغو بهذه الأفكار لنفسه، لكنه كان يعي أنّ أَوْمَامِه تصغي بانتباهٍ لهذه الكلمات التي لم ينطق بها. كانت تضع أذنها الوردية الصغيرة على صدره. وتسمع كلّ ما يدور في قلبه، وكأنها شخص يتتبّع خريطة بطرف إصبعه ويتخيّل منظراً مفعَماً بالحيوية.

قالت أَوْمَامِه بصوتٍ خافت: «أريد أن أبقى هنا إلى الأبد وأنسى الزمن. ولكن هناك شيئاً يتعيّن علينا عمله».

قال تنغو في نفسه، **علينا أن نتحرّك.**

قالت أَوْمَامِه: «هذا صحيح، علينا أن نتحرّك. كلما عجَّلنا، كان ذلك أفضل. ليس لدينا وقت طويل. وإن كنت لا أستطيع أن أقول بالكلام إلى أين نحن ذاهبان».

فكّر تنغو، **لا حاجة للكلام.**

سألت أَوْمَامِه: «ألا تريد أن تعرف إلى أين نحن ذاهبان؟».

هزّ تنغو رأسه. لم تطفئ رياح الواقع اللهب الذي يتّقد في قلبه. لم يكن هناك شيء أكثر أهمية.

قالت أَوْمَامِه: «لن نفترق أبداً. هذا أوضح من أيّ شيء آخر. لن يُفلت أيٌّ منا يد الآخر مرة أخرى أبداً».

ظهرت سحابة جديدة وابتلعت القمرين تدريجياً. أصبح الظل الذي يغلّف العالم أعمق درجة عمّا كان عليه.

همست أَوْمَامِه: «يجب أن نسرع». وقف كلاهما على الزلاقة. صار ظلّ كلّ منهما ظلاً واحداً مرة أخرى. وقبض كلّ منهما بشدّة على يد الآخر، وكأنهما صغيران يتلمّسان طريقهما عبر غابة مظلمة.

قال تنغو بصوت عالٍ لأول مرة: «سنغادر بلدة القطط». أعجِبَت أَوْمَامِه بهذا الصوت العذب الجديد.

«بلدة القطط؟».

«البلدة التي تصبح تحت رحمة عزلة رهيبة خلال النهار، وفي الليل تُمسي تحت رحمة القطط الكبيرة. ويجري عبرها نهر جميل، وفوق النهر يمتد جسر حجري قديم. ولكنها ليست المكان الذي يجب أن نمكث فيه».

قالت أَوْمَامِه في نفسها، نحن نسمّي هذا العالم بأسماء مختلفة. أسميه عام 1Q84، فيما يسميه هو بلدة القطط. ولكنها جميعها تعني الشيء نفسه. شدّت أَوْمَامِه قبضة يدها.

قالت أَوْمَامِه: «معك حق، سنغادر بلدة القطط الآن. نحن الاثنان معاً. بمجرد أن نغادر هذه البلدة، ليلاً أو نهاراً، فلن نفترق أبداً».

وبينما كان الاثنان يغادران الحديقة، ظلّ القمران متواريين خلف السحاب الذي كان يمرّ ببطء. حجب ذلك الرؤية عن عيون القمرين. وشقّ الفتى والفتاة طريقهما، يداً بيدٍ، لمغادرة الغابة.

الفصل الثلاثون

تنغو

إذا لم أكن مخطئة

بعد أن غادرا الحديقة، خرجا إلى الشارع الرئيس وأشارا إلى سيارة أجرة. طلبت أَوْمَامِه من السائق أن يوصلهما إلى سانجينجايا عبر الطريق 246.

انتبه تنغو لأوّل مرة للثياب التي كانت أَوْمَامِه ترتديها. كانت ترتدي معطفاً ربيعياً فاتح اللون، ورقيقاً جداً بما لا يلائم هذا الطقس البارد من السنة. كان للمطعف حزام من الأمام. وتحته كانت توجد بدلة خضراء ذات تصميم جميل. أمّا التنورة فكانت قصيرة وضيقة. وكانت ترتدي جورباً وحذاءً لامعاً عالي الكعبين، وتحمل حقيبة كتف جلدية سوداء اللون. كانت الحقيبة منتفخة وتبدو ثقيلة. لم تكن ترتدي قفازاً أو وشاحاً، أو تلبس حلقاً أو قلادة أو قرطاً، ولم تكن تضع أي عطور. بالنسبة إلى تنغو بدا أنّ كل ما كانت ترتديه وكل ما أغفلته كان طبيعياً تماماً. لم يجد شيئاً عليها أن تلبسه أو عليها أن تخلعه.

انطلقت سيارة الأجرة عبر الطريق الدائري 7 باتجاه الطريق 246. كانت حركة المرور تتدفّق بسلاسة غير معهودة. بقيا صامتين لمدة طويلة بعد دخولهما السيارة. كان مذياع السيارة مطفأ، وكان

السائق الشاب هادئاً جداً. لم يكونا يسمعان سوى صوت الاحتكاك المستمر والرتيب لإطارات السيارات بالأرض. اتّكأت أَوْمَامِه على تنغو، فيما كانت لا تزال ممسكة بيده الكبيرة. إذا أفلتته فربما لن تجده مرة أخرى. كان ليل المدينة من حولهما يفيض كما لو كان موجاً فوسفورياً.

قالت أَوْمَامِه بعد فترة: «هناك أشياء يجب أن أخبركَ بها. لا أظن أني أستطيع أن أشرح لكَ كلّ شيء قبل وصولنا إلى هناك. ليس لدينا وقت طويل. ولكن ربما حتى لو مُنحنا كلّ الوقت المتاح في العالم فلن أستطع أن أشرح لك ذلك».

هزّ تنغو رأسه قليلاً. لم تكن ثمة حاجة لأن تشرَح كلّ شيء الآن. يمكنهما لاحقاً سدّ جميع الفجوات، إذا كانت هناك بالفعل فجوات يتعيّن سدها. شعر تنغو أنه ما دام يمكنهما مشاركة هذا الشيء، حتى لو كانت فجوة يجب عليهم تركها أو لغزاً لم يتمكّنوا من حله، فإنّ بإمكانه أن يكتشف فرحاً هناك، شيء أقرب ما يكون إلى الحب.

سأل تنغو: «ما الذي يجب أن أعرفه عنك في هذه المرحلة؟».

سألت أَوْمَامِه في المقابل: «وماذا تعرف عني؟».

قال تنغو: «لا شيء تقريباً. أعرف أنك مدربة في نادٍ رياضي. وأنك عزباء. وأنك تعيشين في كوينجي».

قالت أَوْمَامِه: «وأنا أيضاً لا أعرف عنك شيئاً تقريباً. وإن كنت أعرف بعض التفاصيل الصغيرة. إنك تدرِّس الرياضيات في مدرسة تأهيلية في يويوجي. وتعيش وحدك. وأنك الكاتب الحقيقي للشرنقة الهوائية».

نظر تنغو في وجهها، وقد فغرَ شفتيه من الدهشة. لم يكن هناك

سوى أشخاص قليلين يعرفون هذا عنه. هل تربطها صلة ما بجماعة ساكي جاكه؟

قالت: «لا تقلق. نحن في جانبٍ واحد. إذا أخبرتكَ كيف عرفت ذلك، فسوف يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. لكنني أعلم أنك كتبت الشرنقة الهوائية مع إريكو فوكادا. وأني وأنت قد دخلنا عالماً يوجد في سمائه قمران. وهناك شيء آخر. وهو أني حامل بطفل أعتقد أنه لك. في الوقت الحالي، هذه هي الأشياء المهمة التي يجب عليك معرفتها».

«أنتِ حامل بابني؟» ربما كان السائق يستمع، ولكن تنغو لم يكُن يعبأ بذلك.

قالت أَوْمَامِه: «صحيح أننا لم نلتقِ منذ عشرين سنة، ولكنني حامل بابنك. سوف أنجبُ لك ابناً. أعرف أنّ ذلك قد يبدو جنوناً خالصاً».

بقي تنغو صامتاً، منتظراً منها أن تتابع.

«هل تذكر تلك العاصفة الرعدية الرهيبة التي حدثت في بداية سبتمبر؟».

قال تنغو: «أذكرها جيداً. كان الطقس لطيفاً طوال اليوم، ثم انقلب بعد غروب الشمس إلى عاصفة صاحَبَها برق شديد. وتدفّقت مياه الأمطار حتى أغرقَت محطة أكاساكا-ميتسوكي وتمّ إيقاف قطار الأنفاق بعض الوقت». كان الناس الصغار يتحرّكون، هكذا قالت فوكا-إري.

قالت أَوْمَامِه: «لقد حملتُ في تلك الليلة العاصفة. ولكني لم أدخل في أيّ علاقة مع أيّ أحد ذلك اليوم، أو خلال أشهر من قبل ذلك وبعده».

توقفت وانتظرت ريثما يستوعب هذه الحقيقة، ثم تابعت كلامها.

«ولكنه وقع بالتأكيد في تلك الليلة. وأنا واثقة من أنّ الطفل الذي أحمله هو طفلك. لا أستطيع أن أفسِّر ذلك، ولكن هذه هي الحقيقة».

لاحَت له ذكرى ذلك اللقاء الجنسي الغريب الذي جمعه مع فوكا-إري في تلك الليلة. كان البرق يضرب في الخارج فيما كانت قطرات مطر كبيرة ترتطم بالنافذة. وكان الناس الصغار يتحرّكون بالفعل. كان مستلقياً هناك، ووجهه لأعلى في السرير، وقد اعترى جسمه كلّه الخدر، فيما كانت فوكا-إري تعلوه، وتولج قضيبه بداخلها، وتعتصر سائله المنوي. كانت تبدو وكأنها في غيبوبة تامة. أبقَت عينيها مغمضتين من البداية إلى النهاية، كما لو كانت مستغرقة في حالة من التأمّل. وكان نهداها نافرين ومستديرين فيما خلت منطقة العانة لديها من أيّ شعر. كان المشهد كله ليس واقعياً، ولكنه كان يدرك أنه حدث بالفعل.

في صباح اليوم التالي، تصرّفت فوكا-إري وكأنها لا تذكر أيّ شيء عمّا جرى الليلة السابقة، أو لعلّها حاولت أن تعطي انطباعاً بأنها لا تذكر شيئاً. بالنسبة إلى تنغو، بدا ما جرى وكأنه مهمّة عمل رسمية أكثر من كونها لقاءً جنسياً. في تلك الليلة العاصفة، استخدمت فوكا-إري جسده كي تجمَع سائله المنوي حتى آخر قطرة فيه. ما زال تنغو يتذكر حتى الآن ذلك الإحساس الغريب. بدا له ساعتها أنّ فوكا-إري قد أصبحت شخصاً آخر.

قال تنغو بصوت جاف: «هناك شيء أتذكّره. شيء حدث لي في تلك الليلة ولا يفسِّره منطق».

نظرت أَوْمَامِه في عينيه محدِّقة.

وتابع: «لم أكن وقتها أدرك ماذا يعنيه ذلك. وحتى الآن، لستُ متأكداً. ولكن إذا كنتِ قد حملتِ في تلك الليلة، ولا تجدين تفسيراً لذلك، فإنّ الطفل الذي بداخلكِ طفلي».

لا بدّ أن فوكا-إري كانت هي الممرّ. هذا هو دورها، أن تكون بمثابة الممر الذي يربط بين تنغو وأَوْمَامِه، وأن تربط بينهما جسدياً خلال فترة زمنية محدودة. أدرك تنغو أنّ ذلك لا بدّ أن يكون صحيحاً.

قال تنغو: «سأخبركِ يوماً ما بما جرى بالضبط، لكني لا أعتقد أنّ الكلمات سوف تُسعفني الآن كي أشرح لكِ ذلك».

«ولكنك تصدِّقني في ما أقوله، أليس كذلك؟ أن الصغير الذي بداخلي هو ابنك؟».

قال تنغو: «أصدِّقك من صميم قلبي».

قالت أَوْمَامِه: «حسناً. هذا كلّ ما أردتُ معرفته. ما دمتَ تصدِّقني، فلا يهمني أيّ أحد آخر. لست بحاجة إلى أي تفسيرات».

سأل تنغو مرة أخرى: «إذاً أنتِ حامل».

قالت أَوْمَامِه وهي تأخذ بيده وتضعها على بطنها: «منذ أربعة أشهر».

بقي تنغو هادئاً، وراح يمرِّر يده باحثاً عن علامات الحياة. كان الجنين لا يزال صغيراً جداً، ومع ذلك استطاع تنغو أن يستشعر الدفء المنبعث.

«إلى أين نحن ذاهبون؟ أنتِ وأنا والصغير».

أجابت أَوْمَامِه: «إلى مكانٍ لا يوجد هنا. إلى عالم لا يوجد فيه إلّا قمرٌ واحد. إلى المكان الذي ننتمي إليه. حيث لا توجد سلطة للناس الصغار».

تجهّم تنغو قليلاً: «الناس الصغار؟».

«لقد وصفتَ الناس الصغار بالتفصيل في الشرنقة الهوائية. كيف يبدون، وماذا يفعلون».

أومأ تنغو.

قالت أَوْمَامِه: «إنهم موجودون حقاً في هذا العالم. تماماً كما وصفتهم».

حينما أعادَ كتابة الرواية، كان يظنّ أن الناس الصغار ليسوا إلّا من بنات خيالٍ خصب لدى فتاة في السابعة عشرة من عمرها. أو أنهم كانوا على الأغلب مجرّد مجازٍ أو رمز. ولكن تنغو أصبح الآن يؤمن بأنّ الناس الصغار موجودون بالفعل، وأنّ لديهم سلطة حقيقية.

قالت أَوْمَامِه: «ليس الناس الصغار فقط. ولكن كلّ ما ورد فيها موجود بالفعل في هذا العالم - الشرنقة الهوائية ومازا ودوهتا والقمران».

«وأنتِ هل تعرفين طريقاً للخروج من هذا العالم؟».

«سوف نأخذ الطريق الذي سلكته من قبل للوصول إلى هذا العالم حتى يمكننا الخروج منه. هذا هو المَخرج الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه». وأضافت: «هل لديك مخطوطة الرواية التي تكتبها؟».

قال تنغو وهو يضرب بخفّة على الحقيبة الملونة التي تتدلى من كتفه: «إنها هنا». وجد تنغو ذلك غريباً. كيف عرفت بذلك.

ابتسمت أَوْمَامِه له ابتسامة متردِّدة: «عرفتُ ذلك للتو».

قال تنغو: «يبدو أنكِ تعرفين الكثير». كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى ابتسامتها. كانت ابتسامة واهنة، ومع ذلك شعر وكأنّ حركة المدّ والجزر قد بدأت تتبدّل في جميع أرجاء المعمورة.

قالت أَوْمَامِه: «لا تُفلت يدي. هذا مهم جداً لنا».

«لا تقلقي. لن أفعل».

«لقد جئنا إلى هذا العالم حتى نلتقي. لم نكُن ندرك ذلك، ولكن هذه هي الغاية من قدومنا إلى هنا. واجهنا تعقيدات كثيرة ورأينا أشياء تتحدّى كلّ منطق وأشياء تستعصي على كل تفسير. أشياء غريبة وأشياء دموية وأشياء تبعث على الحزن. وأحياناً، أشياء جميلة. طُلب منا أن نُقسم، وقد فعلنا. مرَرنا بأوقات عصيبة. استطعنا أن نحقِّق الهدف الذي جئنا لأجله. ولكن الخطر يقترب منّا بشكلٍ سريع. إنهم يريدون الحصول على دوهتا التي بداخلي. وأتصوّر أنك تعرف ماذا تعني دوهتا».

أخذ تنغو نفساً عميقاً: «أنت تحملين دوهتا الخاصة بنا - بك وبي».

«لا أعرف أيّ تفاصيل أكثر من ذلك، ولكني سوف أضع دوهتا. إمّا عبر شرنقة هوائية أو سأكون أنا هي الشرنقة الهوائية. وهم يحاولون الإمساك بثلاثتنا جميعاً. لخلق نظام جديد يتيح لهم سماع الأصوات».

«ولكن أيّ دور لي في ذلك؟ إذا افترضنا أنّ دوري يتجاوز كوني والد دوهتا».

«أنت..». بدأت أَوْمَامِه بالكلام ثم توقفت. لم تطاوعها الكلمات التالية. كان هناك العديد من الفجوات التي بقيت، فجوات يتعين عليهما أن يملآها معاً.

قال تنغو: «قرّرت أن أجدك، ولكني لم أستطع. أنتِ مَن وجدتني. أما أنا فلم أفعل شيئاً في واقع الأمر. هذا ليس، لا أدري كيف أعبر عن ذلك، ليس عدلاً؟».

«ليس عدلاً؟».

«أنا مدين لكِ بالكثير. ولم أساعدكِ كثيراً».

قالت أَوْمَامِه بحزم: «لستَ مديناً لي بأيّ شيء. أنت مَن أرشدني حتى وصلنا إلى هنا. بطريقة غير مرئية. أنا وأنت شخصٌ واحد».

قال تنغو: «أعتقد أني رأيت دوهتا. أو ما تعنيه دوهتا على الأقل. كنتِ في العاشرة من عمرك نائمة داخل ضوء خافت في الشرنقة الهوائية. كان بوسعي أن ألمس أصابعها. حدَث ذلك مرة واحدة فقط».

أسندت أَوْمَامِه رأسها إلى كتف تنغو، وقالت: «نحن لسنا مدينين بعضنا لبعضٍ بأيّ شيء. بأي شيء. والشيء الوحيد الذي علينا أن ننشغلَ به هو حماية هذا الصغير. إنهم يقتربون منا. بل إنهم يتحكّمون فينا تقريباً. أستطيع أن أسمع وقع خطاهم».

«لن أسمح لأيّ أحد أن يَمسَسْكِ بسوء. أنتِ والصغير. الآن وقد التقينا ووجدنا ما كنا نبحث عنه منذ جئنا إلى هذا العالم. إنه عالم محفوف بالمخاطر. لكنكِ قلتِ إنك تعرفين أين المخرج».

قالت أَوْمَامِه: «أعتقد ذلك. إذا لم أكُن مخطئة».

الفصل الحادي والثلاثون

تنغو وأَوْمَامِه

وكأنها حبة بازلاء في قرن

تعرَّفت أَوْمَامِه على المكان فور نزولهما من سيارة الأجرة. وقفت عند التقاطع ونظرت حولها فأبصرَت منطقة التخزين المعتمة الموجودة أسفل الطريق السريع، والتي يحيطها سياج من الألواح المعدنية. أخذت بيد تنغو، وعبرت ممرّ المشاة في اتجاهها.

لم تستطعْ أن تتذكر أيّاً من الألواح المعدنية كان مخلخلاً، ولكنها بعد أن حاولت مع كلّ لوح على حدة، وجدت مكاناً يمكنها أن تنسلّ من خلاله. انحنت أَوْمَامِه لأسفل بحذر كي تتحاشى تَمزُّق ثيابها إنْ علقت في جسمٍ حادّ ثم انسلّت إلى الداخل. وكذلك انحنى تنغو بقدر ما يسمح به بنيانه الضخم، وتبِعها. داخل منطقة التخزين، وجدت أَوْمَامِه كلّ شيء كما كان تماماً في شهر أبريل، حينما رأتها آخر مرة. أكياس إسمنت مهترئة ومهمَلَة وأنابيب معدنية صدئة وحشائش ذابلة وأوراق قديمة متناثرة وبقع من براز الحمام ذي اللون الأبيض الجاف هنا وهناك. لم يتغير أي شيء على مدى ثمانية أشهر. خلال هذه المدة، ربما لم يطأ أحدٌ المكان بقدميه. كانت تشبه حاجزاً رملياً على طريق سريع رئيس في وسط المدينة - منطقة صغيرة وخالية تماماً.

سأل تنغو وهو يتلفّت حوله: «أهذا هو المكان؟».

أومأت أَوْمَامِه: «إذا لم نجد مخرجاً هنا، فلن نذهب إلى أيّ مكان».

في الظلام، بحثَت أَوْمَامِه عن درج الطوارئ الذي هبطت من خلاله، ذلك الدرج الضيق الذي يربط الطريق السريع ومنطقة التخزين الموجود بالأسفل. قالت لنفسها، **يجب أن يكون الدرج هنا. يجب أن أؤمن بذلك.**

وجدَت الدرج. كان في واقع الأمر أقرَب إلى سلَّم منه إلى درج. بات متّسخاً ومتهدماً أكثر ممّا كان عليه حسبما تتذكر. دُهشت لأنها تمكّنت من النزول عليه من قبل. على أيّ حال، فها هي قد وصلت. ليس عليهما الآن سوى الصعود، درجة درجة، بدلاً من النزول. خلعت حذاءها عالي الكعبين من ماركة «تشارلز جوردان»، ودسّته في حقيبتها ثم علّقت الحقيبة في كتفيها. صعدت الدرجة الأولى بقدميها العاريتين إلّا من الجورب.

قالت أَوْمَامِه وهي تلتفت إلى تنغو: «اتبعني».

سألها تنغو بقلق: «ألا يجدر أن أصعد أنا أولاً؟».

«لا، سأصعد أنا أولاً».

كان هذا هو الطريق الذي نزلته، ويجب أن تكون هي أول مَن يصعده مرة أخرى.

كان الدرج أكثر برودة ممّا كان عليه حينما نزلته. استشعرت خدراً شديداً في يديها حتى ظنّت أنها سوف تفقد إحساسها بهما. كانت الرياح تمرّ من بين الأعمدة الداعمة للطريق السريع فيُسمع دويّ صفيرها. كان الصفير أكثر حدّة ونفاذاً ممّا كان عليه في المرة السابقة. وكان الدرج متعالياً ومنفراً. ولا يبشّر بشيء.

في بداية شهر سبتمبر عندما بحثَت عن الدرج على الطريق السريع، كان قد تلاشى. وجدت المسار مسدوداً. ولكن المسار الآن للقادم من منطقة التخزين، للصعود، لا يزال موجوداً، تماماً كما توقّعت. كان لديها شعور بأنها إذا بدأت من هذا الاتجاه، فسوف تجده. قالت في نفسها، **إذا كان لهذا الصغير الذي بداخلي أيّ قدرات خاصة، فسوف يحميني ويُرشدني إلى الطريق التي يجب أن أسلكها.**

كان الدرج موجوداً، ولكنها لم تكُن تدري إن كان يؤدّي فعلاً إلى الطريق السريع. ربما يكون مغلقاً في منتصفه أو ربما يكون المسار مسدوداً. كل شيء جائز في هذا العالم. كان الخيار الوحيد أمامها هو أن تصعد بيديها وقدميها حتى تتبيّن ماذا يوجد وماذا لا يوجد.

صعدت بحذرٍ درجة درجة. نظرت وراءها فرأت تنغو خلفها مباشرة. هبّت ريح عاصفة، ممّا جعل معطفها الربيعي يتطاير من حولها من شدّة الهواء. كانت ريح شديدة. وراحت أطراف تنورتها القصيرة ترتفع حتى فخذيها. طيَّرت الريح خصلات شعرها، حتى التصقت بوجهها وحجبت عنها الرؤية، بل وبدأت تجد صعوبة في التنفس. ندمت أوْمَامِه لأنها لم تعقص شعرها إلى الوراء. **كان ينبغي أن أرتدي قفازاً أيضاً. لماذا لم أفكر في ذلك؟** لكن الندم لا يفيد. كانت تريد أن تظهر بالصورة نفسها التي كانت عليها من قبل. كان عليها أن تتشبّث بعوارض الدرج وتواصل الصعود.

وبينما كانت ترتجف من شدة البرد، وتصعد الدرج بهدوء، ألقت نظرة نحو شرفة المبنى السكني الكائن عبر الطريق. كان المبنى يتألف من خمسة طوابق ومغطى بقرميد بني اللون، وهو المبنى نفسه الذي رأته أثناء نزولها. كانت الأنوار مضاءة في نصف عدد الغرف. كان

المبنى قريباً للغاية حتى إنها كانت تستطيع تقريباً أن تمدّ يدها وتلمسه. قد يواجهان بعض المشكلات إذا تصادف ورآهما أحد السكان وهما يصعدان درج الطوارئ في منتصف الليل. كان الضوء المنبعث من ناحية الطريق 246 يُظهرهما جيداً.

ولحُسن الطالع، لم يظهر أحد في أيّ من النوافذ. كانت جميع الستائر مسدلة تماماً. وهو أمر متوقع بطبيعة الحال. مَن ذا الذي سيخرج إلى شرفته في منتصف ليلة شديدة البرودة كي ينظر إلى درج طوارئ على الطريق السريع؟

كان يَظهر في إحدى الشرفات نبات مطاط متكوّماً في وعاء بجوار كرسي متّسخ. وفي أبريل، رأت النبات نفسه وهي تهبط الدرج، وهو نبات أكثر إثارة للشفقة من ذلك الذي خلّفته وراءها في شقتها في جيوجاوكا. لا بد أن هذا النبات المطاط الصغير كان موجوداً هنا على مدى الأشهر الثمانية الماضية، في هذا المكان نفسه. لقد كان ذابلاً ومُغبراً، ومنزوياً في أقصى مكان في العالم تصعب فيه رؤيته، لقد أصبح منسياً تماماً، وربما لا يُسقى إلّا نادراً. ومع ذلك، فقد منح هذا النبات الصغير أَوْمَامِه الشجاعة واليقين كي تصعد الدرج المتهالك، فيما كانت يداها وساقاها توشكان أن تتجمّدا من شدّة البرد، وكان ذهنها مشوشاً ومضطرباً. قالت في نفسها، حسناً، أنا على الطريق الصحيح. فأنا على الأقل أتبع المسار نفسه الذي سلكته حينما جئت إلى هنا من الاتجاه المعاكس. لقد كان هذا النبات المطاط علامة من علامات الطريق البارزة. علامة شاحبة ومنعزلة.

عندما هبطت الدرج في ذلك الوقت، صادفت بعض بيوت العنكبوت. وخطرت ببالي تاماكي أوتسوكا، وكذلك الرحلة المدرسية الصيفية التي خرجنا فيها معاً والليلة التي أمضيناها معاً في

الفراش، حينما تجرّدنا من ملابسنا وتحسّست كلّ منّا جسد الأخرى. لماذا استحضرت هذه الذكرى فجأة وهي تصعد درج الطوارئ على الطريق السريع؟ وبينما كانت تصعد الآن في الاتجاه المعاكس، خطرت ببالها تاماكي مرة أخرى. تذكرت نعومة نهديها وجمال شكلهما. وقالت في نفسها، **كانا يختلفان كثيراً عن صدري الضئيل. ولكن هذين الثديين الجميلين قد ذهبا الآن إلى الأبد.**

فكرت أَوْمَامِه أيضاً في أيومي ناكانو، الشرطية التي كانت تعيش وحيدة، والتي عُثر عليها ذات ليلة من أغسطس في غرفة فندقية في شيبويا، وقد قُيّدت يداها وخُنقت حتى الموت بحزام رداء الاستحمام. كانت امرأة في ريعان شبابها ولكنها مضطربة وتمضي نحو الهاوية. وكان لديها هي الأخرى ثدي جميل.

فُجِعت أَوْمَامِه بشدّة لموت هاتين الصديقتين. كان الحزن يتملّكها كلما تذكرت أن هاتين المرأتين قد ذهبتا إلى الأبد من العالم. وكانت تتفجع أيضاً على ثدييهما الجميلين، اللذين تلاشيا ولم يعُد لهما أيّ أثر.

توسلت، **أرجوكما، احمياني. أتوسل إليكما، أنا بحاجة إلى مساعدتكما.** كانت تعتقد أنّ كلماتها التي تخرج من فمها قد وصلت إلى آذان صديقتيها تعيسَتَي الحظ. **سوف يحمياني. أنا أعرف ذلك.**

عندما وصلت أخيراً إلى أعلى السلم، واجهتها منصّة متّصلة بجانب الطريق. كانت المنصة ذات حاجز حديدي منخفض، وعليها أن تنحني كي تمرّ منه. وخلف هذه المنصة كان يوجد درج متعرّج. ليس درجاً ملائماً، ولكنه بالتأكيد أفضل كثيراً من السلم. وبحسب ما تذكره أَوْمَامِه، فإنها بمجرد صعودها الدرج، سوف تجد المخرج الجانبي للطريق السريع. كانت السرعة الفائقة للشاحنات عبر الطريق

تُحدث ارتطامات وتؤدي إلى اهتزاز المنصة، فتجعلها وكأنها قارب صغير ضربته موجة من كلا جانبيه. زاد هدير حركة السيارات.

تأكّدت من أن تنغو، الذي كان قد بلغ أعلى السلّم، كان خلفها مباشرة، فمدّت ذراعها وأخذت بيده. كانت يده دافئة. استغربت أن تكون يده دافئة في هذه الليلة الباردة وبعد إمساكه بسلّم شديد البرودة.

قالت له أَوْمَامِه في أذنه: «ها قد وصلنا تقريباً». بسبب الضجيج المنبعث من حركة السيارات وصوت الرياح كان عليها أن ترفع صوتها. «بمجرد صعودنا هذا الدرج سوف نصل إلى الطريق السريع».

قالت في نفسها، **هذا إذا لم يتمّ سدّ الدرج**، لكنها أبقَت ذلك داخل رأسها.

سأل تنغو: «هل كنتِ تخططين لصعود هذا الدرج من البداية؟».

«نعم. إذا استطعت أن أحدِّد مكانها».

«وتجشمتِ عناء ارتداء هذه الملابس. تنورة ضيقة وكعب عالي. وهي ملابس ليست ملائمة بالمرة لصعود درج مرتفع وشديد الانحدار».

ابتسمت أَوْمَامِه مرة أخرى: «اضطررتُ لارتداء هذه الملابس. سأشرح لك ذلك يوماً ما».

قال تنغو: «ساقاك جميلتان».

«هل يعجبانك؟».

«نعم».

قالت أَوْمَامِه: «أشكرك». مدّت وجهها وهي على المنصة وقبّلت أذنه بلطف. كانت أذنه متغضّنة وتشبه القرنبيط.

عادت إلى الخلف، ثم واصلت السير على المنصة، وبدأت

تصعد الدرج الضيق والمنحدر. كانت قدماها قد تجمّدتا من البرد فيما أصاب أصابعها الخدر. وكانت تمشي بحذر كي لا تزلّ قدمها. واصلت صعود الدرج وهي تزيح عن وجهها خصلات شعرها التي تثيرها الرياح. أدمعت عيناها بسبب برودة الرياح. كانت تقبض بشدة على الدرابزين لتحافظ على توازنها وسط الرياح العاتية، وبينما كانت تخطو بحذر خطوة تلو أخرى إلى الأمام، فكّرت في تنغو الموجود خلفها مباشرة. في يده الكبيرة وأذنه القرنبيطية التي تكاد تتجمّد من شدة البرد. وفي الصغير الذي يرقد داخل أحشائها. وفي المسدس الآلي الأسود القابع داخل حقيبتها. والرصاصات السبعة 9 مم.

قالت لنفسها، **يجب أن نغادر هذا العالم. وحتى يمكننا عمل ذلك، يجب أن أؤمن، في صميم قلبي، أنّ هذا الدرج سوف يؤدي إلى الطريق السريع. أنا أؤمن.** تذكرت فجأة شيئاً قاله الزعيم في ليلة العاصفة، قبل أن يموت. كلمات أغنية. يمكنها أن تتذكّرها جميعها، حتى الآن.

إنه عالم يشبه السيرك الكبير،
عالم زائف إلى أقصى الحدود،
ولكنه لن يكون وهماً،
إذا كنت تؤمنين بي.

بغض النظر عمّا يحدث، وبغض النظر عمّا يجب أن أفعل، يجب أن أجعله عالماً حقيقياً، وليس وهمياً. لا، يجب علينا نحن الاثنين، تنغو وأنا، أن نفعل ذلك. يجب أن نجعله حقيقياً. يجب أن نوحّد قوتنا ونستعين بكلّ ما أوتينا من قوة. من أجلنا، ومن أجل هذا الصغير.

توقفت أَوْمَامِه عند مصطبة في منتصف الدرج واستدارت. كان تنغو لا يزال وراءها. مدّت يدها فأمسك بها تنغو. شعرت بالدفء نفسه الذي كانت تشعره من قبل، ومنحها ذلك قدراً من القوة. شبّت لأعلى وقرّبت فمها من أذنه.

قالت: «هل تعلم أني كدتُ أتخلى عن حياتي لأجلك. كنت أُوشك أن أموت. لم يكن يفصلني عن الموت سوى بضعة ملليمترات. هل تصدقني؟».

قال تنغو: «بالطبع».

«هل يمكنك أن تقول لي إنك تصدّقني من صميم قلبك؟».

أجاب تنغو: «أصدِّقك من صميم قلبي».

أومأت أَوْمَامِه، وتركت يده. استدارت إلى الأمام وبدأت مرة أخرى في صعود الدرج.

وبعد بضع دقائق، وصلت إلى القمة وخرجت إلى الطريق السريع رقم 3. لم يكن مخرج الدرج قد أغلق. قبل أن تجتاز السياج المعدني، مدّت ظهر يدها ومسحت بعض الدموع الباردة التي في عينيها.

نظر تنغو حوله دون أن ينطق بكلمة. وأخيراً، قال كما لو كان مندهشاً: «هذا هو الطريق السريع رقم 3. هذا هو المخرج من هذا العالم، أليس كذلك».

أجابت أَوْمَامِه: «هذا صحيح. إنه المدخل والمخرج».

ساعدها تنغو من الخلف وهي تجتاز السياج الحديدي، فيما ارتفعت تنورتها الضيقة حتى فخذيها. وراء السياج كان يوجد مخرج

يكفي لمرور سيارتين. كانت هذه هي المرة الثالثة التي تصل إلى هنا. وجدت لوحة إعلان إسو الكبيرة أمامها مباشرة. **ضع نمراً في خزان وقودك**. الشعار نفسه. والنمر نفسه. وقفت هناك بقدميها الحافيتين من دون كلمة واحدة. استنشقَت عادم السيارات في عمق رئتيها. كان هذا هو الهواء الأكثر إنعاشاً الذي يمكنها أن تتخيّله. قالت أَوْمَامِه في نفسها، **لقد عدت، لقد عدنا.**

كان هناك تكدّس مروري على الطريق السريع، تماماً كما تركته. وكانت حركة المرور المتجهة إلى شيبويا شبه متوقفة. فاجأها ذلك، وتساءلت لماذا. **كلّما جئتُ إلى هنا، وجدت هذا الزحام. ولكن في هذا الوقت من اليوم، من النادر جدّاً أن تكون المسارات المتجهة إلى المدينة على الطريق السريع رقم 3 بهذه الدرجة من الزحام. لا بد أنّ هناك حادثاً ما أمامنا.** كانت الحركة المرورية في مسارات الاتجاه الآخر من الطريق تتدفق بسلاسة، أما تلك المتجهة صوب المدينة فكانت تواجه زحاماً رهيباً.

اجتاز تنغو السياج الحديدي، ورفع قدماً واحدة كي يقفز برشاقة، ويقف بجوارها. وقفا هناك معاً، وراحا يراقبان في صمتٍ الزحام المروري، وكأنهما شخصان يقفان بجوار المحيط الهادئ للمرة الأولى في حياتهما، وينظران بدهشة إلى الأمواج وهي تتحطم على صخور الشاطئ.

راح الناس في السيارات التي تكاد لا تتحرك يرمقونهما. كانت تبدو عليهم علامات الارتباك ولا يدرون كيف يتصرفون. وكانت نظراتهم ممتلئة بالفضول أكثر ممّا هي ممتلئة بالشكوك. ماذا سيفعل هذان الشخصان؟ لقد برزا فجأة من الظلام ووقفا عند مخرج على الطريق السريع. المرأة ترتدي بذلة أنيقة، ولكن معطفها معطف ربيعي

خفيف، وهي حافية القدمين. أما الرجل فكان ممتلئ الجسم ويرتدي جاكيت جلدي مهترئ. وكان كلّ منهما يعلّق في كتفه حقيبة بشكلٍ قطري مائل. هل تعطّلت سيارتهما؟ هل تعرّضا لحادث طريق؟ لم يكن هناك وجود لأيّ سيارة بالقرب منهما. ولم يكن يبدو أنهما يطلبان عوناً من أحد.

استجمعت أَوْمَامِه قواها في النهاية وأخرجت الحذاء من حقيبتها. شدّت أطراف تنورتها لأسفل، ووضعت حزام حقيبتها على كتف واحدة، وربطت حزام معطفها. ثم لعقت شفتيها الجافتين بلسانها، ومسّدت شعرها بأصابعها، وأخرجت منديلاً مسحت به دموعها. ووقفت تحتمي بتنغو مرة أخرى.

وكما فَعلا ذاك اليوم من ديسمبر قبل عشرين سنة، داخل صفّ دراسي بعد انتهاء اليوم الدراسي، وقفا جنباً إلى جنب وأمسك كلّ منهما بيد الآخر. كانا هما الشخصان الوحيدان في العالم. شاهدا الحركة البطيئة للسيارات أمامهما. ولكنهما لم يريا أيّ شيء آخر. كلّ ما كانا يريانه، وكلّ ما كانا يسمعانه - لم يكن يهمهما في شيء. فقد جُرِّدت جميع المشاهد المحيطة بهما، وكذلك الأصوات والروائح، من معانيها.

استطاع تنغو أن يقول: «إذاً، نحن الآن في عالم آخر؟».

قالت أَوْمَامِه: «على الأرجح».

«ربما يجب علينا التأكد».

لم يكن أمامهما سوى طريقةٍ واحدة للتأكد، ولم يكونا بحاجة إلى التعبير عن ذلك بالكلام. في صمت، رفعت أَوْمَامِه وجهها ونظرت في السماء. وفي اللحظة نفسها تقريباً، فعلَ تنغو الشيء ذاته.

كانا يبحثان عن القمر. بالنظر إلى الزاوية التي كانا يتّخذانها، كان ينبغي أن يكون القمر موجوداً في مكان ما فوق لوحة إعلان إسو. ومع ذلك لم يجداه. كان يبدو أنه متوارٍ خلف السحاب. كان السحاب يجري جهة الجنوب، ويتحرّك بهدوء مع اتجاه الريح. انتظر كلاهما - لا داعي للعجلة. كان لديهما متسعٌ من الوقت. ما يكفي لاستعادة الوقت الذي فقداه. والوقت الذي عاشاه معاً. لا داعي للهلع. بخرطوم في يده، وابتسامة العارف على وجهه، كان يرقبهما نمر إعلان إسو، الموجود على اللوحة، وهما يمسكان أحدهما بيد الآخر.

صُعقت أَوْمَامِه حينما انتبهت فجأة. هناك شيء مختلف، ولكنها لم تستطعْ أن تحدِّده. ضيَّقت عينيها وركَّزت تفكيرها. وعندئذٍ انتبهت لذلك الاختلاف. كان الصدغ الأيسر لنمر إسو هو الموجَّه نحوهما. ولكن بحسب ما تحتفظ به ذاكرتها فقد كان النمر يواجه العالم بصدغه الأيمن. **لقد انعكست وضعية النمر**. انقبض وجهها تلقائياً، وتوقّفت دقات قلبها لثانية أو ثانيتين. شعرت وكأن شيئاً ما بداخلها قد تبدَّل مساره. ولكن هل يمكنها أن تجزم بذلك؟ **هل ذاكرتي فعلاً بهذه الدقة؟** لم تكن أَوْمَامِه واثقة. كان ذلك **مجرد شعور** يُداخلها. وقد تخوننا الذاكرة أحياناً.

احتفظت أَوْمَامِه بشكوكها داخلها. أغمَضَت عينيها لحظة كي تسمَح لأنفاسها ونبضات قلبها بالعودة إلى طبيعتها، ثم انتظرت مرور السحاب.

تابع الناس تحديقهم في الاثنين عبر نوافذ السيارات. إلى أيّ شيء ينظر هذان الشخصان؟ ولماذا يمسك كلّ منهما هكذا بيد الآخر؟ أطلّ بعضهم برأسه كي يرى ما يحدقان إليه؟ فلم يرَ سوى سحاب

أبيض ولوحة لإعلان إسو. ضع نمراً في خزان وقودك، هكذا كانت تقول صورة النمر على لوحة الإعلان، وهو يواجه العالم بصدغه الأيسر، ويحثّ قائدي المركبات على استهلاك المزيد من البنزين، فيما يرفع ذيله المخطط باللون البرتقالي نحو السماء.

انقشعت الغيوم أخيراً وتراءى لهما القمر.

كان هناك قمر واحد فقط. القمر الأصفر المألوف والوحيد. إنه هو نفسه القمر الذي يسبح في صمت فوق سهول البامبا، إنه القمر الذي كان يرتفع -مثل طبق مستدير ولامع- فوق سطح البحيرات الهادئة والذي يُرسل أشعته بهدوء ليضيء أسطُحَ المنازل الغارقة في النوم. إنه القمر نفسه الذي يأتي بالأمواج العالية إلى الشاطئ، والذي يسطَع بهدوء على فراء الحيوانات ويُنير للمسافرين الطريق ويحميهم في الليل. إنه القمر الذي كان، وهو هلال، يزيل شظايا الروح - أو هو قمر جديد، يغمر الأرض بضوئه في صمت. كان القمر موجوداً في السماء فوق لوحة إعلان إسو مباشرة، ولم يكن بجواره أيّ قمر صغير. كان يتدلى وحده في صمت وبلا رفيق. أدركا دون أن يسأل أحدهما الآخر أنهما يُبصران مشهداً واحداً. دون أن تنطق بكلمة قبضت أَوْمَامِه على يد تنغو. تلاشى داخلها الإحساس بالتدفّق العكسي.

قالت أَوْمَامِه في نفسها، لقد عدنا إلى 1984. هذه ليست 1Q84. هذا هو عالم 1984، العالم الذي جئت منه.

ولكن هل هو كذلك حقاً؟ هل يمكن للعالم أن يعود بسهولة إلى ما كان عليه؟ ألم يقُل الزعيم، قبل وفاته بقليل، أنه لا سبيل للعودة إلى العالم القديم؟

أيكون هذا مكاناً آخر ومختلفاً تماماً؟ هل انتقلنا من عالم إلى

آخر، إلى عالم ثالث؟ أين يُظهر لنا نمر إسو الجانب الأيسر من وجهه، وليس الأيمن؟ أين تنتظرنا ألغاز جديدة وقواعد جديدة؟

فكرت أوْمَامِه، على الأرجح. وعلى الأقل في هذه اللحظة لا يمكنني أن أقسم أنه ليس كذلك. ولكن هناك شيء واحد يمكنني أن أجزم به. مهما تغيّرت نظرتك، فإنّ هذا العالم ليس ذاك العالم الذي كانت سماؤه تضمّ قمرين. وأنا الآن أمسك بيد تنغو. لقد دخلنا نحن الاثنين مكاناً خطراً، حيث لم يكن للمنطق وجود، ونجونا بأعجوبة، ووجد كلانا الآخر، وفرَرنا معاً سراً. وسواء كان هذا المكان الذي وصلنا إليه هو العالم الذي منه بدأنا أو كان عالماً جديداً، فما الذي يجب أن أخشاه؟ إذا كانت تنتظرنا تجارب جديدة، فليس علينا إلّا التغلب عليها، كما فعلنا من قبل. هذا كلّ ما في الأمر. لكننا على الأقل لم نعُد وحدنا.

شعرت بالارتياح حينما صدقت ما يجب أن تصدّقه، ثم مالت إلى الخلف حيث استندت إلى جسم تنغو الكبير. ضغطت بأذنها على صدره واستمعت إلى دقات قلبه، وأسلمت نفسها إلى ذراعيه. وكأنها حبّة بازلاء في قرن.

سأل تنغو بعد مُضيّ بعض الوقت: «أين يجب أن نذهب الآن؟»

لا يمكنهما البقاء هنا إلى الأبد. كان ذلك واضحاً. ولكن الطريق السريع لم يكُن له كتف. وكان مخرج إيكيجيري قريباً نسبياً، ولكن حتى وسط هذا الزحام يصبح من الخطورة بمكان على المشاة أن يسيروا عبر هذه السيارات المتكدّسة. كانا متأكّدين أيضاً أنه من غير المحتمل أن تستجيب أي سيارة لتلويحهما. بإمكانهما أن يستخدما هاتف الطوارئ لطلب المساعدة من هيئة الطرق السريعة في اليابان،

ولكن سيكون عليهما عندئذٍ أن يقدّما تفسيراً منطقياً لانقطاع الطريق بهما في هذا المكان. وحتى لو تمكّنا من الوصول إلى مخرج إيكيجيري مشياً على الأقدام، فمن المؤكّد أن محصِّل الرسوم على الطريق سوف يسألهما. ولم يكُن رجوعهما وهبوطهما الدرج الذي صعداه معاً أمراً وارداً.

قالت أَوْمَامِه: «لست أدري».

لم تكن تدري فعلاً ماذا عليهما أن يفعلا، أو إلى أين يجب أن يذهبا. لقد انتهى دورها بمجرّد صعودهما درج الطوارئ. كانت منهكة تماماً ولا تستطيع أن تفكِّر أو حتى أن تتّخذ قراراً. لم يكن قد تبقى قطرة واحدة في خزانها. كان لا بد أن تدَع قوة أخرى تمسك بزمام المسؤولية.

أبانا الذي في السموات، ليتقدّس اسمك إلى أبد الآبدين، وليأتِ ملكوتك إلينا. اغفر لنا خطايانا الكثيرة، وأسبغ بركاتك على سُبلنا المتواضعة. آمين.

تدفّقت كلمات الصلاة منها، كما لو كانت فعلاً منعكساً. لم يكن عليها أن تتذكّرها. ولم يكن لكلّ كلمة بمفردها أي معنى. لم تكن العبارات سوى أصوات بالنسبة لها الآن، قائمة علامات ولا أكثر. ومع ذلك، وبينما راحت تلهج بالصلاة بشكلٍ تلقائي، تملَّكها شعور غريب، وهو شعور ربما يجوز حتى أن تسمّيه إجلالاً. ثمة شيء عميق داخلها لمسَ شغاف قلبها. قالت في نفسها، رغم كلّ ما جرى، **لم أخسر نفسي مطلقاً. أشكركَ يا إلهي لأنني وصلت إلى هنا، دون أن أخسر نفسي. أيّاً كان المكان الذي وصلت إليه هنا.**

ردَّدت أَوْمَامِه مرة أخرى، **ليأت ملكوتك**، كما كانت تفعل منذ سنوات طويلة مضت، وهي في مدرستها الابتدائية قبل تناول الغداء. أيّاً كان الذي يعنيه، فقد تمنّته. **ليأتِ ملكوتك**.

مسّد تنغو شعرها، كما لو كان يمشطه.

وبعد عشر دقائق، تمكن تنغو من إيقاف سيارة أجرة. في البداية لم يصدّقا عينيهما. كانت سيارة أجرة واحدة، لا تحمل أيّ ركاب، تشقّ طريقها ببطء وسط الزحام على الطريق السريع. رفع تنغو يداً متشكِّكة، فانفتح الباب الخلفي على الفور وركبا السيارة، سريعاً، وعلى عجل، خشية أن يتلاشى هذا الشبح. استدار إليهما السائق الشاب، الذي كان يرتدي نظارة.

سأل السائق: «بسبب الزحام، أودّ الخروج من مخرج إيكيجيري المقبل، إذا كان ذلك يناسبكما؟» كان لديه صوت جهير، صوت عالي النبرة بالنسبة إلى رجل، لكنه لم يكن مزعجاً.

أجابت أَوْمَامِه: «لا بأس. سيكون ذلك رائعاً».

«في الواقع إنّ تحميل ركاب على الطريق السريع مخالفٌ للقانون».

سألت أَوْمَامِه: «أيّ قانون هذا؟» اعترت وجهها الذي انعكس في مرآة الرؤية الخلفية، تكشيرة خفيفة.

لم يستطعْ السائق أن يذكُر اسم القانون الذي يحظِّر تحميل الركاب على الطرق السريعة. بالإضافة إلى ذلك، كان وجه أَوْمَامِه الظاهر في مرآة الرؤية الخلفية قد بدأ يُخيفه قليلاً.

قال السائق: «حسناً، لا يهم»، ثم حاول أن يغيِّر الموضوع: «على أيّ حال، إلى أين تريدان الذهاب؟».

قالت أَوْمَامِه: «يمكنك إنزالنا بالقرب من محطة شيبويا».

قال السائق: «لم أُشغِّل العداد. سوف أتقاضى منك الأجرة بحسب المسافة بعد أن نخرج من الطريق السريع».

سأله تنغو: «أين كنت على الطريق السريع وليس معك ركاب؟».

قال السائق بصوت مُتعَب: «إنها حكاية طويلة. هل تود سماعها؟».

قالت أَوْمَامِه: «أودّ ذلك». لم تكن أَوْمَامِه تجد بأساً في الاستماع للحكايات الطويلة والمملّة. كانت تريد أن تسمع قصص الناس في هذا العالم الجديد. ربما تجد بها أسراراً جديدة أو تلميحات جديدة.

«ركب معي شخصٌ في منتصف العمر، بالقرب من حديقة كينوتا، وطلب مني أن أُوصله إلى مكان بالقرب من جامعة أوياما جاكوين. كان يريد مني أن أسلك الطريق السريع لأنّ الزحام سيكون شديداً عند شيبويا. لم تكن هناك أي نشرات مرورية تشير إلى وجود زحام مروري على الطريق السريع. كان يُفترض أن تكون حركة المرور على ما يرام. لذلك فعلت ما طلب مني وسلكت الطريق السريع عند منطقة يوجا. ولكن كان هناك حادث في منطقة تاني، على ما يبدو، ويمكنك أن ترى النتيجة الآن. وبمجرد أن علِقنا في الزحام، لم يعُد بوسعنا حتى الوصول إلى مخرج إيكيجيري للخروج من الطريق السريع. وفي أثناء ذلك، لمح الراكب صديقة له. في منطقة كومازاوا، حينما لم نكن نتحرّك إلى الأمام شبراً واحداً، تصادف وجود سيارة مرسيدس فضية اللون بجوارنا، كانت تقودها امرأة هي صديقة له. أنزلا زجاج النوافذ وتبادلا الكلام وانتهى الأمر بأن دعته للركوب

معها. اعتذر لي الرجل وسألني إن كان بإمكانه أن يدفع الأجرة وينتقل إلى سيارتها. لم يحدث أنّ سائقاً أنزل راكباً وسط الطريق السريع. ولكن بما أننا لم نكن نتحرّك فعلاً، لم أستطعْ أن أقول لا. لذلك انتقل الرجل إلى السيارة المرسيدس. كان مستاءً من ذلك، ولهذا دفع مبلغاً إضافياً لإرضائي. ومع ذلك بقي الأمر مزعجاً. أعني، لم أستطعْ التحرك على الإطلاق. على أيّ حال، ظللتُ أتحرك شيئاً فشيئاً حتى وصلتُ إلى هنا، بالقرب من مخرج إيكيجيري. ورأيتُك تُلوّح بيدك. أمر يصعُب تصديقه، أليس كذلك؟».

قالت أَوْمَامِه باقتضاب: «يمكنني أن أصدّق ذلك».

في تلك الليلة، نزل الاثنان في فندق شاهق في أكاساكا. قاما بإطفاء الأنوار، وتجرّدا من ثيابهما، ودخلا إلى الفراش، وضمّ كلّ منهما الآخر. كان هناك الكثير الذي يجب أن يتحدثا فيه، ولكن بإمكانهما إرجاء ذلك حتى الصباح. كانت لديهما أولويات أخرى. ودون أن يتبادلا كلمة واحدة، راح كلّ منهما يستكشف بتلذّذ جسد الآخر في الظلام. وبأصابعه ويديه، يتحرى مواضع اللذة ويعرف كيف يبدو كلّ شيء. غمَرَهما شعور بالإثارة، كما لو كانا صغيرين يفتشان عن كنز في غرفة سرية. وكلما عثرا على شيء منه، كانا يُقبّلانه بإيماءة استحسان.

بعد أن انتهيا من هذه العملية على مَهل، أمسكت أَوْمَامِه بقضيب تنغو الصلب في يدها - تماماً كما فعلت قبل سنوات مضَت، حينما أمسكت بيده داخل الصف بعد انتهاء اليوم المدرسي. بدا لها أشدّ صلابة من أيّ شيء عرفته من قبل، بالغ الصلابة. باعدت أَوْمَامِه ما

بين ساقيها، ودنت منه، وببطء أولجته داخلها. مباشرة وبعمق. أغمضت عينيها في الظلام وشهَقت شهقة عميقة. وبعد ذلك، زفرت ببطء. أحسّ تنغو بأنفاسها الحارّة على صدره.

قالت أَوْمَامِه وهي تهمس في أذنه حينما توقفت عن الحركة: «لطالما تخيَّلتك تضمني هذه الضمّة».

«وأنا أضاجعك؟».

«نعم».

سأل تنغو: «منذ كنت في العاشرة، كنت تتخيلين ذلك؟».

ضحكت أَوْمَامِه: «لا، بدأ ذلك حينما أصبحتُ أكبر قليلاً».

«لقد كنتُ أتخيّل الشيء ذاته».

«أن تولجه داخلي؟».

قال تنغو: «نعم».

«هل وجدتَ ما كنت تتخيل؟».

أقر تنغو: «ما زلتُ لا أصدق أنه حقيقي. أشعر وكأني في حلم».

«لكنه حقيقي».

«يبدو رائعاً بدرجة يصعب معها أن يكون حقيقياً».

ابتسمت أَوْمَامِه في الظلام. وقبّلته. استطاب كلّ منهما لسان الآخر.

قالت أَوْمَامِه: «ثدياي صغيران نوعاً ما، أليس كذلك؟».

قال تنغو: «إنهما مناسبان تماماً». وقبض بيديه عليهما.

«هل تعتقد ذلك حقاً؟».

قال: «بالطبع. لو كانا أكبر من ذلك، لما كنت أنتِ أنتِ».

قالت أَوْمَامِه: «أشكركَ». وأضافت: «لكنهما ليسا صغيرين وحسب، فالأيمن في حجمه يختلف عن الأيسر».

قال تنغو: «إنهما مناسبان. الأيمن هو الأيمن والأيسر هو الأيسر. لا داعي لتغيير أي شيء».

ضغطَت أَوْمَامِه بأذنها على صدره: «لقد عشتُ وحيدة طويلاً. وتألّمت كثيراً. لو قدِّر لي أن ألتقيك منذ مدّة، لما اضطررتُ لقطع كلّ هذه المسافة كي أصل إلى هنا».

هزّ تنغو رأسه: «لا أعتقد ذلك. ولا بأس بذلك. هذا هو الوقت المناسب تماماً. لكل منا».

انخرطت أَوْمَامِه في البكاء. سالت على خديها الدموع التي كانت تقاومها ولم يعُد بمقدورها إيقافها. انهمرت دموعها بصوت مسموع على شراشف السرير وكأنها قطرات مطر. وبينما كان تنغو يولج قضيبه في أعماقها، اعتَرَتها رجفة خفيفة وأخذت تبكي. طوَّقها تنغو بذراعيه وضمّها. سوف يكون بمقدوره أن يضمّها إليه من الآن، ممّا أشعَرَه بسعادة لم يتخيّلها.

قال تنغو: «كنا بحاجة إلى كلّ هذا الوقت، كي يُدرك كلّ منّا كم هو وحيد فعلاً».

همست أَوْمَامِه في أذنه وقد ألهبتها أنفاسُها: «تحرّك. خذ وقتك، وافعل ذلك ببطء».

فعلَ تنغو ما طلبته. بدأ يُدخل قضيبه ببطء. ويتنفس بهدوء، مصغياً إلى دقات قلبه. تعلَّقت أَوْمَامِه به وكأنها تغرق. كفّت عن البكاء، وتوقفت عن التفكير، ونأت بنفسها عن الماضي وعن المستقبل، وأصبحت جزءاً من حركته.

مع اقتراب الفجر لبسا ردائي الاستحمام في الفندق، ووقفا بجوار النافذة الكبيرة، وراحا يرتشفان النبيذ الأحمر الذي طلباه من خدمة الغرف. أخذَت أَوْمَامِه رشفة واحدة فقط. لم يكونا بحاجة إلى النوم. وفي غرفتهما الكائنة في الطابق السابع عشر كانت تغمرهما متعة خالصة وهما يشاهدان القمر. كانت الغيوم قد انقشعت، ولم يعُد هناك ما يحجب عنهما الرؤية. كان قمر الفجر قد قطَعَ مسافة طويلة، ومع ذلك كان لا يزال يطفو فوق أفق المدينة. كان قمراً أبيض اللون ويميل لونه إلى الرمادي، وبدا وكأنه يوشك أن يسقط على الأرض، فقد اكتملت مهمّته.

كانت أَوْمَامِه قد طلبت، وهي في مكتب الاستقبال، غرفة في طابق مرتفع وذات إطلالة ترى القمر، حتى وإن كانت أعلى في سعرها. وقالت: «هذا هو الأهم، أن ننعم برؤية القمر».

كانت موظّفة الاستقبال في غاية اللطف مع هذين الزوجين. ساعدهما أيضاً أن الفندق لم يكُن مزدحماً بالنّزلاء. شعرت بالرضا تجاه الزوجين منذ وقعت عيناها عليهما. طلبت من الخادم أن يذهب إلى الغرفة كي يتأكّد أنّ لها الإطلالة التي يريدانها، وبعد ذلك سلّمت أَوْمَامِه مفتاح جناح صغير. ومنحتهما أيضاً خصماً خاصاً.

سألت الموظفة أَوْمَامِه وقد أثار ذلك اهتمامها: «هل الليلة هي موعد اكتمال القمر أو شيء من هذا القبيل؟» على مدى سنوات سمعت كلّ ما يتخيله المرء من طلبات وأمنيات ورغبات الضيوف. ولكن هذه هي المرة الأولى التي تجد نزيلين يطلبان غرفة ذات إطلالة جميلة على القمر.

أجابت أَوْمَامِه: «لا. لقد مضت ليلة اكتمال القمر. إنه في ثلثيّ حجمه تقريباً. ولكن لا يهم ذلك. ما دام يمكننا رؤيته».

«أنتِ إذاً تستمتعين برؤية القمر؟».

ابتسمت أَوْمَامِه: «إنها شيء مهم بالنسبة لنا. أهم ممّا تتخيلين».

حتى مع اقتراب الفجر، ظلّ هناك قمرٌ واحدٌ. كان هو نفسه القمر القديم المألوف. القمر الوحيد والأوحد الذي يدور حول الأرض بإخلاص وبسرعة واحدة، منذ الأزل. وبينما كانت أَوْمَامِه ترنو إلى القمر، تحسَّست بطنها بلطف، واطمأنت مرة أخرى إلى أنّ الصغير لا يزال بأحشائها. تستطيع الآن أن تُقسم أنّ بطنها قد كبرت منذ الليلة السابقة.

قالت في نفسها، **ما زلت لا أعرف أيّ عالم هذا. ولكن أيّاً كان العالم الذي نعيش فيه الآن، فأنا واثقة من أن هذا هو المكان الذي سوف أمكُث فيه. سوف نمكث فيه. لا بدّ أنّ لهذا العالم مخاطره، ولا بد أنه ممتلئ بألغازه وتناقضاته. وقد نُضطرّ فيه للسير عبر مسارات مظلمة، لا ندري إلى أين سوف تأخذنا. لكن لا بأس. يجب أن أتقبّل ذلك. لن أذهب إلى أيّ مكان. ومهما يكن، سوف نبقى في هذا العالم الذي يضمّ قمراً واحداً. ثلاثتُنا - تنغو وأنا والصغير.**

ضع نمراً في خزان وقودك، ذلك هو ما يقوله نمر لوحة إعلان إسو، موجهاً إليهما صدغه الأيسر. ولكن لا بأس بأيٍّ من الصدغين. كانت الابتسامة العريضة التي يظهرها لأَوْمَامِه طبيعية ومفعمة بالدفء. قالت لنفسها، **سوف أصدّق هذه الابتسامة. هذا هو المهم الآن.** رسمت على وجهها ابتسامة مضاهية لابتسامة النمر. جاءت طبيعية للغاية ومفعمة بالودّ.

مدّت يدها بهدوء، فأمسك بها تنغو. وقفا كلاهما هناك، جنباً إلى جنب، وكأنهما شخصٌ واحد، وفي صمت راحا يشاهدان القمر الساطع فوق البنايات. حتى أشرقت عليه شمسُ يومٍ جديد، وسلبته سطوعه الليلي. وحتى أصبح مجرد قمرٍ ورقي رمادي اللون، يتدلى في السماء.





هاروكي موراكامي



1Q84

قمران... عالمَان... فتاة... فتى... قصة حب...

أجواء من السحر والفانتازيا، ورحلة لاكتشاف الذات، وقصة وجودين متوازيين، وعالم خيالي يضاهي عالم جورج أورويل... إن 1Q84 لهاروكي موراكامي هي حتى الآن روايته الأعلى طموحاً، رواية عميقة الأثر، آسرة وممتعة إلى أقصى الحدود.

إنها عملٌ فذ وتحفة فنية وتجربة مفعمة بالذكاء والإثارة والتشويق، حيث أحدثت ضجة كبيرة في اليابان لدى نشرها، ونفدت طبعتها الأولى في يوم واحد، فيما بِيع منها مليون نسخة في شهرها الأول.

❖ ❖ ❖

«إذا كانت هذه الرواية أشبه ببيت المرح، فإنه ذلك المرح الموغل في الجدية، والذي عندما تدخله تجازف بما لديك من قَنَاعات».

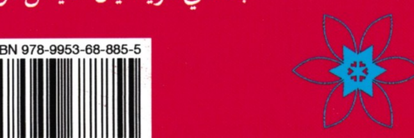
مجلة نيوزويك

«رواية عظيمة تحقق الوظيفة الرئيسة للأدب: وهي إعادة رسم العالم وصياغته عبر الخيال... وفي صميم عالم 1Q84 يكمن سؤال الحب، وكيف نجده وكيف نمسك به».

جريدة لوس أنجلس تايمز

«أومامه وتنغو يسيران بعضهما نحو بعض وكأنهما غواصان يشقان طريقيهما نحو سطح الماء. عندما انتهيتُ من قراءة 1Q84 شعرت كما لو أني، أنا الآخر، كنت أصعد نحو السطح؛ وحتى بعد أيام من قراءتها، ظل العالم لا يبدو لي مثلما كان عليه».

مجلة ذي كريستيان ساينس مونيتر





ISBN 978-9953-68-885-5
9 789953 688855



المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com





